بسم الله الرحمن الرحيم

عشر سنوات من سيرة

الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة

«تقييد حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني»

حقوق الطبع محفوظة للمحقق
الطبعة الاولى
٢٠٠٤ م ــ ١٤٢٥ هـ

توزيع
مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية
ص.ب. ١٥١٣٤تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)
فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية
Website: www.izbacf.org ; email :info@izbacf.org

الإمام يحيى وبواعث الحرب والصلح مع العثمانيين

١٣٢٣هـ/٢٤ - ١٣٣٣هـ
١٩٠٥م - ١٩١٤م

عشر سنوات من سيرة

الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة

«تقييد حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني»

تصنيف

القاضي العلامة

سعد بن محمد الشرقي ت ١٣٢٥هـ / ١٩١٦م

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية

الأردن - جامعة اليرموك

المجلد الأول

بيروت ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م

الإهداء

إلى روح سيدِّنا العلامة الفذ القاضي سعد بن محمد بن عبد الله الشرقي رضوان الله عليه ، وإلى أرواح المؤمنين الذين صَاغوا حياتهم وفق مقتضيات عقيدتهم إيمانا وسلوكا . فصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وفازوا .

إلى الباحثين عن الحق والحقيقة ، حتى لو تصادمت مع رغباتهم وميولاتهم نهدي هذه السيرة . أما من ينطبق عليهم قول الشاعر :

ومن يك ذا فمٍ مُرٍّ سقيمٍ يجد مُرّاً به العذب الزُلالا

فالله تعالى حسبنا ونعم المولى ونعم النصير :((قُلِ اللَّهمَّ فَاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ عَالِمَ الغَيبِ والشَهادَةِ أنْتَ تَحكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانوْا فِيهِ يَخْتَلِفُون)) ، صدق الله العظيم .

المقدمة

والحمد لله الذي جعل القرآن هدىً للمتقين وشفاءً لصدور المؤمنين ، ودافعا لباطل المبطلين ، فمن التمس الهدى فيه والصحيح من السنة النبوية اهتدى ، ومن طلبه في غيرهما ضلّ وهوى ، له الأسماء الحسنى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ولا يعجزه شيءٌ في السماوات والأرض وما بينهما سبحانه جلّ وعلا . وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وتمام عدة المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فإن تأريخ الأمم من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتسمو إلى معرفته العلماء والجهال ، إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار الأيام والدول ، وسوابق القرون الأوَل ، وفي باطنه نظرٌ وتحقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع عميق، فهو أصيل في الحكمة ، جدير بأن يُعدَّ من علومها ، وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها ، وأودعوها مسطرةً مخطوطة خلطها المتطفلون بدسائس من الباطل ، وزخارف من التلفيقات الموضوعه .

المكان ، شهارة ، والزمان ، شهر شعبان ١٣٢٦ هـ ، والمناسبة ، وصول عبدالله بن الحسين المتوكل أحمد بن المنصور ، الذعرور ، ومحمد بن عبدالله الشرفي ، المزيقر . وقد عادا من منفاهما في استانبول ، ومعهما كتاب من الصدر الأعظم كامل باشا ، تضمن طلب نفرين أو ثلاثة مؤتمنين من طرف الإمام ، ولهما الأمان ذهاباً وإياباً ، للمراجعة مع السلطان والوزراء فيما يصلح اليمن ، ويحول دون استمرار سفك الدماء بين المسلمين .

ويكرر الإمام الإمعان ، ويتابع أخذ مختلف الآراء ، ووقعت مشاورات عامة وخاصة ، حتى إذا استقر الرأي ، تشكل الوفد من العَلاَّمة القاضي سعد بن محمد بن عبدالله الشرقي رئيساً ، والعَلاَّمة السيد عبدالله بن إبراهيم بن أحمد ، والعَلاَّمة السيد محمد بن أحمد الشامي .

والتقى الإمام أعضاء الوفد وأوصاهم بحفظ حقوق أهل اليمن وحددَّ لهم ما يقبله وما لا يمكن قبوله ، وترك لهم حرية المفاوضة في إطار هذين الحدين وألزمهم بعدم التراخي ، وأمر بصرف مئة ليرة ذهبية مؤنة الطريق لكل واحد منهم وعشرين ليرة ذهبية لفضلاته ، وخمسة عشر ليرة زيادة ، ومئتي ليرة مصاريف طارئة إن وقعت أحداث في استانبول وخلع السلطان عبد الحميد الثاني، وأهمل الأتراك أمرهم لإنشغال الزعماء الأتراك بالأحداث .

وطلب إلى التاجر مرجان الحرازي مكاتبة وكيله في استانبول السيد محمد لطفي بك المقدسي يوصيه بتزويد أعضاء الوفد بما يحتاجه من نقد إذا ما عصفت الأحداث باستانبول ، وبعون الله ورعايته غادر الوفد قفلة عِذر في ٢٦ شهر ذي الحجة ١٣٢٦هـ ، براً إلى الحديدة ثم بحراً إلى السويس ، ثم بالقطار إلى الإسكندرية ثم بالباخرة إلى استانبول .

" الإمام يحيى وبواعث الحرب والصلح مع العثمانيين ، ١٣٢٣ – ١٣٣٣هـ / ١٩٠٥-١٩١٤م " ، " عشر سنوات من سيرة الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدين " ، رحمه الله – هو موضوع الكتاب الذي نبذله لأبناء الأمة العربية والإسلامية عامة ، ولأهل اليمن دون تخصيص أو اثره ، نبغي وضوح الرؤية وجلاء الحقيقه ، ليعرف الأبناء والأحفاد مدى صدق العزيمه ، وصلابة الموقف في الحفاظ على الوطن وهويته الإسلامية والعربية .

وحين تقلب صفحات الكتاب ، تدرك أية مجاهدات ومخاطرات ركبها الرجال الصادقون ، أولئك الذين عرفوا للوطن حقه ، فما بخلوا بنفس ولا نفيس.

أرسل أحدهم من سفارة إيطاليا في القاهرة ، يسأل الإمام قبول حماية إيطاليا على بلاد حاشد وما جاورها – وفي حيلة ودهاء – يكتب : " من أجل التجاره والبحث عن المعادن فقط دون غيرها من الأغراض " ، وغيره من علماء المسلمين في الحجاز بتوجيه من قبل السلطان العثماني ، يكتبون له ترغيباً وترهيباً ، ويطلبون من الإمام الاستكانة والخنوع ، ويرغِّبه في عيشة رغده وراحة تامه وراتب فاضل . فيكون جواب الإمام : "ما كانت النهضة والخروج إلا غَيْرة على الدين وحماية للشريعة ، وليست طلباً للراحة والدعه ولا محبة في تكثير المال " .

وفي استانبول عرض الصدر الأعظم كامل باشا على أعضاء الوفد ، رحيل الإمام من اليمن ، ويسكن حيث شاء ، وله الأموال الجزيلة الواسعة ، وله التبجيل والتقدير والعظمة في الحل والترحال ، فكان الجواب ، " ما لهذا جئنا، فجبال اليمن ووديانها وقيعانها أحنُّ عليه من متنزهات وجنائن وباسقات استانبول" .

تقييد حوادث إنشاء الجهاد الثاني ، هذا الكتاب الذي صنفه رئيس الوفد القاضي العلامه سعد بن محمد الشرقي ، يقدم صورة حقيقية لمجريات القتال مع العثمانيين في جبهة صنعاء ، في معارك خَوْلان وسَنحان ورجام وبلاد الرُّوس وبني بهلول وبني مطر، وجحانة ، ووادي مسْوَر، وقرية زَبار ، وبيت خَردل ،وخُبّة ،وخِدار ،والدار البيضاء ،وجبل قيفان ،وبيت ردم ، وبيت نمير ،ومقولة ،والمَخْرف ،وسيّان ،والمحاقرة ،وغيْمان ،والحَيْمة ،

قتال من قريةٍ إلى قريـــة ،ومـــن وادٍ إلـــى واد ، ومـــن جبـــلٍ إلـــى جبـــل ، ومن بيتٍ إلى بيت .

وفي معارك ردَاع ويريـــم والشِّـــعر والطويلـــة وهمـــدان والمحويـــت وذي شمران وبيت الحداد والأحربي وبلاد قعطبة وبلاد عمار والخبـــت وبنـــي بشير والشاحذية وشمات والأهجر ، ومعارك أخرى أكثر ضراوة وفي صنعـــاء وذمار وعَنُمه وبَلسَان والرباط وبيت الحمودي وسواد بَوْسان وهَـــداد ومنـــاطق غيرها كثيرة مما وصفه شهود العيان ، المقاتلون ، المجاهدون .

في هذا الكتاب التفاصيل الدقيقة لمحادثات الوفد في استانبول مع الصدر الأعظم ، ووزراء الداخلية والحربية ورئيس مجلس شورى الدولة العثمانيـــة ، وغيرها من محادثات في مجلس المبعوثان (مجلس النواب العثماني) . وفيـــه أيضا عن النص الرسمي لصلح دعَّان فيما بعد ذلك الصلح الـــذي تقـــول فيـــه البعض ، وأضافوا له ما ليس فيه ، جاهلين حقائق الحقبة التاريخيـــة وأبعادهـــا بمعطياتها الموضوعية الزاخرة بالشواهد . فقد عقد المنصور بالله إمام الجـــهاد والاجتهاد القاسم بن محمد وهو جد الإمام يحيى رحمة الله عليهم عدة معاهدات مع العثمانيين اعترفت بموجبها الدولة العثمانية بسلطة الإمام القاسم بن محمـــد على ما تحت يده من مناطق .

وكان آخرها معاهدة الصلح عام ١٠٢٨ هـــ التي مهدت لاستقلال اليمن، وتوحيده بقيادة الإمام المؤيد بالله محمد بـــن القاســـم بـــن محمـــد رحمـــه الله عام ١٠٤٥هـــ ،الذي كان صلحاً شبيهاً إلى حد كبير بصلح دعان الذي حضـــره وشارك في مفاوضاته ومشاوراته وإقراره ، شيخ الإسلام علي بن علي اليمـــاني ، والعلامة القاضي الحسين بن علي العمري وابنه عبـــد الله والعلامـــة ســـيف الإسلام أحمد بن قاسم حميد الدين والسيد العلامة عبد الله بن إبراهيم بن أحمـــد والسيد العلامة أحمد بن يحيى بن قاسم بن عامر والسيد العلامة يحيى بن علـــي الذاري والقاضي العلامة عبد الوهاب بن محمد المجاهد الشـــماحي والقـــاضي العلامة الحسين بن أحمد العرشي والقاضي العلامة محمد بن إسماعيل الشـــامي وسيف الإسلام العلامة محمد بن المتوكل على الله المحسن والشيخ ناصر بـــن مبخوت الأحمر والشيخ علي المقداد والشيخ حمود شـــريان والشـــيخ جـــبران الغشمي وغيرهم .

لقد حقق صلح دعَّان الائتلاف والإتفـــاق ، والـــزم القـــوات العثمانيـــة بالتعاضد مع القوات اليمانية بالدفاع عن الموانى والبنادر الســـاحلية اليمانيـــة ، وأن تعمل مشتركة على دفع الأجانب من بريطانيين وإيطاليين عن ديار الإسلام.

كما حقق رفع المظالم والعسف الذي كان يعاني منه أبناء اليمن وأعاد للإحكام الشرعية مكانتها كامله .

عمل الإمام بإخلاص لربه ، إعلاءً لشريعة الإسلام ، قاد شعبه اليمني لطريق الحرية والاستقلال ويحفظ له التاريخ ، وللمخلصين الصادقين من علماء وقادة عصره ، أنه الحاكم العالم ، المجتهد ، الشريعة الإسلامية دستوره .

كان عادلا يحاسب العمال والولاة ، ليس بينه وبين الناس حجاب ، لا حرس ولا حواجز كل مواطن من أقصى اليمن إلى أقصاه يمكنه الوصول إلى حضرته ، ليبث شكواه ضد الأمير أو العامل أو الجابي ، يرعى الأيتام والمساكين والضعفاء ، حافظ على أموال بيت المال ، فلا تراه مسرفاً أو مبذراً أو لاهياً ، والجود والسخاء عنده ، أن تنفق أموال بيت المال في مكانها الصحيح ، وقد كان متبعاً لسير الراشدين في الإدارة والمال والحكم ، وكان يرحمه الله مشاوراً ذكياً ، عرف من السياسة دهاليزها ، وخبر حيل الماكرين وألاعيبهم ، نشر الأمن والاستقرار في كافة الربوع اليمانية ، ويكفيه مأثرةً أنه كان الحاكم العربي الوحيد الذي انتزع الاستقلال اعتماداً على إمكانيات شعبه دون منّة أو مساعدة من أحد ، لم يحالف أجنبياً قط ضد حاكم مسلم ، وظلّ على وفائه لدينه وعدم مناصرة أي أجنبي ضد المسلمين وطوال حياته كان يرى استقلال بلاده منقوصا ما دام شطر من بلاد اليمن يحتله الأجنبي البريطاني ، وما هدأ يوما في حربه للمحتل ، يبغى وحدة أرض الوطن والشعب ، جنوبه وشماله ، أسفله وأعلاه ، جباله وسهوله ، بحاره وأنهاره ، تلاله ووديانه ، وصحاريه ، عمل فما كلّ ، سهر وما غفل ، راقب وما أنتظر ، حاسب وما أجّل ، جابه ولم يجبن ، فحينما جاء المشير أحمد فيضي قادما من الحديدة بجيوشه الجرارة إلى بني مطر وأرسل تهديده ووعيده للإمام يحيى بصنعاء ، كان جواب الإمام عليه:

كفى عدّ الذنوب إذا التقينا تَعالي لا نعدَ ولا تَعُدي

وترك صنعاء حرصاً لتجنيبها وأهلها من الدمار وأتجه إلى معقله شهارة حيث كانت المعركة الفاصلة التي مهدت لكلما ورد في صفحات كتابنا هذا .

هذا هو مذهبه في الحياة ،عالماً ،مجتهداً ،معتدلاً ،منفتحاً ،نظيفاً ،شامخاً، مناضلاً ،شجاعاً ،عابداً ،زاهداً ،عَدل فما ظلم ، حَكم فما استبد ، أمِنَ لما أقام العدل إعلاءً لشرعة الله.رحم الله الإمام يحيى وحشرنا الله وإياه في جنات الخلد.

سيف الإسلام الأمير محمد بن الحسين بن يحيى حميد الدين رحمهم الله أجمعين .

عمان في ٥ ربيع الأولى ١٤٢٥هـ

٢٤ إبريل ٢٠٠٤ م

الإمامُ يحيى وَبَوَاعِثُ الحَرْبِ والصُّلْحِ مَعَ العثمانيينَ

١٣٢٣هـ/٢٤ - ١٣٣٣هـ

١٩٠٥م- ١٩١٤م

الجزء الأول

(الدراسة والتحليل)

المجلس
الإسلامي

الفصل الأول

حروبُ الاستـــــنزاف

المبحث الأول : حربُ العصابات اليمنية :

كانتْ معركةُ شُهارةَ واحدةً منْ أهم المعارك في تاريخ الكفاح الوطنيِّ اليمنيِّ، فقدْ وقعتْ بعدَ نكث الأتراك للهدنة التي عقدَهَا الإمامُ يحيى مَعَ أعيان الحكومة التركية، رجب أفندي ومظفر بك، وابراهيم سيفي، من أركان الحرب، على أن يُسلِّمُوا صنعاءَ، ويتعهدُ الإمامُ بانتقال المحاصرينَ في صنعاءَ سالمينَ إلى مدينة مَنَاخَةَ، مركز قضاء حَرَاز، ومعهم ثمانمائةُ بُنْدق ماوزر فقط، ويرفعُ أصحابُ الإمام الحصارَ عمن في إب وبلاد تَعْزَّ منَ الأتراك، وتكونُ مدةُ الهدنة سنةً كاملةً، ابتداءً من صفر سنة ١٣٢٣هـ. وقَدْ غَادرَ صنعاءَ بموجب الهدنة نَحْوَ تسعة آلاف تركي بعائلاتهم[1]. إلا أنَّ نجاحَ أحمد فيضي بعدَ ثلاثة أشهر من الاستيلاء على صنعاءَ وإخراج قوات الإمام، منها، جَعَلَهُ يُصممُ على ضرورة مُلاحقة قوات الإمام أينما كانت، ويعملُ على تدمير البلاد الحاشدية، لاسيما وأنَّ قوات الإمام انسحبتْ من كل القَضوات التي كانَ يحكمُهَا الأتراكُ، وصارت شهارةُ، قاعدةُ الإمام، الهدفَ المباشر لأحمدَ فيضي وقواته الكثيرة العَدد والعُدد، والمجهزة بالأسلحة الفتَّاكة من مدفعية وبنادقَ سريعة الطلقات، وتمكنتْ قواتُ

---

(١) انظر، سيرة أئمة اليمن، ٢/٢٢.

أحمدَ فيضي من محاصرة شُهارةَ من جبل العيازرة، المقابل لمدينة شُهارة، ومنْ جبل يريم، ومنْ الكهوف القريبة من المدينة. في الوقت الذي تعملُ فيه قواتُ المعارض، الحسن بن يحيى الضحْيَاني ضدَ قوات الإمام في مناطق بني جُماعة من بلاد صَعْدة، وتُشاغلُ جزءاً مهماً من قوات الإمام يحيى، التي يقودُها سيفُ الإسلام، محمد بن الإمام الهادي، أبو نيب، ولكنَّ المعركةَ انتهتْ بهزيمة القوات التركية، وقَتْل أحد كبار القادة الأتراك، على رضا القرشي، في موقعة خُميس، قُربَ مدينة خَمر، وتَشَتُت العساكرُ العثمانيةُ في الجبال والوهاد والوديان، تُطاردُها قواتُ الإمام يحيى في سوق الثُلث، وجبل سَيْرَان، ونجد حُبُور، وجبل شام حتى انحازت إلى بلاد السودة ثم إلى عَمْرَان التي عادَ إليها أحمدُ فيضي مُنْهكاً، وَقدْ لاقى من الأهوال أشدَّها، ومن المعاناة أقْسَاها. وكانَ لهذا النصر رنةُ فرح، وصوتُ سرور، وأُرْسلت المناشيرُ منَ المقام الأماميِّ المتوكليِّ لكافة أنحاء الوَطَن، وعَمَّ التَنْصِّيرُ وأُشْعلت النِّيرانُ ابتهاجاً بالظَّفَر[1]، وتغنّى الشُّعَراءُ بأهازيجَ النَّصر:

يقولونُ ما للتُرك أضحتْ أذلةً ... وللتُّرك في بعث الجيوش يدا فيض

فقلتُ لهم لاتعجبوا من فرارهم ... إذا جاء نصرُ الله تبتْ يدا فيضي[2]

وكانَ لمعْركة شُهارَةَ نَتائجُ عدَّةٌ منْها:

- رفعُ الروحِ المعنوية لأبناء الشعبِ اليمنيِّ، فقدْ تحطمتِ أسطورةُ

---

(١) انظر المنشور في كتاب «فترة خروج العثمانيين الأخير»، ١٦-١٧-١٨.

(٢) سيرة أئمة اليمن، ٣/٣٤ «سيرة الإمام يحيى»؛ الجرافي، المقتطف، ٢٢٠.

الجيّش الذي لايُقْهرُ، وغدا القائدُ العنيدُ الجبار، أحمد فيضي، مادةَ للتَندُّرِ، ونَمـوُذجاً لـلقائدِ المـهزومِ. وأحـدقَ الخـوفُ بالسلطاتِ العثمانيةِ في القسمِ الأعلى من اليمنِ جَميعه.

- سارعت العديدُ من القبائلِ اليمنيـةِ إلى الالتحاقِ بقواتِ الإمام يحيى، وخـاصةً بعض فـروعِ حاشـد وبكيل وهمـدان، فازدادت أعـدادُ المتطوعينَ للجهاد، وتخلت بعضُ القـبائلِ عن مواقفَ الحيادِ التي التزمتْ بهـا سابقاً، وأخذت تقـدمُ المؤنَ لقواتِ الإمـامِ يحيى في بلادِها.

- نشطت العصـاباتُ الإماميـةُ في حروبها ضد الأتراك، وخـاصةً في أنس وبيت الذيبـاني، وبيت عيـسى، ومخـلافَ ابن حاتم. حـتى وصلتْ بعضُ العصاباتِ إلى وادي الجار[1] بالقرب من صنعاء.

- امتناعُ كـثيـرٍ من الجهـاتِ الخاضعـةُ للسلطةِ العـثمانيـةِ عن تسليمِ الضـرائب لمأمـوري الأتراك، وتمـردت على ما كـانت تفرضُـهُ الحكومـةُ عليهم من غـرامات وجـبايات. وبالإجـمال، فإنّ الـعام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، كان عامَ المعارك والحروبِ، وعامَ المجاعاتِ والأوبئة.

ومِن ناحيـةٍ أخرى، فإنّ الإمـامَ يحيى، اعـتمد في العـام التالي

---

(١) وادي الجار: من ناحية بلاد الروس، إحدى نواحي صنعاء الجنوبية الشرقية، وقد يُعْرَف بحمام جارف، لوجود حمام طبيعي فيه، انظر، الحجري، مجموع، ١/١٧١؛ المقحفي، معجم، ١٠٣؛ اليمن الكبرى، ٧٦.

١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، استراتيجيةَ حربِ العصابات، القائمةَ على إرباك العدوِّ بصورةٍ مستديمة، وعَدم إتاحةِ الفرصةِ له للاستراحة أو إعادة تنظيمِ القوات، وذلكَ بهجماتٍ عسكريةٍ أو شبه عسكرية، وتَرصُّدِ العدوِّ بكمائنَ، وقطعِ طُرق إمداده وتموينه، ومضايقةِ المتعاونينَ معه وتخريبِ مخازن سلاحه وذخائره وتموينه، ومقارِ إقامته ومعسكراته، والعنفِ ضدَّ أفراده، بحكمةٍ واختيارٍ دقيقٍ، وتقييدٍ شديد.

وبدأت حملةُ الإمامِ بإذاعة منشورٍ في محرم ١٣٢٤هـ، وجَّهَهُ إلى العربِ الرازحينَ تحتَ حكمِ الأتراك. فيه تأمينٌ لمن يَمُدُّونَهُ بالمعونة مهما كانت، ويتضمنُ تحذيراً وتخويفاً وردْعاً للمتابعين والمتعاونينَ مَع الأتراكِ، وجاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنَّ مَنْ انتصحَ، وعرفَ وألزمَ نَفْسَهُ إمساكَهَا عن أضرارِ المسلمينَ، وعن تقريبِ ما بَعُدَ عن الظالمينَ، وأنْ لايَتركَ نصيحةً لله، ولايكتمَ عَنّا شيئاً فيما أسرَّ إليه العجمُ به، أو أذاعوه، وعلمه وما عَلِمْنَاه فيما يترقبونه أو يعزمون عليه، وأن لايعترضَ قُبَّاضَنا ولايدل عليهم، ولا يسعى لهم بإخافة سرّاً ولا جَهْراً، ولا يُعاقب منْ أوْصلَ واجباته إلى الإمامِ، ولا يتَناولهُ بمكروه، ولا يجعلَ دينَ اللَّه إلا في سبيلِ ما به أمرَ اللّهُ، وتكونَ مصاحبتُهُ للعجمِ عليهم لا لهم، وباطنُهُ مَعَنا، وظاهرُهُ مَعَهُم، فلأجلِ التمسكِ بهذه الخِلالِ من غير حدث، فليكنْ واثقاً منّا بأنّا لا

نواجهُهُ بشيءٍ يكرهُهُ، فليعْلَمْ هذا»[1]، والمنشورُ البلاغ يطلبُ إلى أولئك الذينَ يقطنون المناطقَ التي يسيطرُ عليها الأتراكُ، أن يمسكوا أنفسهم عن الإضرارِ بالمجاهدينَ، ولا يَكْتموا سِرّاً استقرَّ عندهم من الأتراك وأن يرصدوا حَركاتهم، وما ينوونَ الإقدامَ عليه. وأشارَ الإمامُ بصفة خاصة إلى ضرورة الحفاظ على سرِّية حركة القُبَّاض الذين يُحَصِّلُونَ الواجباتِ الشرعية من الأموال، كالزكاة والأعشارِ والأخماسِ وغيرها. وعدمِ الوشي بأولئك الذينَ يبادرونَ إلى دفعِ الواجباتِ إلى الإمام في مناطقه، وحتى أولئك الذين يرافقونَ التُّركَ، كأتباعٍ، ضبطية أو ملَّة، أو موظفينَ، فإنه طلبَ إليهم أن تكونَ مصاحبتُهم للتُّركِ ضَرراً على التُّركِ لا لصالحِ التُّرك، ظاهرُهُ مع التُّرك وباطنُهُ مع الإمامِ.

وأنهى منشورَه البلاغَ، بأنّ من تقَّيدَ ونفَّذَ ذلك، فَلَنْ يَنَالَهُ أدنى إيذاء، ولَنْ يُوَاجَه بأيٍّ مكروه.

والمنشورُ البلاغُ بجملته تحذيريٌّ، وفيه وَعيدٌ لضعفاء النفوسِ الذين قَدْ يتمادونَ في الولوغِ معَ العساكرِ التُّركية، وهْوَ في الوقت ذاته شحنٌ للمجاهدينَ، وتأكيدٌ لهم بأنَّ يدَ الجهادِ قادرةٌ على النَيْلِ من المتعاونينَ أينما كانوا.

وعلى الجانبِ الآخر، فقدْ أذاعَ الإمامُ يحيى فتوى تاريخَهَا ٦ ذو الحجة سنة ١٣٢٤هـ، لاتُجيزَ صلاةَ الجمعةِ في جامع الرَوْضَةِ بصنعاءَ مع الأتراك، وجاءَ في أبياتٍ منها :

---

(١) انظر، الدرر المنتقاة، ١٥٨؛ العزب، فترة خروج العثمانيين، ٢٧.

يَرَى المنعَ منها مُطلقاً لمقالـــه ومَعه جماعاتٌ من الآلِ تزهـــرُ
دعاءٌ لسلطانٍ ظلومٍ وإنَّ فيه جُرْ مأ لمنْ يدعو لـــــــه وهوَ أظْهَرُ
فإن كان لاتصريحَ باسمٍ لظالمٍ فلا باسَ فيها والسعيدُ المُبكرُ[1]

وضعَ الإمامُ استراتيجيتَهُ الحربيةَ موضعَ التنفيذ، حيثُ قامت مجموعاتٌ صغيرةٌ منَ المقاتلينَ برصدِ العساكرِ العثمانية، وألْحَقتْ الضررَ بهم؛ من تَخَطُّف وقَتْلٍ للمتعاونينَ بَعدَ الإنذارِ والإعذار. وشَهدت الأشهرُ الثلاثةُ الأخيرةُ من عام ١٣٢٤هـ عدةَ عملياتٍ ناجحةٍ ضدَ العساكرِ العثمانية وأتباعهم، فهاجمَ أحدُ المجاهدين علي ابن أحمد حنَش الصنعاني مديرَ ناحية هَمْدان للأتراك، وحاكمَ الناحيةِ محمد بن أحمد مشحم وقُتلا. وطُعن مديرُ التلغراف في زُقَاقِ الغُول في نفس صنعاءَ، وقُتلَ سواريٌّ (فارس) تركيٌّ في قريةِ مرَامٍ، وقُتلَ حسنُ بن مطهر الحَيْمي الصنعاني، مديرُ منطقة بني الحارث، فيما كانَ خارجاً من صَلاة المغربِ من جامعِ الرَوضَة، وقُتلَ علي شغدر، النَجَّابُ، المتعاونَ مع التُرك، وأغْتيلَ عبدُالله بن علي المكرمي من زعماءِ الباطنية، الحلفاءِ التقليديينَ للأتراك[2].

وتروي أحداثُ ١٦ ربيع الأول ١٣٢٤هـ أنَّ المجاهدينَ وصلوا بأربعةِ أنفارٍ، كانوا يعاونونَ العجمَ، وهم من الظَفير، ومنهم السيد

---

(١) انظر، أئمة اليمن، ٢/٨١-٨٢ «سيرة الإمام يحيى».

(٢) انظر الأوراق ٢أ-٦ب من المخطوط.

اسماعيل أبو دنيا من ذرية الإمام المهدي، فضـــربت أعناقهم، جزاءً بما اقترفوا، ولم تُقْبَلْ منهم شفاعةٌ ولا قرابةٌ[1].

وتَخَطّفَ المجـاهدونَ العســاكرَ التركـيةِ في الطُرقـات، وعندَ بئرِ العزَبِ في صنعاءَ، وفي بيت نَعَم، ونَصبوا الكمائنَ لبعضِ قيادات التركِ في وادي ضَهْر، وهم في طريقِهم للضيـافةِ عَنْدَ علي بن محمد الشوبع، وأطْبَقُوا عليهم من الجبلِ الغربي[2].

وقامَ المجاهدونَ بعـمليات جريئة عندَ بئرِ العَزبِ ومقـبرةِ خُزيْمَةَ في قلبِ صنعـاءَ، وهوجمَ القصرُ، مـقرُّ الحكومةِ الـتركيـةِ في صنعاءَ، وألحقتْ به خسائرُ فادحةٌ، ماديةً وبشريةً[3].

لقد كانَ هدفُ الإمامِ من تنفيـذِ هذه العمليات، نشرَ حالة من القلقِ والذُّعْرِ بينَ العـساكرِ الأتراكِ والمـتعاونينَ مـعهم، وإشاعـةَ الفوضى، واضطرابَ حـبلِ الامنِ بين صفـوفهم، وقَـدْ نجحَ في ذلكَ، كمـا سارعَ الإمـامُ يحـيى إلى إنفـاذ سيـوف الإسـلام، وأمراء الـجيشِ والنـقبـاء والمقـدَّمين والشُّيوخ لتـحشيد القـوات وتجهيز العـصابات لمهاجـمة ومطاردة الأتراك في كـــافـة الأمـاكن التـي تسـمحُ الظروفُ بالـعـمل والمقـاومة، فأنْفَـذَ كلاً من : العـلاَّمةَ محـمدَ بنَ يوسف الكبسي لجمع المجاهدينَ من أرْحَـبَ ونهم، وعليَّ بنَ عبدالله المقـدَاد، سيَّرهُ مع ثلاثة

---

(١) انظر، الدرر المنتقاة، ١٦٥ب.

(٢) انظر الأوراق ٥-٦ من المخطوط.

(٣) انظر، المخطوط، ٢أ-٦ب؛ أئمة اليمن، ٢/٧٧-٧٨ «سيرة الإمام يحيى».

من رؤساء بني جَبْرة من خَوْلانَ الجنوبية لينظِّم حربَ العصابات في أطراف الحَدَا، شمال شرق ذَمَار، وجَهْرَان وأنس والأعروش، وفي أطراف عنس والمعزب، وكانتْ له وقائعُ في عَنس وجبل الطيال منْ خَوْلاَنَ العاليةَ، وزراجة ونَيْسَا والأشمور وَخولان والبَوْن والصَيَّد من بلاد حَاشد[1].

وأنفذَ عليَّ بنَ علي السراجي إلى جهات عَمْرَان، ومعه عيالُ سُرَيح والجبل، وكانت له وقائعُ في قرية بيت الحمودي، بجهات عَمْرَان، شمال صنعاءَ، ووقائعُ أخرى في قراتيلَ، والدُمَّم من قرى بلاد هَمْدَان، والبلاد الكوكبانية.

وكذا، عبدالله بن يحيى أبو منصر إلى بلاد الظاهر، وكانتْ له معاركُ بقرية الخدرة من جبال عيال يزيد، والأشمور من عمرانَ وكحلان، وعَفَّار، وحَجَّة وحتى يستوثقَ الإمامُ من القبائلَ التي أعلنتْ إنضواءها تحت لوائه، بعثَ القاضي حسين بن أحمد العرشي إلى بلاد خَوْلانَ العالية، جهات جبَري وخَولاني وعَرشي وما يُدانيهم من القبائل، لقبض رهائن الطاعة والجهاد من أولاد المشايخ وعُقَّال المنطقة، وبالفعل، فقدْ وصلت رهائنُ مختارةٌ منْ أبناء عقال خَولان، من بني جَبر سعد وصَائدي وكلبي، ومن عُقَّال خَارف وسُفْيان[2]، وكلُّ

---

(١) انظر، العزب، فترة خروج، ٢٤-٢٨.

(٢) انظر المخطوط، ٦ب.

ذلك تمهيداً لإرسالِ قواتِ الإمامِ إلى بلادِ خوْلان، وغيرِها من البلادِ الجنوبية[1].

وجهّزَ الإمامُ يحيى، السيّدَ أحمدَ بن يحيى قاسم عامر بما يلزمه من مؤنٍ وسلاحٍ وفوّضَه بنصبِ العُمالِ، إلى الجهاتِ العُلويّةِ، وبني جبرٍ وخَولانَ والحَدَا.

ويبدو أنَّ أخبارَ المعارك قد ذاعت في ولايات الدَّولة العثمانية العربية، وتناهت إليها هزائمُ أحمد فيضي، وتَثاقُلُ العساكرِ العثمانية عن القتالِ في أرضٍ وعرةِ المسالك، صعبةِ المُرتقَى، فبادرَ بعضُ العلماءِ إلى الكتابةِ للإمامِ، بسببِ غيرتهم على حَقْنِ دماءِ المسلمينَ أو بإشارةٍ خفيةٍ من السلطات العثمانية، في مَسعى لحثِّ الإمامِ على الطاعة، وَترك مُقاتلة العثمانيين، عساكرِ السلطانِ عبدالحميد الثاني، ووصولاً إلى تسكينِ الحربِ. وَتُشكّلُ هذه الرسائلُ المبحث التالي.

المبحث الثاني : الرسائلُ والمساعي :

بدأتْ الرسائلُ والوساطاتُ والوفودُ تتوالىَ على المقامِ الإماميِّ، منذ بدايةِ العام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، بدعوىَ بذلِ المساعي الحميدة لوقفِ إراقةِ دماءَ المسلمينَ والفيءِ إلى ظلالِ السلطنة المسلمة. وإطاعةِ خليفةِ المسلمينَ دونَ سبْرِ أغوارِ سَبَبَ المشْكلة الحقيقية المتعلقة بطبيعةِ الوُجودِ العثماني في اليمن. وبعضُ الرسائل كانت دعوةً لجذبِ

---

(١) انظر، أئمة اليمن، ٧٣-٧٤؛ العزب، فترة خروج، ٢٨-٢٩.

الإمام للقوى الكبرى، ولنفض يده من الدولة العُثمانية، ولا نستطيعُ وصفَ هذه الرسائل بأنها محاولاتٌ لإصلاحِ شأنِ اليمن، أو السعيَّ للإصلاحِ بين فريقين، وإنما هي حثُّ الطرف اليمنيّ بوجوبِ الاستجابة والامتثالِ لتسكين الحرب. ووعدٌ بتحقيقِ منافعَ ذاتيةٍ ومكاسبَ شخصية، ونظراً لأهميةِ تلك الرسائلِ الوثائقِ، فإننا نبذلها في ثنايا البحث، ونَعْمل أساليبَ تحليلها لفهمِ مراميها، وكانتْ على النحو التالي:

الرسالةُ الأولى: وَرَدت من مصر، من العلاَّمة عبدُ الرحمن عليش المالكي، تاريخها أوائل عام ١٣٢٤هـ. ونصُّ الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمدُلله الذي بقدرته تنجحُ الطلباتُ، وبشكرِ نعمته تزدادُ الخيراتُ والمسراتُ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّد الكائنات، نبينا وشفيعنا، سَيّدنا محمدٍ، باهرِ المعجْزاتْ وعَلى آله وأصحابه السَّادات.

أما بعدُ؛

فإني أخصُّ بزكيِّ سلامي صفوةَ السُّلالة الهَاشمية، وخُلاصةَ العترة الطاهرة المصطفوية، سَيِّد سادات اليمن، دام عزُّهُ، وطالَ عُمُره، ووُقي شرورَ الفتنِ والمحنِ، ولازالَ يحيى ويبقى محفوفاً بالنعمِ والمننِ في كلِّ وقتٍ وزمنٍ، بجاه جدِّه، جدي أكرمِ الخلق، وحبيبِ الملك الحق، وغياثِ الخلق، صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَدْ قالَ ﷺ «يسروا ولا

---

(١) انظر، الدرر المنتقاة، ١٦٨أ.

تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفروا» وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم، «إنَّ منَ الناسِ ناساً مفاتيحُ للخيرِ، مغاليقٌ للشرِّ، وإنَّ من الناس ناساً مفاتيحٌ للشر مغاليقٌ للخير، فطوبى، لمنْ جعلَ اللهُ مفاتيحَ الخيرِ على يديهِ، وويلٌ لمنْ جعلَ اللهُ مفاتيحَ الشرِّ على يديهِ».

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم «الخلقُ كلُّهم عيالُ اللهِ، فأحبُّ الخلقِ إلى اللّهِ وأرضاهم عَنْدَهُ من أحسنَ إلى عياله».

هذا، وقدْ قالَ اللّهُ جلَّ ذكرُه ﴿يَا أيُّها الذَينَ امنُوا اتَّقَوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَديداً، يُصْلِحْ لَكمْ أعْمَالَكُم ويَغْفرْ لَكمْ ذُنُوبكم، وَمَنْ يُطعِ اللّهَ وَرَسُولهُ فَقدْ فازَ فوزاً عَظيماً﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَبَشِرْ عِبادِ الذينَ يَسْتمِعُونَ القوْلَ فَيتَّبعُونَ أحْسَنَهُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وذكرْ، فإنَّ الذّكرى تَنْفَعُ المؤمنين﴾[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «على المرءِ المسلمِ السّمعُ والطاعةُ فيما أحبَّ أو كرهَ، ما لم يُؤمرْ بمعصيةٍ، فلا سمعَ ولا طاعةَ، إنما الطاعةُ في المعروف»، وَقَدْ منَّ اللّهُ على عباده بخليفة حليم كريم، ألا وَهْو مولانا السلطانُ الأعظمُ عبدالحميد، دامتْ دولتُهُ العلِّيةُ، وأبهرتْ مَحاسنُه الجليلةُ وجلالتُهُ، دامَ نصرُه وعُلاَهُ، من حين ما تولى أمورَ العباد، ما رأينَا ولا سمعنَا أنه أمرَ بمعصيةٍ ولاشرٍّ ولا فساد، بل أوامرُهُ كلُّها خيريةٌ شَرعيةٌ، رَغْماً عن كلِّ مُعَارضٍ من أرْبابِ المفاسدِ، والنفوسِ

---

(١) سورة الأحزاب، ٧٠-٧١.

(٢) سورة الزمر، ١٧.

(٣) سورة الذاريات، ٥٥.

الشريرة الدنيـة، فيلزمُ والحالُ هذا، أنْ نـقابلَ أوامرَهُ الكريمـةَ بالسَّمعِ والطاعة حسبَ الجهد والاسـتطاعة، ويَجبُ على سادات أهل اليَمن الذين وردّت في فضائلهم الأحـاديثُ الشريفةُ النَبويةُ الصَحيـحة المرويةُ، أنْ يرشدوا الناسَ إلى محـبته وطاعته التي هي محـبةُ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. قال صلى الله عليـه وآله وسلم: «مَن أطاعَني فَقدْ أطاعَ اللّهُ، ومَنْ عصاني فَـقدْ عصى اللهُ، ومَنْ أطاعَ أميـري فقدْ أطاعني، ومنْ عصى أميري فقدْ عَصَـاني» ويكفي أهلَ اليمن سفكُ الدماء، غُصَّت منها أراضيـها، فـعلى من يهـمهُ أمـرُ العبـاد أنْ يسعى في تَرضـية مـولانا السلطان عبد الحميد، دامت دولتُهُ، فـإنّ جلالتَهُ لابدَّ وأنْ يتفضلَ بالعَفُو والصُفح والسـماح، فَتطمـئنَ القلوبُ وتزولَ الكروبُ والخطوبُ، هذا هو الشَرعُ المحمـديِّ والدينُ القويم الأمجدي، ومعلومٌ لسـيِّد سادات اليمن أنّ الدنيـا زائلةٌ فـانيـةٌ، وَجَـدُّنا الإمـامُ عليٌّ طلَّقـهـا بتـاتاً، ونَجلُهُ حبُّ المصطفى سيِّدُنا الحسنُ صانَ دماءَ الـمسلمينَ، وتنازلَ كما لايخفاكم، كرمَ نفسٍ منه ورأفةً بعباد ربِّ العالمينَ.

وحضـرتُكم أولى بالتأسي به، رضـى اللّهُ تعالى عنه، فـأصرفْ عنايتَك في الوصـول إلى رضاء الخليـفة الأعظم، جـلالة السلطان عـبد الحميد كيْ تفوزَ برضى اللّه ورسوله الصَّادق الأمين، وهذه نصحيتي. وسلامٌ عليك، ورحمةُ الله وبركاتُهُ

والرسـالةُ كمـا يُفهمُ منهـا مشـحونةٌ بالآيات القـرآنية الكريـمة والأحاديث الـنبوية الشريـفة التي تُوجبُ طاعـةَ أولى الأمر وتقـتضي

التيسيرَ لا التعسيرَ، وأنْ يكونَ الإنسانُ مفتاحاً للخيرِ ومغلاقاً للشرِّ.

ثم تبالغُ الرسالةُ في مدحِ السلطانِ عبدالحميد الثاني «فقدْ منَّ اللَّهُ على عبادِه بهذا الخليفةِ الحليمِ الكريمِ» ويظهرُ انحيازُ عبدالرحمن عليش المالكي، لجانبِ السلطانِ الأعظم «دامت دولتُهُ العليةُ، ودام نصرُهُ وعلاه»، وتضيفُ بأنَّ كاتبها ما سمعَ وما رأى من السلطانِ أمراً بمعصيةٍ ولا شرٍ ولا فسادٍ، وإنما كلُّ أوامرِه خيريةٌ شرعيةٌ، رَغم أنف كلِّ مُعارضٍ مفسدٍ، وصاحبِ نفسٍ شريرةٍ دنيئةٍ، وعليه فالواجبُ السعيُ في ترضيةِ السلطانِ، الذي سيتفضلُ ويعفو ويصفح ويسامح.

ويذهبُ الشيخُ عليشٌ أبعدَ من ذلك، فيضفي على الرسالةِ مسحةً تزهديةً، فالدنيا عَرضٌ زائلٌ، وقد طلقها الإمامُ عليٌّ طلاقاً باتاً، ويتكيء عليش على مسألةِ تنازلِ الحسنِ بن علي، جدِّ الإمام يحيى الأعلى، لمعاويةَ بن أبي سفيان، عن الخلافةِ، منعاً لإراقةِ دماءِ المسلمين، ويطلبُ إلى الإمام يحيى أنْ يتأسى بأجدادِه لأنه، أي الإمام يحيى، أولى بالتنازلِ، ومنْ ثم يصرفُ عنايتَه لنيلِ رضا الخليفةِ الأعظمِ، جلالةِ السلطانِ عبدالحميد، ليفوزَ بالرضى ...

وقدْ أجابَه الإمامُ يحيى برسالةٍ، تاريخها صفر ١٣٢٤هـ[1]. جاءَ فيها :

جوابُ الإمامِ، على رسالةِ عبدالرحمن عليش المالكي : وتاريخها صفر ١٣٢٤هـ

---

(١) انظر رسالة الإمام يحيى في الدرر المنتقاة، ١٦٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

نستعينُ بالله القائل : ولتَكُنْ منكُم أمَّةٌ يدعُونَ إلى الخيْرِ، ويأمرُونَ بالمعروف، وينْهَوْنَ عن المنكرِ، وأوْلئكَ همُ المفلحون»[1]. لا إله إلا هو ونصلي ونسلمُ على محمد نبينا، القائل : تعرضُ الفتنُ عَلَى القُلُوبِ كالحصرِ عوداً عُوداً، فأيُّ قلبٍ أشْربها، فنكت فيه نكتةٌ سَوداء وأيُّ قلْبٍ أنْكرهَا فنكت فيه نكتةٌ بيضاءَ حتَّى تَصيرَ على قلْبين، على أبْيضَ مثلِ الصَّفا، لا تضرُّهُ فتْنةٌ ما دامت السَّمواتُ والأرْضُ، والآخرُ أسْودُ مُرْبَدّاً كالكُوز محمياً لايعْرفُ معْروفاً ولاينْكرُ منْكراً إلاَّ ما أُشْربَ منْ هواه»[2] أخرجه مسلمٌ وغيره عن حُذيفة، وعلى آله الأطهارِ وأصحابه الأبرارِ والمهاجرينَ منهم والأنصارِ.

وبعدُ، فإنه ورد علينا كتابٌ كريمٌ، إنه من السيّد المقام الأنبل، رفيعِ القدرِ والمحلِ عبدالرحمن بن محمد عليش المالكي، وإنه بسمِ الله الرحمنِ الرحيم، حلاه بالنصائحِ المحكية، وطرَّزَه بالآدابِ البهية، وأوْمى به إلى ما ينبغي ويليقُ من تسكينِ غليانِ قدورِ القتالِ، وإزالةِ أثافي مرجلِ النزالِ فيما بيننا وبينَ مَن تولّى اليمنَ من جهةِ السلطانِ المكرّمِ والخاقانِ المعظمِ عبدالحميد خان، غَمرهُ اللهُ بالإحسانِ، من طريقة، لا يسلكُ في مَبْيَّضهَا سوادُ مُخَادعة ولا مُحَاكرة، لايمرُّ فوقَ جوِّهاَ حرمٌ مباعد، بعدُ ولا مشاجر، وحكى ما الذي عليه السلطانُ، وما

---

(١) سورة آل عمران، ١٠٤.

(٢) انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٢٣١؛ ١٢٨/١ (تحقيق فؤاد عبد الباقي).

يجبُ من الإجلالِ والاعظام. وما في الاتحادِ من إخمادِ نارِ الفسادِ وإرغام من يوقدُها أو يحميها لأمةِ خيرِ العبادِ، ويقولَ سدَّدنا اللهُ وسدَّدكم، وأعادَ عليكم السلامَ، ونوامي الإكرام، لاتنكرُ أحقيةُ سلطانِ الاجلال ولا تنسبه إلى أمرٍ بباطلٍ وضلال، ونحن مبرؤه عن رذايل الأعمالِ، ونعرفُ له ما لا يعرفه غيرُنا من الرجالِ، وقد جلسَ على كرسيِّ زعامة، جلسَ عليه من لدن سلطان الإسلام أفضل الصحابة، فَأنصَفوا الناسَ من أنفسهم، وفيما بينهم حتى رجم عمرُ الفاروقُ ابنه، وهو من أشدِّ الناسِ غَضباً لربّه، وإيفاءً بما أمر به، وإنما تَوَلى اليمنَ ولاةٌ يظنُّهم عنده، لبسوا قَميصَ نسك، أدخلهم إليه، ولبسوا إليه لتأميرهم من لديه، حَتى إذا أشْفوا على اليمن نَزَعوا ذلك اللباسَ وأظهروا ما تحتَه من إهانة الناس، ومن مساوىء الاختلاس، ومدّوا أبْصَارَهم إلى كلِّ حرامٍ، وقَبَضوا بأكفّهم الجرائمَ والآثام، فشربوا الخمورَ في أرضٍ كان الدينُ فيها منعها، وباهوا بالمنكراتِ التي كان الشرعُ الشريفُ وضعها، وما حصنوا فروجَهم عن الزّنا ولا عن ما لايحلُّ لهم من الأناثي والأبناء، وقطعوا الصلاةَ، وبدّلوا بالقوانين شريعةَ الله، وضنّوا بالحدودِ وتكرّموا بنقضِ العقود والعهود، ورآهم من دونهم وتحت أمرتهم، فأكثرَ من ذلك ومادَ إلاّ بالمروة متخطاها، ولا بما يقتضيه عملُهُ من الهلاك، فكان قيامُنا وسلفُنا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، حين دعا أولئك إلى المتابِ وإلى إرضاءِ ربِّ الأرباب، فأزورَّتْ أسرَّتُهم ونظرتْ شزراً إلى الحقِّ بصيرتُهم غيرةً منّا على الدين، وعلى أحكامِ ربِّ العالمين، وفرقاً من نقصٍ وغضبٍ وعذاب، توعّدنا اللهُ على لسانِ نبيّه

في قـــوله، صلى اللـه عليـه وآلـه وسلم، إنّ أولَ نقصٍ دخلَ عـلى بني اسرائيل، أنّه كـان الرجلُ يلقى الرجلَ، فيقـولُ : يا هذا ! اتّقِ اللهَ، ودعْ ما تصنعُ به، فإنه لايحلُّ لك، ثم يلـقاه من الغد، وهو على حاله، فـلا يمنعُهُ ذلك أن يكون أكيلَه وشـريبَه وقعيـده، فضربَ اللهُ بعضـهم ببعض»، ثم قال ﴿لُعِنَ الذينَ كَفَرُوا منْ بَنَي إسْرائيلَ على لسانِ دَاوُد وعيسى ابن مرْيمَ، ذَلكَ بما عصَوْا وَكانوا يعْتدونَ، كانوا لايتناهوْن عن منكرٍ فعلُوهُ، لبئسَ ما كانُوا يْفعَلونَ، تَرَى كثيراً منهُمْ يتولَّوْنَ الذين كفرُوا لبئس ما قدَّمتْ لهم انفُسُهم... إلى قوله فاسقون﴾[1]. ثم قال : «كـلا والله لتأمرنَّ بالمـعروفِ ولتنهـونَّ عن المنكر أو لـتأخـذُنَّ على يدِ الظـالم، ولتـأطرُنه على الحق أطراً»، أخرجه أبو داود وغـيرُه عن ابن مسعود، «وقـوله صلى الله عليه وآله وسلم» والذي نفسي بيـده لتأمُرُنَّ بالمعـروف ولتنهونَّ عن المنكرِ أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعثَ عـليكم عقاباً منه ثُمَّ تَدْعونه فلا يسـتجيبُ لكم، أخرجه التـرمذي عن حذيفة، وقوله صلى الله عـليه وآله وسلم : «ما منْ رجلٍ يَكونُ في قومٍ يعملُ فيهم بالمـعاصي، يَقْدرون أن يَغيروا عليه ولا يَغيـرونَ إلاّ أصَابهم اللهُ بعقـابٍ قَبل أنْ يموتُوا»، أخـرجَهُ أبو داود وابنُ ماجةَ وغَـيرهُما عَنْ جرير، وغَيرهُمْ عـن أبي بكر الصديق، وقوله صلى الله عليـه وآلـه وسلم : «إن الناس إذا رأوْا الظالمَ فلمْ يـأخـذوا على يديه أوشكَ أن يعمـهم اللهُ بعقـابٍ»، أخرجه أبو داود والتـرمذي وابنُ مـاجةَ وغَـيَـرُهم عَنْ أبي بكرٍ الصـديق عند قـوله : يا أيهـا الذين آمـنوا عليكم

---

(١) سورة المائدة، الآيات، ٧٨-٨٨.

أنْفُسكم الآية، وإني سمعتُ رسولَ الله، صلى الله عليه وآله وسلم، يقولُ، فذكر الحديثَ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس منّا منْ لم يرحمْ صغيرَنا ويُوقّرْ كبيرنا ويأمرْ بالمعروف»، أخرجه أحمد والترمذيّ وابن ماجة وغيرُهما ابن عباس إلى غَيرِ هذه من مَا هي مَعهُ قطرةٌ من مطرة، فللأمرِ بالمعروف والنهى عن المنكرِ قمْنا، وإلى سبيلِ الحقِّ دعَوْنا، لا لنستكثرَ من مالٍ يستفاد ولا نريدَ العلوَّ في الأرضِ والفساد ولا نَتَزيّا بزيٍّ ذي بحيرٍ وضاد، ننصفُ المنصفَ ولا نمنعُ الحقَّ عن المنحرف، ما قبلتْ طريقُنا مرورَ باطلٍ عليها، ولا ضَاقتْ عن مَا أمَرِ الله لن يُوصلَ فيها، وما أشوقنا إلى حقنِ الدماء وتسكينِ الدَّهماء، لو ظَلّ الفلكُ على ريحٍ تريحُ المسلمين، ويرضاها النبيُّ الأمين، من دونِ أن يكونَ العملُ مترددا بين سندي تشيين وتحسين، وما زالوا يَخالونَنَا بأكثرَ من مما شرحتم وإليه لمحتم، فَمَتى لمحنا إلى اسعادِ نفروا إلى إبعاد، أو وأجبنا إلى وضَعِ سيف أو اغماد قَابلوُهُ بغيرِ المراد، وَليتَ سُلطانَ الإسلامِ عَرفَ الأمرَ برمّته، فَسعى فيَ سحتِ باطلهم من أرومته، فزالَ الضّنا وذهبت الشحناءُ، ولربما نسبَ مأمورا السُّلطانِ ما لمْ يَكنْ بيننَا وبينه والا التباين الكلي، وعَزْونا إلى مذهب الروافضِ والخوارجِ، وإنا نبرأ إلى الله منهما، لا مذهبَ لنا غيرُ ما دلَّ عليه الكتابُ والسنة من دونِ ابتداعٍ ولا خروجٍ عن اجماعٍ ولا مخالفة للسلفِ ولا تنكبٍ عن طريقة النصف، وربما رامَ المأمورون بهذه النسبتين اسْتجلابَ غضبِ سلطانِ الإسلام، ليحصلْ لهم المرام من ظلم الأنام وارتكابِ الآثام، حَتى وجّه السلطانُ ما اقترحه المأمورونَ من الأجناد

التي ضاقت منها الأغوارُ والأنجادُ مَعَ نقلية كالأطواد وقوة آلات، تلينُ بها الصمَّ الجلاد، كأنا لم ندعوا إلى الله، ولَمْ نَكنْ منْ أبناء رسول الله، ولا فيمنْ تَعَلَّمَ العلم لله ولا ممنْ يعرفُ اللهَ ولا المصيرَ إلى الله، ولا ممنْ كانتْ هذه الخطةُ اليمانيةُ تحتَ أمرهم وفي كنف دولتهم، ولما علمَ اللهُ سُوء نيات المأمورين وافترائهم علينا وعلى أهل اليمن الذي هو محلُّ الإيمانِ وبه نفسُ الرَحمن، دَفَعَ اللهُ لا بقوةٍ ولا عدةٍ، بل بقدرةٍ ربَانيةٍ. انتهى.

حوتْ رسالةُ الإمام يحيى، الأمورَ التالية :

- أوردَ الإمامُ مجموعةً من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية، توجبُ وتلزم العملَ بالخير والأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر، وعدمَ قبول المؤمن للفتنة عن الدين مهما كانت الأسبابُ والمبرراتُ، والآياتُ والأحاديثُ التي استشهدَ فيها الامام، وإنْ جاءَ ورودُها في مقامٍ من الوعظ والإرشاد، فإنها لاتخلو من غمزٍ في قناة مقولة الشيخ عليش عنْ وجوب الطاعة دونَ الالتفات إلى الانتهاكات الواقعة على شَّريعة الله من قبل المأمورين والعساكر العثمانية.
- لخصَ الإمامُ في رسالته مايدعو إليه عليش من تسكين للقتال، وعدم محاربة أولياء الأمر المرْسلينَ منْ قبل السُلطان، لأنَّ السُلطانَ ما صدرَ منهُ أمرٌ مفسدٌ أو فيه إخلالٌ أو معصيةٌ، ويشيرُ الإمامُ يحيى إلى إدراكه مقامَ السلطان عبدالحميد الثاني، ويبرىءُ السلطانَ من تبعة أعمال الفساد والضلال والرذائل التي تُرتكبُ في اليمن.

- عددً الامـامُ مثالبَ الولاة والأمراء والأجناد العثمانيـة من إقدام على المنْكَرات وإباحة المحذورات، من زنا ولواط ومعاقرة الخمور، ودهكهم للرعية، ودَعَّمَ إجابته بالعديد من الآيات والأحاديث التي تستنكرُ المعاصي وتلزم بمحاربتها.

- يؤكد الإمامُ يحيى للعلاّمة عليش بأنه وأسلافه ماقاموا ولا نهضُوا إلا ضدً الظلم، وللدعوة إلى سبيل الحق، لا للمال ولا للجاه، وإنما لإنصاف المظلوم، وَبسط شريعة الله العادلة على الرعية.

- كما أنه أنهى إلى الشيخ عليش سعيه إلى الصلح، وذلك بتحقيق الإنصاف والعدل، ولكنَّ المأمورين أصمّوا الآذانَ عن دَعوة الإمام ونَسبوا أتباعَ الإمام إلى الرَوافض والخَوارج، وهَدفُهم إثارةُ غضب السلطان على الإمام وأتباعه وسَوْقَ الجُيوش لمحاربة أبناء الرسول في القطر اليَماني.

- يَتمَنى الإمامُ يحيى على العلاّمة عليش، لو أنَّ السلطانَ يعلمُ ما يقترفُه المأمورون والعساكرُ في اليمن، ولو عرفَ لاجْتثَ سُحْتَ المأمورين من أصْله، وزال التَعبُ وذهبت البَغضاءُ والشَحناءُ، ولعلّها دعوة للعلامة عليش لنقل الأوضاع في اليمن للمسامع السُلْطانية.

ونقرأ بين سطور الرسالة حقيقةً واضحة، وهي أنَّ الإمامَ مازال يعترفُ بالسلطنة العثمانية، ويقدرُ للسلطان حقّه، ولكنْ شكواه كانت من أفعال وظلم المأمورين الذين يخفون عن السلطان ما يجري في اليمن.

ويبدو أنّ ايطاليا كانت تحاولُ توسيعَ دائرةِ نفوذها العسكريِّ والتجاريِّ في البحرِ والمحيطِ لتنافسَ بريطانيا، وخاصةً بعد نجاحِ إيطاليا في كسبِ الادريسي لجانبها، مستغلةً العلاقاتِ العدائيةَ بينَ الإمامِ وبريطانيا من ناحيةٍ، وبين الإمامِ والدولةِ العثمانيةِ من ناحيةٍ أخرى، فَأوْعزتْ للمُترجمِ الأول في السَفارةِ الايطاليةِ بمصر مُحمد علي علوي بالعملِ في هذا الاتجاه، فاستغلَّ الأخيرُ أحدَ أبناءِ العائلاتِ اليمنية المعروفة، محسن بن عبدالله بن الحسين الرَّصاص اليماني، الذي كان مُقيماً في مصر لأكثرَ من اثنين وعشرين سنةً، فَأرسلَ محسن الرَّصاص رسالةً إلى الإمامِ يحيى، يحسنُ له دورَ ايطاليا الانسانيِّ، وعطفَها وحبَّها للإسلامِ والمسلمين ! ويضربُ له مثلاً بحسن معاملتها للمسلمين في مصوع والصومال والمواني‌ء الأخرى. ويطلبُ إلى الامامِ مراسلةَ ملك ايطاليا، ويسأله قبولَ الحمايةِ على بلادِ حاشد وما جاورها من أجلِ التجارةِ والبَحثِ عنْ المعادنِ فقط، دون غَيرها من الأغراضِ، ويبلغُ الامامَ بأن الدولةَ الإيطاليةَ طلبتْ إلى قَنْصلها في الحديدة أن يكونَ الواسطةَ لنقلِ الرسائلِ بينَ الإمامِ في اليمنِ والسفارةِ الإيطاليةِ في القاهرة، وجاء في الرسالةِ ما يلي : في أوائل عام ١٣٢٤هـ وصل خطابٌ من محسن بن عبدالله بن الحسين الرصاص اليماني من مصرَ إلى الإمامِ يُرَغِّبُ الإمامَ في الاستفادةِ من دولةِ ايطاليا ضدَّ الدولةِ العثمانية، وكان نصُّ الخطاب :

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمد النبيِّ الكريم وعلى آله، هُداة الدينِ القويم، ومنْ اقتدى بهم في كلِّ ذي قلبٍ سليم.

من الحقيرِ إلى اللطيف الخبيرِ محسنِ بن عبدالله بن الحسين الرصاص اليماني، بلّغه مولاه جميعَ الأماني، آمين.

إلى أعتابِ السلالة الهاشمية، وخلاصة العترة المحُمدية، إمامَ الشريعة الغراء، وتحية أبناء البتول الزهراء عليِّ الشانِ القائمِ بأمرِ الله بالبرهانِ السيدِ الأفخمِ يحيى ابن محمد حميد الدين، أيده الله، بالقوة الصمدانية، ورفعَ شأنه، ومكانه بينَ بني الإنسانية، وأظهرَ بسيفِ سطوته بظاهر الدين، وأيدَ وابتدا بيده شوكةَ الاسلامِ والمسلمين آمين.

بعد تقبيلِ ركابكُم العالي، وتقديمِ واجب إخلاصنا ومحبّتنا لكم ولأصلكم الغالي، أهْدي من مَوْلاي عاطر التحية ورحمةً وبركات ربِّ البرية، واللهَ أسألُ وبرسوله أتوسّلُ أن يجعلَ دولتكم مشمولةً بعنايته ورعايته وكفايته وكلأته آمين.

مولايَ، قد خرجتُ من وادي اليمانية في سنة ١٢٩١هجرية، وكان القصدُ السفرَ إلى الآستانة للاسترحام، وطلب دَفْع ما ألَمَّ بأهل بلادي من الآلام، فغلبَ أمرُ الله بالإقامة بمصرَ، مدةَ هذه السنين التي مجموعها ٢٢ سنة، لكني نصبتُ نفسي وقلمي ومحبرتي لخدمة بلادي، باذلاً تحريرَ واجبِ النَّصيحة لله ولكتابه وَرَسوله وأمَّته

(١) انظر الخطاب في الدرر المنتقاة، ١٧٠-١٧١أ؛ فترة خروج العثمانيين، ٢٨-٢٩.

الخيرية بالأدلة الصحيحة، مبيناً ما كانتْ بلادُ اليمن عليه من السير على محور الشريعة قبلَ التفات الدولة العثمانية إليها بالعساكر والذخائر المريعة، فكنتُ كذلكَ حَتى منَّ اللهُ علينا بالإفراج عنْ الأشراف ورفَقائهم الذينَ كانوا بجزيرة رودوس.

هذا وإني الآن استرضي مولاي الإمام واستأذنُه في دوام المراسلات التحريرية بيننا وبين دولتكم الهاشمية، المكاتبات المؤثرة لجمع شمل الأمة على محبة الله ورسوله وشريعته.

وقد استحسنّا أن تكونَ بواسطة أقرب دولة متحبّبة إلى الإسلام والمسلمين ألا وهي دولةُ أتاليا الغيورةُ على بني الإنسانية التي نصبتْ للتأليف بينَ العالم الإنساني، رجالاً مَهَرَةً صادقين كما تشهدُ لهم رسائلهم، وها هي بعضٌ عن كلٍّ مانشروه في أقطار المعمورة للتأليف الذي به يتمُّ نظام الملك والتجارة والصناعة والفوائد الجمة، دونَ أن يسفكَ قطرةٌ من دم إنسان بغير وجه حقٍّ، ومن جميل الصنيع الذي أيسرتْه دولةُ أتاليا، أنها أجابتْ به طلبات الأشراف ورفقائهمْ حتى قدموا على مصرَ في كلِّ ما يسهلُ عليهم الوصولَ إلى بلادهمْ كما يشرحونه لدولتكُم حَضرات السادة. وقد خاطبتُ قُنصلها بالحديدة أن يعتنيَ بكلِّ خدمة تختصُّ بنا وبكم من مراسلات وخلافها، ولا يخفى دولةَ الإمام أنَّ كلَّ دولة تقعُ مع أخرىَ في إشكال وحروب، فأمهرهنَّ سياسة التي تتحبّب إلى صَديقة لها لتُشوشَ أفكارَ عدوتها، وبهذه الوسيلة تظهرُ عليها، وتنتظرُ جيوشها بقوة قلبية، فماذا علينا يا مَولاي،

لو خاطبنا ملكَ اتاليا بواسطة سفيره بمصرَ في قبول الحماية لبلاد حاشد وما جاورها، حيثُ إنها لم تكنْ تحتَ سلطنة الدولة العُثمانية على شروط مختومة بختم المملكة، يكونُ مبناها الاكتفاءَ به دولةُ أتاليا، بقبول دخول تجارتها بلاد اليمن. والبَحث على المعادن وتحليلها بواسطة وفد كيماوي من علمائها، على مصاريفها، وللحكومة اليَمنية جزءٌ ولها مسألةٌ بعد حساب المصاريف. وهذا البابُ لو قبلناه يكونُ توطئةً لدفع مَطامع كل عدوٍّ، ولا يخفى مولاي حسنُ مجاورة ومعاملة دولة أتاليا مع أهالي مصوع والصُومال والبنادر، وتَعزيزُ تقرير زعمائهم واحترامهم الشريعة ومرحمتُهم وعطفُهم على الضَعيفة، فنحن عَلى ثقة تامة أن هذه الدولةَ تكونُ نصيرةً لدولتكم دونَ مطامعَ في البلاد، لأن الذي توسط بيْنَنا وبينَ هذه الدولة، وقوىَ عَزمنا هو رجلٌ له خلاصةُ المسلمينَ يُدعى محمدُ علي بيك علوي، (مترجمٌ أول) السفارة بمصرَ، وهذا الرجلُ من أهل الهمم العالية والأماجد الغيورين على الإسلام والمسلمين، فَنَلتمسُ به مولاي سرعةَ المراسلة إلينا والإذن بما ذكرنا، ونرجوا عواطفكم الهاشميةَ أن تسلموا حضرات السيد يحيى بن أحمد الكبسي وأنجاله وآله، وكذا إعانتنا بمدينة صنعاء، جرت بعنايتكم ورعايتكم لهم في معايشهم،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولما كان الإمامُ يحيى يدركُ أيَّ مكرٍ وخداعٍ سياسي يَنطوي عليه كتابُ الرَّصاص، فَبعثَ الإمامُ برسالتين : واحدة إلى مُحسن بن عبْدالله الرَّصاص، والثانية إلى مُحمد علي علوي، المترجم الأول بالسفارة

الايطالية في القاهرة. وجاء في رسالة الامام يحيى إلى محسن الرّصاص : جوابُ الإمامِ على رسالةِ محسن بن عبدالله الرصاص اليماني.

جوابُ الإمامِ عَلَى رِسالَةِ مُحْسِنِ بنِ عبدِاللهِ الرَّصَّاص اليَمانيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

العلاّمةُ الأفضلُ والنبيلُ الأكملُ الحسامُ محسن بن عبدالله الرَّصاص اليماني الساكنُ في الديارِ المصرية، أسبلَ اللهُ عليه أثوابَ ألطافه الأبدية، وأعاد عليه أكملَ السلامِ والتحية، وبعدَ حمدالله تعالى والصلاةِ والسلامِ على سيدِنا محمدٍ، خاتمِ الأنبياء وآلهِ الأتقياء، وصحبه الأعلام الأصفياء.

فإنه وصلَ منكم الخطُّ الأولُ، طيّه صورةٌ تتضمنُ بيانَ الشروطِ المقترحةِ للإصلاحِ، والثاني مؤكداً له. وفي كلٍّ منهما من النصائحِ المرجوٍّ به حقنُ الدماء وحفظُ الأرواحِ، وإنكم لمغيبكم من هذه الديارِ المدةَ الطويلةَ كما ذكرتم، قد حُجبَ عن بصركم وسمعكم ما أحدثَ في هذه الديارِ من تولى أمرها من قبلِ السلطنة السنية من المنكرات جهاراً، وكيف مدّوا مخالبَ سلطتهم على أهلِ اليمنِ قتْلاً وتغريباً ونهباً واحتقاراً حتى صار الزنا واللواطُ وشربُ الخمورِ كأنها لم يردْ في تحريمها أثرٌ في الآياتِ والأخبارِ، وانهمكوا في ذلك، وفي سلبِ أموالِ الناسِ والفتك، بهم، وكرّروا المجاهرةَ في ارتكابِ الفواحشِ كلّما وقعَ إنكار، وما خافوا عقابُ سلطانِ الإسلامِ، ولا لقاءَ الواحدِ القهار.

(١) انظر الرسالة في الدرر المنتقاة، ١٧١-١٧٣أ.

وكان سلفُنا، الإمـامِ المنصورُ بالله، رَحِمَهُ اللَّهُ، قد أكـثرَ عليهـم النكيرَ، وأظهرَ من اجترائهـم ومكرِهم ماقدْ علمه الكبيرُ والصـغير، وأمّل الكافةُ من الناسِ أن الحقيـقةَ قد بلغتْ إلى المسامـعِ السلطانية، وزالَ الالباسُ فسـكنت الحروبُ مـدةً، رجاءَ نشـرِ العدالة السنيـة وإعادة مـانسخـتْه القوانينُ من الشريعة النبوية، وإذا بالتكاليف تزدادُ، والرجالُ تُساقُ إلى ديارِ الغـربة وتُقـاد، والمحـرّمـاتُ ترتكبُ في كلِّ مكان، وعمَّ الـفسـادُ الرجالَ والنساءَ والصـبيانَ، وظهرت العقـوباتُ الربانيةُ بالقحط وشحِّ الأمطارِ، وعمَّت البليـةُ البواديَ والأمصارَ، وكان بعـد ذلك ما شاعَ وذاعَ وملأ الأسـماعَ فيمـا بيننا وبينهم، حَتى إذا سلبـهم اللهُ قدرةَ المدافـعة نادوا بالصلحِ والأمان، فـقابلناهم بالإسعادِ على شـروطٍ قرنوها بذمة الله ورسـوله وذمة السلطان، وسلمـوا إلينا صنعاءَ، وانـصرفوا عنـها شاكرين ذاكريـن وأصحبناهم مَنْ يرافقهم في الطرقات، وفـعلنا معهم من الجـميل ما لا يُـنكرُ في كلِّ الجهـات حتى إذا اسـتقرتْ رحـالُهم في مناخةَ، ووصلتْ لهمْ النجداتُ نَقُضوا العـهودَ وانبروا غيرَ مكترثينَ إلى سَاحة البـراز، ونسبوا ذلك إلى الإرادة السنية التي نجلُّهَـا وننزِّهها عن هذا وأمثاله، بل يُنزِّهها كلُّ محـبٍ للسلطنة السنية، فلم نقابلْهم إلا بترك ما كان بأيديهم من البلاد، راعينا حقنَ الدماء وتسكينَ الدهماء والجريَ على نهجِ الصلاح والسـداد، فما اسـتقرتْ رحـالُهم حتى قصـدوا ما لم يكنْ قد قصدَه أحدٌ من الأمراء، وفتكوا بمن لاقوه من الضعفاء والفقراء، ونحن مع ذلك ننظُر أين تبلغُ أفكارُهم، ومايُـذاعُ من أسرارهم، فإذا بهم قد أبدوا ضـمائرَهم، وتقدموا إلى أيامـهم زاعمين أنهم بذلك قـد أُمروا،

وظهر من أحوالهم أنهم قد لبسوا أهلَ البيتِ الشريفِ النبوي المبني على الكتاب مذهبُهم قميصاً من الزورِ والبهتان، استوجبَ تصديقَ ما يفترونه لدى حضرة السلطانِ، فأمدَّهم من الجندِ والآلاتِ بما ملأ الأكوانَ، فلم يمنعْهم عن ما قصدوه إلا قدرةُ الرحمانِ حتى عادوا بالندمِ والخسران، وأظهرَ اللهُ متأملَ دفاعه عن منْ تمسّك بعروته الوثقى، وسعى في سبيله من بني الإنسانِ، فهذه نبذةٌ من بعضِ الأمورِ يشهدُ بصدقها الجمهور، وما ذكرتم من توسط ملك الدولة الفخيمة الإيتالية في الاصلاح فلا كلامَ أنّ حضرةَ الملك مما أمتاز بأصالة الرأي بين الملوك، ولهذا فارت ممالكه بالتقدم والنجاح، وأنه من أعزُّ أصدقاء محبوبِ أهلِ الإسلامِ في جميعِ البلدانِ السلطانِ عبدالحميد خان محباً لمعمورية البلاد، ساعياً في حقنِ دماء العباد. ونحن إلى هذه الطريق المحمودة، أشوقُ منْ كلِّ مشتاقٍ وإلى استجلابِ أحسان الإحسانات السلطانية، فطاول كلَّ من يمدُّ الأعناقَ غير أنّا كلما قربنا من قبولِ الصلحِ شبراً تقدمَ المأمورون من قبلِ السلطنةِ في الفسادِ ذراعاً، وكلما أرسلنا الكتبَ والرسائلَ بأيِّ واسطة لتبلغَ المسامعَ العليةَ الملوكيةَ، وتطرقها الأنظارُ السَّنيةُ الشاهانية، كما يعلمَ حقيقةَ الشكوى ويتعطفَ بما يؤملُ من واسعِ عواطفه من ترك هذه الخُطة اليمانيةِ، والديار الإسلامية بيدِ منْ لم يخلُ من حكمهم أباً عن جدٍّ جانبها منذ عرفت فيها الأحكامُ الشرعية، وهم أولادُ بضعةِ الرسولِ وفلذةُ كبدِ البتول صلى الله عليه وآله وسلم حجبتها عن أنظاره أيدي ذوي الأهواء من الوزراء، وتمالىء على تحسينِ دوامِ الحروب، وشنِّ الغارات الكبيرة أو كيف

يستقيمُ الحالُ والحربُ قائمةٌ على ساقٍ أم كيف تعمرُ البلادُ وقد صارتْ معه كالخلاف والشقاق، وأهلُها على ما هم عليه من الوحشة والنفور وتالف حال البدوية وسكون الأودية وتلال الصخور، فإن كنتَ صادقاً في حبِّ الوطن، ساعياً في خدمة الإسلام والمسلمين وإخماد الفتن، فقد أوضحنا لك في هذا ما فيه الكفايةُ، وعليك إيضاحُه لسفير الدولة الفخيمة الايتالية في الديار المصرية، وإعلامه أنّا لم نقاتلْ على باطلٍ وندعو إليه، ولا لطلب مُلْك نُزاحمُ عليه، وإنما نحن في بلاد إسلامية، لا حُكمَ فيها لغير كتاب الله وسنة رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، جرى الحكمُ فيها بما ذكرناه، منذ انتشاره في أنحائها بيد القائم من آبائنا، سلالة الرسول، الصادق الأمين، الذي ليس إلاّ به افتخارُ المسلمين، وبيده استمساكُ المتقين، فإنْ أسعفنا ملكُ هذه الدولة الفخيمة ورعى فينا حقَّ الجوار بالسعي في هذا الشأن بحقن الدماء وإخماد نيران الفتن كما هو المؤمَّلُ من شهامته وحسن سياسته، وامتاز بهذه القضية منْ بين ملوك البسيطة بسدِّ باب شرٍّ قد فُتحَتْ مصارُعه بين بني الإنسان، ولسنا نطلبُ إلاّ استقرارَ أمرنا فيما ندعو الناسَ إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف كما كان أسلافُنا وإجراءَ أحكام الله بتمامها في العبادات والمعاملات والعقوبات، ورفعَ التكاليف الأميرية عن ضعفاء الأهالي غيرَ ما أمر اللهُ به وجرت به سنةُ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، ومنعَ الأحكام والمعاملات القانونية منعاً كلياً، وما الذي يحاربوننا عليه بعد هذا غير ركوب الهوى والضلال والعداوة للإنسانية بتعريضها للقتال، وأنه إذا

سكنت الحروبُ، ووقفت الخطوبُ، أمكنَ تأمينُ الطرقات، وفتحُ أبوابِ التجارات واستنارَ أهلُ القطرِ بين الأممِ بنورِ المعارف، فانتَفَعوا وانتفع منهم أهلُ المهارةِ والدرايات في جميعِ الممالك، وسدَّ بهذا باباً كبيراً من الغرامات والخسارات، وإلاّ فقدْ علم اللهُ أنّا لم نألُ جهداً في سلوكِ محجة الإنصاف وتجنبِ أبوابِ الاعتساف، واللهُ المستعانُ وعليه التكلانُ، وهو حسبنا ونعمَ الوكيلُ والسلام.

لقد اتسمت رسالةُ الامامِ يحيى بقدرٍ من الدبلوماسيةِ العالية، موظفاً قناةَ الرَّصاصِ المتصلةِ بالطليانِ لشرحِ قضيةِ وطنه، ومستثيراً في الوقتِ وطنيته للعملِ لصالحِ بلده وشعبه وأمته، ونستشفُّ من تحليلنا للرسالةِ الأمورَ التاليةَ :

-إنّ محسن الرَّصاص بسبب غربته عن الوطنِ لفترةٍ طويلة، ٢٢ عاماً، لايعلمُ ما جرى في البلادِ اليمانيةِ من وقوعهما تحتَ السيطرةِ العثمانية، وما ارتكبه المأمورون والعساكرُ من فسادٍ وإفسادٍ وانتهاكٍ للشريعةِ والمحارم، وعرض لجهادِ والدهِ الإمامِ المنصورِ بالله محمد بن يحيى، وفشلِ محاولاتِ الإصلاح ثم حَمله الرايةَ بعدَ والده، وإنه عقدَ العديدَ من اتفاقات الصلحِ مع المأمورين ولكنهم داوموا على نقضها، ويسردُ له نتائج المعاركِ التي تكبّد فيها الأتراكُ الخسائرُ الفادحةَ.

- يطلبُ الامامُ يحيى إلى الرَّصاص، إن كان صادقاً في حبِّ الوطن، ساعياً في خدمةِ الإسلامِ والمسلمين وإخمادِ الفتن، فعليه

توضيحُ ما يبغيه أهلُ اليمن من وساطة ملك ايطاليا لدى السلطان عبدالحميد، بعد أنْ سُدتْ كلُّ المنافذ والوسائل وحالتْ دونَ وصول أخبار اليمن على حقيقتها للمسامع السلطانية، وتتلخصُ في ضرورة تخلي الدولة العثمانية عن البلاد اليمنية، وتركها لمن حكموها أباً عن جد منذ القرون الأولى للاسلام.

-يطلبُ الامامُ إلى الرَّصاص أن يبيّنَ لسفير الدولة الايطالية في مصرَ بأنَّ الامامَ وقواته لم يقاتلوا دفاعاً عن باطل، وهم لايسعون إلى مُلْك، وإنما لبسط شريعة الله في بلاد اسلامية، يجبَ أن لايكونُ فيها حِكمٌ إلا لكتاب الله وسنة نبيّه، ولا قبولٌ بالقوانين الوضعية والدساتير المحدثة، وإنما إجراءُ أحكام الله في العبادات والمعاملات والعقوبات، ورفع التكاليف والغرامات والضرائب عن كاهل الرعية، والابقاء على ما أمر اللهُ به أن يؤخذَ. وهنا تكونُ وساطةُ ملك ايطاليا لدى السلطان العثماني ذات قيمة، فيحقنَ الدمَ الإنساني، وتفوزُ ايطاليا بشهرة حفاظها على الإنسانية.

- ويجيبُ الإمامُ بدبلوماسية راقية على دعوى إنعاش التجارة ونشر العلوم والمعارف، وعندَ الإمام، كلُّ هذا سيتحققُ إذا ما أخذَ بمطالبه، لأنه إذا سكنت الحروبُ ووقفت الخطوبُ، أمكنَ تأمينُ الطرقات وفتحُ أبواب التجارات.

واستنارَ أهلُ القطر بنور المعارف، فانتفعوا، وانتفعَ منهم أهلُ المهارات والدرايات.

ونحن نرى أنَ جـوابَ الإمـامِ قـد اتَّسمَ ببـعـد النظر، وبقـدرٍ من الكياسة الدقيقة والحكمة الرصينة، فقابلَ اقتراحات الرّصاص بالحماية وفتح البلدان للطليان، بسكوت الإعـراض دون الإجابة، ودعاهُ إلى ما هو أفضل وهو التفاهمُ مع الدولة العثمانية.

وقد توقـف الباحثُ عندَ بعض الأفكار والمـصطلحات التي تـمثّلُ وجـهةَ النظر الحـقـيقـيـة للإمام إزاءَ رحى الحـرب الدائرة بينَ قـواتهُ والعَساكر العثمانية، إضافةً إلى الكياسة في رفض الحماية.

وأنه -أي ملكُ ايطاليا- من أعـز أصدقاء محـبوب أهل الإسلام في جمـيع البلدان السلطان عبد الحـميد خان، وكـذا «ويتعطّف، أي السلطانُ عبدُ الـحميد، بما يـؤمّلُ من واسع عواطفه من ترك هذه الخُطَّة اليمـانية والديّار الإسلامـيَّة، بيَد منْ لمْ يخلُ من حكمـهمْ أباً عن جد جانُبـها منذُ عُرفَت فيها الأحكامُ الشرعية».

فـالإمامُ يـدركُ مدى المـصـالح والصـلات بينَ ايطاليـا والدولة العثـمانية، وذلك قـبيلَ مهـاجمة طرابلـس الغربْ، فيـريدُ وساطةَ ملك إيطاليا من أجل حمْل الأتراك على إخلاء البلاد اليـمنية، وتركها لحكامها الذينَ حكموهَا منذْ دخلَ الإسلامُ إلـيها، وهذه إشارةٌ ذكيةٌ لعـدم قبوله بتـواجد أية قـوة أجنبـيـة، ورفضـه للذرائع والوسـائل والمـرغبـات. فالتفاهمُ مع الدولـة العثمانية المسلمة يضعُ الحـدَّ للفتن والقلاقل، ولا حاجةَ إلى شيء أكثرَ من هذا.

وعلى الجـانب الآخر، فـإنَّ رسالةَ الإمام الـجوابيةَ لـمحمـد علي

علوي، المترجم الأول في السفارة الإيطالية في مصرَ، كانت أكثرَ إيضاحاً وتفصيلاً، فقدْ أشادَ الإمامُ بخصال ملك إيطاليا عمانويل ونزعته الإنسانية، ونوّهَ بالعلاقات الودّية التي تربطُ عمانويل بالسلطانِ العثماني عبدالحميد، فطلبَ الإمامُ من الملك عمانويل مناصرته في تحقيق مطالب أهل اليمن، والتي يمكنُ من خلال تحقيقها مؤازرةُ الإنسانية وحقنُ الدماء، ومطالبُ الإمام هي :

- حملُ الدولة العثمانية على إخلاء اليمن، وتركها لحكامها من آل الرسول، صلى اللهُ عليه وآله وسلمْ، فهم الذينَ حكموها منذُ دخول الإسلام إليها حتى الآن، فإن احتجَّ الملكُ عمانويل بعدم إمكانية تلبية المطلب، فالإمامُ يرى:
- توقفَ الدولة العثمانية عن المطاردة والتعرض لأتباع الإمام، ومنْ والاه من أبناء المذهب الزيدي.
- اعفاءُ اليمن من الأحكام القانونية (الدستور والقوانين)، والحكمُ فيها بكتاب الله وسنة نبيِّه في العبادات والمعاملات والعقوبات.
- ابْطالُ التكاليف والمطالب التي يفرضُها المأمورونَ لمخالفتها لأحكام الشريعة.
- لوَّحَ الإمامُ بأنه عندَ تحقيق ذلكْ فستُحقَنُ الدماءُ وتنتشرُ المدينةُ وتحيا المعارفُ، وستفتحُ البلادُ للتجارات بعدَ توطيد الأمن والاستقرار، ويزولُ الكسادُ.
- يقررُ الإمامُ علمَهُ سلفاً بأن المأمورينَ الأتراكَ في اليمن لن يستجيبوا

لدعوته السلمية، ولا يرتقب منهم إلا المـزيد من الفساد واقتراف الآثام، وعندها يقومُ أهلُ اليـمنِ قومةَ رجلٍ واحدٍ، يهـبّون للدفاعِ عن أنفسهمْ وأموالهمْ وأعراضهمْ.

وهذه إيماءةٌ إيحائيـةٌ ليفهمَهـا حتى ملكُ إيطاليا، إنْ حدثتْـهُ نفسُهُ بالاقترابِ من اليمنِ وأهله.

لقـد كـانتْ رسالـةُ الإمامِ يحـيى إلى ملكِ إيطـاليا واضـحـةً في مراميهـا، حملَ غصنَ الزيتونِ في يدٍ، وأشـهرَ البندقـيةَ في اليدِ الأخرى، فإنْ سقطَ غصنُ الزيتون، صعُبَ استدراكُ النتائجِ فيما بعد،

وكان نصّ رسالة الإمام إلى ملك إيطاليا كما يلي:

صورةُ جوابِ الإمامِ على محمد بن علي بيك

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

إلى حضرة الوزيرِ المتحلي بأحاسنِ الخـلالِ المحمودة لكلِّ أميرٍ، أسبلَ اللهُ عليـه النعماءَ، وعـليه من التحـيةِ أزكاها والانمـا، وإنّا لنحيى بواسطة معـاليكم، فخامةَ حـضرة الملك العادل فيـتوريك امنويل، ملك دولة ايتاليا الفخيـمة، التحية اللائقة بقامته، وتخصُّ بذات فـخامته، لقدْ علمتمْ ما جـرى بيننا وبينَ مأموري السلطانِ السنية فـي الديارِ اليمنية علمـاً لايحتاجُ مـعهُ إلى بيـانٍ، ولنا على حضـرة الملك الذي طارَ فـخرُ خلاله الممدوحة وأصالة رأيه في كلِّ مكـانٍ، وامتازَ بمعاليه بينَ الملوك وذي التيـجان حقّ جـوارِ البلدانِ، وقد اشـتهـرَ عنهُ حلُّ ما عجـزتْ عنه

(١) انظر الدرر المنتقاة ١٧٣-١٧٤أ.

الملوكُ من صعابِ الأمورِ، وإن مسألتَنا هذه ليستْ من العظائمِ التي لاتنقطعُ، كما قدْ علمُ الجمهورُ، فإنّا قد رفعنا للحضرةِ السلطانيةِ ما يحصلُ في اليمنِ من عَبثِ المأمورين بكلِّ واسطةٍ فيحجمها عنه بعضُ ذوي الأهواء، ولربما نسبوا عندَهُ إلى غيرِ حليةِ التقوى والبسونا بتزويراتٍ منهم ملابسَ أهلِ الضلالِ ليتمَّ لهمْ ما يرومونهُ من الفتكِ والسلبِ والنهبِ في الأنفسِ والأموالِ، فنحنُ نرجو منْ شهامةِ الملكِ أنْ يعلمَ إنْ هوَ منْ أعزِّ أصدقاءِ حضرةِ سلطانِ الإسلامِ عبدالحميد خانْ، غمرهُ اللهُ بالإحسانِ، أنّ هذه الديارَ اليمنيةَ هي بلادٌ يحكمُ فيها آباؤنا والأجدادُ منذُ انتشرتْ فيها الشريعةُ الإسلاميةُ يأمرونَ بالمعروفِ وينهْونَ عن المنكرِ، فلمْ تخلُ عن قائمهمْ فيها وقتٌ من الأوقاتِ فنافسونا فيها، وَرَجَوْنا منهمْ العدلَ في الرعيةِ، والأمرِ بما أمرَنا اللهُ به ورسولُهُ، إذْ ليسَ في اليمنِ دينٌ غيرَ الإسلامِ، فقاتلونا عليها، وإنّا معَ ما قدْ جرى لاننكرُ الفضلَ والإحسانَ السلطانيَّ وتنزّهُ جنابَهُ منْ كلِّ ما يفعلُهُ المأمورون من المنكراتِ في القطرِ اليماني، فإذا عَلَمَ هذا اسعفَنا بالتوسُّطِ والتوصّلِ في تركِ الخُطَّةِ اليمانيّةِ كما كانتْ بأيدي أسلافنا، وذلكَ ليسَ بكثيرٍ في جانبِ إحساناتِ الملوكِ، فإن استكثرَ ذلكَ علينا، فتركَ التعرّضَ لمن والانا، وهم من ينتمي إلى مذهبنا، وعفو القطرِ اليماني من الأحكامِ القانونيةِ مطلقاً، والحكمُ في جميعِ محاله بما أُمرَ به المسلمون من كتابِ الله وسنةِ رسولُهُ في العباداتِ والمعاملاتِ والعقوباتِ، وابطالُ كلِّ مطلبٍ أميري من الأهالي غيرَ ما ورد في الشريعةِ الإسلاميةِ، فإذا تمَّ هذا كانَ لحضرةِ الملكِ المفخمِ بينَ الملوكِ

المقامُ الأسنى إذ به يتمُّ حقنُ الدماء وصونُ العالم الإنساني عنْ أسباب العناء، وحينئذ يكونُ سبباً لتأليف ذات البين، وفتح أبواب السعادة في البلاد بتكثير التجارة والمعمورية وإحيائها بالمعارف، وإمكان تقريب أهلها المتوحشين للسلوك في سلك المدينة، فتنتفعُ بذلكَ جميعُ أقطار المعمور عموماً، ومملكة إيتاليا القريبة منّا خصوصاً، وتسلمُ الدولةُ العليةُ منْ صرفُ غرامات باهضة في غير مصلحة، كما يسلمُ من رأيه ذلك سائرُ أنحاء البلاد، التي سرى إليها الكسادُ، وإنّا مع سلوكنا هذه الطريقة لنرتقبُ من المأمورين الذين في اليمن منْ قبل السلطنة السنيّة عدم إبداً حوادثَ تأباها النفوسُ، وبها تكثرُ الشرورُ ويزيدُ البؤسُ، فقدْ ضاقتْ أنفسُ أهل اليمن ضيقاً لا ضيقَ بعدَهُ من جوْرهم وسوء المعاملات، ولربما إنْ دامَ مثلُ ذلكَ ولم تنجحْ نتيجةَ ما نؤمّلهُ من تأليف ذات البين أن يقوموا قومةَ رجل واحد للدفاع عن أنفسهم وأموالهمْ وشرف دينهم وبلادهمْ فتزدادُ الأمورُ شدةً ويصعبُ استدراكُها، وقد كرَّرْنا نحنُ وسلفُنا ايضاحَ هذه الطريقة منْ عدة جهات، فلمْ تظهرْ لها نتيجةٌ، وهذا أكبرُ دليل على عدم وصول ما نكتبُهُ إلى المسامع السلطانية.

ويبدو أنَّ الصدارةَ العظمى، وبتنسيق مع المأمورين العثمانيين في اليمن والحجاز، كانتْ تدفعُ بينَ الحين والآخر، بعضَ العلماء والأعيان والسادة والأشراف للاتصال بالإمام يحيى ويدعونَهُ للطاعة وانهاء ثورتُهُ ضدَّ العثمانيين، ولعلَّ الشيخَ أبو الهدى الصيادي، نقيبَ أشراف حلب والمقيمَ في استانبول مقرباً من السلطان عبدالحميد،

وأحدَ كبارِ رجالِ السلطنة كانَ وراءَ تلكَ الرسائلِ والوفودِ التي توالتْ على الاتصالِ بالإمامِ يحيى. ففي ٣ جمادي الأولى سنة ١٣٢٤هـ، وصلَ وفدٌ من مكةَ المكرمةِ يضمُّ الشريفَ حمزةَ بنَ عبدالله الفعر وبرفقته الشيخُ عبدُالرحمنِ بن الياس المدني، مدّرس المدينةِ المنورة، يحملان رسالةً من شريفِ مكةَ عليٍّ بنِ عبدالله بن محمد الحسني، إلى بلادِ صعدةَ، وأقاموا في المربط حيث التقاهم أحمدَ بنُ ابراهيم الهاشمي وعبدُالله بنُ قاسم بن حميدِ الدين، ثم أذنَ لهم الإمامُ في الوصولِ إلى قفلةَ بجبلِ الأهنوم. وقبلَ عرضِ ومناقشةِ الرسائلِ وتحليلها، أرى ضرورةَ الإطلاعِ على التقريرِ السري الذي بعثَ به محمد حسين القائمِ بأعمال القنصل في جدة إلى السير N.O'conor بتاريخ ٨ سبتمر ١٩٠٦.

استلمتْ في ١٢ نوفمبر ١٩٠٦، مع رسالة من السكرتير، الدائرة السياسية، مكتبُ الهند، رقم ٤٣ بتاريخ ٢٦ من اكتوبر ١٩٠٦م[١].

تركيا الآسيوية — ٨ اكتوبر

سري (مكتوم) — القسم الأول

٣٣٨٨٥

---

(١) انظر الوثيقة

IOR R/20/A/1256 (Records of Yemen. Vol.5 p. 499 Grand Sharif of Mecca sends Commission to interview Imam Yahya : G. Barclay, Constantinople, to Grey, 28 September, 1906, Enclosing letter from Muhammed Husayn, Acting Consul, Jeddah, to O'Conor, 8 September, 1906.

رقم (١)

مستر بيركلي إلى السير إدوارد جري (استلمت في ٨ اكتوبر)

(رقم ٦٦٦)　　القسطنطينية

٢٨ سبتمبر ١٩٠٦

سيدي :

يشرفُني أن ارفقَ لكم خطاباً من القائم بأعمالِ قنصلِ جلالتِه في جدة وتتعلقُ بعودةِ البعثةِ التي أوفدتْ من قبلِ شريف مكةَ الأعظمِ إلى إمامِ اليمنِ يشرفني .. إلى آخره.

(المرسل)

جي، بيركلي.

المرفق رقم (١)

من القائم بأعمال القنصل حسين إلى السير، ن، أوكنور

(رقم ٥٩)

جـــــدة

٨ سبتمبر ١٩٠٦م.

سيدي

يشرفُني ابلاغُكم بأنه في ٨/٣١ أعادت السفينةُ «رحمانيةُ» البعثةَ المرسلةَ من قبلِ شريفِ مكةَ الأعظمِ إلى إمامِ اليمنِ إلى ميناءِ الحُدَيْدة. ومنذ حوالي شهرين كانتْ هذه البعثةُ قد ارسلتْ إلى اليمنِ، وقد تشكلتْ هذه البعثةُ، التي كان يحرسُها خمسةَ عشرَ جندياً من عساكرِ

الشريف، من حمزةَ الفعر، قائمقام شريف مكةَ الاعظمِ في مكة زمنَ الشريف حسين باشا السابق، وابنه الشريف عايد وعبدالرحمن ابن الياسَ، أحد أبرز علماء المدينة المنورة، وقد زودتْ البعثةُ بتعليمات لمقابلة إمامِ اليمن دونَ الاتصال مع أحمد فيضي باشا، أو أية سلطات عثمانية في اليمن.

وقد واصلت البعثةُ سفرها إلى صعدةَ، وأبلغت الإمامَ بطبيعة مُهمتها، وقدْ استقبلها الإمامُ بترحاب وأدب عظيم. وقدْ كانَ لأعضاء البعثة أكثرُ منْ مقابلة مع الإمام، ونقلوا رسالةَ الشريف الأعظم بقصد إقناعه بقبول شروط الحكومة التركية وتجنب المزيد من العداوات، والطلب إليه بإعادة جميع مخازن السلاح إلى السلطات التركية التي سقطتْ في يد العرب في صنعاءَ وأماكنَ أخرى.

وقد ذكر أن الإمامَ قد أجابَ، بأنه شخصياً ليسَ لديه رغبةٌ في مواصلة الأعمال العدائية ضدَّ الأتراك، وإنه توّاقٌ لوضع حدٍّ لسفك الدماء، وهو صديقٌ مخلصٌ للحكومة العثمانية، إلا أنه غيرُ مطلق اليد في ممارسة إرادته في موضوعات كهذه، وعليه أن يعملَ طبقاً لرغبات قومه الذينَ اختاروه إماماً وإن أقلَّ ايحاءة من جانبه للتخلى عن قومه، ستكونُ مؤشراً على سقوط، وعدمِ التسامح معهُ، واختيار إمامٍ آخرَ.

أما فيما يتعلّقُ بإعادة المخازن العسكرية، فإنَّ الإمامَ يعلمُ جيداً، عدمَ قدرة البعثة على نقل القطع الثقيلة من المدفعية، ثم إنَّ قطعَ المدفعية ليستْ ذاتَ نفعٍ لهُ، وبمقدوره اعادتُها لو تمكنتْ البعثةُ من

نقلها وإعادتها. وأما البنادقُ وذخيرةُ البنادق، فقد وزعتْ على القبائل وليس في استطاعته استعادتُها، وقد رفضت البعثةُ عرضَ الإمامِ كما توقع.

وقد أرسلَ الإمامُ رسالةً مختومةً إلى الشريف، ولم يتسربْ أيُّ شيءٍ من محتواها، وأبلغَ عبدُالرحمن بنُ الياس، النَّاسَ هنا، أن أحمد فيضي باشا قد طلبَ من البابِ العالي ٨٠ ألفاً من القوات لإراحة القوات المرهقة في اليمن، ولتنفيذ خطته بمحاصرة شهارةَ، المعقل الحصين للإمام، ويبدو أن عبدالرحمن بن الياس واثق من عجزِ الإمامِ واتباعه عن المقاومة بعدئذٍ.

المرسل

محمد حسين

فالبعثةُ اذن، حملتْ رسالةً تطلبُ إلى الإمامِ الخضوعَ والطاعةَ، وتلحُّ على إعادة الأسلحة والذخائر التي كانَ الإمامُ وقواتُهُ قد حازوها عند استلام صنعاءَ سنةَ ١٣٢٣هـ، وإخلاء العساكر العثمانية إلى مناخة، ومعهم ٨٠٠ بندقية ماوزر فقط بموجب الاتفاقية المقرة من قبل الوالي أحمد فيضي.

ويبدو أن الإمامَ يحيى كان يدري بطبيعة مهمة البعثة، فهي ليستْ لإصلاحِ اليمن، ولن تنظرَ بعين إلى المظَالم الواقعة على أهل اليمنْ، وإنما ستقومُ بإبلاغ الرسالة، وما فيها من الوعيد والتهديد، وكعادته فإن الإمامَ استدعى إلى مجلسه جماعات العلماء والقضاة والقادة من

ذوي الرأي والمشورة، وكان منهم العلامةُ لطفُ الله بن محمد بن شاكر والسيدُ محمدُ بنُ عبدالله الضحياني والقاضي عبدُالوهاب ابنُ محمد المجاهد، ويحيى بن حسن نصار، وسيفُ الإسلام محمدُ بنُ الإمامِ الهادي، وإخوتُهُ المطهرُ والقاسمُ، وشيخُ الإسلامِ عليُّ بن علي اليماني، والسيدُ عبدُالله ابنُ ابراهيم والقاضي حسين العرشي وغيرُهم[1]، وقرأ عليهم الرسالةَ، التي توصف بأنها من أقسى الرسائلِ التي تسلّمها الإمامُ لهجةً وصرامةً، وكان نصها :

خطاب من الشريف علي بن عبدالله الحسني[2]

حمله الشريفُ حمزةُ بنُ عبدالله ووفدٌ مكونٌ من أحدَ عشرَ نفراً

ومنهم العلاّمةُ الشيخُ عبدالرحمن بن الياس المدرسُ بالمدينةِ المنورة.

تاريخه ٣ شهر جمادي الأولى ١٣٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم[3]

الحمدُلله وحدُهُ، عمدةِ ذوي الإجلالِ، المتسنمِ ذروةَ سنامِ الكمالِ، حضرةَ الأجلِ، الأمجدِ، الأعزِ، الأوحدِ، جنابَ السيدِ يحيى بنِ محمدِ بن يحيى حميدِالدين، لازالَ محفوظاً بعنايةِ العزيزِ المبين.

---

(١) انظر الدرر المنتقاة، ١٧٦.

(٢) هو الشريف علي باشا بن عبدالله بن محمد بن عبد المعين بن عون، من أشراف مكة، وليها سنة ١٣٢٣هـ، وعزل عنها سنة ١٣٢٦هـ، فانتقل إلى مصر، وتوفي بها، انظر، الزركلي، الأعلام، ٣٠٩/٤؛ دحلان، أمراء البلد الحرام، ٣٨٠.

(٣) انظر الخطاب في الدرر المنتقاة، ١٧٦ب-١٧٩أ.

وبعد إهداء أزكى تسليمات عطرية، وتحيات نفحاتُها مسكيّة، نفيدُ جنابكم أننا دائماً نستفسرُ عن أخباركم، وما يحدثُ في جهاتكمْ، فكلما بلغنَا ما هو واقعٌ في الخَطَّة اليمانيَّة من الفساد والعصيان على الدولة العلية، أدامها ربُّ البرية، نتأسفُ لذلكَ غايةَ الأسف، ويحصلُ لنا مزيدُ الكدر الذي لايوصفُ لما فيه من سفك دماء المسلمين، وعصيان مولانا الخليفة، أمير المؤمنينَ، المخالف ذلكَ لأمر ربِّ العالمينَ حيثُ قال، وهو أصدقُ القائلين : «وأطيعوا اللهَ، وأطيعوا الرسولَ، وأولي الأمْرِ منْكُمْ». ودائماً نَتَعجبُ من وجود العقلاء أمثالكمْ، أرباب العلم والفهم، وتداخُلهم في هذه الحركات الفظيعة، ولا تتفكرون في عواقبها الشنيعة، فإننا لما أمَعنَّا نظرَنَا في ذلكَ، وافتكرْنا بغاية الدقة فيما هنالك؛ ظهرَ لنا أن هذه دسائسُ أجنبيةٌ ومفاسدُ مخفيةٌ، وإن كنتم بذلك لاتشعرون، فإن هؤلاء النصارى، أعداءَ الدين، لهم تسلطاتٌ تحيرُ الأفكارَ، لا تدركُها العقولُ ولا تدرُكها الأبصار، انظروا، وفقكم اللهُ تعالى، وتدبّروا كيف كان ابتداؤهم ودخولُهمُ في أهالي الهند، وكيفَ استدرجوهم واستجلبوا خواطرَهم، وبذلوا كلَّ شيء تعيس وغريب، واحتالوا بكلِّ أمر عجيب وأوقفوا العداوةَ والبغضاءَ بينهم وبينَ حكّامهم، وهم مع ذلكَ غافلون، وفي عماهم نائمون، فلما تمكّنوا منهم، وبلغوا مقاصدهم وطئوهم أشدَّ وطئة، وحكموهم بالبذل والرشوات بأحكام ما أنزلَ اللهُ بها من سلطان، فحينئذ فاقوا من سكرتهم وصحوا من عشوتهم، وندموا حيثُ لا ينفُعهم الندمُ، ولايجدون له فائدةً ولامغنم، وقد فعلوا فعلَهم هذا مع كثير المسلمينَ، ضُعفاء العقول، ونالوا منهم كلَّ مطلوب لهم ومأمول،

وها هو يرى اعتياث فعلهم مع أهالي فاس، أحكموا فيهم الدسائسَ والوسواس وأوقفوا العداوةَ والبغضاءَ بينهم وبينَ حكامهمْ أبناء جنسهمْ ودينهم، فأصبحوا قلقين مضطربين، ومع بعضهمْ متحاربينَ، ولم يزالوا وراءَهم حتى ينالوا مقصودَهمْ، ويحصلوا مطلوبَهُمْ، فإنا لله وإنا إليه راجعونَ، وجاري أيضاً منهم هذه الأفعالُ مع ضعفاء الصُّومال، ومشاهدُ فعلهمْ في الأقطار المصرية، ومن المفاسد والأمور الغير مرضية[1]، ولكنْ ستكونُ بعونِ الله محميةً، ولما رأينا بجهاتكم تزايدَ الأمور المغايرة والمفاسدَ المتكاثرةَ، ورأينا أن السكوتَ فيه إثمٌ كبيرٌ، نسألُ عنه عندَ السميع البصير، لاسيما بعدما أولانا اللهُ تعالى، جلّ شأنُهُ إمارةَ البلد الحرام، ورئاسةَ أهل البيت الكرام، فالغيرةُ الهاشميةُ، والحميةُ العدنانيةُ والجامعةُ القحطانيةُ الجاثْنا إلى تحرير هذا الرقيم إلى جنابكم الفخيم، لأنّ النصيحةَ الدينيّة من أوجب الواجبات، وأثوب الأعمال الصالحات. وقد أصحبْناه صحبةَ مندوبين من طرفنا، وهم الشريفُ حمزةُ بن عبدالله الفعر[2] العبدلي من ربعنا الأشراف الحَسنَيين الذين هم لدينا معتمدين والشيخُ عبدُالرحمن أفندي الياس، أحدُ علماء المدينة المنورة المتشرفُ بجوار ذلكَ المقام، على صاحبه أفضلُ الصلاة والسلام وأوصيناهم أن يبينوا لكم الحقائقَ،

---

(١) كما ورد في الأصل.

(٢) من السادة الأشراف، كان عضواً في مجلس الشيوخ الذي أعلنه الشريف الحسين بن علي عند إنشاء الدولة الهاشمية في الحجاز، في ٧ ذو الحجة سنة ١٣٣٤هـ، انظر، أمين سعيد، أسرار الثورة العربية الكبرى، ١٢٨؛ مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، ١٩٨، ٢٠١.

ويكشفوا لكم عن الدقائقَ أملاً أن تمعنوا نظرَكم وفكرَكم وتتدبروا في عاقبةِ أمركم، وتسرعوا إلى الكفِّ عن هذه الأمور، وتطفئوا نارَ الفتنِ والشرورِ، وتبذلوا السمعَ والطاعةَ لجلالة مولانا، أميرِ المؤمنين، وخليفةِ سيدِ المرسلين، ويلزمُ أنكم تختاروا محلاً[1] لإقامتكمْ بعيداً عن التّهم، إما هذه الأماكنُ المقدسةَ بجوارِ بيتْ الله الحرامَ، أو مدينةِ سيدِ الأنامِ، عليه أفضلُ الصلاة والسلام، أو في الأستانة العلية أو في الشامِ أو في أيِّ محلٍّ تختار[2] وترتضوه[3]، فنحن عندَ ذلك متعهدين[4] ومتدركين[5] أنتم وأولادكم جيلاً بعدَ جيلٍ محفوظين[6] القدر والحال، ممتّعين بالراحة التامة، والحرية العامة، مشمولين بالمرتبات الجسيمةَ والإحسانات العميمة، وإن فوضتوا[7] أمرَكم إلينا، واعتمدتوا في شئونكم علينا، فخدمةٌ للديانة المحمديّة، وصداقةٌ للخلافة الكبرى الإسلامية، نأخذكم أنتم وعيالَكم في وجهنا، ونترحمُ لكم من شفقةِ مولانا السلطانِ الأعظمِ والخاقانِ الأفخمِ، ونستحصلُ لكم على الإقامةِ في أحسنِ محلٍّ تقيمون ممتعين بالالتفاتات السنّية والتعطفات الشاهانية في أرغدِ عيشٍ، وأنعم بالٍ، مستريحين في الحالِ والاستقبالِ داعين لهذه الدولةِ العليةِ على

---

(١) كما ورد في الأصل.

(٢) كما ورد في الأصل.

(٣) كما ورد في الأصل.

(٤) كما ورد في الأصل.

(٥) كما ورد في الأصل.

(٦) كما ورد في الأصل.

(٧) كما ورد في الأصل.

فخرِ الأجيال، فإنْ رايتوا[1] ذلكَ أخبروا به معتمدينا، وأنتم حرِّروا لنا به تلغـراف من صنعاءَ، ونحن بوقـتـه نسرعُ بالعـرضِ إلى عتـبةِ جـلالة أفندينا المعظمِ، ونستحصلُ على إرادته السنيةِ إلى حضرة دولتلو أحمد فيـضي باشا، بتـوقيفِ هذه الـمخاصـمات، وتعطيـلِ تلكَ المعـاملاتِ، وبعدها يحصلُ كلُّ مطلوب وينالُ كلُّ مرغوب.

وإنْ -لاسمح الله تعالى- إذا لـم تصغوا إلى قولنَا وتتَّبـعوا أقوالَ أهلِ الإعراضِ المـفسـدين، وما تسوّلُ به الأنفسُ والشـياطين، وتبـقوا مُـصرِّينَ على مـا هو ناشيءٌ في فكركم، ومـتحـكمٌ في عقلكم من أمـرِ الإمامةِ وخلافِها، وانكم تستقروا[2] بديباركمْ، فهذا أمرٌ محالٌ، يحولُ بينَ ذلك أهوالٌ، لا تنافي زمن غـيـر الأزمنة السـابقـة، وبينَ أقـوامٍ ليـستْ عقولهم ولا قراناتهم لاحقة.

وهذا زمنٌ يجبُ على كلِّ مـسلمٍ عاقلٍ أن يتـمسّكَ بأذيالِ الخـلافة العثمـانيةِ، ويرتبطَ بالجامـعة المحمـديّة، لأنها هي الذابةُ عن هذا الدينِ المبينْ، والحـاميةُ له من الكفرة الملحدين، وأعلموا أيضـاً علمَ اليقين، أنَّ مولانا الخليـفةَ الأعظمَ، أطالَ اللهُ تعالى بقـاءَه، من المستحـيل أن يتركَ الخُطةَ اليمانيّةَ، بل يزيدُ من توُّجه أنظاره الخاقـانية، إليها، ويجرّدُ القوةَ الكبرى، ويسحقُ المـفسدين ويقمعُ الطغاةَ الباغـين، وذلكَ لأجلِ حمايةِ الحرمينْ الشريفين وصيانَتها منْ تطرقِ الأجانبِ إليها، لأنهم، لا بلَغهم

---

(١) كما ورد في الأصل.

(٢) كما ورد في الأصل.

اللهُ تعالى ذلك لو دخلوا بدياركمْ نالوا مرامَهم، فدونَ ذلكَ تسفكُ الدماءُ وتبذلُ الأمـوالُ، وتكونوا أنتمْ المسئولـين عنهُ لدى الكبيرِ المتـعالِ، ولا تظنوا أن ذلكَ طمـعـاً فـيمـا يردُ من اليـمنِ من الواردات، فـإن وارداته معلومةٌ ومصارفاته مقررةٌ مختومةٌ، بل هو أمرٌ دينيٌ وواجبٌ إسلامي، فاتقوا اللهَ حقَّ تقـاته وتداركوا الأمرَ قبلَ الفوات، فإنهُ فيـما بعد لاينفعُ قولُ ليت ولاهيـهاتَ وفقَنا اللهُ تعالىَ وإياكم لمـا فيهِ الخيـرُ والصلاحُ، وجَعلكمْ منْ أهلِ الفوزِ والنجاحِ.

ودمتمْ محفوظينَ بعونِ الملكِ المعينِ والسلام

والقراءةُ المتأنيةُ للرسالة، وإدراك ما بين سطورها يفيدُ بما يلي :

- تجنبُ الشريف علي بن عبدالله مخاطبةَ الإمـامِ في افتتاحية رسالته بالألقابِ التي كان الإمامُ يحى يتخذُها على خاتمه الرسمي : أميرُ المؤمنين، المتـوكلُ على اللهِ ربِ العالمينَ، وإنما اكتـفى بعبارات «حضرة الأجلِّ، الأمجد، الأعز، الأوحد، جنابَ السيد يحيى بن محمد» وفيه إشارةٌ لعدمِ إقراره أو قبوله بوضـعِ الإمامِ يحيى آنذاك.

- وصفُ الشريف علي بن عبدالله ما يحدثُ في اليمن، -وكانَ الاصطلاحُ الخطةَ اليمـانية، باعتـبارها جزءاً مـن خطط الدولة العثمـانية-، بالفسادِ والعصيانِ على الدولة والسلطة الشـرعية، وحشدَ جملةَ من الآياتِ والأحاديث المستنكرة للعصيانِ والخروجِ والتمرد.

- يحاولُ الشـريفُ عليُّ بنُ عبدالله بشيءٍ مـن الدهاءِ الظاهر، أنْ يبديَ استغـرابَهُ لما وقعَ في اليمنِ مع وجـودِ العقلاءِ فيـه مثلِ الإمامِ،

وهم لا يتفكرونَ في عواقبِ العصيانِ والإفسادِ، ويذهبُ إلى التخفيفِ من لهجته الاستنكاريةِ، فيرجعُ سببَ التمردِ والخروجِ إلى عناصرَ أجنبيةٍ، كفريةٍ من جماعاتِ النصارى ودسائسهم، ويأتي ببراهينَ على ذلكَ، ما وقعَ في بلادِ الهندِ وفاس والصومالِ ومصرَ، حيثُ نجحت الدسائسُ في الإيقاعِ بينَ أهلِ تلك البلادِ وحكّامهم من المسلمين.

- يبرّرُ الشريفُ عليٌّ بنُ عبدالله تداخله في شئونِ اليمنِ، بما يراه من تكاثرِ الفسادِ وشموله البلادَ والعباد، مما يصبحُ السكوتُ عنه إثماً، لاسيما وأنه متولٍ لإمارةِ مكةَ المكرمةَ، وهو رئيسَ آلِ البيت. وكأنَّ الشريفَ عليّاً يطلبُ إلى الإمامِ يحيى وجوبَ السماعِ والاستجابةِ لما يأمرُهُ به رئيسُ آلِ البيتِ وأميرُ البلدِ الحرامِ، وما يحيى إلا واحدٌ من أبناءِ آل البيت.

- يبلغُ الشريفُ علي الإمامَ أنهُ ارسلَ إليه الشريفَ حمزةَ بنَ عبدالله الفعر، والعلاّمةَ عبدالرحمن بن أحمد الياس المدني، معتمدينَ من لدُنَّهُ، وكلّفهما بإيضاحِ خفايا الأمورِ، وعليه، أي الإمامِ، أن يتدبرَ ويتفكرَ ويطفيءَ نارَ الفتنة، ويبذلَ السمعَ والطاعةَ لجلالة مولانا أميرِ المؤمنينَ، خليفةِ سيدِ المرسلين، عبدِ الحميد. ويلاحظُ ايرادُهُ لكافةِ القابِ السلطانِ عبدِ الحميد، كنوعٍ من تأكيدِ عدمِ اعترافه بألقابِ الإمامِ ووضعه.

- يطلبُ الشريفُ عليٌّ من الإمامِ يحيى ضرورةَ الالتزامِ بمفارقةِ اليمنِ،

وعليه أن يختارَ مكاناً بعيداً عن اليمن ليقيمَ فيه، إما في مكةَ أو المدينة المنورة، أو استانبول أو الشام، أو أي محلٍّ يختاره، وإذا فعلَ فلهُ ولأولاده من بعده جيلاً بعدَ جيل، التقديرُ والاحترامُ، وله الراحةُ التامةُ والحريةُ الكاملةُ، مرتباتٌ جسيمةٌ واحساناتٌ عميمة. ونعتقدُ أنَ في هذا الطلبِ شيئاً من النزقِ والحدة «أو أيَ محلٌ يختارُهُ». لأنَّ الأمرَ قد أعياهم، ومافازوا بالتسكينِ ولا الطاعة.

- يعرضُ الشريفُ علي بن عبدالله الحسني على الإمامِ يحيى، تفويضَ أمره إليه، وهو سيكونُ في ضمانه وحمايته - كعادة العرب»- «أنتم وعيالكم في وجهنا» وعندها سيبادرُ الشريفُ علي إلى طلب الرحمةِ والعفوِ عن الإمامِ، وعندها سيعيشُ الإمامُ في عيشٍ رغدٍ وراحةٍ تامةٍ.

- وكعامل ضغط نفسي، يطلبُ إلى الإمامِ سرعةَ إرسالِ تلغراف للشريف صادر من صنعاءَ يعلنُ موافقته على مقترحاته، ليبادرَ الشريفُ فوراً إلى ا لاسترحامِ من الأعتابِ السلطانيةِ طالباً الرعايةَ والعطفَ على الإمام، وأن يشملُهُ السلطانُ العثمانيُّ بمراحمه وإنعامه، ويصدرَ السلطانَ الارادةَ السنيةَ إلى فيضي باشا بالتوقف عن الأعمالِ الحربية.

- وفي حال اصراره على الثورة على العثمانيين واعتبار نفسه أماماً لليمن كافة، يتوعّدُ الشريفُ علي بن عبدالله الإمامَ، بملاقاة الأهوالَ، إذا هو لم يقبل ما يعرضهُ عليه، وإذا هو أصرَّ على الثورة

ضد العثمانيين، وعلى اعتبار نفسهُ إماماً للمسلمينَ كافةً، وإذا هو رفضَ الخروجَ من اليمن، لذا، فمن الأسلم له أن يتمسك بالخلافة في استنبول، حتى يحمي نفسهُ من تلك التهديدات.

- ويمضي الشريفُ علي في رفعِ وتيرةِ التهديدِ والوعيد، وذلك باستحالة ترك السلطانِ الخُطَّة اليمانية، كما يتمنى الإمامُ، وإنما سيجندَ السلطانُ القواتِ لسحقِ المفسدين وقمعِ الطغاةِ الباغين، لأنّ السلطانَ مكلّفٌ بحمايةِ الحرمين الشريفين، من أطماعِ الأجانب، النصارى، وعندها يكونُ الإمامُ هو المسئولَ عما ستؤولُ الأمورَ إليه.

- ويبلغُ الشريفُ قمةَ مغالاته في الوعيدِ والتهديدِ بقوله : «فإنه فيما بعدُ لاينفعُ قولُ ليت ولا هيهات».

ونحن لانستغربُ ما جاءَ في الرسالة، فبعدَ وفاةِ عونِ الرفيق بن محمد ابن عبدالغني بن عون في جمادى الأولى ١٣٢٣هـ، كانَ صاحبَ الحقِّ الشرعيّ في إمارةِ البلد الحرام، أخوه عبدالإله بنُ محمد، ولكنَّ راتب باشا، الوزيرَ العثمانيَّ المقيمَ في جدةَ، كتب إلى قاضي الطائف وأعيانها بتنصيبِ الشريف عليّ بنِ عبدالله، ابنِ أخِ الشريف عونِ الرفيقِ وكيلاً إلى أن تصدرَ الأوامرُ من السلطنة في الآستانة، وبالفعل فقدَ صدرَ الفرمانُ السلطانيُ بتعيينِ الشريفُ علي، أميراً على مكةَ، وبذا تجاوزَ على حقِّ عمِّه الشريف عبدالاله وابنِ عمِّه الأكبر، الشريف الحسين بن علي، فلعلّ رسالةَ الشريفِ علي، هذه، ما كانت إلا من بابِ

الحماسة في رد الجميل للولاة العثمانيين في الحجاز واليمن[1].

ولكننا نقفُ عند عبارة وردتْ عندَ الجنداري في وصف شخصية العلاّمة عبد الرحمن بن أحمد الياس المدني، فقدَ قيلَ عنهُ «كانَ فاضلاً في العربية وعلوم كثيرة مع رصانة عقل وأخلاق عطرة».

وكانتْ إجابةُ الإمام على الرسالة بعدَ تشاوره مع العلماء والقضاة والشيوخ، الذين دعاهم الإمامُ إلى القَفْلَة، وبعدَ المحاورات والمحادثات مع أعضاء الوفد المكّي، وجاءَ في رسالة الإمام ما نصُّهُ :

جوابُ الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

على رسالة الشريف عليّ بن عبدالله الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

من عبدالله المفتقر إلى الله المتوكل على الله ربِّ العالمين، يحيى ابن المنصور بالله، محمد بن يحيى بن محمد بن رسول الله إلى الشريف الهمام، نقطة بيكار الأشراف الكرام، أمير البلد الحرام، عليٍّ بن عبدالله، كانَ اللهُ لنا ولهُ وللمؤمنين.

وبعدُ؛ حمداً لله كما يجبُ أنْ يُحْمد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الكرام عن يد،

---

(١) انظر: دحلان، أمراء البلد الحرام، ٣٨٠؛ السباغي، تاريخ مكة، ٣٩٣.

(٢) الدرر المنتقاة، ١٧٨-١٨١ب؛ انظر التقرير البريطاني عن مهمة الوفد Records of Yemen. Vol. 5, P. 499.

فإنهُ وصلَ إلينا كتابُكُم المؤرخُ ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٢٤، صُحبةَ الشريف الحسيب الشريف حمزةَ بن عبدالله، والشيخ العالم عبد الرحمن بن الياس حرسهما اللهُ، المشتملُ على النصحية الدينية الصادرة عن الحمية المصطفوية العلوية، والتعريف بجلالة وعظمة سلطان الإسلام، أيدَّ اللهُ به الشرائعَ والأحكامَ، ونصرَهُ على عبدة الأصنام، وحمى به الدينَ الذي كادَ أن يشرفَ على الانهدام، وأعزَّ به ذريةَ سيد الأنام، صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه، قادة الأنام إلى آخر الكتاب، فنقولُ سلامٌ على أخينا وابن أبينا ورحمةُ الله وبركاته.

أما جلالةُ السلطان الأعظم، والخاقان المكرم، فإنهُ لايجهلُ حقَّه إلا جهولٌ ولا ينكرُ علوَّ قدره إلا منْ ليسَ له معقولٌ، وإنا له داعون، ولعظيم حقَّه مراعون، نُسَرُّ بتأييده ونصره ونفرحُ بعلوِّ شأنه ونفوذ أمره، إنما الكلامُ في مأموري اليمن، فإنهم خالفوا الشرائعَ والسننَ، وارتكبوا القبائح ما ظهرَ منها وما بطَن، فلا تراهُم النهارَ إلاّ ليلَ مدلهم بالفجور ولا ليلَ إلاّ على نهار مسفر بارتكاب كلِّ قبيح هو عندهم غيرُ مهجور، فمنهم من لا أربَ لهُ في غير سفك الدماء، وإثارة كلِّ مصيبة دهماء، ومنهم من نراهُ عاكفاً على شراب الراح، ومنهم من لا تجدُه إلا مهرولاً إلى السفاح، حتى كأنَّ ذلكَ مأمورٌ به وليسَ بمحرَّم ولا بمباح، ومنهم من له قلبٌ أقسى من الصفا، فلن تنظره إلاّ ظالماً للضعفاء، مهيناً للشرفاء، استعفى ماعفا، وإن روجعَ إزدادَ غلظةً وجفا، وأما الشريعةُ فما كأنهم أمروا بغيرِ هَدْمها، ولا أخذَ عليهم سوى نبذها وإطراح

حكمها، وأما التنافسُ فيما بينهم بكثرة الأموال التي هي من محض الحرام لا من المشتبه بالحلال، فأمْرٌ تحارُ عندهُ الأفهامُ، ويخرجُ عن حدِّ الضبط بالأقلام، وهم مع ذلكَ بإضاعة أركان الإسلام متظاهرونَ، فلستَ ترى منهم مَصلياً إلا النادرَ القليل، ولا صائماً في شهر الصيامَ الذي أُنزلَ فيه التنزيلُ هذا عندَ الأمراء، دعْ عنكَ غيرَهم من النظام، وأما ما تضمّنه الكتابُ من النصحية فهو ملتقى بالقبول لولا ما قرعَ سمعَنا من وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر المخوف كتاباً وسنةً مثل قوله تعالى : ﴿ولتكنْ منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾، ومثلُ قوله تعالى : ﴿لُعِنَ الذينَ كفروا من بني اسرائيل على لسانِ داودَ وعيسى بن مريم، ذلكَ بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهَوْن عن منكرٍ فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون﴾. ومثل قوله تعالى: ﴿فلما نسَوْا ما ذُكّروا به انجينا الذين ينتهوْن عن السوء، وأخذنا الذين ظلموا بعذابٍ مبين بما كانوا يفسقون﴾، ومثلُ قوله صلى الله عليه وآله وسلم، فيما أخرجه أحمد والترمذي وحَسَّنَهُ عن حُذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال : والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنْهونَّ عن المنكر، أو ليُوشكَنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عقاباً منه ثم تدعونهُ فلا يستجيب»، وما أخرجه الترمذي وابنُ ماجه وابنُ حبان والضياءُ المقدسي عن جرير عن عبدالله، قال، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ : ما منْ رجلٍ يكونُ في قومٍ يعملُ فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيّروا ولا يغيّروا إلاّ أصابهم اللهُ بعقابٍ منه قبلَ أنْ يموتوا»، وما أخرجه ابنُ حبان والبيهقي عن

عائشةَ قالت : دخلَ عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعرفتُ في وجهه أنه قد حفزه شيءٌ، فتوضأ وما كلَّم أحداً، فلصقتُ بالحجرة استمعُ ما يقول، فصعد على المنبر، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال : «يا أيها الناسُ، إنّ اللهَ يقولُ لكم، مُروا بالمعروف وانهوْا عن المنكر، قبلَ أن تدعوني فلا أجيبكم وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصُرُكم، فما زاد عليهن حتى نزل». وما أخرج أبو داود والبيهقي وابنُ ماجه عن ابن مسعود في آخر حديث عنه، صلى اللهُ عليه وآله وسلم: «كلا والله لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنْهَوُنَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً أو لتقصرُنَّه على الحقّ قصراً، أو ليضربنَّ اللهُ بقلوب بعضكم ثم ليلعنكم كما لعنهم». وما أخرجه عيدُ بنُ حميد عن معاذ بن جبل يرفعه : سيكونُ عليكم ولاةٌ يحكمونَ لكم ولهم بغيره، فإن اطعتموهم ضلوكم، وأن عصيتموهم قتلوكم، قالوا : يا رسولَ الله، فكيف منا إذا أدركنا ذلك. قال : تكونوا كأصحاب عيسى عليه السلام، نشروا بالمناشير ورفعوا على الخشب، موتٌ في طاعة خيرٌ من حياة في معصية». وأمثالُ هذه الأحاديث كثيرةٌ، وإنه لم يكن الباعثُ لتلكمُ الحركات خلفاً عن سلف، غيرَ الغيرة على الدين والحمية على شريعة سيد المرسلين، لا طلبَ الراحة والدعة، ولا محبةَ التكاثر في الأموال والسعة ولا مخالفةَ سلطان الإسلام، ولا شقَّ العصا بينَ أيدي سيد الأنام، وإنا لننزّهُ سلطانَ الإسلام، حرسه اللهُ عن الرضى بمثل أفعال مأموري اليمن، كيفْ لا وأنه لقدْ بلغَ الينا أنْ ثلاثَ إرادات من إرادته السنية صدرتْ إلى مأموري اليمن، أنهم لايجرون في اليمن غيرَ

الشريعة التي أتى بها الكتابُ والسننُ، فأعرضوا دونَ ذلك صفحاً، وطوا دونَ أن يعملوا به كشحاً، وعفا اللهُ عنكم، لمَ اتهمتم فينا الركونَ إلى الأجانب وكَوْنَنا ممن نسالمهم ونصاحبُ، وأيُّ رابطة بيننا وبينهم، ولم نشابهْهمُ في الملبوس، ولم نتجرَّعْ خمرتهم في الكؤوس ولم نشاربْهم ولم نؤاكلْ ولم نماشهم ولم نتنازلْ، فإياكم والظنَّ، إن بعضَ الظنّ إثمٌ.

هذا وأما تعلُّقُ أهل اليمن بذرية النبيِّ المؤتمن، فشنشنةٌ أعرفُها من أحزمَ، ذلكَ من لَدُنَّ عليِّ بن أبي طالب، صلواتُ الله عليه، إلى الآن. لم يستطعْ أحدٌ من أهل الدول إزالةَ تلك الراية، وإن أفرغَ فيها لبته وجرَّد لها رايتَه، وإنه لو فرعَ منا الاتحادُ مع المأمورين، لعمدَ أهلُ اليمن إلى أحد علماء الآل المطهّرين، وأقاموه لهم إماماً، وقاتلوا بينَ يديه مثلَ ما فعلنا، وفي كتب التواريخ ما هو أجلى من ابن جلا وأشهرُ، فما من دولة من الدول إلا قائمُ آل محمد يعارضها، وكلما ماتَ أو قُتل امامٌ، قام آخرُ بعدَ الأول، ولا يمكنُ طيَّ هذه الراية إلا بزوال العترة الزكية وبزوالها زوالَ الدنيا، كما قالَ رسولُ الله، صلى الله عليه وآله وسلم «أهلُ بيتي أمانٌ لأهل الأرض، كما أن النجومَ أمانٌ لأهل السماء، فإذا ذهبت النجومُ من السماء، أتى أهلُ السماء ما يوعدون، وإذا ذهبَ أهلُ بيتي من الأرض، أتى أهلُ الأرض ما يوعدون».

وأما قوةُ سلطان الإسلام، أيَّدَ اللهُ به شرائعَ سيد الأنام، فأمرٌ بيّنٌ لذوي الأحلام، فإنه حرسه اللهُ، لو لم يكنْ من قوته إلا ما جهزّه إلى اليمن في العام الماضي وما بعدهُ من العساكر، وماساقَ لهم من

الأموالِ والذخائرِ لكانَ ذلكَ كافياً فكيف والمعلومُ من قوته ما هو فوقَ ذلكَ، وما يكونُ ذلك معهُ نزراً يسيراً لا يعوَّل عليه فيما هنالك، ولولا خروجُ مأموري اليمن عن دائرة الشريعة لما استقامَ أحدٌ تلقاءَ تلكم الجيوشِ الوسيعة، ولم يتسبَّبْ لإهلاك تلكَ الآلاف من النفوس غيرُ المأمورين لمخالفتهم أوامرَ الملك القدوس، دليلُنا قولُهُ تعالى : ﴿وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرْنا مُترفيها ففسقُوا فيها، فحقَّ عليها القولُ فدمَّرْناها تدميراً﴾، فكلٌّ منْ قاتلهم في اليمن فهو عليهم منصورٌ، لأنّه مبغيٌّ عليه، ومنْ بُغيَ عليه لينصرنَّهُ اللهُ، ومن نصره اللهُ فلا غالبَ له، ومن خذلهُ فلا ناصرَ له : ﴿إنْ ينصرْكم اللهُ فلا غالبَ لكم، وإن يخذلْكُم منْ ذا الذي ينصرُكُم من بعدِه﴾.

ولو توجهت تلكمُ القوةُ لقتالِ الأجانبِ لكانَ من الرأي الصائبِ ولامتنعتْ بها كثيرٌ من البلادِ عن الدخولِ تحتَ وطأة أهل الإلحاد، الذينَ لاهمةَ لهمْ في غيرِ هدمِ الإسلامِ، واستئصالِ شأفة أهله على التمامِ، خيَّبَ اللهُ أملهم، وشتَّتَ شملهم، وإنا لنستجيرُ اللهَ ونستعيذُ به من أنْ يكونَ سلطانُ الإسلامِ حرباً لذريةِ الرسولِ ممنْ يصولُ على الإسلامِ ويجول، وأما الأمرُ الذي تُخْمدُ به تلكمُ النارُ وتطفىءُ به تلكم الشرار، ويكونُ به الراحةُ، وعمارةُ البلادِ في الاستراحة، والأمانُ العامُ والسلامةُ من الأغرام، وتحقنُ به الدماءُ، ويرضىَ به ربُّ الأرضِ والسماءِ، ويحصلُ عندهُ إغاظةُ الأجانبِ وشنُّ الغاراتِ عليهم من كلِّ جانبٍ، ويتمحّصُ انفاقَ الأموالِ في قتالهم، وتتجردُ معهُ قنا النفوسِ في

نزالهم، فهو أمرٌ يجمعُ «بينَ تسكينِ ثورةِ أهلِ اليمنِ وبينَ رضى سلطانِ الإسلامِ»، زيّنَ اللهُ بوجودِه الزمنَ، وللرشيدِ من الرجالِ في ذلك مسرح، وإنا كنا كتبنا إلى البابِ العالي كتباً من طرقٍ شتى وماندري أوَصلَ شيءٌ منها أمْ عاقَهُ من تجبَّرَ وتعتى، وقد حرَّرْنا إليه كتاباً تروْنه صادراً إليكم لفاً نحبُّ منكم ابلاغهُ إلى شريفِ حضرتِه، وقد جعلناه مختصراً كما ترونَ، ومهما أمكنَ لكم البسطُ والإيضاحُ كانَ لكمُ الأجرُ والفلاحْ، وقد تخابرنا مع مندوبيكم بأبسطَ منْ هذا، وهما عافاهما الله، من العقولِ الرصينةِ والآراءِ الثاقبةِ المتينة، وبهما عُرفَ علوُّ شأنكم وارتفاعُ قدركم، ان الرسولَ دليل على عقلِ المرسل، ولعله لايغربُ عنكم كراهيةُ مأموري اليمنِ لتسكينِ هذه الفتنةِ لفواتِ مقاصدهم الذاتيةِ من اختلاساتِ أموالِ الرعيةِ وسرقاتِ الأموالِ الأميريةِ باسمِ المحاربات والاكراميات والنقليات والإداراتِ المأخوذةِ من الأهالي وفواتِ شهواتهم المحرمةِ.

ولهذا ينفرون أشدَّ النفورَ عن تسكينِ الفتنة، ولعلّهم يرفعون إلى البابِ العالي شيئاً من تزويراتهم التي تروحُ معها مقاصدُهم

فإنا لله وإنّا إليه راجعون

إن قراءتنا لرسالةِ الإمامِ قادتْنا لطرحِ الأمورِ التاليةَ :

- افتتح الإمامُ رسالته بتأكيد اللّقب الذي اتخذه منذ بيعته «المتوكلُ على الله، ربّ العالمين»، وخاطبَ مُكاتبه «بنقطةِ بيكارِ الأشراف الكرامِ، أميرِ البلدِ الحرام».

- وصفَ الإمامُ، رسالةَ الشريف إليه، بأنها نصيحةٌ دينيةٌ، صادرةٌ من حميةٍ مصطفويةٍ علويةٍ، عَرَّف بجلالة وعظمة السلطانِ، وخصَّ الدعاءَ للسلطانِ بتأييده للشرائع والأحكامِ، ونصيرِه على عبدةِ الأصنام.

- حاول الإمامُ الفصلَ بينَ الإقرار بقدرِ السلطانِ وعظمته، وما يقومُ به المأمورون، فهو دائمُ الدعاءِ للسلطانِ ويراعي حقَّه، ولكنَّ الإمامَ أسهبَ في تناولِ مفاسدِ ومثالبِ ومعاصي ومخازي الأمراءِ والمأمورين والعساكرِ التركية، وتظاهرهُم بذلكَ جهاراً دونَ أن يراعوا إلاً ولا ذمةً. وبذا فإنَّ الإمامَ ينفي ما رُمي به من تمرّدٍ وعصيانٍ وخروجٍ على السلطانِ، وإنما كانت ثورتُهُ بسببِ بغي الأمراءِ والمأمورين والعساكر.

- حاولَ الإمامُ امتصاصَ حماسِ الشريفِ وانتصارِه للأتراك، بنوعٍ من الدبلوماسيةِ الرصينة، وذلكَ باقترابِ الإمامِ من قبولِ نصائحه والاستجابةِ إليه، لولا ما طرقَ سمعَهُ من آياتٍ قرآنيةٍ كريمةٍ وأحاديثَ نبويةٍ شريفة، توجبُ الأمرَ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، واستشهدَ بثلاثِ آياتٍ وأربعةِ أحاديثَ مسندةٍ تلزمُ بالعملِ لتطبيقِ أحكامِ الشريعةِ، وفي ذلك نيلٌ لرضى الله.

ونحن نرى في رسالةِ الإمامِ نوعاً من الخطاب الجدليَ الراقي، فالنفسُ تحدِّثُهُ بقبولِ النصيحةِ، والعقلُ المحكومُ بشريعةِ اللهِ، يأبى إلا الاستجابة لأوامرِ اللهِ ونواهيه.

- يرفعُ الإمامُ من وتيرة خطابه للشريف، ويبّينُ بأنَّ النهضةَ والخروجَ والحركات، ما كانتْ إلا غَيْرةً على الدين وحمايةً للشريعة، وليسَ طلباً للراحة والدّعة ولا محبةً في تكثير المال، ولا السعي لمخالفة السلطان، ولا شقَّ عصا الطاعة. وكأن الإمامَ يرفضُ اقتراحاتِ الشريفِ بالرواتبِ والإنعاماتِ والإحسانات.

- يؤكد الإمامُ علمه بأنَّ السلطانَ أرسلَ ثلاثَ إرادات سلطانية للمأمورين في اليمن يأمرُهمْ بالعملِ بأحكامِ الشريعة، والبعدِ عن الإفسادِ والرذائل، ولكنهم لم يستجيبوا ولم يطيعوا.

- يعاتبُ الإمامُ الشريفَ علياً وإنه يتّهمهُ بالركونِ إلى الأجانبِ والاعتمادِ عليهم في ثورته، ويطلبُ من الله العفوَ للشريف على هذا الاتهام، إذ لا رابطةَ للإمامِ بالأجانب (النصارى) ويقصدُ الدولَ الأوروبيةَ، فهو، أي الإمامُ، ما تشبَّهَ بالكفرةِ لا زياً ولا معاقرةً للخمور، ولم يؤاكلْهم ولا شاربَهمْ، ولم يتفقْ معهمْ ولا تنازلَ عن حقٍّ ولا وطنٍ، ولعلَّ في هذا إشارةً تعريضيةً نكايةً بمن تعاونَ وعاقرَ وتنازلَ.

- يوضحُ الإمامُ سببَ استمرارِ ثورةِ أهلِ اليمنِ على الأتراك، بتعلقِ اليمنيين بذريةِ النبي وعترته، وما هي إلا صفةٌ متأصلةٌ في نفوسهم، ولو فعلَ الإمامُ عكسَ إرادتهم لأقاموا غيرَه إماماً، وواصلوا ثورتَهمْ.

- يداعبُ الإمامُ الشريفَ علياً باعترافه بقوةِ الدولةِ العثمانية، وعظمةِ جيوشها ومعداتها وذخائرها وأموالها، غيرَ أنَّ في اقتراف

عسكرها وأمرائهمْ للفواحش والمعاصي ما ظهرَ منها وما بطن، وبغيهم على أهل اليمن، كتبَ اللهَ عليهم الهزيمةَ ودمّرهم تدميراً، ونصرَ اللهُ أهلَ اليمن الضعفاءَ، وشتّتَ العساكرَ العثمانيةَ، ثم إنّ الدولةَ لو وجهتْ طاقاتها ضدَّ الكفار، ونصرة بلاد الإسلام، لمنعتْ وحمَتْ الكثيرَ من بلاد المسلمين من الوقوع تحتَ وطأة الكفار.

- يلمحُ الإمامَ إلى حل، يخمدُ الحربَ، ويكونُ فيه الراحةُ وعمرانُ البلاد، ويتحقّقُ من خلاله الأمنُ والسلامةُ وحقنُ الدماء، ويوّفرُ على الدولة خسائرَها في الرجال والأموال والعتاد، ويغيظُ الأجانبَ، ويجعلُ أهلَ اليمن يقاتلونَ صفاً إلى جانب الدولة وهو أمرٌ يجمعُ بينَ تسكين ثورة أهل اليمن ورضا سلطان الإسلام»، ولم يفصّلْ في بنود الحل، ولعلَّه يريدُ للشريف أنْ يفكّر فيه ويقترحَهَ، والإمامُ بهذا يرفُض دعوةَ الشريف لمغادرة اليمن والإقامة منعماً مترفاً خارجها.

- أبلغَ الإمامُ الشريفَ علياً بمداومته على ارسال الكتب والخطابات إلى السُّلطان يبلغه فيها بأحوال اليمن، ولكن لم يصلْ إليه الردُّ سلباً أو ايجاباً، ويعزو ذلك إلى المأمورين، الذين لايريدون تسكينَ الثورة، بسبب حرصهم على مَكاسبَهمْ الذاتية، وولوغهمْ في عَمليات الاخْتلاس وسرقة أموال الرعية باسم الحرب. والاكراميات والإدارات والانعامات والنقليات، حتى تتوفّرَ لهم أسبابُ الانغماس في تحقيق شهواتهم المحرمة.

- وأخيراً، يبلغُ الإمامُ الشريفَ علياً، بأنه تحادثَ مع مندوبي الشريف، فوجدهم من ذوي العقول الرصينة والآراء الثاقبة، ومن خلالهما عرفَ علوَّ شأنِ الشريف وارتفاعَ قدرهُ، والعباراتُ السابقةُ تجعلُنا نميلُ إلى الاعتقاد أن المندوبين أطلعوا الإمام على الموقف الصحيح للشريف من القضية اليمنية، وأن الرسالة جاءت ترضية للمأمورين والولاة العثمانيين.

وأما كتابُ الإمام إلى السلطانِ عبدالحميد الثاني، فكان نصُّه

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

اللهمَّ أيدْ دينَكَ المبينَ بعزمِ خادمِ الحرمين الشريفين، وحامي ثغرِ المسلمين، السلطانِ بنِ السلطانِ الغازي عبدالحميد خان الثاني، واجعلْه رحمةً للمؤمنين، نقمةً على الكافرين، واعطفْ نظرَ مراحمه على اليمنِ الميمونِ، وحفَّ مقامَه بالصالحين الذين يقضون بالحقِّ وبه يعدلون، وغيرُ خافٍ على المسامعِ العليةِ السلطانيةِ أنَّ سلَفنا والدَنا الإمامِ المنصور باللهِ ربِّ العالمين، رضي اللهُ عنه، قد رفعَ للأبوابِ العاليةِ الملوكانيةِ تفصيلَ حركاتِ المأمورين في الخطةِ الإسلاميةِ اليمانيةِ بوسائطَ عديدة، ثم حذوْنا حذْوه في الإنهاءِ بما نشاهدُ من المناكرِ التي صارتْ لكلِّ خيرٍ مبيدةً، ولا لما تظهرُ في أنها إرادةٌ جوابيهُ بسلبٍ ولا ايجاب، فربما أن المأمورين الذين عائوْا في اليمنِ قد صدُّوها عن الأبوابِ، فصبرنا على ظلمٍ منهم، لا تعاملُ به الكفارُ، ووكلْنا الأمورَ

---

(١) انظر، الدرر المنتقاة، ١٨١-١٨٢.

إلى الواحد القهار حتى وردَ إلينا رُسلُ حضرة أمير مكةَ المكرمة برسالة منه يعاتبُنا فيها على ما يسمُعه من الأحوال المؤلمة، فأوضحنا له بعضاً من أسباب ما أوجبَ في النفوس والانفعال، ورجوْنا بواسطة سيادته أن يقعَ النظرُ الشاهاني على هذه، فَعَسى تحقّقَ عندَ الله، وعندَ الله ما تصدرُ به إرادتُهُ السنيّةُ من العفو العام الذي يتلقاه المأمورون بألسنتهم بالإجلال ثمّ يخالفُ منطوقُها المنيفُ منهم الأفعالَ، ونحيطُ علمَهُ السامي أن هذا القطرَ اليمانيَّ مازالَ تحتَ حكم قائم من العترة الزكيّة النبويّة الذين جعلَ اللهُ محبّتهم لبيته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجرَ الرسالة فقال سبحانه : ﴿قلْ لا اسالكم عليه اجراً إلا المودةَ في القربى﴾، وقال فيهم الرسولُ الذي لاينطقُ عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى» أحبّوا اللهَ لما يغذوكم به من النعم، وأحبّوني لحبِّ الله، وأحبُّوا أهلَ بيتي لحبي» فالقائمُ منهم يحكُمُ بكتاب الله وسنة رسول الله، ويأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر المخوف، وإنَّ بعضَ أهل القطر يروْن من الواجبات الدينية الانتماءَ إليه والتعويلَ في أمورهم الشرعية عليه، وإنَّ حاصلَ الواردات المالية التي قد أفقرت البلادَ وأهلها لو تُعرضُ محاسباتُها لحضرته بصدق وإخلاص لعلمَ أنها لاتقومُ ببعض ما ينفقونه في سبيل الدماء وخراب المساكن وإثارة الدهماء، وإن المأمورين لما رأوا سعادةَ حظوظهم في اليمن بخيانة ملكهم ومتبوعهم الذي يرجون الزيادةَ، وفي ظلِّ حماه وبقوة شوكته، وحبِّ الله سلّمَ اليمنُ زمامَهُ وقيادتَهُ، وجاوزوا الحدودَ في المظالم، وانتهاك الحرمات، فهذا يأخذُ من أهل البلاد للعساكر الكفايات، ويجبرُهُمْ على اعطاء

سندات باستيفاء قيمتها ثم يحسبُها على الخزينة مصارفَ ويسلمُها لصندوقه مع ماله من الجرايات، وهذا يتاجرُ بالمأموريات، وهذا يأخذُ لنفسه مثلَ الأعشار عندَ الإحالات، وهذا ممّا لايطاقُ حصره بلسان ولا يتيسرُ الإحاطةُ به لإنسان، فإذا تكاثرتْ لديهم النفوذُ أرضَوْا منهاَ منْ فوقَهم، واستجلبوا الخمورَ واستخدموا المردانَ من الذكور، وجمعوا البغايا لا يخافون عاراً ولا الحشرَ والنشور، ورفضوا الصلاةَ والصيامَ وخانوا اللهَ والسلطانَ في أمة سيّد الأنام، فإذا نهاهم أحدٌ أوقعوه فيما يكونُ عبرةً لغيره من الوبال كالنفي والحبس وأخذ المال، وكمْ سمعْنا بصدور الإرادات السنيّة في أنْ لايجري في اليمن إلا شريعةُ الله، وأن يحافظ على الصلوات في أوقاتها، وأن يمنع إدخالُ المسكرات البلادَ وبيعُها، ولم يحكمْ مع ذلكَ في المحاكم إلا بالقانون، ولم تزل الخمرةُ في الدكاكين ونحوها ظاهرةً، والسكارى في الأزقة يَعُوثونْ وفيما يكونُ وبالشراب والمعاصي يجاهرون.

ثم إنْ حدثَ حادثٌ لأمر بمعروف أو نهي عن منكر أو دفاع عن انفس وأموال وأعراض حرّمها اللهُ امتثالاً لقوله تعالى : ولتكن منكمْ ـــــ الآية» وخوفاً من قوله تعالى : كانوا لا يتناهوْن ... الآية، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لتأمرُنَّ بالمعروف»، الحديث : نسبوا إلى أمير المؤمنين كلَّ فظيعة وسعَوْا ما بين الحضرة السلطانية، حرسها اللهُ، وبين أهل اليمن بالقطيعة، وغالطوا فيما يعرضونُهُ إليه بما لاتجيزُه الشريعةُ ليتمَّ لهم المآربُ، ويصفو لهم في الإرتكاب المشربُ، وقد

ينسبون إلينا الإستعانةَ بالأجانب، وأنا لطمعٍ أو حبٍّ رئاسة نحارب، ولغاية تخلُّ بشأن السلطنة السنية، ونحو ذلك فيما لا يقوله غيرُ كاذب، وإنّا وإيمُ الله، لا نسعى حولَ طلب مضاعفة المال ولابعدَ رياسة الرجال، وإنما هو ما وجبَ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف، والأخذ على يد الظالم، وأجل شريعة الله التي هي سببُ فوز منْ استمسكَ بها من جاهل وعالم، فإذا شملتْ هذه الجملُ أنظارَ حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأفخم، وشملَ هذا القطرَ ومنْ فيه إحسانُه الذي عمَّ الأقطارَ، وعمر بحسن النظر فيه القلوبَ والديار، فتولى بمراحمه السنية أمرَ الإصلاح، وسنح، حرسه اللهُ، بنصحة ملوكية تحفظُ لشوكته الشاهانية شأنها، وتقيمُ للشريعة بنيانَها، وتمنحُ أهلَ اليمن مايحرسُ مذهبَهم، ويومئذ وقوع هذه المنكرات في ديارهم، ويستقرُّ لديهم ما يرونَهُ فَرضاً عليهم، فتتحدُ القلوبُ وتسلمُ الحربيةُ الجليلةُ من صرف الأموال الجزيلة في حرب المسلمين، وتدخرُ مع غيرها مما تجلبُهُ استقرارُ الحرب الكفري، فيتمُّ بذلك إن شاءَ اللهُ في ظلِّ مراحمه السنية الراحةُ والسكونُ ويحلُّ بدون واسطة ماسهرتْ في حلِّه العيونُ، أيَّد اللهُ به الدينَ، ونصرَهُ على الكافرينَ، وأصلحَ به أحوالَ المسلمين، وأعاذَه من أنْ يكونَ حرباً لعترة الرسول وسلّماً لمن يصولُ على الإسلام ويجولُ

آمين اللهمَّ آمين

والسلامُ عليه ورحمةُ الله وبركاتُهُ أولاً وآخراً

ويستشفُّ من كتاب الإمامِ الأمورِ التالية :

- كانت دعواتُهُ لتـأييد السلطانِ مخلصةً، ولكنهـا رجَتْ أن يشملَ نظرُ السلطانِ اليـمنَ ومـا يجري فـيـه، وأن تكونَ حاشـيـةُ السلطانِ وأعوانُهُ من الصالحين العادلين. وفي دعواتِ الإمامِ إشارةٌ مبطنةٌ إلى فسادِ الحاشيةِ والأعوانِ والمأمورين.
- ذكرَ الإمامُ أنَّ والدهُ قبلَهُ حاولَ نقلَ مـجريات الأحداثِ والحركاتِ في اليمنِ إلى السـلطانِ، ولكنْ دونَ الوصولِ إلى نتيـجةٍ ايجـابيةٍ أو سلبيةٍ، وقد أشارَ الإمامُ في رسالته إلى اليمنِ، بالخَطةِ الإسلاميةِ اليمانيـة، وبذا ينفي سعيُه لـلإنفصالِ عن الدولةِ، فلا زالَ يعـتبرُ اليمنَ ولايةً إسلاميةً، وهي خطةٌ من خططِ الدولةِ.
- يعاودُ الإمـامُ تكرارَ المفـاسدِ التي يرتكبُـها المأمـورون والعسـاكرُ العثمانية في اليمن.
- يؤكدُ الإمامُ للسلطانِ العثماني ما ذهبَ إليه دائماً من حيث استمراريةُ العترةِ النبويةِ بحكمِ اليمنِ، منذُ وصولِ الإسلامِ إليها، وأهلُ اليمنِ هم ميـالون إلى الإمامِ باعـتبـارِه منْ أبناءِ العترةِ النـبويةِ، وأهلُ اليمنِ يعوّلون على الإمامِ في أمورهم الشرعيةِ.
- ينبّهُ الإمامُ إلى أنَّ واردات اليمنِ الماليةَ بمـجموعها لاتعادلُ بعضَ ما ينفقُ على الجـيوشِ وآلةِ الحربِ في سـبيلِ سفكِ الدمـاءِ وخرابِ البيـوت، لكنَّ المأمـورين جاوزوا الحدودَ وانتـهكوا المحـرّمات، والمأمـورون يجبـرونَ الناسَ على دفعِ ما يطلبـون، ويُصْدرون

السندات بالنفقات المدعاة لتحسب على الخزينة، ويكلفون الناسَ بغرامات كاذبة، وأكثرُ من ذلكَ، يتاجرون بالمأموريات والأعشار.

- يفصّلُ الإمامُ في بيان أنواعِ المفاسد والكبائر التي يرتكبُها المأمورون والعساكرُ، حتى الصلاةُ والصيامُ يرفضون أداءها ويجاهرون بالمعاصي، ولا يستجيبون لإرادات السلطان القاضية بإجراء شريعة الله في اليمن، والالتزام بأداء الصلاة والصيام، ومنع إدخال المسكرات والخمور إلى اليمن، ولكنهم لا يطيعون ويفعلون عكسَ الارادات السلطانية، بلْ ويدَّعونَ بأنَّ الحربَ والقتالَ ما كان إلا لتنفيذ الأوامر السلطانية لأن الإمامَ يميلُ إلى الدول الأجنبية، وهو كذبٌ فاضحٌ.

- يبيّنُ الإمامُ أن الطريقَ لتسكين البلاد وإراحة الناس إنما يكونُ بتطبيق شريعة الله، ومنع الظلم وإتيان المعاصي والمفاسد.

واللافت للنظر دوامُ استفسار الإمام عن مصير تلكَ الرسائل التي دأبَ على إرسالها إلى السلطان من خلال عدة أطراف دولية أو محلية ومن طرق شتى، والتي لم يردْهُ جوابٌ عليها لا قبولاً ولا رفضاً، ولما كانَ الإمامُ لا يملُّ من الكتابة إلى السلطان، فقدْ كتبَ إلى معاون الوالي محمود نديم بتاريخ ذي الحجة ١٣٢٤هـ، مستفسراً عما إذا كانَ بوسع محمود نديم إفادةُ الإمام بوصول رسائله إلى السلطان عبدالحميد، أم أنَّ الوقتَ مازالَ مبكراً على وصولها، وأعادَ الإمامُ تكرارَ الغدر ونقض العهود من قبل أحمد فيضي غداةَ وصول فيضي إلى مَنَاخةَ، واستعدادَ

فيضي لمحاصرة الإمام وقواته في صنعاءَ، ثم في معقلِ شُهارةَ وجاءَ في رسالة الإمامِ إلى محمود نديم باشا، ما نصُّه :

كتب الإمامُ إلى محمودُ نديم باشا، معاونِ والي اليمن

بتاريخ ذي الحجة ١٣٢٤هـ

بسم الله الرحمنِ الرحيمِ[1]

الحضرةُ الرفيعة والعقوه المنيعة، معاونَ الوالي، ذي الجنابِ الكريمِ محمود نديم، ذي الفخامة والتكريمِ.

بعدَ إهداءِ مزيدِ السلامِ والصلاة والسلامِ على سيدِ الأنامِ وآلِه الغرِّ الكرامِ وصحابتِه الأعلامِ الفخام، فصدورُها عن أحوالٍ جميلة، وأيادٍ من ربِّنا جزيلة على انقطاعٍ من المكاتبة التي هي نصفُ المواصلة، ولاعتبَ من الطرفين، فإنه حالُ ما كدّرَ الحالَ، وجلبَ الأهوالَ إلى كلِّ حالٍ، وأنه بعدَ عزمكُمْ من لدُنَّا دارتْ المكاتبةُ بيننا وبينَ حضرة المشيرِ أحمدْ فيضي باشا إلى مَنَاخةَ، وحذرناه الغدرَ، وأعذْناه بالله من نقضِ العهود، وأعلْمناه بأن الشريعةَ توجبُ صيانةَ ذمة أدنى الناس، كما صرَّحَ بذلك رسولُ الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، «أنه يجيرُ على المسلمين أدناهم»، ثم أوضحْنا له أنّا لا نجهلُ قدرَ سلطانِ الإسلامِ، وإن له لدينا رفيعَ المقامِ، ولولا أنَّ المأمورينَ خالفوا شريعةَ الله، وارتكبوا ما حرّمَ اللهُ حتى أنه لايراهم النهارَ إلا على ليلٍ مدلهمٍّ من فجورٍ ولا الليلَ إلا على نهارٍ طالعٍ باستحلالِ محرّمٍ وخمورٍ لما

---

(١) انظر، الدرر المنتقاة، ١٥٥-١٥٦.

أضرمْنا نارَ الحربِ، ولأغمدنا صوارمَ الطعنِ والضربِ، ثم لمْحنا له أنّه من أهلِ العقولِ الرصينةِ والآراءِ الثاقبةِ المتينةِ إلى آخرِ الكتابِ، فلمْ يزدَدْ بذلكَ إلا عتوّاً ونفوراً من المسالمةِ ونبواً، فلاحَ لنا مرامُهُ الخفيُّ، وهو إرادةُ استدامةِ الحربِ ليتوصّلَ بها إلى التحيّلِ للإختصاصِ بالأموالِ الأميريةِ، فكانَ ما كانَ، ثمَّ لما بلغَ إلى بلادِ حاشدْ، أعادَ المكاتبةَ الينا، وكلَّ مرةٍ ونحنُ نجيبُهُ بجوابِ المنْصبِ إلى الغايةِ، ولعلّهُ خافَ تمامَ الإنصافِ، وعرفَ أن به تمامَ حيلتِه التي أبرمَ ومقصدَهُ الذي أخفاهُ وكتم، فأعرضَ عن الإنصافِ صفحاً وطوى دونَ الموافقةِ كشحاً، وصدَّ عن ذلك وركبَ صهوةَ المهاوي والمهالكْ، فكانَ ما كانَ، وليسَ الخبرُ كالعيانِ ونحنُ مع هذا ننزّهُ الجنابَ الملوكاني عن الرضى بنقضِ العقودِ والخيانةِ والنكثِ للعهودِ للعلمِ أنّ ذلكَ مما يحفظُ ويصانُ في جاهليةٍ وايمان، ولكنّ المأمورين هم الذينَ كتموا عندهُ الإيضاحَ وأغروْه بنا، فاستنهضوا خيلَهُ ورجلَهُ والسلاحَ. ولمراعاتنا لتلك العهودِ، لم يقعْ منا غيرُ المدافعةِ لتلكَ الجنودِ التي ضاقتْ عنها الأوهادُ والنجودُ، وكانَ الأوْلى صرفُها لقتالِ أهلِ الإلحادِ والجحودِ، لا لقتالِ ذوي القربى عترةِ الرسولِ، حماةِ شرعةٍ ممنْ يصولُ عليه ويجولُ، المطهَّرين عن الأرجاسِ المفضّلين على كافةِ الناسِ – هذا ولعلّه بلغَ اليكمْ أنا كتبْنا إلى سلطانِ الإسلامِ –أيدّ اللهُ به شريعةَ سيدِ الأنامِ– كتباً من غيرِ جهةٍ، وما ندري هل يمكنْ إبلاغُها إلى حضرتِه العليةِ أم لا. وهلْ قدْ مضى من المدةِ ما يمكنُ وصولُها فيه أم لا، فإن كانَ يمكنُ لكم الإفادةُ، فلنا في ذلكم إرادةٌ وشريفُ السلامِ مسكُ الختامِ.

ويكتبُ الإمامُ مرةً أخرى إلى محمد علي علوي، المترجمُ الأولُ في السفارة الايطالية في مصرَ، وبيَّن له التزامَ الإمامِ بالدفاعِ فقط، في حين أوغلَ أحمدْ فيضي في الدمارِ والخرابِ وسفكِ الدماء، وكرَّر الإمامُ رؤيتَه في الحلِّ الذي يُسْكنُ الحربَ ويحقِّقُ الاتفاق «وإنَا مهما وجدْنا قبولَ طلباتنا المشروعة، التي أحاطَ بعلمها منْ له إلمامٌ، ما نخالفُ ولا نعقِّد، ولايقعُ منا تصعيبٌ» ويأمل الإمامُ من مكاتبِه، رفع كتابِه إلى الدولة الايتالية، ويختمُ رسالتَهُ بتوضيحِ نتيجة ما توصَّلَ إليه مع وفد الشريف عليِّ بن عبدالله الحسني، أميرِ البلدِ الحرام، فما كانت إلا نصيحةً بترك الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعيَدَ الوفدُ يحملُ جوابَ الإنصاف، أي لم يتحقَّق الصلحُ ولا وقفُ الحرب.

وكانَ نصُّ رسالةِ الإمامِ إلى المترجمِ الأول محمد علي علوي كالتالي :

رسالةٌ من الإمامِ يحيى بن محمد حميد الدين إلى محمد علوي بك

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

حضرةَ الوزيرِ الماجد، والشهيرِ الخطيرِ المحامدِ محمدْ علوي بكْ، حرسهُ اللهُ، وحيَّاهُ بتحيةٍ تليقُ بجنابه الرفيعِ وتتراه، وإنه وصلَ الكتابُ الكريمُ الجديرُ بالتكريمِ والتعظيمِ وبه ذكرتمْ إرادةَ التساهلِ منَّا في الصلحِ، وحقنِ الدماءِ إلى آخر ماذكرتم.

ولقدْ كانَ وقعُ الشروعِ في بعضِ محاوراتٍ في شهرِ شعبانَ

---

(١) انظر، الدرر المنتقاة، ١٨٣-١٨٤.

الماضي حتى ظهرَ من تهديدات حضرة المشير أحمد فيضي ماكدّر صفوةَ المذاكرات، وعادَ إلى سفك الدماء، وظلم عباد الله وإباحة المنكرات، وها نحن نُعْلِمُ حضرتَكُمْ أنا ما خالفنا طريقةَ الصلح بطلب شيء زائد على ما أنهيْناه في كُتُبنا للحضرة العلية السلطانية، وما كتبْناه اليكم، ورجَوْنا من حضرة الملك المفخَّم بواسطة حضرتكُمْ إبلاغَهُ للذات السلطانية، وإنّا مهْما وجدْنا قبولَ طلباتنا المشروعة التي أحاطَ بعلمها من له إلمامٌ ما نخالفُ ولا نعقدُ ولا يقعُ منّا تصعيبٌ، وإنّا لنرعى للحضرة السلطانية حقَّ سلطانها، فأبلغوا حضرةَ الملك عنا ما يليقُ بمقامه من عاطر التحيّات واشكروا له ما أبداه بالنيابة عنّا، وأبلغوا حضرتَهُ أنّا منذُ تحرير كُتُبنا السابقة لم نجاوزْ صورةَ خطّة الدفاع لما يُجْريه أحمد فيضي باشا، وهو يبعثُ الطوابيرَ إلى كلِّ الجهات، وينهضُ ضعفاءَ الرعية بالحبوس والطلبات، وأما الآن فقدْ بلغَ السيلُ الزّبا، وملأ بتجهيزاته البلادَ شرقاً وغرباً، فَنحنُ نضطرُّ إلى الدّفاع، وإذا لم يرجعْ عن غيِّه ويستردَّ الأجنادُ المراكزَ ويقلَّ الظلمُ فسنفعلُ بنسبة ضعفنا وعجزنا في مدافعته المستطاع، وبالله ثقتُنا، وهو الناصرُ لنا، فإنّهم بغَوْا علينا في بلادنا وصدُّونا في إجراء أحكام ربِّنا، ولحضرة الملك الباعُ الأطولُ في صيانة ديار ينظرُ إلى أطرافها بعينه من مركز مملكته، فيجدُ أهلَها من الفقر والفاقة والبدوية في مرتبة يرقُّ لها عالمُ الإنسان، بمجرّد النظر، فكيف إن انضمَّ إلى مافيه وفي أهلها من هذه الأحوال، إن أمراءَ الدولة العليّة يفترون عليهم عندَ السلطان الأعظم، بأنواع الافتراءات، فيسوقون إلى أوساطها جيوشاً جرّارةً، ويقتلون بأهلها حتى يحضرَ

أهلُها الأوقات التي كانوا يجمعون فيها أقواتَ النساء والصبيان في الذبِّ والدفاعِ، وملاقاة نيرانِ الحروب وشنِّ الغارات، فليرقَّ العالمُ الإنسانيُّ بأسره لأهل اليمن الضعفاء، الذينْ لاذنبَ لهمْ إلا أنهمْ أحبّوا من غير غلوٍّ أهلَ بيتِ المصطفى الذينَ جعلَ اللهُ حبّهم لرسوله أجرَ البلاغِ في قوله تعالى : ﴿قُلْ لا أسْألُكُمْ عليه أجراً، إلاَّ المَوَدَّةَ في القُربى﴾.

أو نقص الشريعة، ومنذ افتراق المندوبينَ لم يصلْنا من حضرة المشير رسولٌ ولا كتابٌ، إنما يسوقُ الجندَ إلى كلِّ بلاد لظلم الضعفاء، ومخالفة السنة والكتاب، وإنا نسمعُ بما لشهامة حضرة الملك من كمال المحبّة للعالم الإنساني، والتقدم في أوّل وصف من سياسة العصر، بل إنهُ يعتزُّ لَهُ المدّاني مع ربطة الودِّ الأكيد بينَهُ وبينَ الدولة العثمانية، والتوجهُ الحسنُ إلى ترقّي الخطة اليمانية، فنؤمّلُ أنَّ لحظةً من لحظات النظر إلى استبقاء منْ لم يتمَّ عددُ أنفاسه من ابن آدمَ تركاً وعرباً يجعلُ منحَ إمام اليمن مقامَ آبائه للأمر بالمعروف والنهي عنْ المنكر المخوف، وإنفاذ أحكام الله وصيانة عباد الله معْ محافظة جناب السلطنة السنيّة عنْ مشقات تعبية الجيوش وصرف جسيم الأموال فيما لايجدي نفعاً عوضاً عن سفك وخراب البناء، ولا نطلبُ من الحكومة العثمانية شيئاً زائداً عما شرحْناه مفصّلاً سابقاً، وعرضْنا للأبواب العالية السلطانية بوسائطَ مختلفة، وبه تتمُّ سلامةُ بني الإنسان من هذه الفتن التي طالَ ما سارت بحوادثها الركبانُ، فاعرضوا كتابنا هذا لحضرة فخامة الملك، ومن شئتم، وعسى اللهُ أن يجعلَ في سعيكم الخيرَ.

وأما الشريفُ الواصلُ من جهةِ مهبطِ الوحي، مكةَ المشرفة، فلمْ يأتِ الينا بغيرِ النصيحةِ بتركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وإماتة شريعةِ الله التي أماتها المأمورون، وأرجَعْناه بجوابِ الإنصافِ، وبعدَ تشريفِ السلامِ عليكمْ هو الختام.

وانتهت هذه المرحلةُ بفشلِ كلِّ محاولاتِ الإصلاحِ والمساعي الحميدةِ التيْ جرتْ طوالَ العامِ ١٣٢٤هـ.

ويرى الجانبُ الإماميُّ أنّ السببَ إنما يعودُ لعدمِ إخلاصِ نوايا الموظفين العثمانيين وخداعِهمْ لدولتهمْ لشيءٍ في نفوسهمْ، تحققُ لهمْ المكاسبَ الماديةَ والمصالحَ الذاتية.

أما الجانبُ العثماني فيرى في مجملِ الشروط التي يطلبُها الإمامِ، انتقاصاً من السيادة العثمانية في اليمن، فالاعترافُ بوضعِ خاصٍ للإمامِ في اليمنِ يمسُّ سلطاتَ السلطانِ عبدالحميد، فتعقبُ كلَّ ذلكَ العودةُ إلى ميادينِ الحربِ والاستعداداتِ للقتالِ في جولاتٍ أخرى.

الفصل الثاني
جولاتٌ جديدةٌ في المَيادين
ومُحاولاتُ الإلتِفافِ على شُروطِ الإمام

المبحث الأول : العودةُ إلى ميادينِ الحرب

شهدتْ السنتانْ ١٣٢٥هـ، ١٣٢٦هـ، عودةَ الحربِ أكثرَ ضراوةً واشتعالاً من سابقتِها، فقدْ اتخذتْ عدةَ صورٍ وأشكالْ، باستنفارِ وحشدِ البلدانِ والقبائلِ لمطاردةِ الأتراك، وإنزالِ أشدِّ الضرباتِ بعساكرِه وأعوانِه في الطرقِ والمُدنِ والقُرى والشعابِ والجبالِ والأوديةِ والأدغالِ، تخطفاً ومواجهاتٍ عامةً مكشوفةً، وكمائنَ وترصدَ قوافلِ الامداداتِ والتموينْ فأرسلَ الإمامُ السيدَ أحمدَ بنَ يحيى قاسم عامر إلى خَوْلانَ، وسيفَ الإسلامِ محمدَ بنْ الهادي شرفَ الدين بن محمدْ إلى بلادِ أرْحبَ وعَمْرانَ، والعلاّمةَ عبدَالله بنَ ابراهيمَ بنِ الإمامِ إلى بلادِ عيالِ سُريح، لحَشدِ القواتِ وترتيبِ وتنظيمِ أعمالِ الجهادِ، فكانتْ معاركُ شملتْ الميادينَ التالية:

- معاركَ خَوْلانَ وسِنْحَانَ ورجَامَ وبلادَ الرُّوس وبني بُهلولْ وبني مُطر، وكانتْ ساحاتُها هجرةَ جحَانة في أعلى وادي مسْوَر خَوْلانَ وقرية زبَار وبيت خردلْ وحتى قُربَ صنعاءَ وفي قريةِ خبَّةَ وعدار والدار البيضاء وجبل قَيْفَانَ وبيت ردم وقرية بيت نُمَير من قرى سِنْحَانَ وقريةِ مقْولة وقريةِ المخرف وسَيّان

والمحاقرة وغَيْمَان والحَيْمَة[1] فالقتالُ كان من قرية إلى قرية ومن بطن واد أو سفح جبل إلى بطن وسفح، وحتى من بيت إلى بيت، فالبَسالةُ والإقْدامُ واضحان، والاصرارُ على مقاتلة الأتراكَ كبيرٌ وثابتٌ.

- معاركُ بلاد ردَاع ويَريم والشعر والطَويلة وهَمْدَانْ والمَحَوْيت، وكانَ أشدُّ المعارك في قرية مَلاَّح الردَاعية وذي شمْران من حقل يَريم وفي قرية بيت الحداد والأحربي، وبلاد قَعْطَبَةَ وبلاد عَمَّارْ والخَبتْ وبني بشير وقراتيل والشاحذيَّة وشمات والأهجر[2].

- معاركُ صُنْعةَ من بلاد ذَمَار وعُتُمَةَ ببلاد آنس.

حيث وقعتْ معاركُ في قرية بلسان والرباط وبيت الحمودي وسواد بَوْسَان، ومناطقَ أخرى كثيرة، وكانتْ الانتصاراتُ والهزائمُ متبادلةً بين الطرفين ولكنَّ القوات الإماميةَ حازتْ غَنائمَ كَثيرةً منْ مَدافعَ وبَنادقَ وذَخيرة ومُؤن وحَيوانات إلا أن أيّاً منْ القُوات المُتحاربة لَمْ تَستطعْ حسمَ المعارك لصالحها، وبدا الأعياءُ والتعبُ واضحاً على القُوات العُثمانية، بسبب قتالها في مَناطقَ وَعرة المسالك، صعبة المُرتقى والحَركة، وفي بيئة معادية لها.

وبادرَ الإمامُ في أوائل سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، لإعادة ترتيب الأوضاعِ العسكرية في مناطقه، فَعين :

---

(١) انظر، تقييد حوادث ١٨ب-٢١أ؛ وأئمة اليمن، ٩٢-٩٧.

(٢) انظر، تقييد حوادث، ٢٨ب-٣١ب.

- العباسَ بنَ علي بن أحمدْ بن اسحاق الحسني على قيادة بلاد خَوْلانَ الطيالَ العاليةَ، وما خلفَها منْ البلاد الجنوبية من صنعاءَ.
- عبدالله بن يحيى أبو منصر على بلاد السُود، وما إليها من البلاد العُمْرَانيَّة ونحوها شمالاً من صنعاءَ.
- اسماعيلَ بن اسماعيلَ بنِ ناصر الدينِ المروني، على بلادِ الحَيْمَة، وما إليها غرباً من صنعاءَ.
- يحيى بنَ الحسن الكُحلاني على بلاد الشرف وما إليها.
- محمد بن سعد بن محمد الشرقي، على بلاد حَجُور وما إليها، وعينَ بعضَ السادة على صَعْدَةَ وخَمرَ وبلادها.

وتُفيدُ التعييناتُ وإعادةُ التَراتيب إلى معاودة خطة مُحاصرة صنعاءَ، ومنع وصول الإمدادات العسكرية والتموين من المناطق التي تخضعُ للنفوذ العُثماني.

وخلالَ هذه السنة، نشطتْ أعمالُ العصابات الإمامية في الطريق بينَ صنعاءَ وحرَاز، وكثرت الإغاراتُ في عر الحَيْمَةَ ومُنَاخةَ وضَوْرَان[1]. وفي منطقة آنس، وقعتْ معاركُ في موضع حمام علي من أعمال وضَوْرَان آنس وجبل هدَاد وفي عَزَّان وباب المحْيَام وحدود بلاد رَيْمَةَ وبُرَع وبلاد الحَيْمَةَ، وكانت فتكةً كبيرةً للقوات التي يقودُها علي بن المقداد في هداد والخنق[2] في العساكر التركية، ووقعتْ معاركُ أخرى

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ٤٢أ-٤٣ب.

(٢) انظر، تقييد حوادث، ٤٥ب.

في كُحلان وجبال عيال يزيد، واشتهرتْ عزائمُ قواتِ الإمامِ بإيقاعِ الأذى في اتباعِ العجمِ وأعوانهم من اليمنيين.

والمهمُّ أن معاركَ العامين ١٣٢٥هـ، ١٣٢٦هـ اثبتتْ بالفعل، أنّ السلطانَ العثمانيَّ لايعرفُ حقيقةَ ما يجري في اليمن، وهو يتطلّعُ إلى استتبابِ الحالِ في اليمن، وحلِّ قضيةِ اليمنِ حلاً نهائياً، لاسيما، وقد نجحتْ مساعي جمعيةِ الاتحادِ والترقي في إعلانِ الحكمِ بالدستور، واقتضى ذلكَ تغييراً في أسبابِ الحكمِ، وإعادةَ نظرٍ في أساليبِ التصدي لمعالجةِ الأوضاعِ الداخليةِ والخارجيةِ والحربيةِ والماليةِ والثقافيةِ والاقتصاديةِ، وانتهاجَ سياسةٍ جديدةٍ حيالَ ذلكَ، ومن أجلِ ذلكَ وصلَ بتاريخ ١٩ شهر ربيع الأول ١٣٢٥هـ، وفدٌ مرسلٌ من قبلِ السلطانِ عبدالحميد يضمُّ كلاً من : العلاّمةِ محمود أسعد أفندي والفريقِ ثابت باشا والفريق هادي باشا، والياور الأمير الآي، أحمد بن محمد الخباني والياور الثاني، والقائمقام عثمان بك، والقول آغاسي فيضي أفندي، والكاتب طيار افندي[1]، وتدور هذه المحاولةُ في الخطةِ العثمانيةِ على الالتفافِ على محاولات الإمامِ حلِّ قضيةِ اليمنِ.

المبحث الثاني : محاولاتُ العُثمانيين في الالتفاف على شروط الإمام

كانتْ الخطوةُ الأولى للهيئة الاجتماعَ بأحمد فيضي حيثُ أبلغوهُ ضرورةَ تنفيذِ الإرادةِ السلطانيةِ التي يحملونها وتقضي بما يلي :

- اطلاقُ كافةِ المحابيس.

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ٤٥ب؛ أئمة اليمن، ١١٩/٢.

- اسقاطُ بواقي المعونة والديون والتكاليف الأميرية التي بذمة الأهالي حتى نهاية ١٣٢١ رومي، (السنة المالية) أي ١٣٢٣ هجرية.
- استدعاءُ بعض الذوات من السادات والعلماء والأعيان والمشايخ وتجهيزُهم للسفر إلى استانبولَ للقاء السلطان العثماني.

كانت هذه الاجراءاتُ بادرةَ حسن نوايا من قبل الدولة العثمانية، تحاولُ من خلالها جذبَ أعيان البلاد لطرفها، وبالتالي محاصرةَ الإمامِ وحركتَهُ على المستوى الشعبي والوطني.

وقامتْ الهيئةُ في خطوة ثانية بإرسال مكاتيبَ إلى جميع الجهات، توضحُ الهدفَ من حضورها، والمهمةَ المكلفةَ بها، وجاء في تلكْ المكاتيب ما يلي :

«اعلموا أنَّ مقصدَ مولانا ووليِّ نعمتنا بلا امتنان السلطانُ الأعظمُ هو ترفيهُ واسعادُ عبيده الأهالي وتبعته الصادقينَ واستنارتهم من أنوار رأفته وعدالته، ومنْ كلِّ جهة، فها نبشرُكمْ مقدمةً لشفقته بأنَّ جلالتَهُ عفى عن جميع الفارين من الأهالي المحلية والموقوفين الآنَ منهم بسبب الاغتشاش عفواً كلياً، ومن استأمنَ والتجأ إلى جناب رأفة الحكومة السنية، فلا عتب ولا سؤالَ عليه بأيِّ وجه كان مما تجاسرَ عليه من الأحوال الاغتشاشية بحسب الجهالة، ونبّشرُكُم أيضاً غيرَ هذا أنَّ سيدَنا ومولانا ووليَّ نعمتنا بلا امتنان الخليفةُ الأعظمُ والسلطانُ الأرحم لايجوّز قطعاً العسرةَ على عبيده الأهالي وتبعته الصادقينَ المتمكنينَ في ولايته اليمنية الشاهانية بتأدية بقايا المعونة للسنتينْ

السابقتين لكون حصول السكتة في الأمور التجارية والزراعية بسبب الاغتشاش والقحط والغلاء، فقد عفى كاملاً عن بقايا الديون الأميرية السابقة إلى غاية ١٣٢٣ الهجرية يعني إلى غاية شباط لسنة ألف وثلثمائة واحدى وعشرين المالية. هذا دالٌّ على كمال رحمته السنية وبراعة استهلال على آمال ملوكانية القدسية بحقٍّ تأمين السكون، ورفاهة حال الأهالي، فلا خطابَ على أحد من هذه البقايا ولا بارةً واحدةً من طرف المأمورين المحلية، فهذي بشرى لكم وإعلانٌ.

ونُفيدُكم أيضاً بأنَّ مولانا الخليفةَ الأعظمَ تفضّلَ بإرسال هيئاتنا العاجزين لجلب ودعوة بعض منْ هو معتمدٌ عندَ قبيلته ونافذُ الكلام ومقتدرٌ لبثِّ شكوى الأهالي المحلية، وبيان شكرهم ولإيضاح الاحتياجات المحلية الحاضرة بكمال الحرية من أهل الناموس والحيثية من شيوخ المشايخ والمشايخ والرؤساء والعلماء والفقهاء من القبائل والقضوات المختلفة للمذاكرة معهم عريضاً وعميقاً في تزيين العمران والسعادة بالقطعة اليمنية، وتأمين أسباب سكون الأهالي المحلية واستراحتهم وتعيين وتقرير الوسائل المؤثرة المانعة قطعياً لسفك الدماء بينَ المسلمين، ثم تتخذُ التدابيرُ اللازمةُ لحصول أسباب العمورية والصلاح في القطعة الجسيمة المذكورة، وهؤلاء الذواتُ الذين سيعزمون برفاقتنا إلى دار السعادة سيكونون ضيوفَ مولانا ووليِّ نعمتنا بلا امتنان، وسيكونَ تلطيفُهم واعزازُهم وعندَ ختام المذاكرة يعودون محلاتهم مرفهين مطمئنين.ومع هذا سينالون آثارَ التوجّه

والاعتماد من لَدَن مولانا الخليفة الاعظم بالاستفادة من خدماتهم حين تطبّقُ التدابيرُ والمقرراتُ التي ستُتَّخَذُ، فها قدْ وصلْنا إلى صنعاءَ لإيفاء هذه الوظيفة المهمة، وأجرْينا التبليغات اللازمةَ إلى منْ يلزمُ، ونشعرُ اليكم من حضرة مولانا السلطانِ الأعظمِ بأن تنتخبوا منكم من تعتمدون عليه وترسلوه إلى طرفنا، وحيث أنتم ندعوكم من طرف مولانا السلطان الأعظم بوصولكم إلى طرفنا سريعاً للسفرِ إلى دارِ السعادة مع الذواتِ المومى إليهم، وبعد المذاكراتِ اللازمةِ تعودون إلى محلاتكم[1].

والسلام

واللافتِ للنظرِ في المنشورِ البلاغِ، بالرغمِ مما حواه من عفوٍ عن المحابيس والفارين وإسقاط للضرائبِ وبواقي الديونِ الأميرية، وما فيه من وعدٍ بالتعرّف على أسبابِ المشكلات بصورة معمّقة وأفقية، سعياً لعمرانِ البلاد وتحقيقِ الرفاهية والسعادة والراحة لأهلِ اليمن فإنَّ فيه نوعاً من الرشوةِ المسبقة لشيوخِ المشايخِ، والمشايخِ والرؤساء والعلماء والفقهاء من القبائل والقضوات المختلفة، حيث سيكونونَ ضيوفَ السلطانِ وسيشملُهم التلطيفُ والإعزازُ، ولايكونُ ذلكَ إلاّ بتقديمِ الهدايا والكسواتِ والاستجابةِ لطلباتهم الخاصة، وكذا الاستعانة بهم واستخدامهم في الوظائفِ العليا، عندَ البدءِ بتنفيذِ التدابيرِ والإجراءاتِ للإصلاحِ، فالوعودُ بنيلِ المكاسبِ والرواتبِ بدتْ واضحةً في المنشورِ البلاغِ، وهذا آثارَ موجةً من الاستفهامِ والتساؤلِ

---

(١) انظر، رحلة أعيان اليمن إلى استانبول، ٧٦-٧٧، مخطوط لدى الباحث، مصور.

عن جدوى إرسال هذا الوفد، والفوائد المرجوّ تحقيقُها للوطن. ومع ذلك فقد انتخبَ الولاةُ والحكامُ العثمانيون الأعيانَ الذين سيغادرون إلى استانبولَ. وقد تشكّلَ الوفدُ من الأعيانِ التالية :

– من صنعاء ومن لوائها :

– السيدُ محمدُ بنُ يحيى بن المنصور، عضو مجلس إدارة الولاية.

– السيدُ محمدُ بنُ حسين بن غمضان، عضوُ نظارة الأوقاف الداخلية.

– السيد عبدُالله بنُ علي عبدالقادر أحدُ شهود الحكم.

– الشريفُ حمودُ بنُ غالب مديرُ بلاد الروس وبمعيته نسيبُهُ السيد علي

– القاضي عليٌّ بنُ حسين المغربي نائبُ قضاءِ كَوْكَبانَ وبمعيتِه ولدُه محمد.

– الفقيهُ عليٌّ بنُ محمد الجرافي.

– القاضي عبدُالرحمن بنُ علي الحرازي، وعبدُالله بنُ محمد السنيدار والفقيهُ عليٌّ العمراني، والحاج حسينُ بنُ عبدالله الثور وبمعيتِه أحمد اسماعيل الثور والقاضي محمدُ بنُ يحيى الردمي.

من قضاءِ عمْرانَ : الشيخ حزام الصعر وبمعيته كاتبه حسين الزيدي أفندي، والسيد محمد مرشد الأشموري من حاشد، الشيخ ناصر جبران الغشمي.

من مَنَاخةَ : ناصرَ بنُ حسين الأحلسي، شيخُ بني مقاتل وبمعيته حسين نزار والقاضي محمد الأحلسي والسيد أحمد عبدالله أبو طالب، والشيخ حسين حُبيش

من قضـاء حَجَّـة : السيـد صالح المؤيـدي، والشيخ يحيـى الشراعي، والشريف أحمـد من اشراف أبي عريش والقاضي محـمد عاكش

من فقهاءِ حَجَّة، والشيخ منصور من مشايخِ صبيا.

من ذَمَار : السيـد حسين راوية والحاج عـبدالله سلامة ومحـمد يحيى منصور، والسيد حسين السوسوه.

من يَريم : الشيخ محمد بن علي المجنحي.

من رَدَاع : الشيخ صالح بنُ صالح الطيري ورفيقهُ عبدالله عيقان.

من إب : مفـتى إب القاضي عبدالرحـمن الحداد والحاج عـبدالله يونس والشيخ عبدالله عبدالواحد والشيخ مصلح الشُهاري.

من تعز : السيد أحـمد بن علي عبدالجبار والقـاضي علي بن عبدالكريم المجاهد، ومفتي قضاء العدين السيد حسين بن علي، ونائبُ ناحيةِ ذي السفال، القاضي محمد الجنيد والشيخ أحمد نعمان والشيخ محمد أمين الذي عـادَ وأرسلَ وكيله بدلاً منه ومـدرس الحَجَـريَّة الحاج عمر ومحمد البحراني والشيخ عبدالرحمن الجُماعي.

من الحُدَيْدَة : السيد أحمد المسـاوي، والسيد يحيى بنُ عبدالله من زبيد وبرفقتهـما السيد أبو بكر بن عبدالله الأنـباري ونقيب الأشراف السيد أمين بن عبدالقادر البـحر من بيت الفقيه وولده السيد علي والسيد هادي بن رزق من بيت الفقيـه والسيد أحمد بن حاتم من باجل وأحمد بالبيد من الحُدَيْدَة[1].

---

(١) انظر، رحلة أعيان، ٨٠-٨١.

ويلاحظُ أنَّ معظمَ شخصيات الوفد من المناطق الخاضعة أصلاً للسيطرة العثمانية، وكثيرٌ منهم كانوا موظفين عثمانيين. وأمضى وفدُ الأعيان قرابةَ ستة وثلاثين يوماً في استانبول في ضيافة الحكومة، زاروا خلالَها متنزهات استانبولَ وحدائقَها ومعالمها الأثريةَ وبعضَ المصانع المدنية والعسكرية فيها، وتردَّدَ عليهم في مقر اقامتهم العديدُ من رجال الدولة والعلماء، يسألونهم قضاءَ حوائجهم الخاصة، ولم يجتمعوا بالسلطان خلا تحيّتهم بإشارة من يد السلطان عقبَ صلاة الجمعة، وطلبوا تنظيمَ لائحة باقتراحاتهم لإصلاح اليمن، ويشيرُ العلاّمةُ محمدُ بنُ حسين غُمضان الكبسي عضوُ الوفد أنهم قدموا لائحةً تحتوي ٢٢ بنداً لإصلاح اليمن، حيث وصلَ إلى مقرِّ إقامة الوفد ثابت باشا، والفريقُ هادي باشا، وأبلغوهما «أنَّ الملكَ وقفَ على جميعَ أحوال اليمن، ما بقي لزومٌ عليكم بعرضها، ولكن يأمر حضرتُهُ أن ينظموا لائحةً بما يصلحُ ولايةَ اليمن، وحينئذٍ نظمنا لائحةً فيها اثنان وعشرون بنداً وقدمناها بمعرفة مدير الدائرة، وانتظرنا أن يرسلوا لنا للمذاكرة فأضربوا عن ذلك»[1].

ويبدو أن المسئولين في استانبول، أدركوا أنَّ الوفدَ لايمثّلُ القوةَ الحقيقيةَ في اليمنْ، ولا يستطيعُ التأثيرَ على ثورة الإمام، فلمْ تسكنْ الحربُ، ولم تهدأ الأحوالُ، ولذا وصلَ اليهم بعدَ فترة الشيخ محمد أبو

---

(١) انظر، رحلة أعيان، ٨٥.

الهدى الصيادي، يسألهم عن الإمام، ووجوب نصحه بترك الثورة، وأخبرهم عن استعداد الحكومة منحه راتباً، فإن رضيَ بذلك منحه السلطانُ راتباً كبيراً وداراً، ليسكنَ فيها أينما يريدُ في صنعاءَ أو المدينة المنورة، وهو عينُ العرض الذي حملهُ أصحابُ الرسائل والمساعي قبلَ ذلكَ، مما يؤيدُ دورَ أبي الهدى الصيادي في دفع العلماء والأشراف والأعيانِ للاتصال بالإمام، وتقديم النصائح والعروض التي انتهتْ بالفشل ثم كان تقديمُ الإكراميات والنياشين لأعضاء الوفد، حتى كان يومُ ٨ جمادي الآخرة، فحضر المشير أدهم باشا والمشير شاكر باشا يحملان الاكراميات والهدايا، ثم جرى استدعاؤهم إلى المابين السلطاني لمواجهة السلطان، فأنعمَ عليهم السلطانُ بالميداليات الفضية ثم قُرئتْ كلمةٌ عنه بالنيابة، ألقاها الباشكاتب تحسين باشا بالتركية، وترجمها أبو الهدى الصيادي إلى العربية، وكان نَصُّها : «مقصدنُا من جَلْبكم من اليمن إلى هنا أخذُ تفصيلات عن أحوال هنالكَ، وبيان حُسْن نياتنا الشاهانية لكم عن قُرب، وبهذه الوسيلة نظهرُ التفاتَنا بحقِّ تبعتنا الصادقة، فالبعضُ من أهل اليمن سلكوا طريقَ الشقاوة، ومن هذه الأخبارِ التي تأتي أتأثَّرُ واتكدَّر. وفي الواقع الذاهبون بهذا الطريق حركتُهم هي خروجٌ وعصيانٌ، فتأديبُهم يلزمُ على الوجهين : الشرعي والقانوني، غيرُ أني لا أحبُّ وقوعَ سفك الدماء بين المسلمين أصلاً، لكنَّ تمسُّكم بهذا الطريق غيرِ المُرضي هو مُناف لرضاء جنابِ الباري ولرضاء الجنابِ النبوي ومستلزمٌ للخُسرانِ في الدارين.

ولذا فإني آمرُكم ببيان حسن نيتي للأهالي هنالكْ في اليمن، وتبليغهم السلامَ الشاهاني، وأن كَوْنَ أخص آمالي حصولُ تمام السعادة والرفاهية لتبعتي جميعاً، فتوفيقاً لهذا الأساس صدرَ الأمرُ لهيئة وكلائنا بتنظيم لائحة إصلاحية بهذه الصورة، فاللائحةُ التي تنظمتْ هي طبقُ مأمولي، حاويةٌ لتزيّد أسباب معمورية اليمن وترقياته، ولجريان أمور الشرعية والعدلية والمالية والملكية والضابطة على المحور المطلوبْ، وفيها زيادةُ اعتناء بحفظ مال كلٍّ أحد وعرضه وناموسه، ولذلك صدقتُها، وأمرْتُ باجرائها، وعدا النياشين التي أعطيتْ لكم، فكذلك لأجل التذْكار عن سياحتكم وعزيمتكم هذه أعطيتُ لكلٍّ منكم ميداليةَ اللياقة الفضية، وكما كان لعزيمتكم فأيضاً رتّبَ وابورٌ مخصوصٌ لعودتكم، وإن شاءَ اللهُ تعالى تصلون اليمنَ بالصحة والعافية، وتكونُ منكم التفهماتُ حسبَ أملنا، انتهى

ويستشفُّ من النطق السلطاني، تجاهلُ الدولة لحركة الإمام واعتبارُها عصياناً وتمرداً تستوجبُ التأديبَ على الوجهين الشرعي والقانوني، ويبلغ السلطانُ الوفدَ بأنَّ هناكَ لائحةً اصلاحيةً قد جرى اعتمادها من قبل هيئة وكلاء الدولة لتنفذ في اليمن وعليهم المساعدةُ وإذاعةُ أنَّ السلطانَ يرغبُ في تحقيق الرفاهية والسعادة لأهل اليمن، وأنهى اليهم أنّهم سيسافرون بوابور أعدَّ خصيصاً لعودتهمْ إلى اليمن. ومن خلال مخطوطة رحلة أعيان اليمنْ، ندركُ بأنَّ الوابور «تيرمز كان» الذي أرسلَ إلى اليمن حملَ فيه ١٥٠٠ عسكري نظامي كرديف للقوات

هناكَ، وكانتْ بقيادة الفريق ثابت باشا رئيس الهيئة الإصلاحية وعضوية أمير اللواء مصطفى باشا وأمير اللواء حسني باشا، ومنْ ديوان المحاسبة المالية ابراهيم نجم الدين افندي، وكان معنى إتخاذ هذه الاجراءات أنَّ الدولة مصممةٌ على مواصلة القتال في اليمن.

والمهمُّ أنَّ العلميات العسكريةَ ضدَّ القوات العثمانية كانت إبانَ وجود الوفد في استانبولَ، وخاصةً في جمادي الأولى والآخرة من سنة ١٣٢٥هـ. وأما الإمام، فقد كان يرى أنَّ الوفدَ لم يكنْ أكثرَ من آلة في يد العثمانيين، جرى استدراجُهم إلى اليمن ليكونوا عوناً للأتراك ضدَّ الإمام وحركته، ولذا صَعَّدَ من عنفوان الثورة. وفَشلَ وفدُ الأعيانِ في مهمته، ولم ينجحْ في عرض قضية اليمن فيما عدا الاكراميات والنياشين، أما على الساحة اليمنية فقدْ كانَ للانتصارات التي حقَّقَتْها قواتُ الإمام، وفداحة الخسائر التي لحقتْ بالعساكر العثمانية، وكثرة التمردات والعصيانِ الذي أثارهُ العساكرُ لعدم رغبتهم البقاءَ في اليمن، كان لكلِّ ذلك أثرهُ على الدولة العثمانية، التي أوعزت إلى الشيخ محمد أبو الهدى الصيادي بالتدخل عند أمير الحرمينْ، بضرورة معاودة الاتصال بالإمام يحيى، وارسال وفد إليه، استجابةً لإرادة السلطان، فتشكلتْ هيئةٌ علميةٌ من عشرة علماءَ برئاسة الشيخ العلامة عبدالله ابن عباس بن صديق[1] ت ١٣٢٥هـ، مفتي الأحناف والمدّرس بالمسجد الحرام، وعرفْنا من بقية الوفد،

---

(١) الشيخ عبدالله بن عباس بن صديق، ولد بمكة ١٢٧٠هـ، حفظ القرآن ومتون الفقه والنحو =

الشيخَ العلاّمةَ، محمدَ بنَ صالح بن صديق بن عبدالرحمن كمال، ت ١٣٣٢هـ مدرس بالمسجد الحرام، مفتي الاحناف والشيخَ العلاّمة، محمد سعيد بابصيل، ت ١٣٣٠هـ، مفتي الشافعية. وولده الشيخَ العلاّمة، علي بن محمد سعيد بابصيل، ت ١٣٥٣هـ.

والشيخَ العلاّمةَ، جعفر بنَ بكر بن جعفر لبني، ت ١٣٤٠هـ، نائب قاضي مكة، له عدةُ مؤلفات، الشيخَ العلاّمةَ عمر باجنيد، ت ١٣٥٤هـ، من كبار علماء الحديث.

الشيخَ العلاّمةَ محمد فاضل كابلي، ت ١٣٧٥هـ.

يروي الشيخ محمد فاضل كابلي، أحدُ أعضاء هيئة العلماء، بأن البعثةَ حين وصلت إلى صنعاءَ التقاهم قائدُ الجيش التركي، ولما عرفَ بطبيعة مهمّتهم سمحَ لهم بمواصلة سيرهمْ، فكتبوا إلى الإمامِ بخَبَرِهِمْ، فأرسلَ وفداً من كبار علماء اليمن لاستقبالهم، ولما وصلوا إلى مقامه عانق كلَّ واحد منهم وهو يقول: «مرحباً بعلماء بيت الله الحرامْ، مرحباً بوفد مهبط الوحي والنور، مرحباً بوفد أقدس البلدان، مرحباً برُسُل السلام، أهلاً وسهلاً بكم في بلادكم، والله ما (نشتي) للنزاعِ ولا (نشتي) سفك الدماء، إنما (نشتي) دين الله وإقامة حدود الله»[1].

= والفرائض، وطلب العلم عن السيد أحمد دحلان والشيخ محمد بن إبراهيم المصري الشهير بأبي حضير والشيخ يوسف الخربوتي، أجيز بالتدريس بالمسجد الحرام سنة ١٣١٢هـ، وأمر الشريف عون بإسناد منصب الإفتاء إليه، قام بمهمة الوساطة بين الإمام والترك، وفشلت المهمة، توفي بصنعاء سنة ١٣٢٥هـ، انظر، سير وتراجم، ١٤٣.

(١) انظر، سير وتراجم، ١٤٩-١٥٠.

ويمضي صاحبُ الرواية «فكان في كلامه جوابٌ لمهمتنا» ولكنَّ الهيئةَ رأتْ أنْ تكتبَ له، ليكونَ جوابَ الإمامِ وثيقةً تسلَّمُ لأميرِ مكةَ علي ابنِ عبدالله الحسني، ليبعثَ به إلى السلطانِ. وقد حاولَ الباحثُ الحصولَ على كتابِ وفدِ علماءِ الحرمينْ، ولم يظفرْ إلاّ بجوابِ الإمامِ المؤرخِ في ٢٨ شعبان سنة ١٣٢٥هـ، وكانَ نصُّ الجوابِ كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمدُلله ربِّ العالمين، القائل : «وإذْ أخذَ ميثاقَ الذينَ أوتوا الكتابَ لتبيّنه للناسِ ولا تكتمونه»، والصلاةُ والسلامُ على القائل: «من كتم علماً ألجمه اللهُ بلجامٍ من نار»، وعلى آله المطهرين من الأرجاسِ، المفضلين على كافةِ الناس، وعلى صحابتِه الراشدين، أولي العفةِ والعزيمة والباس.

أما بعد،

فإنه وصلَ إلينا كتابٌ جليلٌ من علماءِ مهابطِ التنزيلِ ومعارجِ ميكائيلَ وجبريلَ السيدِ الجليل، عبدالله بن عباسْ، ورفقائه التسعة العلماءِ الأكياسِ، أفرغ اللهُ عليهم سحابَ الرضوانِ والتسليمِ، وأوضحَ بحميدِ سعيهم الصراطَ المستقيمِ، وصرفَ عنهم كلَّ شيطانٍ رجيمٍ، ونزَّههم عن خدمةِ ضميرِ كلِّ جبارٍ أثيمٍ، ووفّقهم إلى مطابقةِ مرادِه ومرادِ سلطانِ الإسلامِ، حامي حمى الدينِ القويمِ، متضمّناً للنصيحةِ،

---

(١) انظر، نص الجواب عند، الواسعي، فرجة الهموم، ٢١١-٢١٨؛ زبارة، أئمة اليمن، ٢/ ١٠٤-١٠٩.

معـرّفاً بما دهمَ الإسـلامَ من تكالبِ ذوي الملل القبـيحة، ملوحـاً بما لمْ يكنْ من مُراده، ومن حادّ اللهَ ورسولَهُ، معرّفاً بما هو المعروفُ من حقّ قدرِ سلطانِ الإسـلامِ، أيّدَ اللهُ به الدينَ ونصرهُ على الكفرِ والمـشركينَ، فنقول :

الحمدُلله، الذي أثارَ حفيظةَ حفاظ شريعته لإصلاحِ ما أفسدَهُ ذوو الضلالِ من أحوالِ عبيده وخليفته، فـيالها من نعمة ما أجلَّها، ومن غاية ما أكْملها وأجملها، والحـمدُلله الذي قيّضَ لنا من يفهمُ الخطابَ، ويعرفُ الخطأَ مـن الصـوابِ، ويـدركُ مـداركَ الأحكـامِ، ويحكمُ الشـرعَ الذي ارتضاه لنا الملكُ العلاّم.

وها نحن نقدّمُ نفثةَ مصدورٍ، وزفرةَ محرورٍ.

اعلموا، حمـاكم اللهُ، أنَّ اللهَ وله الحمدُ، اختـارَ لنا ديناً قويماً وهو أشرفُ الأديانِ، فبعثَ به سيّـدَ الرسلِ، سيدَ ولد عدنان، واكملَ لنا ذلكم الدينَ، فقال : «اليـومَ أكملتُ لكم دينكم»، ثم قبضَ اللهُ رسـولَهُ إليه، وقد أوضحَ المنهجَ وأزالَ العـوجَ. فما زالَ الإسـلامُ ينمو ويرتفـعُ والضلالُ ينقصُ ويتّضعُ. وكان كلّما حدثتْ بـدعةٌ أزيلتْ، أو مظلمةٌ ارتفعتْ، حتى تولى ذوو الملكِ العـضوض، فتناقصَ ذلكَ التـمامُ، وتكاثرَ الفـسادَ من عامٍ إلى عامٍ، واختلفتْ على الدين الولاةُ، ومدت الأجانبُ أعناقُها لابتلاعِ الإسلامِ، حماهُ اللهُ، وظهرتْ الفحشاءُ والمنكرُ، وكانَ ما كانَ من مغلوبٍ وغالبٍ، ومكّنَ اللهُ الدولةَ العثمانيةَ من الحمايةِ للدينِ وحفظِ حوزتِه من الكفرةِ المعتدين.

وكانتْ بلادُ اليمنِ بيدِ أسلافنا من الآلِ الأكرمين من المائة الثالثة إلى التاريخِ. ولم ينفكَّ قائمُ الحقِّ عنها، إما متولياً لجميعِهَا أو بعضِهَا، كما هو المعروفُ في تواريخِ اليمنِ، وكانتْ المعاركُ مستمرةً بينَ أسلافنا وبينَ منْ ناوأهم لرغبةِ أهلِ اليمنِ في ولايةِ سادتهم وأولادِ نبيّهم عليهم، واعتقادهم وجوبَ توليتهم ونصرتهم لما يعرفونه من أحوالهم، وأنْ لا إرادةَ لهم غيرُ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ المخوف، وإقامةِ الشريعةِ وتعديلِ المايلِ، وإرشادِ الجاهلِ، وتقريبِ المؤمنين، وإبعادِ الظالمين.

ثم لما توجّه أحمد مختار باشا من الحضرة السلطانية إلى اليمنِ، وكان قائمُ الآلِ في ذلك الوقتْ الإمامَ المحسنَ بنَ أحمد، كان بينهُ وبينَ المأمورين ملاحمُ ثم بعدهم الإمامُ الأعظمُ شرف الدين، ولازالَ ظلمُ المأمورين يتضاعفُ من عامٍ إلى عامْ، وتنوُّعهم في المعاصي وارتكابِ الشهواتِ ظاهراً بلا حيادٍ ولا احتشام، وكلما ظهر شيءٌ من ذلك أو ازداد كثرت البغضاءُ في قلوبِ أهل اليمنِ للمأمورين والعناد. فالإيمانُ يمانٍ والحكمةُ يمانيةٌ.

حتى قامَ والدُنا، رضي اللهُ عنهُ، وقد ضربَ ضلالَ المأمورين بجرانه، وتطاردتْ أفراسُ شهواتهم في حلبةِ الفجورِ وميدانه، فكانَ بينَهُ وبينَ المأمورينَ ما كانَ، حتى مضى لسبيله وألحقَ بحزبِ جدّه الأمين وجبيله، فانتصبْنا لذلكمْ المقامِ حين نفورُ أهل اليمنِ عن مأموري السلطنةِ على التمامِ، ولم نقمْ واللهِ لدرهمٍ ولا دينارٌ، ولا لطلبِ

علوّ ولا فخارٌ، ولكنهُ أكرهَنا على ذلكَ قولُهُ تعالى : «ولتكنْ منكمْ أمةٌ يدعونَ إلى الخيرِ، ويأمرون بالمعروفِ وينْهونَ عن المنكرِ، وأولئكَ هم المفلحُونْ». ونحوها، وما في معناه من صرائحَ الكتابِ. وقولُهُ صلى اللهُ عليه وآله وسلمْ : «إنَّ أوّلَ ما دخلَ النقصُ على بني اسرائيلَ أنه كانَ الرجلُ يلقى الرجلَ، فيقولُ له : يا هذا، اتّقِ اللهَ ودعْ ما تصنْعُ، فإنه لايحلُّ لك، ثم يلقاهُ من الغدِ، وهو على حالتِه فلا يمنعُهُ ذلكَ أنْ يكونَ أكيلَهُ وشريبَهُ وقعيدَه، فلما فعلوا ذلكَ ضربَ اللهُ قلوبَ بعضهم ببعضٍ، ثم قال : «لُعنَ الذين كفروا من بني اسرائيلَ على لسانِ داودَ وعيسى بنِ مريمَ، ذلك بما عصوْا وكانوا يعتدون، كانوا لايتناهوْنَ عن منكرٍ فعلوه -إلى قوله- فاسقون» ثم قال : كلاّ والله لتأمرنَّ بالمعروفِ ولتنهُنَّ عن المنْكَرِ، ولتأخُذُنَّ على يدِ الظالمِ، ولتأطرُنَّه على الحقِّ أطراً» ونحوها مما تواتر معنى، ثم كانَ بينَ أهلِ اليمنِ وبينَ المأمورين ما كان. وكان منّا غايةُ الإحسانِ إلى اتباعِ سلطانِ الإسلامِ كما عرفه من له بما كانَ أيّ المامِ، وعُقدَ الصلحُ بيننا وبينَ المأمورينَ مؤكّداً بذمةِ الله تعالى وذمةِ رسوله وذمةِ سلطانِ الإسلامِ، مع إغفالِ النظرِ عن إمكانِ الغدرِ وخفرِ الذممِ مع قولِ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وآله وسلم: «يجيرُ على المسلمين أدناهم»، فلم يرُعْنا إلا محرراتٌ من الحاج أحمد فيضي باشا مشعرةٌ بما تقشعرُّ منه الجلودُ من نقضِه لتلكم العهود، فراجعناه ونصْحناه وأعلْمناهُ بما في خفرِ ذمةِ الله من التعرضِ للوبالِ والاستعجالِ للنكالِ فلم يزدْد ذلك إلا شدةً وثقةً بما في يدِ غيرِ الله من العددِ والعدةِ، فكان ما كان من خرابِ الدورِ وسفكِ الدماءِ وذهابِ

الأموال، ولم يكنْ منّا غيرُ مجرد الدفاع المأمور به شرعاً، ثم أردْنا السكونَ والاشتغالَ بما أماتَهُ المأمورون من إحياء العلم الشريف، وإقامة شرع الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس معالمَ الدين، وإرسال المعلمينَ إلى القرى لتعليم أهلها الصلوات، هذا في البلاد التي لا أمرَ للمأمورين فيها، فلمْ يثرْنا إلا تجاوزُ يوسف باشا الحدود وتبنيدُ الأبناد وتجنيدُ الجنود، ودخولُهُ إلى أطراف بلاد حاشدْ، وإلى ما هو بأيدينا، فلمْ يسعْنا السكوتُ، فكانَ ما كان.

نعم : والمأمورون لم يزالوا يثيرون غضبَ السلطان على أهل اليمن ويستمّدون منه الأجنادَ المترادفةَ والأموالَ المتكاثفةَ ويغرونه باستئصال أهل البيت النبوي والدين المصطفوي، وينسبوننا عَنْدَهُ إلى الخوارجِ والرافضة وربما يخرجوننا عن دائرة الملّة المحمديّة، ولا والله مالنا من مذهب غيرَ ما كانَ عليه خيرُ القرون والسلف الصالحون. وإنا لنبرأ إلى الله من الخوارجِ والروافض وأهل البدع المحدثة، والمأمورون يعرفون ذلكَ منا، لكنّه ما حداهم إلى ذلك إلا باستمرار القتال والتنقّل من حال إلى حالْ، فتراهم يحسبون على الأموال الأميرية ما يأخذونهُ على الأهالي بيد العدوان. ويضاعفون أجرَ الحيوانات. على أنهمْ كثيراً ما يغتصبونها ولا يُعطون أهلَها شيئاً، ومع ذلكَ فهمْ على اللّذات والشهوات عَاكفونَ، وعلى التفنن في الفجور يتنافسُ المتنافسون، تنكرُهم المساجدُ والجوامعُ، ويجحدُهم شهرُ الصوم الذي هو لكلِّ خيرٍ جامع، وتعرفُهم الكؤوسُ والأقداحُ، وَتَصافيهمْ الربابُ

ورناتُ الملاح، وكلُّ هذا بيّن واضحٌ، سترونه عياناً، إنْ لم يُضْرَبْ عنكم الحجابُ، وتوصد الأبواب. ومع ذلك تراهم يصادقون لرابطة عداوتنا كلَّ ضال، حتى أنهم يقرّبون الباطنيةَ الكفرةَ، ويعطونهمْ كثيرات الأموال، ولا وأيمُ الله، ما هنالك بينهم من جامعة غيرُ عداوتنا، آل محمد، مع أنَّ مصادقَتَهم لمثل الباطنية مما يزيدُنا إلى الناس حُباً، ويزيدُهم إليهم كراهةً وبغضاً، واسألوا أهلَ الإنصاف عن جميع ما حرَّرْناه، ولقد أكثرَ المأمورون على سلطان الإسلام تزويرات الكلام، حتى خيَّلوا إليه أن محاربَتَنا أقدمُ من محاربة الكفّار الطغام، وشغلوه لمحاربة آل النبيِّ المختار:

يا قلبَهُ القاسي ورقةَ خصره هلا نقلْتَ إلى هنا منْ ههنا

وفي خلال المدة السابقة، أرسلَ سلطانُ الإسلام، أيّدَ اللهُ به شريعةَ سيّد الأنام هيئةً بعدَ هيئة ومفتشين بعدَ مُفتشين، وكلّما خرجَ منهمْ أحدٌ تلقّاهُ المأمورونَ بالإحسان، وأدخلوا عليه منْ لايتكلّمُ بغير مرادهم، وحالوا بينَهُ وبينَ ما هو مأمورٌ بإمضائه، وسيكونُ ذلكَ أو نوعَ منهُ معكمْ أو قدْ كانَ، حتى لقدْ أرسلْنا كتباً عديدةً إلى الباب العالي من طرق شتّى، فلمْ يُعدْ لنا جوابٌ رأساً، لاحتفال المأمورين بردِّها عن ذلكم البابِ، ومنعها من خرق الستر والحجاب.

هذا، وأما الأحكامُ الشريعةُ فما كأنهمْ أمروا بغير هدمها، ومحو اسمها وطمس رسمها فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

انتهتْ الشقشقةُ مع قبض لرَسَنِها شديد، فهي تنادي بِهَلْ منْ

مزيد، عَوْداً على بدء النصيحةُ مقبولةٌ، غير أنا نحبُّ أن تطّلعوا على ما دارَ بيننَا وبينَ الحاج أحمد فيضي باشا، ومن كاتبَ إلينا من المأمورين، لتعرفوا مسلكنَا في الإنصاف، وبعدَنا عن الميل، والاعتساف، وما كانتْ دارتْ به رؤوسُ المراجعة، وستعرفون حقيقةَ الحال وها نحن ننشدُكم اللهَ والإسلامَ، هل تجدون ناسخاً لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف، أم هل تجدونَ من محرّم للدفاع عن الأموال والأعراض والنفوس والبنات والبنين، أم هل من مانع لقتال من أضاعَ أركانَ الإسلام، أم هل من تثريب على منْ اقتفى أثرَ آبائه، قرناء القرآن، والحجة على الإمة في كلِّ عصرٍ وأوانٍ الذينَ أوجبَ اللهُ محبَّتهم على بني الإنسان.

أمْ هل من ناسخ لآيات «ومنْ لمْ يحكمْ بما أنزلَ اللهُ». وإنّا نحذرُكُمْ من دسائس المأمورين، فإنَّ لهم طرقاً إلى جلْب أمثالكمْ إلى اتباع مقاصدهم، كما انتخُبوا لخدمة أفكارهم أناساً من أهل اليمن، وجعلوهم آلةً في كلِّ مكان، حتى بلغَ بهم الحالُ أن أرسلوهم للوفادة على الجانب المملوكي، للتعبير عنهمْ بما علموهم، كما يفعلونهُ إذا وصل مثلُ حضراتكم ناصحاً أو مفتشاً، فهم يمرونَ عليه في كلِّ يومٍ بأماكن الأمراء، ويدّسون بأقوال، لايعبأون ولا يبالون بظهور الكذب فيها والافتراء.

ثم ابحثوا عن العلّة الباعثة، فإنّه من عرفَ الداءَ عرفَ الدواءَ.

وإنما نمدُّ إلى الله أكفَّ الابتهال، أنْ يجعلَ على أيديكم جبرَ كسرِ

اليمنِ الـميمـونِ، وأنْ يقذفَ في قلبِ سلطانِ الإسـلامِ الرحمـةَ والرأفةَ، باستدراكِ حشاشهِ أهله، فهم مؤمنون،

وشريفَ السلامِ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه

ثقفَ في يومِ الأحدِ، ثامنَ وعـشرين شعبانَ الوسـيم سنةَ خمسٍ وعشرين وثلاثمائة وألف، ختمها اللهُ بخير

وصلى اللهُ على محمدٍ وآلهِ وصحبهِ وسلم انتهى

كان ردُّ الإمامِ مطوّلاً مفصلاً، حيثُ عرضَ لأهميةِ الدين الإسلامي في تنظيمِ حياةِ البشـرِ، ودورِ الرسولِ، صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم، في تبليغِ الرسالةِ، وقدّمَ شرحاً مفصلاً لسيرةِ أسلافه، حكّامِ اليمنِ منذ القرنِ الثالثِ الهجري حتى وقته، بما فيه نهوضُ والدهِ وإمامته.

وعاودَ الإمامُ تفصيلَ ما ارتكبَهَ وما يرتكبُهُ المأمورون من مفاسدَ ومعاصٍ وآثامٍ، ثم سردَ الفـظائعَ التي اقترفها أحمدُ فـيضي باشا بحقِّ اليمنِ وأهـله، وكيفَ حنثَ بالعـهودِ والعقـود، وما سـاقه من افـتراءاتٍ للسلطان بـقصـدِ تشـويهِ المـذهبِ الزيـدي وأتباعـه، فـهـو يصـفُـهم بالروافضِ والخوارجِ في حـين يقرّبُ إليه الباطنيةَ الـكفرةِ باشارةٍ إلى باطنيةِ حرازٍ ويخـبرُ الوفدَ بمحاولاته العـديدةِ للاتصالِ بالسلطانِ عن طريقِ الرسائلِ تارةً والوسطاءِ تارةً أخرى، وبطرقٍ ووسائلَ شتى، فلمْ يصلْهُ أيُّ جوابٍ من السلطان.

ويؤكدُ الإمامُ بأنَّ المأمـورينَ يخفون حقيقـةَ ما يجري في اليمنِ عن السلطانِ ويعـزو ذلك لأغـراضٍ في أنفـسهم وحـفظاً لمكـاسبِـهم،

وأوضحَ أنَّ المأمورينَ يتلاعبون ويتحايلونَ على الهيئات والوفود التي يبعثُ بها السلطانُ لاستقصاء أحوال اليمن ووضع لوائحَ لإصلاحه، آخرُها كانَ وفدَ أعيانِ اليمن الذي سافر إلى استانبولَ.

ويحثُّ الإمامُ وفدَ العلماء على قيامهم بدورٍ فعّال اتجاهَ قضية اليمن بقوله «ابحثوا عن العلة الفاعلة، فإنَّه منْ عرفَ الداءَ عرفَ الدواءَ وثُمَّ يقول، وإنما نمدُّ إلى الله أكفَّ الابتهال أنْ يجعلَ على أيديكم جبرَ كسر اليمن الميمون، وأن يقذفَ في قلب سلطانِ الإسلامِ الرحمةَ والرأفةَ باستدراك حشاشة أهله، فهم مؤمنون».

وفشلتْ كلّ المساعي والوساطات ليبدأ فصلٌ جديدٌ من صراعِ الإمامِ يحيى مع الأتراك، بعدَ أنْ خابتْ كلُّ المحاولات للالتفاف على شروطِ الإمامِ للصلح.

الفصل الثالث

المسألةُ اليمنيةُ في استانبول

المبحث الأول : وفدُ الإمامِ يفاوضُ في استانبول

أثبتت المعاركُ التي وقعتْ بينَ العساكرِ العثمانيةِ والقواتِ الإماميةِ على مدى السنواتِ ١٣٢٢هـ-١٣٢٧هـ، عدمَ قدرةِ أيٍّ من الأطرافِ المتحاربةِ على حسمِ نتائجِ المعاركِ لصالحه، فلا العثمانيون استطاعوا القضاءَ على ثوراتِ الإمامِ يحيى المتواصلة، ولا الإمامُ وقواتُهُ تمكنتْ من إرغامِ العثمانيين على القبولِ بمطالبِه المعروفة، ولا الإقرارِ بوضعٍ خاصٍّ للإمامِ في مناطقِ سيطرته.

ويبدو أنَّ حالةَ عدمِ الثقةِ بينَ الإمامِ وأحمد فيضي، ساهمتْ إلى حدٍّ كبيرٍ في إفشالِ جهودِ الهيئاتِ الإصلاحية، إذ كان أحمد فيضي نفسُهُ يعملُ بشتى الوسائلِ لإعاقةِ الصلحِ والالتفافِ على جهودِ الهيئاتِ والمفتشين الذين كلّفوا بدراسةِ أحوالِ اليمن، واقتراحِ خططِ الإصلاحِ، ورفعِ المظالمِ عن اليمنيين[1]. ويتّفقُ المؤرخون على فظاعةِ وبشاعةِ الأساليبِ التي كان ينفذها المأمورون لإخمادِ ثوراتِ أهلِ اليمن، وخاصةً أحمد فيضي باشا، فقد أخذَ الناسَ بالشبهةِ، وأحرقَ ودّمر

---

(١) كان آخرها، اللائحة التي قدمها الشيخ العلامة، عبد الرحمن بن أحمد الياس المدني، المدرس بالحرمين الشرفين بتاريخ ٩ شوال ١٣٢٦هـ، ٣ تشرين الثاني ١٩٠٨، انظرها في مجلة مؤتة للبحوث والدراسات (سلسلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد ١١، العدد ٣، ذو القعدة ١٤١٦هـ، نيسان ١٩٩٦، ص ١٨١-٢١٢، دراسة وليد سليم العريض.

وخرّب مئات القرى، يرمي البلدانَ بالعساكرِ الكثيرةِ العدد، المزودةِ بالآلاتِ المدمرةِ كالمدافعِ والبنادقِ، وتؤكدّ الوثيقةُ المحفوظةُ في لندن، PRO ورقمها FO.406/23-24, IOR/20/A/1220. بشاعةَ ممارسةِ أحمد فيضي تجاهَ اليمنِ وأهله Sir N. O'Conor to the Marquess of Landsdowne

استُلمتْ في ١٨ ديسمبر

رقم ٩٨٠، سري

سيدي اللورد

يشرّفُني أن أقدّمَ لفخامةِ اللورد مذكرةً مرسلةً من ترجمانِ سفارةِ جلالتِه تتعلقُ بالأوضاعِ في اليمن

خادمكم

N.R.O'Conor

الخطاب المرفق برقم ٦٧

مذكرة من السيد لامب

رقم ٣٨٢ (سري)[١]

في حديثٍ لي مع عربيٍّ له مكانتُه، أفادَ بأنَّ الوضعَ الحالي في اليمن مأساويّ، وكما أفاد وهو في موقعٍ يؤهّلُهُ ليكونَ لديه معلوماتٌ جيدةٌ وكافية –بأنَّ الأتراكَ، ومنذُ إعادةِ احتلالِهم لصنعاءَ، لم يبذلوا أيَّ

---

(١) انظر، الواسعي، فرجة الهموم، ٢٢٠، و

State of Yemen after Turkish re-occupation of Sana' O'Conor to Lands down, 18 december, 1905, enclosing Memorandum by Harry H. Lamb, Constantinople, 8 december, 1905.

محاولة لإعادة بناء الإدارة المدنية، وذلك لأنَّ فيضي باشا، القائدَ والآمرَ الوحيد، صرفَ كلَّ جهوده لمعاقبة والاقتصاص من الأهالي، وارسال الحملات العسكرية في البلاد شمالاً ويميناً، بهدف تخريب وحرق القرى وقتل الشباب واستعباد النساء، وقد اعترفَ فيضي بأنَّ أكثرَ من عشرة آلاف من السكان قد عوقبوا بهذه الطريقة على أيدي كتائب العسكر، وأنَّ البنات اليمنيات قد وصلْن القسطنطينيةَ كإماء وعبدات.

وفي المحصلة، فقد صرّح المصدرُ، بأنَّ العربَ يَروْنَ الأملَ في الحصول على قسط من العدالة والحرية إذا تدخّل البريطانيون، ومع ذلك أضافَ، فإنَّ فرصَ نجاح مثل هذا التدخل تبدو ضئيلةً بسبب الظروف الحالية للقصر (السلطان).

توقيع

هاري، اتش، لامب

Harry H. Lamb

القسطنطينة ٨ ديسمبر ١٩٠٥

ويبدو أنَّ القصرَ السلطانيَّ والصدارةَ العظمى، أدركا أنَّ عواملَ الصلح تبدو مستحيلةً مع بقاء فيضي باشا والياً على اليمن، وكانَ قد تولى الصدارةَ العظمى كامل باشا في ٥ أغسطس ١٩٠٨، وأعيدَ العملَ بالدستور، وطرحتْ رؤيا جديدةٌ لمعالجة أوضاع اليمن، فجرى عزلُ فيضى باشا عن ولاية اليمن، وعُيّنَ حسن تحسين باشا، الذي تصفُه

المصادرُ اليمنيةُ بالرجل العاقل، فَقَدْ سكنت الفتنةُ في إيامه، وعَقَدَ هدنةً مع الإمام، بانْ لايتعدّى أحدٌ على الآخر، كلُّ أحد في جهته، والإمامُ يحكمُ بالشرع في جهته كما يحبُ[1]. وقابلَ الإمامُ ذلكَ بإطلاق أسرى الحرب من الأتراك، بعدَ إطلاق الدولة السجناءَ اليمنيين الذين كانَ فيضي قد نفاهُمْ إلى رودس وإزمير وغيرها. بل وأكرمَ الإمامُ الأسرى من الأتراك بكسوتهم، وأمر بإيصالهم إلى محلّ الخصيب من حَجَّةَ، ودفعَ لهم أُجرةَ مركوبهم ومصاريفَهم حتى وصلوا إلى الحديدة[2] ووصلت دعوةُ الصدر الاعظم كامل باشا إلى الإمام في القَفْلَة مع اثنينْ من السادة الذينَ كانوا منفيين في إزمير وهما، السيد عبدُالله بنُ حسين بن المتوكل أحمد، الملقب بالذعرور، والسيد محمدُ بنُ عبدالله الشرفي الملقب بالمزيقر، وتتضمنُ الدعوةُ ترغيبَ الإمام وحثَّه على إرسال بعض خاصّته، من المعتمدينَ لديه، للمراجعة مع السلطان والوزراء فيما به صلاحُ أمور الدين وتسكينُ القلاقل وإخمادُ نيران الحرب، ومع أن مؤرّخَنا يذكرُ «وهنا بقي الإمامُ، حفظهُ اللهُ، يكرّر الحَيْرةَ ويتابعُ أخذَ المشورة»، فإننا نرى أنَّ الإمامَ يحيى كان يتحيّنُ الفرصةَ للاتصال المباشر بالسلطان، ولكنَّ المشورةَ كانتْ في اختياره لأعضاء الوفد، حيثْ المسافةُ البعيدةُ، وصعوبةُ تشاوره مع أعضاء الوفد، وبعدَ طول نظر وتدقيق، انتدبَ للمهمة ثلاثةً من الأعيان، وهم :

---

(١) الواسعي، فرجة الهموم، ٢١٩.

(٢) تقييد حوادث، ٥٢.

- العَلاَّمَةُ القاضي سعدُ بنُ محمد بنِ عبدالله الشرقي، رئيسُ الوفد، وعضويةُ كلٍّ من،
- العلامة عبدالله بن ابراهيمَ بن أحمدْ بن الامام، الحسني الصنعاني.
- والعلاَّمة السيد محمد بنِ أحمدْ بن عبدالرحمنِ بنْ هاشم الشامي.

إن بسطَ سيَرِ هؤلاء العلماء، يدلُّ على صوابِ اختيارِ هؤلاء، فالعلامةُ سعدُ بنُ محمد الشرقي، له صحبةٌ طويلةٌ مع الأئمة، المحسّنُ بنُ أحمد، ١٢٧١هـ-١٢٩٥هـ، ثم مع والدِ الإمامِ يحيى، الإمامِ المنصورِ باللّه، الذي هَاجرَ إليْه سنة ١٣٠٧هـ، وبقي مناصراً له ولابنه يحيى وكانتْ له مواقفُ معروفةٌ في المعارك، وابنُهُ محمد على جانبٍ عظيمٍ من الزهدِ والورعِ وحسنِ الأخلاق، أحسنَ في ولايته لقضاء حَجُورِ الشامِ، فالقاضي العلامةُ سعدُ بنُ محمد الشرقي، كان صلباً، شاركَ في قيادةِ المجاهدين ضدَّ العثمانيين، زاهداً في متاعِ الدنيا، قد جاوزَ الثمانينَ من العمرِ، فلا أربَ لهُ في جاريةٍ حسناءَ أو محظيةٍ فَتَّانة.

أمّا السيدُ العلامةُ عبدُالله بنُ ابراهيمَ بن أحمدْ، فهو من آلِ البيت، من نسلِ الإمامِ القاسمِ بنِ محمد، جمعَ بين الرئاسةِ والعلمِ، قادَ حملاتٍ عسكريةً إماميةً ضدَّ الأتراك، وخاصةً في حصارِه للأتراك في إب سنةَ ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، وقيادةِ حملاتِ ذيفان، وصفَهُ الإمامُ يحيى بأنه : «كان من بكرةِ كلِّ يومٍ حاكمَ الحضرةِ، وشيخَ الإسلامِ، ومن بعدِ الظهرِ إلى قبيلِ المغربِ، وزيراً أعظمَ، ومن بعدِ صلاةِ العشاءِ إماماً أعظمَ

لقيامه بكلِّ أعمالِ المملكةِ وتدبيرِه كلِّ الأمورِ على أبلغِ الوجوه»[1].

ولهذه الصفات انتدبهُ الإمامُ ليكونَ عضواً في الوفد، لخبرته في ميدانِ السياسة، علاوةً على إتقانه اللغةَ العثمانيةَ قراءةً وكتابةً ولساناً، ثم صلابتُهُ العسكريةُ وسيرتُهُ المعروفةُ بالنزاهة والعدالة إبانَ تولّيه الأعمالَ، وصلتُهُ الجيدةُ مع القبائل، لاسيما وأنه كانَ قدْ درسَ على الإمامِ المنصورِ بالله محمد والدِ الإمامِ يحيى، فهو ثقةٌ ومأمونُ الجانب، صعبُ المراس.

وأما العضوُ الثالثُ، العلامةُ السيدُ محمدُ بنُ أحمد الشامي، فقدْ كانَ عاملَ الإمامِ على شُهارَة، سارَ بالناسِ سيرةً حسنةً، قادَ عدةَ معاركَ في اليمنِ الأسفلِ ضدَّ أحمد فيضي باشا وانتصرَ عليه، وقيلتْ في نصرِه القصائدُ وتغنى الشعراءُ بمدحه.

كانَ صلبَ المعترك في القتال، شجاعاً، له خبرةٌ في العملِ السياسي والمفاوضات، صاحبَ ديانةٍ ونزاهةٍ وعدالة[2].

لقد رمى الإمامُ يحيى الأتراكَ بثلاثةٍ من خيرةِ رجاله، جربوا السياسةَ وأحابيلَها ودخلوا دهاليزَها، ذويِ مراسٍ في القتالِ وفنونه، عُرفوا بصفاء السريرة والإخلاص والعدالة، لانفاذَ للسهامِ الباحثة عن خلَلٍ في نفوسِهمْ، رغبةً أو رهبةً، متعةً ولذةً أو حرماناً وحسرةً. وجُهِّزَ

---

(١) انظر، نزهة النظر، ٢٦٧.

(٢) انظر، نزهة النظر، ٥٠٧؛ هجر العلم ومعاقله، ١١٠١؛ الدر المنثور، ١/١٦٩-١٧٠، ٢/٢٩٥.

الوفدُ بما يلـزَمُهُ من مرافقينَ وأمـوالٍ، إضافةً إلى مبـالغَ أخرى، يجرى إنفاقُها إذا مـا وقعتْ أحداثٌ في استانبول تحـولُ دونَ وصولِ ما يطلبُهُ أعضـاءُ الوفد، فكأنَّ الإمامُ يحـيى يتوقّع أحداثاً جـساماً في استـانبولَ تحـولُ دونَ الالتـفـات إلى الوفـد، فـتكونُ لطوارىء الإقـامـة والعـوْدِ والضيافة. وغادرَ الوفـدُ قَفْلَة عذَر براً إلى الحُدَيْدة، وعلى طولِ الطريقِ، ومنازلِ الإقامة، لقى الوفدُ الـترحيبَ والضيافةَ، وقيلتْ قـصائدُ التأييدِ بمدحِ الإمامِ والثناء على علمه ومناقبه في حضرة الموظفينَ العثمانيينَ، وفي مراكـزِ إداراتهمُ الرسميـة. وأمضى الوفـدُ في استانبـولَ ماينيفُ على ستة شهور، بدءاً من ١٧ محرم سنة ١٣٢٧هـ. وقد سجلَ سعدُ بنُ محـمد الشرقي في كتـابه تقييـدَ حوادث إنشاء الجـهاد الثاني، طبيـعةَ المحادثات والمفاوضات التي أجـراها الوفدُ في استانبولَ مع الصدارة العظمى والوزراء والقيـادات العسكرية التركـية، فَبَعْـدَ نزولِ الوفد دارَ الضيـافة (مسافـر خانه) استـدعاهمْ ياوَرُ الصدارة العظمى، لمـقابلة، كامـل باشا، حـيثُ تسلّمَ رسالةَ الإمـامِ يحيى المـبعـوثةَ إلى السلطانِ عبدالحميد.

وعلى الجـانبِ الآخر، فإنَّ الإمـامَ كانَ على درايةٍ بـالأوضاعِ في استانبـولَ، يتوقّعُ حدوثَ أمرٍ مهمٍ للسلطانِ عـبدالحميد بسـببِ احتدامِ صراعه مع جمعـيةِ الاتحادِ والترقي، اضافة إلى معرفـته بوجودِ علماء وأعيـانٍ منْ العربِ مقـيمين في استـانبول، أمثـالَ محمـود نديم باشا والشـيخِ العـلاّمـةِ عـبدالرحـمن بن أحـمـدْ اليـاس المـدني، المـدرسِ

بالحرمينْ، والذي استقرَّ به المقام في استانبول، وقد أرسلَ إليه الإمامِ عشرةَ ذهبيات إكرامية، علّه يساعد الوفد في مهمته. لقد شهدتْ المحادثاتُ العديدَ من المناورات منْ قبل العثمانيين، ولكنّ صلابةَ الوفد وتمترسَهُ وراءَ أهدافه، وطبيعةَ موازينِ القوى في اليمن، أفشلتْ كلَّ المحاولات العثمانية بجرِّ الوفدِ إلى حلولٍ لايرتضيها الإمامُ.

ففي لقاء ضمَّ منْ الطرف العثماني : الصدرَ الأعظمَ، كاملْ باشا، وناظرَ الحربية، عليّ رضا باشا، وناظرَالداخلية حسين حلمي باشا ورئيسَ شورى الدولة حسن فهمي باشا ومن الطرف اليمني، السيدَ العلاّمةَ عبدَالله بنَ ابراهيمَ بن أحمد، والسيدَ العلاّمةَ محمدَ بنَ أحمد الشامي، وبحضور كلٍّ منْ، عبدالله بن حسين، الذعرور ومحمد بن عبدالله الشرفي مزيقر، والبكباشي أحمد شوقي والياور أحمد ابنْ محمد الخباني، عاودَ الصدرُ الأعظمُ، كاملْ باشا تقديمَ العرض السابقِ برحيلِ الإمامِ من اليمن، على أنْ يخصّصَ لهُ معاشاً واسعاً، مثلَ راتبِ ومعاشِ أميرِ مكة، ويسكنَ حيثُ شاء.

وكانَ الردُّ اليمنيُّ حاسماً وقاطعاً «إنَّ ذلك لاتسكنُ به الفتنُ، وإنَّ ذلكَ يستدعي تجدّدَها، وحدوثَ حادثاتٍ أظلمَ مما قبلَها»[1].

ولجأ العثمانيون إلى وسيلة أخرى، بأنْ دفعوا الوفدَ لزيارة شيخِ الإسلامِ، جمال الدين أفندي، حيثُ رحّبَ بهمْ شيخُ الإسلامِ، وأبلغَهمْ

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ٧/١١.

بعربية سليمة، أنهُ حَسَني النسبُ، وطرحَ عليهمْ جهودَهُ لتشكيلِ جمعية علمية (مؤتمر)، يدعو إليها العلماءَ الأعلامَ من كافة المذاهبِ الإسلامية، سنّةً وشيعةً ومعتزلةً وأشاعرةً، لإزالة الخلاف، والإجماعِ على ما يحصلُ به الإئتلافُ بينَ أهلِ المذاهبِ حولَ «مسألة الإمامة»، لما لها من خصائصَ دينيةٍ وسياسية.

وقد أردكَ الوفدُ مراميَ شيخِ الإسلامَ، جمال الدين أفندي، وفرطَ دهائه السياسي، فكانَ الردُّ مانعاً بأنَّ الإمامةَ ووجوبَها وشروطَ من يتولاها حدَّدَتْها الشريعةُ دونَ لبسٍ أو غموضٍ، وهي ليستْ موضعَ اجتهادٍ أو مؤتمرات[1].

كما قامَ الوفدُ خلالَ وجوده في استانبولَ بالاتصال مع القوى السياسيةِ والاجتماعيةِ والدينيةِ لشرحِ قضيةِ اليمن، وبسط أصولِ الفقه الزيدي ونزاهته عن شنيعِ ما يرمى به من مقالِ المأمورين. ونجحَ الوفدُ في كسبِ عطفِ جمعيةِ الاتحاد المحمدي، المؤيدة للسلطان، من خلالِ اجتماعاتٍ تحدَّثَ فيها السيدُ العلامةُ عبدُالله بنُ ابراهيمَ بلسانٍ تركي صحيحٍ، وشرحَ أهدافَ الإمامِ وما يطالبُ به وكانت:

- إقامةَ الشريعة المحمديةً.
- إقامةَ الحدودِ على الخاصِّ والعام.
- الجريانَ على حكمِ كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه.

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ٨١ب.

- الاقتداءَ بخيرِ القرون[1]

وهي عينُ ما تدعو إليه جمعيةُ الاتحادِ المحمدي،

ثم كانَ للوفدِ لقاءٌ مع حسين حلمي باشا بعدَ تولّيه للصدارةِ العظمى خلفاً لكامل باشا الذي عُزل، بسببِ عدمِ فوزه بثقةِ مجلسِ المبعوثان في ٢٢ محرم ١٣٢٧هـ ودارَ الحديثُ حولَ ما يطلبُهُ الإمامُ، واستغربَ أعضاءُ الوفدِ السؤالَ، لأنَّ ما يطلبُهُ الإمامُ قد أوضحَ في رسالته التي حملَها الوفدُ. وبعدَ نقاشٍ، أجابَ الوفدُ : «مرامُ الإمامِ الجبالُ، لأن السلاطينَ الأولينَ من بني عثمانَ، أقرّوا لأسلافه بذلك، الولايةُ على الجبالِ وتهامة» وأنهُ لايريدُ إخلاءَ الدولةِ العثمانيةِ عن الأساكل، (الموانىء والبنادر) وذلكَ للتعاضدِ على دفعِ الأجانبِ، بريطانيا وإيطاليا، عن ديارِ الإسلامِ وبحركةٍ انفعاليةٍ كان ردُّ حسين حلمي باشا، بأنه لايمكنُهُ أنْ يبلِّغَ الناسَ بهذا، ولو فعلَ، لصبَّ الناسُ لعناتهمْ عليه، وكانتْ إجابةُ الوفد، وبكلِّ هدوء، طلبت منا التفاصيل، وهذه هي التفاصيل. ولكن حسين حلمي اختارَ خمسة من كبار رجالِ الدولةِ ليكونوا لجنة (قميسون). لاتمامِ المفاوضاتِ واقتراحِ خطةٍ لتحقيقِ الصلحِ، وتشكلت اللجنةُ (القميسون) من : عزت باشا، رئيسِ أركانِ الحربِ العمومي، وحسين أفندي، مفتشِ الأوقاف، وفريد باشا من ذوي الخبرةِ في الشئونِ اليمنية، صهرِ السلطان وشاكر باشا، سرياور، وعبدِ الرحمن أفندي، ناظرِ الحربية، وبعدَ اجتماعاتٍ عدة تقرّر، قسمةُ

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ٨٥أ.

اليمنِ إلى قسمين :

- قسمٌ يتولاه الإمامُ، ويضمُّ المنطقةَ من حجورِ إلى منزلِ الأصم، أي قضاء حجور القَفْل والشاهل وبنو مَدْيَخَة وحَجُور أبو منصر وقضاء حَجَّة وقضاء كَوْكَبانَ والطَويلة وعَمْرانَ وقضاء صنعاء وقضاء آنس وقضاء ذَمَار ويَرِيْم والحَيْمَةَ ومنْ قضاء قعطبةَ ما كان محادداً للانجليز في عدنْ، ويكونُ اسمُها «ولايةَ دولةِ الجبال».
- قسمٌ تتولاه الدولةُ العثمانيةُ ويضمُّ قضاءَ رَداع وجبل حَرَاز والموانىءَ الساحلية.
- القبولُ بوجودِ والٍ عثماني في صنعاءَ، برفقته طابورٌ من العساكرِ العثمانية، حُدِّدَتْ صلاحياتُهُ كما كانتْ صلاحياتُ أحمد مختار باشا في مصر، على أنْ تجري عليهم أحكامُ الشريعةِ وإقامةِ الحدودْ.
- الحقوقُ والواجباتُ الشرعيةُ في كلِّ هذه البلادِ تكونُ منوطةً بالإمام، وليسَ على الإمامِ إلا دفعُ ١٥٠٠ ريالٍ في كلِّ شهرٍ معونةً في إدارةِ الطابور.
- تكونُ صنعاءُ تحتَ أمرِ (سيادة الإمام).
- للإمامِ الخيارُ في سكنى صنعاءَ أو أيِّ مكانٍ آخرَ يريدُه[1].

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ٨٦أ.

وبعيداً عن تحليل الإتفاق، وما فيه من ايجابيات وسلبيات، نشيرُ إلى أنَّ الإمامَ لم يكن يدعو في أي مرحلة من ثورته إلى الانفصال التام عن الدولة العثمانية وبخاصة في هذه المرحلة، فهو لايرغبُ بوصمه بالمتمرد على خليفة المسلمينَ، ثم إنَّ إضافةَ كلمة دولة «ولاية دولة الجبال» تطرحُ النهجَ المستقبليَّ في المرحلة القادمة، وأما الوالي العثماني في صنعاءَ فنفوذُهُ كان صورياً، والأموالُ والواجباتُ والزكواتُ كانت تؤول إلى الإمام، ثم إنّ الإمامَ كان يدركُ ما يجري في البحر والمحيط من تنافس دوليٍّ بينَ بريطانيا وايتاليا، وليستْ لديه القوةُ المدرعةُ للدفاع عنها، فلا بأسَ من اسناد المهمة للقوات العثمانية.

وعلى الجانب الآخر، فقدْ نشرتْ جريدةُ المؤيّد التي يرأسُها الشيخُ علي يوسف في العدد ٥٨٤٣ تاريخ ١٩٠٩/٨/١٥م، مشروعاً لإصلاح خطة اليمن، قالتْ إنّه عُرِضَ على مجلسِ الأعيانِ، ويتكون من ستِّ مواد:

المادةُ الأولى : تقسيمُ ولاية اليمن إلى ولايتين، ساحلية وجبلية، فتتناولُ الولايةُ الساحليةُ، قسمَ تهامة وهو السهلُ والساحلُ، وتتناولُ الولايةُ الجبليةُ أقضيةَ عَمْرانَ وحَجَّةَ والطَويلة وحَجُور وذَمَارْ وآنس.

المادةُ الثانية : تفوّضُ الولايةُ الجبليةُ إلى الإمامِ يحيى حميد الدينْ والساحليةُ إلى أحد ذوي الكفاءة والاقتدار.

المادةُ الثالثة : يفوّضُ متولو زمامِ الإدارة في الولاية تفويضاً تاماً

بانتخاب القضـاة والعمال والمأمورينَ، وفقـاً للأحكام الشرعية، وانتـخاب رجـال الدرك (الجندرمـة) من الأهلين، ويـشتـرطُ أن تُعْرَضَ أسماءُ القضاة والعمال والمأمورين على مركز السلطنة.

المادةُ الرابعـة : تفوّضُ الولايتان بالإنـفاق من الأموال التي تجنيـانها، فإن بقي رصـيدٌ يُرسلُ إلى مركز السلطنة، ويبـذلُ قسمٌ منهُ في سبيل الترقيات المحلية.

المادة الخامسة : يكونُ قضاءُ مَنَاخةَ مركزاً للجيش، مع بقاء قوة كافية في صنعاءَ تحتَ إمرة أحد القواد المـعتبرينَ، للمناظرة على الأمن العام، ولكنْ، لايتركُ جندٌ في الأقضيـة التي يتخذُها الإمامُ مركزاً له، بلَ وتوضعُ قوةٌ من الجند في تهامةَ لتأييد الأمن العام.

المـادة السادسـة: يتطلبُ من الذوات (الأشـخاص) الذينْ يعـينونَ في الولايتين أنْ يقـدّموا لمركـز السلطنة في نهاية كلِّ سنة ميـزانيةً تبينَ فيها الايرادات والنفقات فصلاً فصلاً.

ولا ندري مـدى الدقة في المـشروع الذي نـشرتْه المـؤيد، فليسَ لدينا ما يؤيّدُهُ من مصـادرَ عثمانية أو يمـانية. وبالعكس من ذلك، فإنَّ جوابَ الإمام يحيى لصاحب الجريدة، المنشور في فرجة الهموم ينبىءُ باسـتـمرار الإمـام وثبـاته على مطالبـه دونَ تراجع : «فـمـا هذه التي تدعوهم إلى الحرص على هذه القطعـة الحقيرة مع أن فيهـا من يقيمُ بها الحقَّ، وينفي الباطل، ويمنُعْ الـتطاولَ إليها، وقد علمـوا وإن تجاهلوا أنّا على حقٍّ ويدُنا ويدُهم إسلاميةٌ، ولا نريدُ علواً في الأرض ولا فساداً ولا

افتخاراً على الدولة العثمانية ولا عناداً فهذه سبيلُنا»[1].

ومهما كانتْ خطةُ الإصلاحِ، فقدْ أُقرَّت في مجلسِ الأعيانِ العثماني وفي مجلسِ الوكلاءِ ومجلسِ الجمعيةِ، ولم تبقَ إلا الموافقةُ اليمانيةُ، وقد واجه الوفدُ عدةَ صعوباتٍ منها :

- صعوبةُ إرسالِ الاتفاقِ إلى الإمامِ للنظرِ فيه واقرارِه أو تعديلِه أو رفضِه فالأمرُ يحتاجُ لأكثرَ منْ ثلاثةِ أشهرٍ لأسبابٍ تتعلقُ بالمواصلاتِ والسريةِ.
- كان الوفدُ يخشى في حالِ انتظارِ ورودِ جوابِ الإمامِ وقوعَ أحداثٍ جسامٍ في الدولةِ العثمانيةِ وعاصمتِها تؤثرُ على الفرصةِ المتاحةِ لتحقيقِ الحدِّ الأدنى من مطالبِهمْ، ومن ثمْ تطويرِها في المستقبلِ، لاسيما وأنَّ الوفدَ على درايةٍ بحلقاتِ الصراعِ التي تدورُ في العاصمةِ، ويعرفُ مراكزَ القوى السياسيةِ والدينيةِ التي تتحفزُ للانقضاضِ على السلطةِ، فكانتْ الموافقةُ مشروطةً ببقاءِ حسين حلمي باشا، صدراً أعظمَ، لأنَّ التجاربَ علَّمتْهمْ أنَّ الادارةَ العثمانيةَ الجديدةَ لاتحترمُ مواثيقَ وعهودَ واتفاقياتِ الإدارةِ القديمةِ. وحدثَ ما توقعَهُ الوفدُ اليمنيُّ حيثُ وقعَ الانقلابُ العثمانيُّ على السلطانِ عبدالحميدِ الثاني، وشهدتْ العاصمةُ حوادثَ داميةً درسناها في كتابِنا، «ليلة خلعِ السلطانِ عبدالحميدِ

---

(١) انظر، فرجة الهموم، ٢٢٤.

الثاني، روايةَ شاهدِ عيان»[1]، ونُفِي السلطانُ عبدالحميد، وتشكلت فيما بعد حكومةٌ تسيطرُ عليها جمعيةُ الاتحادِ والترقي، والصدرُ الأعظمْ حقي باشا، وناظرُ الداخلية طلعت بك، ومحمود شوكت، ناظر الحربية.

كانتْ بدايةُ تنصّل حكومة الاتحاد والترقي من الاتفاقية محاولةَ نيازي بك اقناعَ الوفد اليمني بقبول مدِّ خط سكة الحديد من الحُدَيدة إلى صنعاءَ، وهو ما رفضَهُ الوفدُ بدعوى، تقدم فرنسا بطلب لتنفيذ المشروع، وقد رفضهُ الإمامُ، ثمَّ إن بريطانيا لن تتوانى عن تنفيذ مشروعها في مدِّ سكة الحديد من عدن إلى الحُدَيْدَة.

لقدْ جاءَ الردُّ اليمنيُّ مهذباً يتصفُ بدبلوماسية عالية، لأنهُ يدركُ بأنَّ تركيا لم تكنْ تريدُ إلاَّ سرعةَ ايصال عسكرها إلى العاصمة اليمنية، صنعاءَ، تلافياً للخسائرِ البشريةِ والماديةِ التي كانتْ تتكبدُها في القواتِ والامداداتِ والتموينِ، جراءَ الانتقالِ البري عبرَ الجبالِ والوديانِ. ولما لم تنجحْ المناوراتُ التركيةُ، دفعَ الأتراك بعضَ أعوانهمْ من مجلس المبعوثان للجهر بمعارضة الاتفاق، وقادَ الحملةَ طاهر رجب مبعوثُ الحُدَيْدةَ، الذي أخذ يذيعُ بأنَّ الاتفاقَ لو نُفِّذَ، فتحَ البابَ لاستقلال اليمن، وبالتالي تحذو باقي الولايات والخطط حذوه، ومن ناحية أخرى، فإنْ قامتْ دولةُ الجبالِ، زالَ الظلمُ عن أهلِ الجبالِ وعادَ إلى تهامةَ، وخاصةً

---

(١) انظر، ليلة خلع السلطان عبد الحميد الثاني، ط دار البشير، عمان، ١٩٩٨م.

في الضرائب والمعونات والكفايات وغيرها من الأعباء المالية[1].

وتركزتْ حملةُ المعارضة على ضرورة حذف كلمة «دولة» من اسم الولاية، وحذف لقب، «أمير المؤمنين»، الذي يتخذُهُ الإمامُ في خاتمه، والهدَفُ واضحٌ من إصرار الإدارة الجديدة على عدم إقرار الاتفاق، وعدم الاعتراف بالحكم المحلي لقسم من اليمن، وعدم الإقرار بوضع خاص للإمام في اليمن. وكمحاولة أخيره، جرت المحادثاتُ الأخيرةُ في عشاء عمل في بيت الياور أحمدَ بن محمد الخباني، حيثُ أشارَ السيدُ العلاّمةُ الشرقيُّ إلى المصير المحتوم الذي يلاقيه كلُّ مانع لتنفيذ شريعة الله في اليمن خلالَ محادثاته مع المعارض للاتفاق طاهر رجبْ والتي أقرّ فيها طاهر رجب بأن تهامةَ ما كانت إلا من اليمن عبرَ العصور والقرون. والنتيجة، فشلُ المفاوضات التي استغرقتْ أكثرَ من سبعة شهور، ولكنها نجحتْ في طرح القضية اليمنية، كمسألة مهمة لدى الرأي العام التركي في استانبول، وخاصةً في مجلس المبعوثان والصحافة التركية والعربية.

المبحث الثاني : المسألة اليمنية في مجلس المبعوثان :

لاتمدُّنا الوثائقُ العثمانيةُ بكيفية انتخاب أعضاء مجلس المبعوثان في اليمن، فإنّ الولايةَ لم تكنْ مستقرةً، والحربُ متواصلةٌ، فكانَ يتمُّ انتخابُ أعضاء مجلس المبعوثان عن ولاية اليمن من قبل الإدارات التركية في المدن والبلدان والقضوات. وكلُّ ما وردَ عن الأشخاص

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ٩٣أ.

المعينين في مجلس المبعوثان، إنما جاء من كتاب ائمة اليمن، حوادث سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، والسالنامة سنة ١٣٢٧ مالية، ١٣٢٩هـ، ١٩١١م، وكان من الأعضاء :

- أحمد بن يحيى بن أحمد يحيى الهَجْوَة الكبسي، عن سنجق صنعاء.
- أحمد بن محمد الخباني عن سنجق صنعاء، وكان يعمل ياوراً للسلطان.
- علي بن محمد بن أحمد المطاع[1]، عن سنجق صنعاء، عضو مجلس الادارة في العهد العثماني (إدارة الولاية).
- حسين بن علي عبدالقادر عن سنجق صنعاء، كان مديراً لناحية شبام ثم قائمقام ذَمار.
- محمد بن عبدالله المقحفي، عن سنجق صنعاء، عن ثُلا.
- صالح بن صالح السنيدار، عن سنجق تعز.
- هادي رزق، عن سنجق الحُدَيْدَة، مبعوث بيت الفقية.
- علي بن محمد سويد العريشي، عن سنجق الحُدَيْدَة، مبعوث أبي عريش.
- محمود نديم بك، عن سنجق الحُدَيْدَة.
- علي بن حسين عبده، عن سنجق عسير.
- فراج بك، عن سنجق عسير[2].

---

(١) ما ورد في السالنامة علي بن علي المطاع وهو خطأ.

(٢) انظر، سالنامة، سنة ١٣٢٧ مالية، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ص١٠٣.

وأورد صاحبُ أئمةِ اليمنِ في حوادثِ سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، أسماءَ كلٍّ منْ :

- السيد عليّ بنِ محمد بن أحمد المطاع.
- السيد عليّ بنِ حسين بن محمد الذماري الملقبِ بالبلس، مبعوث ذَمار.
- القاضي عليّ بن حسين الحلالي الآنسي.
- طاهر أفندي رجب الحديدي.

وأوردت جريدةُ العربِ انتخابَ السيد أحمد ضيا جنادت بك اليماني البيكباشي، الموجودِ في استانبولَ، مبعوثاً عن صنعاءَ[1]، ولعلَّ ذلكَ وقعَ بعدَ استقالة علي بن محمد المطاع ويبدو أن أعضاءَ مجلس المبعوثان من اليمنيين قدموا لائحةً لإصلاحِ البلادِ اليمانية، وقد نُشرتْ مجلةُ النبراس، في الجزءِ الرابع، المجلدُ الثاني، تاريخ ١٦ ربيعُ الثاني ١٣٢٨هـ، الموافق ٢٦ نيسان ١٩١٠، نصُّ اللائحةِ تحت عنوان

البلاد اليمانية

صورةُ اللائحة التي قدّمها نوابُ البلادِ اليمانيةِ إلى مجلسِ الأمة

المادة الأولى : من المعلومِ أنّ الدولةَ العَلِّيّة، كانتْ قد وقعتْ على مقاولةٍ عهديةٍ جرتْ بينها وبينَ الإمامِ السيدْ يحيى عام ١٣٢٣ للهجرة، تقضي بتسليمه «صنعاء» وجميعَ ما فيها من الأدواتِ الحربيةِ

---

(١) انظر، جريدة العرب، السنة الأولى، العدد الرابع، ١٤ صفر ١٣٢٨هـ/ ١١ شباط ١٣٢٥ مالي، ص٣٠.

والمدافعِ والبنادقِ، وكان الإمامُ قد أخذَ بعض أبناء المشايخِ والأمراءِ، رهائنَ لايزالونَ موجودينَ عندهُ إلى الآن في شُهارةَ، وهم يزيدون على ٥٠٠ نفر، كلُّهم من أبناء المشايخِ، وكانَ هذا الأمرُ سبباً قوياً في توجُّه أنظار الأهالي والقبائلِ نحوَ الأئمة الذينَ كانوا رؤساءَ دولتهمْ منذُ عام ٢٨٠ للهجرة إلى حينَ استيلاء الدولة العثمانية على اليمنْ.

وزادتْ بذلكَ طاعتُهم للإمامِ واعتمادُهمْ عليه أكثرَ من ذي قبل، ومن الضروري في رأينا أن تعقدَ الدولةَ العثمانيةُ بينَها وبينَ الإمامِ عقداً آخرَ في هذا البابْ، وأن تعهدَ به إلى لجنة يُنتخبُ أركانُها من الواقفين على دقائق الحالة الحاضرة في اليمنْ، سواء كان هؤلاء من عاصمة السلطنة السنية أو من سادات صنعاءَ وعلمائها ومشايخها.

المادةُ الثانية : ليسَ في القطرِ اليماني عناصرُ أخرى من غير المسلمينَ، وأنْ الظروفَ هناكَ تقضي حلَّ جميعِ القضايا الشرعية والحقوقية والحكمَ بالعقوبات كلِّها وفقاً للشرعِ الإسلامي، وأن يُعهدَ بذلكَ إلى المحاكمِ الشرعية، وأن لاتقيدَ هذه المحاكمُ بقيدٍ آخرَ غيرِ القيودِ الشرعية.

أما قضاةُ المحاكمِ في الألوية والأقضية فيجبُ تعيينُهم من قبلِ لجنة مؤلفة من قاضي الولاية، رئيساً عليها ومن المفتي وأربعة من العلماء الوطنيين أعضاء. ثم ينهي بقرارِ اللجنة إلى المشيخة الإسلامية.

وأما قاضي الولاية، فمنْ الواجب أن يكونَ من العلماء الوطنيينَ، ويُنتخبَ من قبل علماء اليمن وساداتها وفقهائها، ويُصدَّقَ على تعيينه بإرادة سنية وتميزُ الاعلاماتُ الشرعيةُ من مجلس تمييز يؤسَّسُ في الألوية في مجلسْ الولاية، ومفتي الألوية في مجالسْ الألوية.

ومن الواجب تنفيذُ الأحكام فوراً، سواء كانت في الحقوق والقصاص بعدَ صدور الإرادة السنية فيه.

المادةُ الثالثة : ينتخبُ الأهالي المفتينَ لمركز الولاية وللألوية والأقضية من العلماء الوطنيين.

المادةُ الرابعة : يُلغى تحصيلُ الأموال الأميرية بأصول الالتزام المضرِّ بمصلحة الأهالي، وتجبى الأعشار وفقاً للشرع الشريف بواسطة منتخبين تنتخُبهمْ الحكومةُ والأهالي معاً، وتعدّلُ ضريبةُ الأملاك المسماةُ بالويركو، وتستوفى رسومُ الأغنام وفقاً للأحكام الشرعية، ويبقى الجمركُ البحريُّ والديونُ العموميةُ على ما هي عليه، ويلغى الجمركُ البريُّ (الرسوم المتفرقة) الذي رُفعَ عن كاهل جميع الولايات العثمانية إلا هذه الولايةَ البائسةَ، ويؤلّفُ وفدٌ من أهل الكفاءة والصلاح، ومن الواقفينَ على لغة البلاد للتفتيش على الأمور المالية المعرّضة لسوء الاستعمال ولإصلاح معاملاتها المشوشة.

المادة الخامسة : يعيّنُ القائمقامون ومديروا النواحي في جميع ولاية اليمن من الأشراف والوجوه الوطنيينَ الذينَ يثقُ الشعبُ بهم.

المادة السادسة : يُنتخبُ رئيسُ البلديةِ من أشراف الوطنيينَ الذين تثقُ بهم الأمـةُ، وتعتـمـدُ على أمـانتهم، ويوضـعُ للـبلديةِ نظامٌ يوافقُ حاجـةَ البلادِ ويُضاف إلى وظيـفة رئيسِ البلديةِ، وظيفـةٌ أخرى، وهي رئاسةُ المحكمة الصلحية في المسائلِ الصغيرة.

المـادة السـابعة : يؤسَّسُ مـجلسٌ في مـركـزِ الولايةِ يدعى «مـجلسُ مصالحِ القبائل»، ويؤلّفُ من رؤساءِ العشائرِ وأشرافِ الوطنيينَ لحلِّ المشكلاتِ وفصلِ المنازعاتِ التي تحدثُ بينَ القبائلِ، ويُنظرُ في أحكامه إلى عرفِ البلادِ، ويكونُ قائدُ الجندرمةِ عضواً في هذا المجلسِ، ليكونَ عوناً في تنفيذِ أحكامه.

المـادة الثامنة : تؤلّف تـوابيرُ عـسكريةٌ من الأهالي والقـبائلِ وتبـقى بألبستها الوطنية، ويقومُ على قيادتها ضباطٌ من رؤساءِ القبائلِ ممن يثقُ بهم الشعبُ والحكومةُ.

المادة التاسعة : كانَ في «صنعاءَ وتعز وعسير و ٢٠ بلداً آخر»، مدارسُ في جوارِ المساجدِ يفدُ إليها طلابُ العلمِ، وكانَ لها مدرسون ذوو مرتباتٍ شـهرية، يصرُفهـا لهم أئمةُ اليمن، فلَما اسـتولتْ الدولةُ العليـةُ على القطرِ اليـمـاني انقطعتْ هذه المـرتـبـاتُ، واضطرَ المدرسـونَ والطلبةُ إلى هجـرِ دورِ العلمِ والمهـاجرة إلى مـصرَ وشُـهـارةَ وغـيـرِهمـا لطلبِ العلمِ، حـيـثُ يتناولونَ من الإمـامِ مشاهرات.

ومن الواجبِ على الحكومة أن تُعنى اليومَ بإحياءِ هذه المدارسِ، وأنْ تنُفقَ عليـهـا منْ أوقـافـهـا، وإذا كـانَ ذلكَ لايقـومُ باللازمِ،

تخصّصُ لها من بيت مالِ المسلمينَ مايكفلُ لأهلِ العلمِ معيشتَهمْ، وتؤسّسُ لجـــاناً في مـــركـزِ الولايةِ وفـــي الألويةِ من العلـمـــاءِ والأشرافِ الوطنيين برئاسةِ المفتي، ويُعـهدُ إليها أمرُ احياءِ هذه المدارس.

المـادةُ العاشـرة : على الحكومةِ أن تـبذلَ مـا في وسعـها لنشـرِ العلمِ وتأسـيسِ المدارسِ الابتـدائيةِ والـثانويةِ في ولايةِ اليـمنِ ولواءِ عسيـر والألويةِ الأخرى، وفي أقضيـتها ونواحيـها، وأن تنشيءَ مـدارسَ صناعـيـةً في الولايةِ والألويةِ، وأن تعـيّنَ عـدا عن ذلكَ مدرسينَ متنقلينَ لالقاءِ الدروسِ الدينيةِ من فقهٍ وحديثٍ وتفسيرٍ ووعظٍ، ويُنتخبُ هؤلاءِ من أهالي البلاد.

المادة الحاديةَ عـشرة : إن مما يسوءُ اليـمانيين إهمالَ الحكومـةِ جميعَ أبناءِ الأئمةِ السابقينَ وأحفادهمْ وأسراتهم وسلبهم حقوقَهم، مع أنَّ الائمـةَ كـانوا حاكـمـين لهـذا القطرِ منذ سنة ٢٨٠ للهـجـرة، إلى تاريخِ اسـتيـلاءِ العـثمـانيين علـى القطرِ، ومن الواجبِ على الحكومةِ أن تخصّصَ لهؤلاءِ ما يقومُ بأودهم وحاجاتهم.

المادة الثانيةَ عشرةَ : من الواجبِ على الحكومةِ أن تقومَ بإصلاحِ زراعةِ البـلادِ والاستـفادةِ من مـواهبهَـا الطبيـعيـة، وذلكَ بحفـرِالآبارِ الإرتوازيةِ حيثُ لايوجـدُ ماءٌ، وتأسيسِ فرعٍ للمـصرفِ الزراعي في مـركزِ الولايةِ واسـتخـراجِ كنوزِ الأرضِ، وتعدينِ مـعادنهـا الثمنيةِ، وأنْ تـرسلَ نظارةُ المعارفِ وفداً خاصـاً للبحثِ في هذا الأمرِ.

المادة الثالثة عشرةَ : أن تهتَم الحكومةُ وتبذلَ جهدَها في إتمامِ الخطِّ الحديديِ اليماني في القريبِ العاجلِ.

المادة الرابعةَ عشرةَ : أن تؤلّفَ قلوبَ أمراءِ القبائلِ وأبنائهم بربطِ المعاشاتِ لهمْ، ولأبناءِ المرحومِ الأميرِ محمد عائض، أميرِ عسير وأبناءِ المرحوم علي حميدة أمير باجل.

المادة الخامسة عشرة : اعفاءُ الأهالي من بقايا الأموالِ الأميرية، لأنها من أكبرِ أسبابِ نزوحِ الأهالي عن بلادِهمْ وفرارِهم إلى مُصَوَّع وعدن وبور سودان وجيبوتي والقطرِ المصري والبلادِ الأجنبية، اتّقاءَ الحروبِ التي تنشبُ كلَّ يومٍ من أجلِ تحصيلِ هذه البقايا، وما يحصلُ من جراءِ ذلكَ من الظلمِ والضغط.

المادة السادسة عشرة : أن تخصّصَ الحكومةُ مبلغاً من المالِ لإصلاحِ وتعميرِ المزارعِ والقرى والأماكنِ التي خربتها قنابلُ المدافعِ أثناءَ الحروبِ الظالمة، سواءَ في عهدِ الاستبدادِ أو عهدِ الدستور.

المادة السابعةَ عشرة : أن تؤلفَ لجنةٌ خاصةٌ من الوطنيين برئاسةِ رئيسٍ تنتخبُهُ الحكومةُ لتوزيعِ مشاهراتِ السادات والعلماء والفقهاء ورؤساءِ القبائلِ في الولايةِ والأقضيةِ وتسليمها إلى مُسْتَحقيها، ولهذه اللجنةِ حقُّ المراقبةِ على المستخدمين.

المادة الثامنة عشرة : أن يرفعَ الاحتكارَ والانحصارَعن التنباك ليتيسَّرَ للحكومةِ المحافظةُ على السواحلِ اليمانيةِ من دخولِ الأسلحةِ والموادِ المضرةِ إليها.

واللافتُ للنظرِ أنَّ اللائحةَ قُدمَتْ إلى مجلسِ المبعوثان إثرَ تقديمِ الصدرِ الأعظمِ حقي باشا، خطةَ الوزارةِ الجديدةِ التي خلفت وزارةَ حسين حلمي باشا، فقد أشارَ في بيانه لمجلسِ المبعوثانِ بتاريخ ١١ محرم ١٣٢٨هـ، أنَّ الوزارةَ ستقدمُ قانوناً يتضمنُ كيفيةَ إدارةِ الولاياتِ العثمانيةِ واصلاحها، لينظروا فيه ويصدّقوا عليه إن وافق آراءهم، والقانونُ ينقسمُ إلى قسمين، أحدهما، مايجوزُ تطبيقُهُ بشكلٍ عامٍ على جميعِ الولايات، والثاني، يختصُّ ببعضها دونَ سواها، لأنَّ لبعضِ الولاياتِ أحوالاً خاصّة بها لاوجودَ لها في غيرِها كاليمنِ مثلاً».

وأضافَ حقّي باشا يقول : ولزميلي طلعتْ بك، ناظرِ الداخليةِ مطالعاتٌ إصلاحية عن اليمنِ نهتمُّ بها الآنَ اهتماماً عظيماً، ونتأملُها جيداً، ونعدُّ الاهتمامَ بها أفضلَ واجبٍ نقومُ به في خدمةِ الأمة».

ويمضي الصدرُ الأعظمُ في توضيحِ معالمِ المطالعاتِ الاصلاحية.

إن هناك الملايين من أخوتنا الأهلين المسلمين، ذوي الغيرةِ والحميةِ والشهامةِ والشرف، نراهم كالعصاة، وما هم بالعصاة إلا سوءَ تفهّمٍ تمكّنْ فيهم، وكانَ منْ نتيجةِ ذلكَ أنْ جرَتْ الدماءُ بينَ الأخِ وأخيه كالسيلِ الجارف في تلكَ البلاد، فاتسعَ الخرقُ وعمَّ الخرابُ، ولنا الأملُ العظيمُ بأنّا سنجدُ دواءَ ذاكَ الداءِ العضال، وسنطرحُ ما نراه أمامَ أنظاركمْ من التدابيرِ الحاسمة، لتلكَ الحالة السيئة لتصادقوا عليه، وهذا الأمرُ أراهُ أهمَّ الأمورِ التي يجبُ أن نهتمَّ بها قبلَ كلِّ شيء»[1].

---

(١) انظر، صحيفة العرب، السنة الأولى، العدد الأول، تاريخ ٢٣ محرم ١٣٢٨هـ، ص٤.

وتوحي العبارات «ولزميلي طلعت بك، ناظرُ الداخلية، مطالعاتٌ إصلاحيةٌ عن اليمن» وسوءُ تفهم تمكّن فيهم، ويقصدُ اتباعَ الإمامِ وأصحابه «واتسع الخرقُ وعمَ الخرابُ» «وسنجدُ دواءَ ذاك الداء العضال»، و «تدابير حاسمةٌ ستتخذ»، بأن شيئاً جديداً يُبيَّتُ لليمن وأهله، وأنَ اللوائحَ الإصلاحيةَ لم تعدْ ذاتَ اهتمامٍ وأُدخلتْ في مجال التسويف والمماطلة، فقدْ أثارَ نائبُ اليمن، محمد بن عبدالله المقحفي مسألةَ خُطَةَ اصلاحِ اليمن في جلسة المبعوثان بتاريخ ٢ صفر ١٣٢٨هـ[1]، حيثْ أكّدَ بأنَ اليمنَ لاتطيبُ إلاَ أنْ تظلَّ مستظلةً تحتَ الرايةِ العثمانية، وإنما طالبَ، ناظرُ الداخلية، طلعتْ باشا بضرورة تحديد زمنٍ محدد لإنفاذ لائحة الإصلاح، وركّز المقحفيُ في كلمته على الأمورِ التالية : المحصولاتُ، والضرائبُ والأعشارُ، وخلُو اليمن من مخمنين الأعشارَ. وفي هذا ظلمٌ عظيمٌ على الرعية، ثم إنْ اشرافَ اليمنِ أصبحوا في فقرٍ مدقعٍ لعدمِ تأديةِ الحكومةِ مرتباتهمْ، ولهذا السببِ تمتدُّ الثورةُ وتسفكُ الدماءُ.

وردَّ ناظرُ الداخلية طلعتْ بكْ، بأنَّ الأحداثَ الجاريةَ في اليمن، تحولُ دونَ تنفيذِ لائحةِ الاصلاحات، إذْ لا وقتَ للإصلاحِ، لأن هذا الصلاحَ يجيءُ بعد استتباب الأمنِ وإعادَةِ الراحةِ للأهلينَ، فالأمنُ مضطّربٌ بسببِ هجومِ قبيلتَيْ الواعظات وبني قيس على قافلة تموين وقتل عشرة من الجنود، وكذا مهاجمة ريغه وقتل قائمقام فيها، وإنَ بعضَ القضواتِ قد سقطتْ في أيدي الثائرين، والحُدَيْدَةُ باتتْ مهددةً

---

(١) انظر، صحيفة العرب، السنة الأولى، العدد الثالث، ص٢١.

من قبل الادريسي، والدولُ الأجنبيةُ سارعت لإرسال مدرعاتها إلى مياه الحُدَيْدَة للحفاظ على حياة مواطنيها.

وبعدَ أنْ عدَّدَ طلعتْ بك المخاطرَ، بدأ بتعديد الانتصارات، «فكثيرٌ من القضوات وقبائل بني قيس وبني مروانَ انقادوا للدولة، وأعلنَ الإدريسيُّ أنهُ لايبغي الخروجَ على الخلافة الإسلامية والحكومة العثمانية، والسكونُ سائدٌ اليومَ في القطعة التهامية ولواء عسير»[1]، واحتجَ بضيق الوقت لعدم إنفاذ الإصلاحات اللازمة سرعةَ الإجراء. ونظراً لما في كلمته من تزييف للحقائق، وبعد عن الصواب، فثارتْ عاصفةٌ من المناقشات والاحتجاج، وأُقْفِلَ النقاشُ بالأغلبية والاكتفاء بتأكيد ناظر الداخلية أنَّ الحكومةَ مهتمةٌ كثيراً في أمر إصلاح الخطة اليمنية، ونشر ألوية العدل على أرجائها، وأنَّ ذلكَ يحتاجُ إلى زمن ليسَ من قدرة الحكومة تحديدُهُ، ومعنى ذلك إرجاءُ الاصلاح باللوائح إلى أجل غير مسمى. ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه الأحداثَ التي استشهدَ بها طلعتْ بك وقعتْ قبلَ وصول وفد الإمام إلى استانبولْ[2].

وتلاحقتَ الأحداثُ اتجاهَ مسألة اليمن، وأخذتْ تميلُ نحوَ الحلِّ العسكري، فاتّخذَ قرارٌ بترفيع الضباط المرسلينَ إلى اليمن. وقدّمَ أحدُ الأمراء العسكريينَ إلى الصدارة العظمى لائحةً تتضمنُ إصلاحَ اليمانية وإعمارَها، حيثُ ذكرَ في اللائحة بيانَ الطرق المؤدية لإنشاء السكك

---

(١) انظر، صحيفة العرب، السنة الأولى، العدد ٣، تاريخ ٧ صفر ١٣٢٨هـ، ص٢١.

(٢) تقييد حوادث، ١٠٠أ.

الحديدية، وتكثير غرس الأشجار، وزرع القطن والقهوة وغيرها من المحصولات[1] ويعتقدُ الباحثُ أنّ صاحبَ اللائحة هو محمد علي باشا، الوالي الظلومُ الغشومُ وإن الحلَّ يعتمدُ الجانبَ العسكريَّ، ولإشاعة أجواء من التأييد للخطوات العسكرية الجاري إعدادُها، صرَّحَ طلعت بك، بأنَّ أكثرَ الذينَ يستشيرُهم في مسألة اليمن، يشيرون عليه باستعمال الشدة واظهار السطوة ضدَّ العربان[2]، ولإسكات النواب العرب في مجلس المبعوثان وعددهم (٦٠) نائباً من أصل ٢٥٤، فقدَ رتبَ طلعتْ بكْ مقابلةً لبعض نواب اليمن للسلطان محمد رشاد، حيثُ مَثُلَ أحمد يحيى الكبسي ومحمود نديم وزهدي أفندي ومحمد عبدالله المقحفي وعلي بن حسين عبده وحسين بن محمد عبدالقادر والأمير الآي أحمد ابن محمد بين يدي السلطان، الذي خاطبَهمْ بقوله : «اني لأرتاحُ كلَّ الارتياحِ بما يبديه إليَّ أهلُ اليمن من الولاء والإخلاص، الدالِّ على صدق تمسّكهم بي، وأما ما ذكرتُم من الخير والبركة فقدْ جعلني مسروراً جداً، وانّ في قلبي لمحبةً عظيمةً للأمة النجيبة العربية. ومن المعلوم لدى العموم أنّ الائتلافَ والوفاقَ بينَ الجميع أكبرُ وسيلة للنجاة، ولا حاجةَ إلى بيانِ أن نيلَ السعادة لايتمُّ إلا بملازمة الطريق المستقيمْ، وأن الإدارةَ الدستوريةَ المبتنيةَ على الشرع الشريف الأحمدي، وعلى قواعد العدل والحقّ لهي الطريقُ الوحيدُ المؤدي إلى تعالي البلاد وتكامل العباد، وسترونَ كثيراً من آثار الإصلاح الكافل لسعادة الأهلينَ في

(١) انظر، صحيفة العرب، السنة الأولى، العدد ٥، ص٤٠.

(٢) المصدر السابق، السنة الأولى، العدد٨، ص٧.

القطر اليماني أيضاً»[1]، وكانَ معنى ذلكَ العودةَ للحكمِ بالقوانينَ والإدارة الدستورية، وهو ما قاتلَ ضدَّهُ أهلُ اليمنِ لفترات طويلة، ورُميتْ اليمنُ بوالٍ لايؤمنُ إلاَّ بالحلولِ العسكرية، فصدرتْ الإرادةُ السنيةُ بتعيينِ محمد علي باشا، قائدُ الفيلقِ السابعِ في اليمنِ والياً على اليمنِ، ودعمتْ حكومةُ الاتحادِ والترقي وجودَها العسكريَّ في سواحلِ اليمنِ قبل ذلكَ بارسالِ المزيدِ من الزوارقِ الحربيةِ لخفرِ سواحلِ اليمنِ، ومنعِ تهريبِ السلاحِ إلى اليمن[2]، ومن ثمَّ أقدمَ طلعتْ بكْ على سحبِ لائحةِ إصلاحِ خطةِ اليمنِ من مجلسِ المبعوثانِ «وفي الحقيقة، أن قيامَ اليمنِ كما يقولُ مبعوثوها مرضٌ متأصلٌ، وقد وضعتْ لائحةٌ في شأنِ اصلاحِ اليمنِ، وعندما جاءَ طلعتْ بكَ إلى نظارةِ الداخليةِ، استرجعَ هذه اللائحة، فخدمَ المملكةَ خدمةً كبيرةً، وعلى أثرِ ذلكَ أرسلنا قدرَ مايمكنُ من العسكرِ، فسكنَ الهياجُ، فالمساعي التي أبرزها إنما تستوجبُ الشكر»[3].

والسؤالُ الذي يطرحُ نفسُهُ، لماذا هذا التحولُ في السياسةِ العثمانيةِ تجاهَ قضيةِ اليمنِ، ولماذا أدار العثمانيون الاتحاديون ظهورَهم لكلِّ الاتفاقاتِ السابقةِ، وكيفَ نجحوا في تمريرِ سياساتِهم في مجلسِ المبعوثان؟

---

(١) انظر، صحيفة العرب، العدد ٧، ص٥٤.

(٢) الأهرام، العدد ١٦٥٠ تاريخ ١٩٠٩/١٢/١٠، والعدد ٩٦٥٣ تاريخ ١٩٠٩/١٢/١٣.

(٣) مجلة الحضارة، صاحبها عبد الحميد الزهراوي، عضو مجلس المبعوثان، العدد ٥٩، السنة الثانية، ٢٦ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ، ٢٥ مايو ١٩١١.

يرى عددٌ من الباحثينَ العربَ أنّ الاتحاديين منذُ الانقلاب الدستوري على سياسة، السلطانِ عبدالحميد الثاني وتوليهمْ الحكمَ رفعوا شعارات (حرية، عدالة، مساواة) لاتفريقَ في الحقوقِ والواجبات بينَ السكانِ على أساسِ الدينِ والجنسِ ثمْ لمْ تلبثْ بعدَ حين إن أخذتْ تطغى وتستبدُّ طورانياً، تسعى إلى التتريك تحتَ العلمِ العثماني، وترى ضرورةَ هيْمنة الطورانية على الأقوامِ الأخرى، وساعدَ على الإيغالِ في حركة التتريك بروزُ اتجاهات قوميةٍ عندَ شعوبِ الدولة العثمانية، تطالبُ بالانفصالِ عن الدولة العثمانيةِ وتتحدى سلطتَها، كما أن قيامَ حربِ البلقانِ ١٩١٢م-١٩١٣م التي أسفرتْ عن خسارة الكثير من الأراضي التركية في أوروبا، دفعتْ حكامَ الدولة من الاتحاد والترقي لإحكامِ قبضتها على الأراضي الخاضعة لسيطرتها في الشرق، واعتقدَ أعضاءُ جمعيةِ الاتحاد والترقي أنَّ سياسةَ التتريك ستصهرُ بقيةَ عناصرِ الامبراطوريةِ العثمانية في بوتقةٍ واحدة. وتؤدي إلى مجابهة حركة الجامعة السلافية وخطط روسيا في دعمها[1]. أما زعماءُ الاتحادِ والترقي فيرونَ أنَّ التهاونَ في مسألة اليمنِ سيفتحُ الأبوابَ لغيرها من الولاياتِ لتحذوَ حذوَها، وتضيعُ هيبةُ الادارة الجديدة في ضوءِ انتظامِ العلاقاتِ الألمانيةِ العثمانية.

---

(١) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، دمشق، ١٩٧٤، ص٥٣٤-٥٣٥؛ داغر، أسعد، الثورة العربية، مصر، مطبعة المقطم، ١٩١٦، ٥١-٥٢؛ طربين، أحمد، الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر، دمشق، ١٩٧٠، ١٦٤.

أما في مجلس المبعوثان، فعلى الرغم من أنَّ الإحصاءات التقريبية تشيرُ إلى كثرة العرب في الدولة، إذْ كانَ عددُهم ١٠,٥ مليون مقابلَ ٧,٥ مليون للأتراك و ٤ ملايينَ للقوميات الأخرى، فقد خُصّص للولايات التركية ١٥٠ مقعداً في مجلس المبعوثان، مقابلَ ٦٠ مقعداً للعرب، ٣٥ مقعداً للقوميات الأخرى من مجموع مقاعد المجلس البالغة ٢٤٥ مقعداً، وكانَ للعرب ٣ مقاعدَ من أصل ٤٠ مقعداً في مجلس الشيوخ (الأعيان)[١]. فالعربُ كانوا أقليةً في مجلس المبعوثان، أما الأحزابُ في المجلس، فقد كانَ هناكَ ثلاثةُ أحزاب، هي :

- حزبُ الاتحاد والترقي : وهو الحزبُ الأهمُّ والأقوى وصاحبُ النفوذ، كانَ لهُ ١٥٤ عضواً في مجلس المبعوثان، ورأيهُ معروفٌ في مسألة اليمن.
- الحزبُ الحرُّ المعتدلُ (الائتلافي) : أكثرُ أعضائه من العرب والألبان وقوّتُهُ البرلمانيةُ تتراوحُ بين ٤٠-٥٠ عضواً، يدعو إلى الحرية والمساواة واللامركزية الإدارية، وهو الوحيدُ الذي كان دائمَ السؤال عن الأحوال في اليمن.
- حزبُ الأهالي، وهو حزبٌ حديثٌ تشكّلَ في السنة الثانية لتشكيل المجلس من شخصيات افترقتْ عن الاتحاد والترقي، وبرنامجُ الحزب يقومُ على، تأمين الأمن والتوازن المالي وإنشاء الطرق وتعميم المعارف، وكانتْ لهُ برامجُ اصلاحيةٌ لخطة اليمن.

---

(١) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، ص٥٣٥.

وعلى أيِّ حالٍ، فـإنّ الحزبيْنِ، الحـرّ المعتـدل والأهالي، لا يُرجى منهما تحقيقُ نتائجَ مهمّة لصالحِ المسألة اليمنية فيما عدا إثارة القضية أمامَ الرأي العـامِ العثماني، لأن الأكـثريةَ قادرةٌ على تمـريرِ ماتريدُ في مجلسِ المبعوثان. وهي متوفـرةٌ لحزبِ الاتحادِ والترقي، لقد بدتْ عودةُ القوى المتـحاربةِ إلى الميدانِ حـتميةً في ظلِّ التطوراتِ الـجديدةِ، وكان ذلكَ.

المجلس
الإسلامي

الفصل الرابع

يومياتُ الحربِ ومقدماتُ الصلحِ

المبحث الأول : يومياتُ الحربِ

أُسْنِدتْ ولايةُ اليمنِ إلى محمد علي باشا، قائد الفيلقِ السابعِ هناك، وقد أوضحَ خطتَهُ في اليمنِ التي تقومُ على إخمادِ الثورة وتعاونِ الأهالي مع الإدارة الدستورية فقد قال لمراسل صحيفة العرب : «أول شيء فعلُه عندَ الوصولِ إلى اليمنِ هو دعوةُ الرؤساءِ والمشايخِ وإفهامُهم معنى الحكومة الدستورية، واعتناؤها بنشرِ ألويةِ العدل حتى ينكَفُّوا عن العصيانِ ويخلدوا إلى السكونِ والراحة»[1].

وبعدَ ذلكَ يقومُ بفتحِ المدارسِ والطرق. وأضافَ «لقد أطلقت الحكومةُ يدي بأنْ أتصرَّفَ بالأمورِ تحتَ مسئوليتي، أعزلُ مَنْ أشاءُ، وأنصَبُ من أشاءُ كما أُطلقتْ يدُ ناظم باشا، والي بغداد، في السابق، وقائدها ليتسنى لي بذلكَ أن أقومَ بالعبءِ الثقيلِ الذي أحملُهُ»[2].

وصلَ محمد علي باشا إلى اليمن في ١٢ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ، وبدأ بتنفيذ سياسة جمعية الاتحاد والترقي التي تقضي إضعافَ نفوذ الإمامِ يحيى والادريسي، إنْ لم يتمكنْ من القضاء عليهما، وبمجرد أنْ حطَّتْ رحالُهُ في صنعاءَ، أخذَ في استفزازِ حكامِ الإمامِ يحيى وقُبَّاضِه والتضييقِ على مؤيِّديه، وملاحقةِ وحبسِ أعوانِ الإمامِ، وتطبيقِ الإدارةِ

---

(١) صحيفة العرب، السنة الأولى، العدد ١٣، تاريخ ٢٨ ربيع الآخر ١٣٢٨هـ، ص١٠١.

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة.

العرفية والأحكام العسكرية، ويزخرُ مخطوطُنا بذكر حوادث الاستفزاز والتنكّر للمواثيق التي سبقَ عقدُها، وبلغَ الأمرُ حدَّ ترصّد عساكر الإمام وإلقاء القبض عليهم، والزجّ بهمْ في الحبوس[1]، وأكثرُ من ذلكَ بدأ بتجنيد عسكر نظاميٍّ من اليمنيين باسم «الملّة» وإزاءَ السياسة القمعية الحادثة، ولمواجهة اندفاعة محمد علي باشا في الحرب، اتخذَ الإمامُ الخطوات التاليةَ :

- التعبئةُ العسكريةُ للقبائل، وإيفادُهُ المقادمةَ لقيادة المقاتلة، فقد أرسلَ الإمامُ قبائلَ ذي غيلان، محمدي وحسيني ومعطري وسالمي ومراني، واستنفرَ رجالَ حاشدْ وسفيانَ وأرْحَبَ وعيالَ سُريح وجبلَ عيال يزيد، ونصّبَ المقادمةَ بما يحتاجونُهُ من أموال، وسلاح، وعتاد على تلكَ الحشود.
- الاستفادةُ من وضع محمد بن علي الادريسي في تهامةَ وعسيرْ، فاستجابَ لدعوة الادريسي للتناصر مع الإمام في مقاتلة الأتراك، فأوفدَ الإمامُ القاضي حسينَ ابنَ أحمدْ العرشي إلى صبيا، مقرِّ إمارة الادريسي لفتح أعمالِ القتال في عسير وتهامةَ الشامَ وما يتصلُ بهما.
- ويلاحظُ أنَّ الإمامَ طلبَ إلى سعد بن محمد الشرقي مواصلةَ تقييد الحوادث وتدوين ما يقعُ من معاركَ وهو ما سميناهُ «يوميات الحرب» وكأنَّ في ذلكَ إشارةً إلى قرب بدء العمليات العسكرية ضدَّ القوات التركية، التي يقودُها الوالي الجديدُ محمد علي باشا.

(١) تقييد حوادث، ١٠٤أ؛ أئمة اليمن، ١٦٧؛ فرجة الهموم، ٢٢٠.

كانت صنعاءُ هي الهدفَ الاستراتيجيَّ لقوات الإمام، إذْ كانتْ الخطةُ العسكريةُ الإماميّة تقضي القيامَ بحركة تطويق كبرى على صنعاءَ، مقرِّ الادارات العليا العُثمانيَّة في البلاد ومستودعِ الذخائر، ولما كانَ الإمامُ يدركُ بأنَّ تطويقَ صنعاءَ وعزلَها عن بقية المناطق إنما يتطلبُ جهوداً كبيرة ورجالاً وعتاداً وتدابيرَ دقيقةً، خشيةَ وصول النجدات لمنْ في صنعاءَ منْ غرب البلاد وجنوبها حيثُ القواتُ العثمانيةُ، أو أن تنجح بعضُ القوات العثمانية المبعثرة في أوساط البلاد بالتجمع وتقومَ بعملٍ يؤثرُ على الخطة الاستراتيجية، فقد أمر قادته وقواته بالعمل على جبهتين :

الأولى : جبهة صنعاءَ، وقد اسندَ قيادةَ صنعاءَ وحوازاتها إلى السيد أحمدَ بن قاسم حميد الدين، فرتَّبَ المحاطَ على الشكل التالي، بنوحشيْش في سَعْوانَ وما حولَها، وبنو الحارث في قرية بني حُوات، وهَمْدَان في ضلاع همْدان، وأمرهم بملاحقة وترصّد الأتراك في الرَّوْضَة وغرب شعوب[1]، في حين بدأت القواتُ الإماميةُ بمشاغلة القوات العثمانية المتمركزه في ذَمار ورَداع ويريم، وبُثّت الكمائنُ والعصاباتُ لترصدَ النجدات العثمانيةَ التي من المحتمل أن تصلَ من مدينتي إب وتعز وملحقاتهما، فاشتبكتْ تجاريدُ قوات الإمام في يريمَ مع العساكر العثمانية، والجبهةُ الثالثةُ بدأتْ في عملياتها العسكرية في منطقة حراز غرب صنعاءَ، قاعدة تمركز القوات العثمانية المدعومة

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٠٦أ.

بعناصرَ باطنية حراز، الحليف التقليدي للعثمانيين، ليحولَ دونَ وصول الإمدادات إلى صنعاءَ من الحُدَيْدة وتهامةَ؛ لأنَّ التعرّضَ لقوافل الامدادات الواردة من الحُدَيْدة أو تهامةَ إلى صنعاءَ، أيسرُ لوعورة الطريق التي ستسلكُها صعوداً وهبوطاً بينَ الجبال، وبالتالي تنفردُ القواتُ الإماميةُ بالعساكر التركية في حراز، وجرّدَ الإمامُ جيشاً رابعاً إلى حجةَ في الغرب الشمالي من صنعاءَ، ليناهضَ القوات التركيةَ المبعثرةَ هناك، ويحولَ دونَ ماقدْ يتسربُ من منافذ تهامةَ إلى حَجّة وما وراءَها. ثم كانَ فتحُ المعارك في ميادينِ عَمْرَانَ وشِبَام وكَوْكَبَانَ بقصد مضايقة القوات التركية المرابطة في تلكَ الأماكن، وبدأت العملياتُ العسكريةُ على جميع المحاور، حيثُ عبرتْ القواتُ الإماميّة إلى ديار خَوْلانَ والحَدَا، ووصلتْ إلى معبر وحول ذَمَار، وطرقتْ أطرافَ بلاد يريم، ووقعتْ معركةٌ مهمةٌ في خَوْذَان بينَ القوات الإمامية والعثمانية، ثم أخرى في عراس بينَ القوات الإمامية والباطنية، حلفاء الأتراك، ثمّ كانتْ معركةُ يريم الكبرى التي دُفعَ الأتراكُ من خلالها إلى جبل يَصْبَح، وتمكنتْ القواتُ الإماميةُ من دخول يريمَ من كافة الجهات، وكانَ للشريف عبدالله بن محمد الضُمين دورٌ بارزٌ في تحقيق النصرِ والاستيلاء على كميات كبيرة من الأسلحة : بنادقَ ماوزر والمرتين وصناديقِ الذخيرة وبغال وخيل وحمير وجمال، وبنهاية شهر صفر ١٣٢٩هـ، كانت القواتُ الإماميةُ قد استولتْ على فوهات الطرقِ وأطراف بلاد يريم[1].

(١) انظر، العزب، فترة خروج، ٦١؛ تقييد حوادث، ١٤٢ب.

وأما في ميدانِ حراز، فقد تولّى القيادةَ فيه، أربعةٌ من كبارِ القادة وهم : عبدُالله بن يحيى أبو منصر، ويحيى بنُ علي الذاري واسماعيلُ بنُ اسماعيل المروني، ونصيرُ الدين عليٌّ بنُ المقداد، وكانتْ قواتُ الإمامِ تتشكّلُ من قبائلِ أرْحَبْ وحاشدْ وأهلِ الجبلِ وبني عبد وعيال سُريحْ وآنس، وتوزعت القواتُ في البلادِ الحرازية من قاعدَتها في الحجرةِ وفي عَانز، وتسلقت القواتُ الإماميةُ جبالَ حراز الشاهقةَ، وتمّ الاستيلاءُ على عزلة بني الخطاب وبيتِ المدعي وعبروا حَصْبَانَ وارتفعوا إلى جبلِ مسَار، المعقلِ المنيعِ للباطنية، وواصلوا هجومَهم إلى الهجرة وعثارة ورموا مَنَاخَةَ بالمدافع، ومن ثمّ تدفقوا على الشرقي، حصونِ الباطنية، واستولوا على لهاب وهَوْزان، وأُرسلت الطلائعُ إلى بني اسماعيل، وبذا أحكمت القواتُ الإماميةُ السيطرةَ على طريقِ صنعاءَ -الحُدَيْدة، وراكزوا القواتِ العثمانيةَ التي ترابطَ في مَناخةَ وشِبام.

وفي ميدانِ حَجَّة، تولى قيادةَ معاركها يحيى بنُ ناصرِ بن أحمد شيبان في حَجَّة نفسها، وفي ملحقاتها مثل مسور[1]، وتعدَّدت المعاركُ في الرغيلِ والمضمارِ وبيتِ عمر وبيتِ فائز والمَصْنَعة والرميح والكَلالي الأعلى والأسفلِ وفي بيتِ عذَاقةَ وفي الشراقي[2].

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٠٧ب.

(٢) المصدر السابق، ١٠٨، ١١٣؛ أئمة اليمن، ١٧٨ (سيرة الإمام يحيى)، العزب، فترة خروج، ٦٣.

وتواصلتْ المعـارك في الظفير والظهرين وصـعصعة، وحـقّقت القواتُ الإماميةُ نجاحات مهمةً فيها، فأسرعت الجماعاتُ لإعلان الطاعة، وخاصّـةً بعدَ اسـتسـلام منْ في الظفيـر من القوات التـركيـة وكثـافة هجمات المدفعية على سائر مراكز حَجَّة.

وبرز الشـيخُ ظهيـرُ الدين بنُ راجح في معـارك عَمْـرَانَ وشبـامَ وكَوْكَبـانَ وحصن بكَر وجبل الصلفاح، وخاصـةً بعدَ تمكّنه من إحكام الطوق على القائد التركي غالب بك.

لقد كانَ القصدُ من توسيع ميادين المعارك مع الأتراك في جبهات متـعددة، إتاحةَ الفـرصة للقوات الإمـامية المـحاصرة لصنعـاءَ للعمل بحرية والحيلولة دونَ وقوع المفـاجآت ومنع وصول الإمدادات والمؤن إلى صنعـاءَ من كـافـة الجـهـات وبأية وسـيلة أو طريقـة. فـالهـدفُ الاستراتيجيُّ للحرب هو السيطرةُ على صنعـاءَ وطردُ العساكر التركية منها، ولما كـانتْ قيادةُ معـركة صنعاءَ قد أُسندتْ إلى القـائد المجرَّب، سيـف الإسلام أحـمدَ بن قـاسم حمـيد الدين، فـإنه بادرَ بوضـع خطة عسكرية كفيلة بتحقيق النصّر، ونظراً لأهمية معركةَ صنعاءَ، فاني أفردُ لها مكاناً في الدراسة :

– حصارُ وتطويقُ صنعاءَ :

كنّا قد أشرنا إلى قـيام قائد محور صنعاءَ، سـيفُ الإسلام، أحمدُ ابنُ قاسم حميدالدين بترتيب المحاط حولَ صنعاءَ، فرتَّبَ بني حشَيْش في سَعْوَان ونحوها أي في الوادي الواقع بالشـرق الشمالي من صنعاءَ

وعلى مسافة ٨كم، فاتصلَتْ بنوحشيْش بجبل نُقُم وبَرَاش، الجبل الشامخ في الشرق من صنعاءَ، يُطلُّ عليها من خلف نُقُم، ورتّب بني الحارث في بني حُوات، شمالَ صنعاءَ، وهي قبائلٌ كبيرةُ العدد والعُدة، ورتّب هَمْدَانَ في ضُلاع هُمْدان، شَمالَ غربِ صنعاءَ على مسافة ٨كم، واتخذَ القائدُ نفسُهُ مدينةَ الغَراس، الواقعةَ على سفحِ جبلِ ذي مرمر في بني الحَارث مقراً لقيادته، وكانَ اختيارُها بسببِ علاقةِ بني الحارث العدائيةِ مع الأتراك في صنعاءَ أثر سجن الوالي محمد علي باشا واهانته لمشايخ ورؤساء القبيلة، إضافةً إلى توفر الأعداد الكبيرة من المجاهدين فيها، وسهولة الإمداد والتموين، لأنها تعتَبرُ حسبَ المصطلح اليمني «أرضَ معاش»[1].

وتقدمتْ عصابةٌ من بني الحارث إلى الرَوْضَة، واشتبكتْ مع عسكر الترك في محرم ١٣٢٩هـ، وما هي إلا جولةٌ حتى أُخليت الرَوْضَةُ من العساكر العثمانية والضَّبْطيَّة وعساكر الملّة، وانتقلتْ رتبةُ بني الحارث من بني حُوات إلى الرَوْضَة، وهذا يعني أنَّ القوات الحارثيةَ أصبحتْ على بعد ٥كم، شمالَ صنعاءَ وترتّبتْ في الرَوْضَة.

وأما الأتراكُ فسارتْ عصبةٌ من عساكرهم إلى المغربة وأخرى من شعوب، وأعملوا المدفعيةَ في الرَوْضة رمياً متتابعاً، وقد تمكنتْ قواتٌ من بني حشيْش من التسلل إلى شرق مكان تواجد المدفعية التركية، وأطبقت القواتُ الإماميةُ من الشرق والغرب والشمال، فانهزمَ

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٠٦أ.

الأتراكُ إلى بابِ شعوب، وأثّرت هزيمةُ قوات المدفعية على عساكرِ «الملّة» المتمركزةِ في قشلةِ المساجد، فاستسلَمَ عساكرُ الملّةِ للمقدّمي، عليِّ بنِ علي السراجي.

ويبدو أنَّ الواليَّ العثمانيَّ محمد علي، أرادَ التقليلَ من أهميةِ إنتصاراتِ المقدّمي عليِّ بنِ علي السراجي، فقادَ القواتِ بنفسهِ إلى الحَيّمة، وهاجمَ قواتِ المقدمي علي السراجي في طرف نقيلِ عَصر، غربَ صنعاءَ، حيثُ قوبلتْ بمقاومةٍ شديدة من مجاهدي نَقيلِ عَصر، ومن غاراتِ أهلِ القرى المحيطة فانسحبتْ قواتُ الوالي إلى نَقيلِ عَصر، حيث لاحقَهم مقاتلوا همْدانَ من جبلِ شاهرةَ، فانكفأ الوالي وقواتُهُ مهزومةً إلى داخلِ صنعاءَ.

وقد ساهمت نتيجةُ تلكَ المعركةِ في رفعِ الروحِ المعنويةِ القتاليةِ للقواتِ الإماميةِ، فعمَّ الفرحُ والابتهاجُ البلدانَ، وأشعلت النيرانُ على الجبالِ، بعدَ أنْ تحطمت أسطورةُ القائدِ التركي الذي لايقهرُ، وتخلّصَ الناسُ من الخوفِ والرهبةِ التي أشاعها الوالي محمد علي بظلمهِ وجبروتهِ وطغيانه.

وسارعَ سيفُ الإسلامِ، أحمدُ بنُ قاسم حميد الدين إلى تدميرِ حصنِ طيْبَةَ الذي كانَ مركزَ حراسةٍ وأمنٍ للأتراكِ وقاعدةً للباطنيةِ، الحليفِ التقليدي للأتراك[1].

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٠٦ب.

وإزاءَ هذه الانتصارات، بادرَ السادةُ والأعيانُ والمشايخُ والقبائلُ إلى الإنضمامِ لسيفِ الإسلامِ أحمدَ بنِ قاسم حميد الدين، وانثالوا إليه من كلِّ حدبٍ وصَوْب، وقد كتبَ سيفُ الإسلامِ أحمدُ بنُ قاسم حميدالدين إلى الإمامِ يحيى مبيناً مدى الالتفاف، حيث ذكرَ أسماءَ القبائلِ وأسماءِ المشايخِ والوكلاءِ والمقدمين الذينَ تداعَوْا إلى الجهاد فأسندَ إليهمْ مهمات قتاليةً وأعادَ توضيعَ المقاتلينَ حولَ صنعاءَ، فرّتبَ قوات همْدانَ حولَ شبَام وبني الحارث في الرَوْضَة، ورتبَ أطرافَ سَنْحَانَ ودار الحَيْد ودارَ القاع والجردا والسواد وحَدَّةَ وحدين وعَصر ومَنْد ومتنةَ والقاهرةَ وقُملانَ والجاهلي، وعيّن المقدمين والوكلاءَ والقادةَ، وبذا زدات القواتُ اقتراباً من صنعاءَ، وأُحْكِمَ الطوقُ وحيلَ بينَ القوات المحصورة في صنعاءَ وامكانية الإمداد والتموين[1]، ومع اقترابِ المحاط من صنعاءَ، أخذتْ المدفعيةُ الإماميةُ تؤثّرُ على العساكرِ العثمانية في القصبة العليا في نَقيل عَصر، وهوجمتْ القشلتان التركيتان، السفلى والكبرى، وحققتْ القواتُ الإماميةُ نصراً كبيراً، وأسرت عدداً من جند الأتراك[2]، ومن ثمَّ اشتبكت القواتُ الإماميةُ في معاركَ مع الأتراكِ في الحسمة ومَنْد ومتنةَ والقاهرةَ والسرَّارة والمحازيب والقليس، وامتدتْ دائرةُ الحصارِ والتطويقِ إلى حدةَ ووعلانَ وخدار والقرى الصغيرةِ والأكام، مثلِ ضبر

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٠٩ب.

(٢) انظر، المصدر السابق، ١١٧ب.

خيـرة والخمـيس وبيت الزيادي. وهاجمَ المجـاهدون قلعةَ جـبلِ نُقُم، الجبلِ المطلِّ على صنعاءَ من الجهةِ الشرقية[1].

كانتْ استراتيجيةُ الإمامِ تقومُ على إطالة أمدِ الحصارِ على صنعاءَ حتى يتمَّ اسـتسـلامُ القواتِ العثمانيةِ بأقلِّ خـسائرَ بشـريةٍ ومادية، وليحولَ دونَ دخولِ القبائلِ إلى صنعاءَ خوفَ نهبِها واستباحتِها.

وتوالت الأخبارُ على المـقامِ الإمامي في خَمرِ باستـلامِ الحاميات والعسـاكرِ العـثمـانيةِ في الرَوْضةِ وهَدَاد والـشراقي وقَفْلَة الـجاهلي والظفـيـرِ وبَوْعَانَ وبيت السـلامي، وغـيـرها من الأماكـنِ كمـا وصلَ إلى خَـمرِ أيضـاً مئـاتُ الأسرى الذينَ أُسـروا في نَقيلِ عَـصرِ وحـراز وضبر خـيره وبيت ابن مهدي وخَـوْلانَ وسَنْحَانَ وبلاد الروس، فكان حالُ العـساكـرِ التركـيةِ -كمـا وصفـهم الشرقي- بينَ أسـيرٍ وقـتيلٍ ومنهزمٍ ومحصورٍ، إضافـةً إلى ما غنمَهُ المجاهدون من مدافعَ وبنادقَ وذخائرَ وأسلحةٍ وعملاتٍ ذهبيةٍ وفضيةٍ ونحاسية.

إنَّ فـشلَ خطةِ الوالي مـحـمد علي في تـسكينِ الحـربِ، وفداحـةَ الخـسائـرِ التي لحقتْ بـالقواتِ العـثـمانيـة، دفـعتْ الدوائرَ العليـا في استـانبولَ إلى معاودةِ النظرِ في القـضيةِ اليـمنية، لاسيمـا وقد تناهتْ إليهـا أخبارُ التـمردات والفـرارات من قبلِ العسـاكرِ العـثمانيـة، وعدمِ الرغبةِ في البقاءِ في اليمنِ، ومواجهةِ الـمصيرِ المجهولِ في مناطقَ غير

---

(١) انظر، العزب، فترة خروج، ٦٥.

آمنة، وميادينَ وعرة المسالك، وتلقي الفظاظة والغلظة من وال يطلبُ النصرَ دونَ تحقيقِ أسبابه، وزادَ الأمرَ سوءاً تعمّقُ الخلافِ بينَ الجمعيات والأحزابِ في استانبولَ، وخاصةً بينَ جمعيةِ الإخاءِ الوطني والحريةِ والترقي، والاتحادِ المحمدي، المطالبةِ بتطبيقِ أحكامِ الشريعةِ دونَ الدستور، والجمعيةِ الإصلاحية.

وعلى الجانبِ الآخر، فإنَّ القواتِ العثمانيةَ المحصورةَ في صنعاءَ، تيقَّنَتْ بأنها تدافعُ عن حياتها ووجودها في معقلها الأخير، فابدت بسالةً نادرةً في الدفاعِ عن صنعاءَ، وشدّدوا الحراسةَ على بوابات صنعاءَ، وسُيّرت الدورياتُ ليلاً ونهاراً لحفظِ أمنِ المدينة، ولمنعِ الاتصالِ بينَ المتعاونين مع القواتِ الإماميةِ من أهلِ صنعاءَ، وتلك المحاصرةِ لصنعاءَ.

وفي خطةٍ احترازيةٍ قامتْ العساكرُ العثمانيةُ بتدميرِ البيوتِ القريبة من سورِ صنعاءَ مخافةَ استخدامها منْ قَبلِ قوات الإمام، والتسلّلِ منها إلى داخلِ المدينة، كما بُثتْ حقولُ الألغامِ حولَ صنعاءَ والصافية، وكانتْ هذه الألغامُ صيداً ثميناً لجنودِ الإمام، فقد مهروا في انتزاعها وإعادةِ استخدامها ضدَّ الأتراك.

إن الوضعَ الحرجَ للقوات العثمانيةِ في صنعاءَ، فرضَ على القيادةِ العثمانيةِ في استانبولَ، سرعةَ إرسالِ الإمدادات بمختلف أشكالها إلى القواتِ العثمانيةِ المحاصرةِ سواءٌ في صنعاءَ أو يريمَ أو غيرها من المناطق، فقرّرتْ حكومةُ البابِ العالي إرسالَ ٣١ أورطةً عسكريةً و ٨

بطاريات مدفعية إلى اليمن، وهي مصمّمةٌ على استعمال الشدة في قمع الثورة[1]، ولكنَّ هذا التجهيزَ والإمدادَ يحتاجُ إلى أموال وافرة، والدولةُ تعاني من عجز في الميزانية، والاضطراباتُ تنهشُ جسدَها في أوروبا، فاكتفتْ بإرسال الامدادات التي تمكّنتْ من توفيرها، وصدرت الإرادةُ السنيةُ بإسناد القيادة إلى المشير عبدالله باشا، الذي توفي وهو في طريقة من الحجاز إلى اليمن، فتولّى قيادةَ الحملة أحمد عزت باشا، رئيسُ أركانِ حربِ الجيش، والذي شكّلَ دخولُهُ إلى الميدانِ حدَثاً متميزاً في الصراعِ اليمني العثماني.

المبحثُ الثاني : الطريقُ إلى صلح دَعَّان :

كان تعيينُ أحمد عزت باشا قائداً للحملة مؤشراً على أنَّ الدوائرَ العليا في الحكومة العثمانية في الآستانة، أخذتْ تنظرُ إلى قضية اليمن نظرةً واقعيةً، فالرجلُ من دعاة وجوب الاتفاق والصلح مع الإمام، وكانتْ له جهودُهُ في الاتفاق الذي أُبْرِمَ في استانبولَ مع وفد الإمام، لاسيما وأنَّ المطامعَ الأوروبيةَ في اقتسام تركة الرجل المريضْ أصبحتْ أكثرَ وضوحاً، فإيطاليا بدأتْ بالتحفّز لاحتلال ليبيا. وأحمد عزت من أسرة ألبانية ذات مجد وشرف، كان والدُهُ، حيدربك، متصرفَ وان بالأناضول الشرقي، ومع ذلكَ فهو قائدٌ عسكريٌّ قدير، وذو كفاءة عسكرية عالية، تلقّى تدريباً متميزاً في ألمانيا، وكانَ معروفاً بديانته وذكائه وإدارته وحنكته. وكانت خطةُ أحمد عزتْ باشا تقوم على :

---

(١) انظر جريدة المؤيد، العدد ٦٨٣، تاريخ ١٩١١/٢/٦.

- ضرورة فكِّ الحصارِ عن القواتِ المحصورةِ في صنعاءَ ويريم والمناطقِ الأخرى من اليمن.
- عدم الدخولِ في معاركَ مهمةٍ مع القواتِ الإماميةِ، وعدم الوصولِ إلى معاقلِ الإمامِ ومناطقِ سيطرته. فهو لايطلبُ سحقَ قواتِ الإمامِ ولا مطاردتَهُ، بل يطلبُ الحفاظَ على قواتِ الإمامِ قدرَ الإمكانِ. للإستعانةِ بها ضد الأطماعِ الفرنجيّةِ مستقبلاً.
- الاتصالِ بالإمامِ والسعي لعقدِ الصلحِ معه. وفكِّ تعاونِ الإدريسي مع الإمامِ.
- التصدي للخطرِ الأكبرِ في الجزيرةِ العربيةِ، وخاصةً في تهامةَ وعسيرِ المتمثلِ في حركةِ الإدريسي، وكسرِ تحالفِ الإدريسي مع الطليانِ، لاسيما وأن اتصالاتِ الإدريسي بالطليانِ بدأتْ تتسرّبُ أخبارُها إلى العلنيةِ.

وصلَ أحمد عزت باشا وقواتُهُ الكثيرةُ العددِ والعُددِ إلى الحُدَيْدة، ومنها اتّجه براً إلى حَرَاز، القاعدة الآمنة للقواتِ العثمانيةِ، فاضطرَّ المجاهدونَ إلى الإنكماش والتراجعِ إلى الحجرةِ والحَيْمةَ، ومنها واصلَ سيرَهُ من مَفْحَق إلى جبالِ صنعاءَ الغربيةِ، وفي هذا الطريقِ تخطَّفتْ قواتُ الإمامِ العساكرَ العثمانيةَ، فوقعتْ مصادماتٌ في مَفْحَق والخُمَيس وقملانَ وبيتِ السلامي وبيتِ حصبة، ولكنَّ القواتِ العثمانيةَ احتوتها وواصلتْ تقدّمها، بل ونجحتْ في تثبيتِ حاميات عثمانيةٍ على رؤوسِ الجبالِ من بني سليمانَ إلى أعلى بني السياغِ وإلى جبلِ شعيب لتقومَ

بحمـاية الطرق، ومطاردة قوات الإمـام الكامنة في زوايا الطرق، وباتت الغلبةُ للترك، واستولوا على الفرق[1].

وزحفت القواتُ العثـمانيةُ إلى شعبان البـروية، وهي مفتاحُ أبواب صنعاءَ، وفُكَّ الحصـارُ عن صنعاءَ بعدَ ترك قوات الإمام مواقَـعها حولَ صنعاءَ، ودخلتْ القواتُ العـثمانيةُ بقيادة أحمـد عزت باشا إلى صنعاءَ، وأقيمَ استعراضٌ كبيرٌ لها في ميادين صنعاءَ ابتهاجاً بذلك.

وفي الوقت الذي دخلتْ فيـه قواتُ الحملة صنعاءَ، نجـحت القواتُ التي يقودُها سعيـد باشا، أحدُ قادة هيئة أحمد عزت بـاشا في استعادة حَجَّـةَ ويريمَ وفُكَّ الحصـار عنهمـا، بعدَ اضطرار قـوات الإمام لتـخلية البلاد، خشيـةَ محاصرتهم من قبل القوات التركـية، وهمْ على البعد من مركز الإمداد والتموين.

وللحقيقـة، فإنّ دخولَ أحمد عزت باشا وقـواته صنعاءَ، ونجاحه في فكِّ الحصار عن بقية القوات المحاصرة، كان نهايةَ المطاف للمسألة اليمنية، إذ كانَ على أحمد عزت باشا مـواجهةُ العديد من الأمور المعقدة والصعـبة، فكلُّ مـافعله حتـى الآن، انّهُ أكّدَ نفوذَ الدولة علـى السواحل، وخاصةً في الحُدَيْدة، مطمع الادريسي، ثمّ على المـدن والمراكز الواقعة على الطريق من الحُـدَيْدة إلى صنعـاءَ، فـهو لم يخْـضع اليـمنَ تمامـاً، ومازالَ الإمامُ قويَّ النفوذ في الهضبة والجبال، فمعظمُ المراكز في تلك المناطق كانت لاتزال تحتَ سيطرة رجال الإمام.

---

(١) انظر، تقييد، ١٣١أ.

ومن ناحية ثانية، فإن خطرَ الإدريسي مازالَ محدّقاً بالوجود العثماني في عسير، ولولا مساعدةُ شريف مكةَ الحسينِ بن علي في فكِّ الحصارِ عن أبها سنة ١٩١٠م، لعانت القواتُ العثمانيةُ من أوضاعٍ صعبةٍ منذ ذلك الحين، ولكنَّ القوات العثمانيةَ المرسلةَ من اليمنِ وبمساعدة قوات شريف مكةَ الحسينِ بن علي، تمكنتْ من دفعِ الإدريسي وقواتِه إلى المرتفعات، وهُوَ -أي الإدريسي- مصمّمٌ على البدءِ من جديدٍ بعملياتٍ عسكريةٍ تهدفُ إلى السيطرةِ على عسير وإجبارِ العثمانيين على الاعترافِ بوضعِه في عسير.

وعلى الجانبِ الآخر، كانَ على أحمد عزت باشا التصدي لحلِّ مشكلة قبائلِ الساحل، المتمثلة في ثوراتِ قبائلِ الزرانيق والقُحرى، تلكَ القبائلِ الشافعيةِ التي لم تخضعْ للإمامِ يحيى، ولكنّها كانت معاديةً للأتراك، وممالئةً للسيدِ الإدريسي، ومثلُها بعضُ قبائلِ عسير والهضبة، وكان الإدريسي قد رفعَ شعار «عسير للعسيريين» متأثراً بذاك الشعار الذي رفُعَ في مصر، «مصر للمصريين»، وأحسنَ الإدريسي ربطَ القبائلِ برباطِ الواقعيةِ واستغلالِ وتوجيهِ البدويةِ الأوليةِ، مثلِ التعلقِ بالثأرِ والحريةِ الذاتيةِ والغنائمِ والرغبةِ في القتالِ[1].

وعليه، فإنّ أحمد عزت باشا كانَ واعياً للخطرِ الكبيرِ الذي يشكّلُهُ الإدريسي على الوجودِ العثماني، لاسيما وأنَّ القبائلَ في الهضابِ، الزيديةِ والشافعيةِ توحّدتْ في معاداتها للعثمانيين، بسببِ تردي

(١) سيد سالم، تكوين اليمن الحديث، ١٢٣.

الأوضاعِ الاقتصاديةِ وسوءِ الادارةِ العثمانيةِ، وتعطّلِ الأعمالِ الزراعيةِ لدوامِ الحروبِ، مع ما رافقَ ذلكَ من تعسّفٍ وظلمٍ في فرضِ وتحصيلِ الضرائبِ والإعانات.

كان أحمدُ عزت باشا على درايةٍ تامةٍ بكلِّ هذه الظروفِ، وعليهِ أن يختارَ المواجهةَ من عدمها مع كلٍّ من الإمامِ يحيى وقواته، والسيدِ الادريسي وتحالفاته والقبائلِ ومتطلباتها، وليسَ أمامه إلا أحدُ خيارين، إما مواصلةُ الحربِ على كلِّ الجبهاتِ وبأيِّ ثمنٍ، مع ما تطلُبُه من استعداداتٍ ونفقاتٍ قد لا تستطيعُ استانبولُ الاستجابةَ لها، أو سلوكُ طريقِ الواقعيةِ، فيكونُ الاتفاقُ مع الإمامِ، ومن ثمَّ ينظرُ في الاستجابةِ لمتطلباتِ القبائلِ، فيشكّلُ حلفاً من قواته وقواتِ الإمامِ والقبائلِ الساحليةِ فيمكنه عندئذٍ القضاءُ على خطرِ الادريسي وتحالفاته الداهية. وقد ساعدَ أحمد عزت باشا على الدخولِ إلى الخيارِ الثاني فشلُ حملةِ والي اليمن محمد علي باشا في تحقيقِ أيةِ نجاحاتٍ مهمةٍ، وعودتهُ خائباً إلى صنعاءَ، وكذا الصعوباتُ العسكريةُ التي بدأتْ تحيطُ بالقواتِ العثمانيةِ في عسير، لاسيما وأن حكومةَ استانبولَ قد خوّلَتْ أحمد عزت باشا صلاحياتٍ واسعةً، واتخاذَ مايراهُ مناسباً قبيلَ رحيله إلى اليمن، علاوةً على مصاعبِ الدولةِ العثمانيةِ في أوروبا ومع ايطاليا في بلادِ طرابلس الغرب.

كانَ أولُ اتصالٍ غيرَ مباشرٍ بينَ أحمد عزتْ باشا والإمامِ يحيى قد وقعَ بواسطةِ النقيبِ ناجي حمود جزيلان، الذي عملَ في سلاحِ

الفرسان (الخيالة) في القوات التركية[1]، ففي شهر جمادى الأولى ١٣٢٩هـ، وصلَ إلى المقام الإمامي كتابٌ من ناجي حمود جزيلان من صنعاءَ، ذكر فيه «إنه تأمّنَ من عزت باشا، مأمور الإصلاحية، وأنّه وصلَ إليه ورآهُ رجلاً عاقلاً، ماقدْ رأي في العجمِ أصلحَ من نيّته، وأنه مايريدُ إلا حقنَ دماء المسلمين، ويريدُ أنْ يكتبَ عليه الإمامُ، وهو يصلُ إلى الإمامِ، ويكلّمه الإمامُ شفاهاً»[2]، وكانَ جوابُ الإمامِ، رفضَه الكتابةَ إلى الباشا مخافةَ أنْ يُنْسَبَ إلى الخوف، وكانتْ برقيةً قصيرةً: «ما قد يمكنُ الكَتبِ إلى الباشا المذكور، لأنه سيقول : إنّا فزعون، والسلام» ونحن نرى، إنّ أحمد عزت باشا ما كانَ ليباشرَ الاتصالات مع الإمام لولا درايتُهُ بتوجهات البابِ العالي في استانبولَ واستعدادُه لقبولِ الصلحِ والاتفاقِ مع الإمامِ، مع علمه أنَّ حزبَ الأهالي، كان يداومُ على طرحِ مسألة إصلاحِ اليمنِ في مجلسِ المبعوثان، ويؤازرهُ بطريقةٍ غير مباشرة، الحزبُ الحرُّ الإئتلافي، ثم إنَّ الحكومةَ العثمانيةَ نفسَها شكلتْ لجنةً لإصلاحِ اليمنِ، عُهدَ إليها بتقديمِ الاقتراحات والتوصيات والمشروعاتِ لحلِّ هذه القضيةِ التي أرَّقَتْ وأنهكَتْ الدولةَ، وتشكّلتْ اللجنةُ من : توفيق باشا، رئيسِ دائرةِ الماليةِ في شورى الدولةِ، رئيساً، وعضويةِ كلٍّ من : سماحة الشيخ محمود أسعد أفندي، ناظرِ الدفترِ الخاقاني، فريد باشا، رئيسِ دائرةِ المشاةِ، اسماعيل حقي، رئيسِ

---

(١) انظر، عبدالله جزيلان، لمحات من ذكريات الطفولة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٤م، ٩.

(٢) انظر، تقييد حوادث، ١٣٤أ.

دائرة اللوازم العسكرية غالب بك، مدير الأمن العام، وعبدالمجيد بك محاسب صندوق التقاعد العسكري، وكانَ للّجْنة الحقُّ في استدعاء منْ تراه من مبعوثي اليمن لأخذ المعلومات عن اليمن والحالة فيها. وترفعُ اللجنةُ تقاريرَها لناظر الداخلية، كما ضُمَّ إلى اللجنة فيما بعد، الفريقُ يوسف باشا الذي سبقَ له الخدمةُ العسكريةُ في اليمن[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو، لماذا لم يقبل الإمامُ مبدأ الاتصالات مع أحمد عزت باشا، وهو الذي عملَ كثيراً من خلال الوسطاء : الملوك والأعيان والعلماء، للاتصال بالسلطان العثماني؟ ثم أن الإمام ما كانَ راغباً في التنكر للخلافة الإسلامية.

وتعليلنا، أنَّ الإمامَ يحيى كان يخشى أن تكونَ محاولةُ عزت باشا، كمثيلاتها السابقة، فلا تتمخض عن أية نتيجة، فيما عدا إعطاء الفرصة للقوات العثمانية للراحة ومن ثمّ التجمع لمعاودة الحرب. ولذا، جاء جوابُهُ المقتضبُ بالرفض، مخافةَ أن يتوهمَ أحمد عزت بأن الإمامَ وقواته فزعون وخائفون من القوة العثمانية الضخمة المرافقة لأحمد عزت باشا[2].

وللبيان، فإنَّ رسالةَ الإمام الجوابيةَ، أبقت البابَ مفتوحاً لإجراء المحادثات والتفاوض بشأن الصلح، فإنْ فهمَ أحمد عزت باشا، دوافعَ الإمامِ للاستجابة منحصرة في حقنِ الدماء، وانفاذُ شريعة الله في كلّ

---

(١) انظر، المؤيد، العدد ٦٣٢٤، تاريخ ١٩١١/٣/٢٧، ربيع الأول، ١٣٢٩هـ، ص٤.

(٢) انظر ، تقييد حوادث، ١٣٤ب.

الأمـور، وليس فـزعـاً ولا رهبةً من الـقوة، كـان الحـديثُ، وفـتحُ باب الاتصالات. وقـد التقطَ أحـمد عزت بـاشا الإشارةَ واسـتدعى العـلاّمةَ القـاضي الحسـينَ بن علي العمـري، وكلّفه بالكتـابة إلى الإمام بـشأن الصلحِ مع الترغيب فيه، والعلامة الحـسين بن علي العمري، كان مأمونَ الجانب، ثقـةً، خبيـراً بنوايا الرجال، وعلى صلة ومودة بالإمـام يحيى، فقـد درّس على الإمـام المنصور بالله، مـحمـد بن يحيى، والـد الإمام يحيى، وحصـل الإمامُ يحيى نفسه إجـازةٌ علميةٌ من العلاّمـة القاضي، الحسين بن علي العمري، وجاء في رسالة العلامة العمْري إلى الإمام ما نصُّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاةُ والسـلامُ على خَيْرة الله من الأنام، وعلى آله وصـحـابته هُداة أهل الإسلام.

إنّ أبلغَ مـا افـتـُحـتْ به أسطرُ الرسـائل، وأطيبَ مـا تأرّجتْ به صـحائفُ الرسـائل، وأحلى ما تـحلّتْ به حروفُ الرقـاع، وأحسنَ مـا أرتقصَ لرقْمه اليراعُ، إهداءُ سـلام تفتحتْ أزهارُهُ، وطابَ جُنَاهُ وثمارُهُ، وسَطَعَتْ في الآفاق أنوارُهُ، وتعطّرَتْ من طيبه مـعمورات الحيِّ وقفارُهُ، ألطفُ من نسيم الأسحـار، وأصفى من ماء الأمطار، وأظرفُ من رياض الأزهار، وأرقُّ من تغـريد البلابل على الأشـجار، مع تحيـات صافـيات المناهل، عـذبة المورد للصادي والـناهل، تخصُّ سيدي المـولى، قطبَ دائرة الكمال، وواسطةَ عقد نظام الآل، وقـدوةَ الأعلام، وعمدةَ الأحكام،

حافظَ العلومِ، ومقرّر القواعدِ منها والرسوم، العلاّمةَ على الإطلاق، والمحرزَ لقصباتِ السباقِ، المتوكلَ على الله، مولانا، الإمامَ يحيى بنَ محمد، حفظهُ اللهُ، حماه، وبعينِ عنايتِه كلاه، آمين.

صدرت الأحرفُ، تقبّلُ تربةَ ذلكَ المقامِ، ويقومُ بما يجبُ له من الاحترامِ، وتشرفُ بالمثولِ في ساحتِه الكريمةِ، وتستمدُّ دعواتِه التي هي بالخيرِ زعيمة.

هذا وغيرُ خافٍ على المسامعِ الشريفةِ هذه الحوادثُ العظيمةُ الواقعةُ في قطرِ اليمنِ، مرةً بعدَ أخرى منذ سنين وأعوام، وما وقعَ خلالَها من إراقةِ الدماءِ وذهابِ الأموالِ، وهدمِ دورٍ وبيوت، وانتهاكِ حرمٍ عظام، حتى صارتْ حوادثُ اليمنِ سمعةً في الأقطارِ، ووهنَ بسببها للمسلمين الشعار، صارَ عقلاؤهم يخافون عاقبةَ الأمورِ، وأهلُ الملَلِ الكفريةِ يحصلُ لهم بذلكَ السرورُ. ولقدْ شاعَ وذاعَ أنهمْ يدبّرون الحيلَ في تشتيتِ أمرِ أهلِ التوحيد، وتفريقِ جمعِهم بالوسائطِ بضربِ بعضِهم لبعضٍ ولو من بعيد، وبهذه القضيةِ صارتْ الأفكارُ حائرةً، إذ المسلمون يضربُ بعضُهم رقابَ بعضٍ، ويدعونَ الفرقَ الكافرةِ، خصوصاً منْ جرّبَ الأمورَ وعرفَ دهاياتِ الأجانبِ، وصارَ لعظمِ هذه المكيدةِ حضرةُ الباشا الأكرمُ، والأميرُ المفخم قومندان العمومِ أحمد عزت باشا، جمعَ اللهُ به شملَ المسلمين متأسفاً أشدَّ الأسفَ، لعظيمِ مودّته لأهلِ اليمنِ وشغفَته بهم، خصوصاً ساداتِ الناسِ وأشرافَهم، وصارَ باذلاً جدَّه في جمعِ شملِهمْ وإصلاحِ شأنهم، وحسمِ المادّةِ التي

بسببها أريقت الدماءُ، ليعودَ كيدُ الأجانبِ في نحورهم، وتبطلَ ما تسوّل لهم به خبيثاتُ ضمائرهمْ، ومعلومٌ عندَ مولانا، ما لسلاطين الإسلام منْ الفتوحات السابقة، وحفظ الثغور، والقيام في نحور الأعداء، وحماية الحرمينْ، وتعظيم شعائر الإسلام، ومعلومٌ أيضاً ما وقعَ في بعض الأقاليم من تغلّب الأجانب على بلاد الإسلام، وذلكَ لما ساغتْ لديهم مكائدُ الأعداء اللئام، ولم تبقَ دولةٌ إسلاميةٌ مستقلةٌ غيرَ الدولة العثمانية، وغيرُها صارَ يُناحُ عليها ويُبكى، اكتنفتْها الحوادثُ حتى أضحتْ رمماً، وحيثُ أنّ القومندانَ الأكرمَ، حفظهُ اللهُ، له نيّةٌ صالحةٌ، أنبى عن ذلك حسنُ أفعاله، الظاهرة من الإنصاف أو السماحةُ والعفوُ وكظمُ الغيظ، ومراعاةُ مصالحِ الإسلام، رغبَ في مواصلتكمْ لما يعرفهُ من واجبِ حقّكم وصلاحِ نيتكمْ.

فصدرتْ منهُ المكاتبةُ المباركةُ، إن شاء اللهُ بما هو الواقعُ، وتدركُهُ الإفهامُ لحسنِ ظنّه فيكمْ، وحرصه على حفظ شرف الإسلام، ومعرفة قدركمْ ليعلوَ بذلكَ الإسلامُ وملّتُهُ، وتتهدمَ رسومُ الكفر وابنيتُهُ، ولزيادة الشرف لكمْ عندَ الربِّ، جلَّ جلالُهُ، فلمْ يأت أحدٌ من أسلافه مثلُه في مراعاة منْ يعظمُ نفعُهُ، فنرجو إن شاءَ اللهُ من حضرتكَمْ الشريفة عقيبَ الإطلاع على ما حواهُ مرسومُهُ الشريفُ، القبولَ لما نظمته والمساعدةَ والجوابَ الشافي، فإنّهُ لم يحرّرْ ذلك إلا راجياً منكمْ القبولَ لحسنِ ظنّه ورعايته لأهلِ بيتِ الرسولِ.

ومعلومٌ لحضرتكمْ أنَّ الموافقةَ فيما هذا حالُهُ، يعودُ نفعُها

لمصلحة العمومِ، في توخّيهِ كلمةَ الدينِ وعزَّ المسلمين.

وأمّا الأمورُ المتعلقةُ بالرعايا والمأمورين، وما ينوبُ ويعرضُ من أفرادِ القضايا، فمعَ الاتصالِ والمراجعةِ يسهلُ أمرُها، ولاسيما المومى إليه فيمن له الكلمةُ النافذةُ، والقولُ المقبولُ فيما رآه صلاحاً، فإذا وقعتْ المراجعةُ بينكم بالرسائلِ المكتوبةِ، فعسى تصلُح الأمورُ على ما يُطابقُ اللهَ سبحانُه، ونسألُ اللهَ باسمِهِ الأعظمِ، أن يُصلِحَ أحوالَ أهلِ الإسلامِ ويحسُنُ الختامُ

ودمتُمْ في حفظِ اللهِ، وشريفُ السلام عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ

حُرِّرَ في شهرِ جمادى الأولى سنة ١٣٢٩هـ.

ويفهمُ من كتابِ القاضي العلاّمةِ عليٍّ بنِ الحسين العمري، الأمورَ التاليةَ :

- أنَّ أحمد عزت باشا هو الذي طلب منه، فتحَ الكلامِ في الصلحِ بينَهُ وبينَ الإمامِ يحيى.
- يشيرُ العمريُّ في رسالته إلى الإمامِ اختلافَ عرضِ أحمد عزت باشا في الصلحِ عن غيرِهِ؛ لأنَّهُ نافذُ الكلمةِ في استانبولَ، واسعُ الأفقِ، يدركُ الأخطارَ التي تحيقُ بالدولةِ الإسلاميةِ العثمانيةِ وبقيةِ بلدانِ العالمِ الإسلامي.
- بعدَ أن قدّمَ العمريُّ أدلّةً تفيدُ بصلاحِ وجدّيةِ أحمد عزتْ باشا في الصلحْ، يقولُ فإنه «معلومٌ لحضرتكمْ أنّ الموافقةَ فيما هذا حالُهُ، يعودُ نفْعُها لمصلحةِ العمومِ، في توخّيهِ كلمةَ الدينِ وعزَّ

المسلمين»، وعبارةُ مصلحة العموم توحي بأنَّ الدولةَ ستعترفُ بالوضعِ الخاصِّ للإمامِ يحيى في اليمن، كما أنّ عبارات «توخيه الدينَ، وعزَّ المسلمين»، تؤكّدُ على أنّه سيُستجابُ لمطلبِ الإمامِ في إعمالِ الشريعة، ومن الجديرِ بالذكر أنّ الإمامَ، في إحدى رسائله إلى شريف مكةَ، أشارَ إلى إمكانية قبوله بحلٍّ، يجمعُ بينَ تسكينِ ثورة أهلِ اليمن، ورضى سلطانِ الإسلام».[1]

- يرى العمريُّ أنَّ القضايا المتعلقةَ بالرعايا والمأمورين، وإنْ وقعَ الخلافُ بشأنها، فهي ممّا يسهُلُ حلُّها بالإتصالاتِ والمفاوضات.

ويبدو أنَّ الإمامَ استجابَ لذلكَ، وجرتْ مراسلاتٌ لم نَعْثرْ- عليها فيما بينَ أيدينا من مصادرَ ووثائقَ، إلى أنْ وصلَ في ٢٨ جمادى الاخرة ١٣٢٩هـ، إلى مقامِ الإمامِ يحيى في خَمرَ العلاّمةُ قاسمُ بنُ حسين العزي، أبو طالب، والعلاّمةُ حسينُ ابنُ علي العمري، للبحث في الصلحِ وشروطه، وكبادرةِ حسنِ نوايا فقد أطْلق الإمامُ مئةَ أسير، غادروا بصحبةِ العلاّمة قاسمِ بن حسين العزي، أبو طالب، إلى صنعاءَ، طرفَ أحمد عزت باشا، واستمرتْ المكاتباتُ بينَ الإمامِ يحيى والباشا أحمدْ عزتْ، وقد بقيَ العمريُّ في المقامِ الإماميِّ في خَمر، حتى عادَ قاسمُ بنُ حسين أبو طالب من صنعاء وسار هو والحسينُ بنُ علي العمري إلى صنعاءَ للوقوف على رأي أحمد عزتْ باشا بشأنِ بعضِ القضايا محلِّ الخلافِ بينَ الطرفين، ثم عادَ قاسمُ بنُ حسين أبو طالب

---

(١) انظر رسالة الإمام يحيى إلى شريف مكة، علي بن عبدالله الحسني.

يرافقُهُ عزيز المصري، وطالتْ المفاوضاتُ مع عزيز أياماً، وقد أشارت المنارُ إلى أنَّ عزيز المصري تمكّنَ من إقناعِ الإمامِ هذه المرةَ»[1]، واستجابَ الإمامُ وأطلقَ ٤٠٠ أسير، هم بقيةُ الأسرى، خرجوا مع عزيز بك وقاسمِ بنِ الحسين، وأُعيدوا إلى صنعاءَ.

ويُستدَلُّ من تنقّلِ الوسطاء بينَ صنعاءَ وخَمر ولعدة مرات، صعوبةُ المفاوضات، بل ووصولُها إلى حافة الانهيار، وكانَ للخبرِ الذي أوردُهُ الشرقيُّ في كتابنا الذي ننشرُهُ، مدلولُهُ، فقد عمدَ أحمد عزت باشا لاستمالة بعض أعيانِ اليمن، وخصوصاً من حاشد، وشمل بإنعامه وإكرامه كُلَّ مَنْ وصلَ إليه، وذلكَ خلالَ إجراء المفاوضات، فقدَ وصلَ إلى صنعاءَ عبدُالله بنُ الإمامِ المتوكل، وصحبتَهُ أفرادٌ من حاشد، فأكرمَهم أحمد عزت باشا وقرّرَ لهم الرواتبَ والجوامكْ، ثم تبعَ الشيخُ ناصر بن مبخوت الأحمر والنقيبُ أحمد بن يحيى فارع ومسعود البارق من عُصيْمات الوطا، ومقبلُ بنُ على مجدع من ذو سعيد بن منصور وحسين بن منصر ومعه أفرادٌ من ذو غانم، وناصر هادي بن رافع، وكلُ منْ وصلَ إلى عزت باشا أكرمَهُ على مرتبته ومكانته وقيّدَ له معاشاً، فانحدرَ الكثيرُ من العرب إلى صنعاءَ، ويصوّرُ مؤرخُنا الحالةَ «حتى يظنَّ الظانُّ انقلابَ العرب عن الإمام»[2]، وحتى وإن كان مؤرخُنا لايعيرُ هذا التوجّهَ أيةَ أهمية «إنما هي عادةُ حاشد وبكيل طلبَ الدراهمِ

---

(١) انظر، المنار، المجلد ٥، الجزء ٢، تاريخ أول صفر سنة ١٣٣٠هـ، ٨ فبراير ١٩١٢م، ٥٣.

(٢) انظر، تقييد حوادث، ١٣٩أ.

والدنانير، وعندَ الحوادث كلُّ أحد من مذهبه وبلده»[1] فإنها أوجدتْ ارتباكاً في الطرف الأمامي، حتى اعترضَ بعضُ المحبّين للإمام على قبوله مداواةَ الطبيب التركي أحمد هاشم، عندما أُصيبَ بمرض القُتيبا، والذي ينبت مادةً دمويةً تحتَ صابونِ الركبة، لها وجعٌ شديد.

وقد حاولنا جهدَنا تحديدَ أسباب الخلاف بينَ الإمام وأحمد عزت باشا، وما هي النقاطُ التي جرى حولها الحوارُ ولكن دون جدوى، فقد غابت تماماً من الوثائق والسجلات اليمنية والعثمانية.

ويحسنُ بنا قبلَ بسطنا لصلح دَعَّان وتحليل أهميته ونتائجه أنْ نعودَ لدراسة المادة الأولى من اللائحة التي قدّمها نوابُ البلاد اليمانية إلى مجلس المبعوثان، والمنشورة في مجلسه النبراس بتاريخ ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨هـ، فقد جاءَ في المادة الأولى : من المعلوم أنَّ الدولةَ العليّةَ كانتْ قد وقّعتْ على مقاولة عهدية جرتْ بينها وبينَ السيد يحيى عام ١٣٢٢ للهجرة، تقضي بتسليمه صنعاءَ وجميعَ ما فيها من الأدوات الحربية والمدافع والبنادق، وكانَ الإمامُ قد أخذَ بعضَ أبناء المشايخ والأمراء رهائنَ، لايزالون موجودين عندَهُ إلى الآن في شُهارةَ، وهم يزيدون على ٥٠٠ نفر، كلُّهم من أبناء المشايخ، وكانَ هذا الأمرُ سبباً قوياً في توجُّه أنظار الأهالي والقبائل نحوَ الأئمة، الذين كانوا رؤساءَ دولتهم منذ ٢٨٠ للهجرة إلى حين استيلاء الدولة العثمانية على

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٣٩أ.

اليمن، وزادتْ بذلكَ طاعتُـهم للإمامِ واعتمادُهم عليه أكـثرَ من ذي قبل، ومن الضروريِّ في رأينا أنْ تعْـقدَ الدولةُ العثـمانيةُ بينَهـا وبينَ الإمامِ عقـداً آخـرَ فـي هـذا البـاب، وأن تعهـدَ به إلـى لجنـةٍ ينتخُبُ أركـانُها من الواقفيـن علـى دقائقِ الحالةِ الحـاضرةِ في اليمنِ، سواءَ كان هؤلاءِ من عـاصـمـــةِ السلطنةِ السنـيـةِ أو منْ سـاداتِ صنعـاءَ وَعلـمـائهـا ومشايخها.

فالـمادةُ الأولى تدورُ حـولَ الرهائنِ التي يحتـفظُ بها الإمـامُ في معـقله شُـهـارةَ، ومسـألةُ الرهائنِ وكيـفيـةُ معاملتـهم وتربيتـهمْ من المـواضيعِ الـتي كانتْ مـحلَّ اهتـمامِ الـباحثِ سـواءٌ في عـهدِ الإمـامِ المنصـورِ بالله محـمد أو ابنه الإمام يـحيى[1]، ويبدو أنَّ هذه المـسألةَ كانتْ واحدةً من مواضيعِ الخلافِ بينَ الطرفـين، فالإمامُ يعتبرها شأناً داخلياً يتعلّقُ بالأمنِ في مناطقه، وضمـانِ الطاعةِ، والعثمانيون يريدون إضعافَ الكيانِ المرتقبِ للإمامِ قدرَ الإمكانِ.

ونعرفُ من مفاوضاتِ وفدِ الإمـامِ في استانبولَ، أنَّ الخلافَ دارَ حولَ مسألتين:

الأولى : اسمُ الولايةِ أو الدولةِ والمناطقِ التي تشملها.

---

(١) انظر، سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين، ١/٧٥-٧٩؛ سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ١/١٠٣؛ الإمام يحيى بن محمد حميدالدين واصلاح المشرق ونجران، ص١٨ (تحت الطبع)، مبحث وطأة الرهائن.

والثانية : وضعُ رئيسها وخاصةً اللقبَ الذي يظهرُ على خاتمه «أميرُ المؤمنينَ، المتوكلُ على الله ربِّ العالمين» فالعثمانيون يريدون حذفَ لقب أمير المؤمنين، إذ يعتبرون اللقبَ يقتصرُ على الخليفة فقط، وأمّا اسمُ الولاية، فالوفدُ اليمنيُّ كانَ يريدُها «دولةَ الجبل»، وتشملُ تهامةَ بما فيها عسير، والعثمانيون يريدون، «الجبالَ الشامية دونَ الوصولِ إلى السهولِ أو الساحلِ في تهامةَ وعسير».

ومن الجديرِ بالذكر أنَّ الوثائقَ البريطانيةَ قدمتْ تحليلاً لموادِّ اتفاقِ دَعَّان، تعرّضت فيه للتنازلات التي قدّمها كلُّ طرف، من السقفِ الأعلى لمطالبه، وهذا ما سنعرضُ له عندَ بحثنا لصلحِ دَعَّان.

والمهمُّ أنَّ الإمامَ يحيى أعلن في ١٢ شوال ١٣٢٩هـ، تمامَ الصلحِ، وأنهم منتظرون وصولَ الوثائقِ الرسميةِ للتوقيعِ عليها واختيارِ المكانِ المناسبِ لإعلانه باحتفالٍ يحضرُهُ الطرفان. ثم التصديقُ عليه من المراجعِ المختصةِ في استانبولَ ليُصارَ إلى تنفيذه.

ومن الجديرِ بالذكر أن اعلانَ ايطاليا الحربَ على تركيا في ٢٩ سبتمبر ١٩١١م، كانَ له تأثيرٌ بالغٌ على الأوضاعِ في اليمن، فإيطاليا حسبَ زعمها- ترى أنه قد حانَ الوقتُ للقيامِ بتصحيحِ الأوضاعِ في

ليبيا[1]، بعدَ أنْ أدّت الاتفاقياتُ التي تمتْ بينَ فرنسا وانجلترا، وبينَ فرنسا والمانيا، ثُمَّ بينَ فرنسا وأسبانيا بموافقة ايطاليا وموافقة الدول الكبرى، إلى حلِّ مشكلتَيْ مصرَ والمغربْ، والمشكلةَ العامةَ لإفريقيا المطلة على البحرِ الأبيضِ المتوسط، وذلكَ بالاعترافِ لايطاليا بمصالحها وحقوقها الظاهرة على طرابلس الغربْ وبرقةَ. فكان الائتلافُ والاتفاقُ واجباً على المسلمين.

(١) انظر، الزائدي، محمد رجب، الغزو الإيطالي لليبيا، منشورات بنغازي، ١٩٧٤، ص٥٩، مذكرات جيوليتي (الأسرار العسكرية والسياسية لحرب ليبيا ١٩١١-١٩١٢)، تعريب وتقديم، خليفة محمد التليسي، منشورات الشركة العامة للتوزيع والاعلان، طرابلس، ١٩٧٦، ص٤٦.

الفصل الخامس

صلح دَعَّان

النص المعتمدُ، الأهميةُ والنتائج

المبحث الأول : النصُّ المعتمد والأصيل

لا أبالغ إذ أقرِّرُ بأنَّ النصوصَ التي نُشِرتْ حتى الآن، ليستْ هي النصوصَ الأصليةَ للنصِّ الذي جرى عليه التوقيعُ في دَعَّان يوم ٢٧ شوال سنة ١٣٢٩هـ، ٧ تشرين الأول سنة ١٣٢٧ رومي (مالي). الموافق ٢١/ ١٠/ ١٩١١م، إذ اعتمدَ سيد سالم في تحليله لموادِ الصلحِ وأهميته ونتائجه على عددٍ من المصادرِ العربيةِ والأجنبيةِ التي لم تكنْ على اتصالٍ مباشرٍ بأطرافِ الصلحِ، فإذا عرفنا أنَّ المفاوضاتِ تمّتْ بغايةِ السريّةِ حتى بعدَ التوقيعِ على الوثائقِ الرسميةِ، فلم تُعلن بنودُهُ التفصيليةُ إلا بعدَ المصادقةِ عليه من المراجعِ العليا في الآستانة نكونُ قد عذَرْنا أولئك الذين اجتهدوا في تحليلِ النصوصِ والموادِ التي تناقلَتْها الألسنُ أو بعضُ الصحفِ في الآستانة. وقد اعتمدَ الأستاذُ سيد سالم على كتابِ الواسعي، تاريخ اليمن، ٢٣٦-٢٣٩، والذي نقلَ عن زبارةَ في كتابِهِ أئمةِ اليمنْ بالقرنِ الرابعِ عشر للهجرة ٢٠٤-٣٠٦، وما نشرته مجلةُ المنارِ واللواء، ومن غيرِ العرب على كتب Hans Helfritz في كتابه The Yemen, A Secreat Journey وسلفاتور أبونتي، مملكةُ الإمامِ يحيى، ترجمة طه فوزي وكتاب Jacob، ملوكُ شبهِ الجزيرةِ العربيةِ

وكتاب bury، المسمى Arabia Infelix وكتاب توفيق برو، العربُ والتركُ في العهد الدستوري. والنصوصُ والقراءاتُ والتحليلاتُ للصلحِ وبنوده إنما كانت وفقاً للنصِّ الذي اعتقدهُ كلُّ واحد من هؤلاء، وقد نشرتْ صحيفةُ الحضارة التي كان يحرّرُها عبدُالحميد الزهراوي، عضوُ المبعوثان آنذاك في عددها رقم ٨٣ صفحة ١٠ تاريخها، القسطنطينية ٧ ذي القعدة ١٣٢٩هـ، ٢٧ تشرين الأول ١٣٢٧رومي الموافق ١٠ تشرين الثاني ١٩١١م، مقالاً تحت عنوان «الائتلافُ مع الإمامِ يحيى»، نقلت فيه معرّباً ما أوردتْهُ جريدةُ عثمانيشرلونيد التركية عن بنود الاتفاق، وبعدَ إيرادها لأحدى عشر مادةً، علّق الزهراوي بقوله «فهذه الموادُّ المهمةُ في ذلك الاتفاق والباقي فيما يعودُ للعمرانِ والاقتصاد ونشرِ المعارف، وأضافَ الزهراوي مؤكداً «أما نحن فلا نصدّقُ متنَ الاتفاقِ هكذا»، فأينَ وردَ المتنُ الأصليُّ للإتفاق؟.

من المعروف أنّ الإمامَ يحيى قد أوكلَ إلى مؤرخنا سعد بن محمد الشرقي «الاستمرارَ في تقييد الحوادث وإتمامِ السيرة». وذلك بعدَ عودة الوفد من استانبولَ وفشلِ المباحثاتِ هناك[1]. والأولى أن يكونَ متنُ الصلحِ الأصليِّ قد أطلعَ عليه المؤرخُ، ومع ذلك فقد أُعلنتْ موادُّ الصلحِ في الحفلة الجامعة في صنعاءَ المؤرخة في ١٣ صفر سنة ١٣٣٠هـ وهو «ما حُرّر في الجريدةِ الصنعانيةِ الحاكيةِ للإعلامِ بالحفلةِ

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٠٥ب.

العمومية»[1]، والتي أحضرَها، أي الجريدة، القاضي عبدُالله بنُ حسين ابن علي العمري وسيفُ الإسلامِ أحمدُ بنُ قاسم حميدالدين، وكلاهما على إطلاعٍ بما تمَّ التوقيعُ عليه في دَعَانَ، فالأولُ هو نجلُ القاضي العلاّمة الحسين بن علي العمري، أحدُ الوسطاء الرئيسين، والثاني أحدُ السيوف الذين يعتمدُ عليهم الإمامُ، وكان حاضراً عندَ التوقيع على الوثائق الرسمية. أما النصُّ الأصليُّ للمتن فوردَ عندَ مؤرخنا بينَ الأوراق ١٦١-١٦٣ من كتابنا «تقييد حوادث إنشاء الجهاد الثاني، وكان كالتالي :

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

المادة الأولى:

يصيرُ الإئتلافُ بينَ حضرة سموِّ الإمامِ المتوكل على الله ربِّ العالمين، وبينَ حضرة صاحب العطوفة رئيس عموم أركان حربْ، وقومندان القوة اليمانية عزت باشا، المأذون من طرف الحكومة السنية على الوجه الآتي، ويكونُ تصديقُهُ من المرجعِ العالي، وذلك فيما تصلحُ به أحوالُ جبال اليمن الآتي بيانها، التي تجري فيها الآنَ إدارةُ الحكومة السنية العثمانية فعلاً وهي : لواءُ صنعاءَ وما يحويه من أقضية صنعاءَ وعَمْرانَ وحَجَّةَ وكَوْكبانَ وحرَاز ماعدا صَعْفَانَ وبني مُقَاتل ثم أنس وذَمار ويَريم ورَداع ومنْ بلواء تعز من الزيديين، إن كانوا نصف الناحية فصاعداً.

---

(١) انظر، السابق، ١٦٣ب.

(٢) نقل العزب في كتابه فترة خروج العثمانيين، ٧١-٧٥، نصوص الصلح من كتابنا.

المادةُ الثانيةُ :

يكونُ إجراءُ الأحكامِ الشريعةِ بينَ المتحاكمين ممن يسكنُ البلدانَ المذكورةَ آنفاً في جميعِ المواد، وإقامة الحدود على كلِّ مرتكبِ لأسبابها، كلُّ ذلك على المذهبِ الزيدي، ويكونُ تعيينُ الحكامِ وتبديلُهم من طرف الإمام، وذلك بأنْ يكتبَ الإمامُ إلى الولايةِ كتاباً بتعيينهم، وتطلبُ الولايةُ تصديقَ ذلكْ من الأستانة على أنْ لا تتأخرَ، مباشرتُهم الوظيفةَ من عند أنْ يكتبَ الإمامُ، وتنفذَ الحكومةُ جميعَ الأحكامِ التي تصدرُ من حكامِ الشرعِ ابتداءً، ومن حكامِ الاستئنافِ إن لم يقنعْ المحكومُ عليه، وطلبَ الإستئنافَ .

المادة الثالثة :

إذا تظلّمَ أحدٌ من محكمة الاستئناف، واشتكى إلى الإمامِ، فيسألُ سموُّ الإمامِ الحكومةَ عن حقيقةِ ذلكْ، وإذا ظهرَ صدقُهُ على صحةِ تظلّمه أعيدت المحاكمةُ.

المادة الرابعة :

محكمةُ الاستئناف تشكّلُ في مركزِ الولايةِ من رئيسٍ وأعضاء ينتخبُهم الإمامُ، وكما يصدّقُ تعيينَ الحكامِ يصدّقُ تعيينهم.

المادة الخامسة :

إذا حكمتْ محكمةُ الاستئناف المشكلةُ على الوجهِ المتقدمِ ذكرُهُ بالقصاصِ الشرعي، الذي هو إعدامُ شخصٍ قاتلٍ، قد استحقَّ الحُكمَ عليه بالإعدامِ شرْعاً. فعلى الحاكمِ السعيُ أولاً في طلبِ العفو عن القاتلِ

من ورثة المقتول أو إرضائهم بقبول الدية من القاتل، فإن لم يساعدوه رفعت المحكمةُ الاستئنافيةُ الأمرَ إلى الأستانة، وطلبت الإذنَ باجراء القصاص بعد التصريح بأنَّ الحاكم قد بَذَلَ مجهوده عند الورثة في طلب العفوَ أو قبولَ الديّة فلمْ يعفوه، بشرط أنْ لاتزيدَ مدةُ صدور الإرادة في ذلك على أربعة أشهر، من عند إرسال تقرير المحكمة المذكورة.

المادةُ السادسةُ :

عندَ ظهور مايستوجبُ تبديلَ أحد الحكام من سوء حاله، فعلى الولاية أن تُخْبرَ الإمامَ بذلك مع تبيين الأسباب الموجبة لتبديله والدلائل الشرعية، وعلى الإمام أن يبدّلَ ذلك القاضي.

المادةُ السابعة :

للحكومة أن تنصّبَ قضاةً يحكمون بمذهب الإمام الأعظم أبي حنيفةَ النعمانِ بينَ منْ كان حنفياً من غير أهل جبال اليمنْ.

المادةُ الثامنةُ :

إذا حصلتْ دعوى بين زيدي وآخرَ من أهل المذاهب الأخرى الإسلامية من غير أهل الجبال، يكونُ الرجوعُ في تلكَ الدعوى إلي محكمة مختلطة تتألفُ من زيديين وحنفيين، وإذا اختلفَ القضاةُ في الحكم فالمعتبرُ حكمُ القاضي الذي من جهة المدّعى عليه.

المادةُ التاسعةُ :

للقضاة المعينيين في النواحي والأقضية أن يتخذوا لهم معاونين

ممن يثقون بهم يستخدمونهم في أمورهم، والمحافظة على أنفسهم، وفي إحضارِ الخصومِ على شرطِ أنْ لا يزيدَ عددُهم على ستةِ رجالٍ في النواحي، وثلاثة في الأقضية، وعلى الحكومةِ أن تؤدي لهم رواتَبهم بصفةِ مباشرين أو شرطيين، أما إذا كان هؤلاءِ غيرَكافين، فالحكومةُ تمدُّهم بمعاونينَ من رجالِ الضبطِ بحسبِ ما يقتضيه الحالُ.

المادةُ العاشرةُ :

ولايةُ الأوقافِ والوصايا إلى الإمامِ.

المادة الحاديةَ عشر :

تعفو الحكومةُ السنيةُ عن كلِّ ماسبقَ من أهالي الجبالِ المذكورةِ من الجرائمِ والبقايا المقيدةِ إلى تاريخِ هذا المقررِ، والمقصودُ من الجرائمِ هي السياسيةُ والتي وقعتْ في أثناءِ الحروبِ وتفرعاتها.

المادة الثانيةَ عشرةَ :

تعفو الحكومةُ السنيةُ مثل عفوها عن أهلِ الجبالِ عن جميعِ سوابقِ وجرائمِ وبقايا خَوْلانَ ونهم وأرْحَب مطلقاً، وتعفو عن مقطوعيتهم إلى مدةِ عشرِ سنينَ بشرطِ توقفِ أهلِ هذه الجهاتِ عن كلِّ مايورثُ نقصاً في جانبِ مأموري الحكومةِ، وعن التعرّضِ لما يخلُّ بالأمنِ العامِ في الطرقاتِ، فإن حصلَ من أحدٍ منهم أو منْ جماعةٍ منهم، مخالفةٌ لما ذُكرَ أُدِّبَ المخالفُ بخصوصه بما يستحقُّه شرعاً، وإذا صدرتْ المخالفةُ من أهلِ بلدٍ أو جهةٍ بالاتفاقِ، وثبتَ ذلكَ عليهم كانَ تأديبُهم وسقطوا من مزيةِ استحقاقِ العفو فيما بعد.

المادةُ الثالثةَ عشرةَ :

لايُطالبُ أحدٌ من أهالي الجبالِ المذكورةِ بشيءٍ غيرِ التكاليفِ الشرعيةِ، الأعشارُ بالخرصْ، والأغنامُ وبقيةُ الأنعامِ بالنصابِ الشرعي.

المادةُ الرابعةَ عشرةَ :

إذا وقعتْ شكايةٌ إلى الحكومةِ أو إلى حاكم الجهةِ المعيّن بنصبِ الإمامِ من ظلمِ الجباةِ والخارصين أو تبين من هؤلاءِ شيءٌ من سوءِ الاستعمالِ، لزمَ أولاً تحقيقُ الأمرِ من جهةِ الحاكمِ، وأكبرِ موظفٍ في الحكومةِ المحليةِ، وما ثبتَ بوجهٍ شرعيٍّ كان الحكمُ به من الحاكمِ والإجراءُ من الحكومة.

المادةُ الخامسةَ عشرة :

لامانعَ لمنْ أرادَ أن يعطيَ إلى الإمامِ شيئاً بطيبةٍ من نفسه، وذلكَ بأنْ يسلّمَهُ إلى سموِّ الإمامِ رأساً أو إلى مأموري الأوقافِ أو أمناءِ الأراضي المرتبطةِ بالإمامةِ أو بواسطةِ مشايخِ الدولةِ المختارين من الأهالي أو بواسطةِ الحكامِ.

المادةُ السادسةَ عشرة :

للإمامِ أنْ يأخذَ بواسطةِ منْ يأتمنُهمْ حاصلاتِ الأراضي المرتبطةِ بالإمامةِ وتأخذ الحكومةُ السنيةُ أعشارَها الشرعية.

المادةُ السابعةَ عشرةَ :

ناحيةُ جبلِ الشرقِ التابعة لقضاءِ آنس المؤلفةِ من العُزلِ التي هي جبلُ الشرقِ وبني قشيب وبني أسعد والمنار وبني خالد وبني سويد،

تعفى من جميع التكاليف مدة عشر سنينَ، وبعدَ انقضاء هذه المدة فعليها أن تؤديَ للحكومة الأعشارَ وسائرَ التكاليف الشرعية مثلَ غيرها من محلات الجبال.

المادةُ الثامنةَ عشرةَ :

يُطْلقُ الإمامُ من عنده من رهائن حواز صنعاء، وهي بنو الحارث وبنو حشيش، وهَمْدانَ، وبلادُ البستان وسَنْحَانُ وبلادُ الروس وبنو بُهلول وكذلك رهائنَ حراز وأهل عمْرانَ.

المادةُ التاسعةَ عشرةَ:

تأمينُ أصحاب الإمام وأصحاب الحكومة وسائر الناس في ذهابهم وإيابهم بتجارة أو غيرها، وإذا اتُّهمَ أحدٌ من الذين يدورون لاكتساب المعيشة بالسعي بما يسلبُ راحة العموم، قُبضَ وسلّم إلى حاكم الشريعة لتحقيق حالُهُ.

المادةُ العشرون :

بعدَ إمضاء هذا الإئتلاف لايتعدّى طرفٌ على الآخر في ماهو في إدارته الآن.

حُرّرَ في يوم سابع وعشرين شوال سنة ١٣٢٩هـ، وفي سابع، تشرين الأول سنة ١٣٢٧ رومي.

وبَعْدَ إعداد الوثائق الرسمية، جرى اختيارُ مكان التوقيع، وكانَ الإمامُ يرغبُ في خَمرَ لتكونَ المكانَ الذي يشهدُ التوقيعَ، ولكنَّ الخلافَ

الذي وقعَ في قبيلة حاشدْ بين الذين دخلوا صنعاءَ وأعلنوا الانحيازَ لطرف أحمد عزت باشا قبلَ الانتهاء من المفاوضات والمحادثات، ونالوا الرواتبَ والإنعامات من قبل أحمدْ عزت باشا وأولئكَ الذينَ لم يدخلوا ولم ينالوا، وحتى يظهرَ أولئكَ الذين مالوا إلى العثمانيين أنْ لانفوذَ لهم في مناطقهم، وحتى لايقعَ من المتشاحنين ما يعكّر صفوَ الاتفاق، فإنَّ الإمامَ قرّرَ أخيراً أن تكونَ قريةُ دَعّانَ من جبل عيال يزيد، الواقعة شمالَ صنعاءَ وتبعدُ عن مدينة عمْران، ١٨كم[1]، مكان التوقيع وكانَ خروجُ أحمد عزت باشا من صنعاءَ إلى مدينة عَمْرَان يوم ٢٣ شوال ١٢٩هـ، حيثْ كانَ في استقباله عندْ عَمْرَانَ سيفُ الإسلام محمدُ ابنُ المتوكل والشيخُ ناصرُ بنُ مبخوت الأحمر وحمود شريان وجبرانُ الغشمي، وكانَ بمعيّته العلاّمةُ القاضي الحسينُ بنُ علي العمري وولدُه القاضي عبدُالله والميرالايُ أحمد عوني بك رئيسُ أركانِ حربِ الحملة والميرلواء عبدالسلام باشا رئيسُ أطباء الحملة والميرالاي أحمد بن محمد الخباني الحسني، مبعوثُ صنعاءَ إلى مجلس المبعوثان، والقائمقام رجب بك والبكباشيةُ عاصم وعزت والقول آغاسية قدري وعصمت بك واليوزباشية عاشور وسيفي وصالح وصفوت وناظم بك وياور القائد الملازم سروربك والكاتبان الهامي وسليمان بك ومحمود نديم مبعوث الحُدَيْدَة، وقومندان الجندرمة، برتوبك، ومدير مكتبْ الرشدية والعسكرية بصنعاء والبكباشي بهاء الدين.

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٤٠أ.

وانتقلَ الإمامُ يحيى إلى دعَّان، وكانَ قد أمرَ بتأهيبِ البيوتِ للمناسبةِ، وتحصيلِ كافةِ المحتاجةِ للضافةِ فوقَ العادةِ من الذبائحِ والدقيقِ والسمنِ، وكانَ يرافقُ الإمامَ من أعيانِ رجاله سيفُ الإسلامِ، أحمدُ بنُ قاسم حميدالدين، والسيدُ عبدُالله بنُ ابراهيم بن الإمام، والسيدُ أحمدُ بنُ يحيى قاسم عامر، وسيفُ الإسلامِ محمدُ بنُ الإمامِ المتوكلِ على اللهِ المحسنْ بن أحمد، والسيد يحيى بنُ علي الذاري، وشيخ الإسلامِ، علي بن علي اليماني، والقاضي عبدالوهاب بن محمد المجاهد الشماحي، والقاضي الحسين بن أحمد العرشي، والقاضي محمد بن اسماعيل الشامي، والشيخ علي مقداد، والشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر الحاشدي.

ووصلَ عزتْ باشا تحيطُ به الخيالةُ السواريةُ النظاميةُ، وجرى لهم استقبالٌ حافلٌ عند دَعَّان، وبعدَ استراحة، انتقلوا إلى مقرِ اقامة الإمامِ، وكانتْ المراجعاتُ في القضايا المعلّقةِ، وفي اليومِ التالي وُقعتْ وثائقُ الصلحِ، من قبلِ الإمامِ وعزّت باشا وعصمت بك وعوني بك من أمراء العسكر.

وبعدَ التوقيعِ أهدى الإمامُ إلى الباشا أحمد عزت فرسين عربيين من نجائب خيل الإمام العربية[1].

وباتَ ينتظرُ التصديقَ عليهِ من المراجعِ العليا في استانبولَ،

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٤٢، أئمة اليمن، ٢٠٠، المنار، المجلد ١٥، الجزء ٢، صفر ١٣٣٠هـ.

المبحث الثاني : نظرةٌ في موادِّ الصلحِ

يرى الباحثُ، قبلَ عرضِ ماقيلَ في الصُّلْحِ، ومالَهُ وما عليه، أن ينقلَ وثيقةً بريطانيةً محفوظةً في الأرشيفِ الثامن، وجاء فيها :

هذه الوثيقةُ ملكُ حكومةِ جلالتِه البريطانية[1]

الأرشيف الثامن

تركيا الآسيوية والجزيرية العربية ٣٠ أكتوبر

سري (٤٢٦٣٧) القسم الرابع

(رقم ١)

(استلمت ٣٠ اكتوبر) Sir G.Lowther to Sir Edward Grey

رقم (٧٤٢)

سيدي

يشرفُني أنْ أرفقَ رسالةَ مساعدِ قنصلِ جلالتِه في صنعاءَ، وهو تقريرٌ عن ولايةِ اليمنِ، الإدارةِ والسياسةِ والاقتصاد.

خادمكم

Gerard Lowther

المحتوى في رقم ١

من مساعد القنصلِ إلى السير G.Lowther

رقم 41/E

---

(١) Negotiations with the Imam lead to treaty of Daan. Operations against the Idrisi : lowther to Grey, 21 October, 1911, ecnlosing Letter from Richardson to Lowther, 14 September, 1911.

سيدي

في مراسلتي رقم 32/E بتاريخ ١٢ يونيو الماضي، أفدتُ بأنَّ المفاوضات بين عزت باشا والإمام سيد يحيى استمرتْ على أساس التوصل إلى نوعٍ من الترتيبات التي يمكنُ من خلالها أن تتوقفَ الحربُ وسفكُ الدماء في هذه القطعة وبشكلٍ دائمٍ في المستقبل.

وقد علمتُ الآنَ أنَّ نوعاً من التفاهم المقبول، قد تمَّ التوصلُ إليه بينَ الطرفين المشار إليهما أعلاه، وأن التسويةَ تنتظرُ فقطْ موافقةَ الحكومة العثمانية. وقد جرتْ المفاوضاتُ بصورة في غايةِ السرّية إلى أنْ أصبحَ -إلى حدٍّ ما- معلوماً أنها قدْ حقّقَتْ نتائج مُرْضيةً، وأنَّ بنودَ التسويةِ التي تمكنت من الوصول إليها تقومُ على الأسس التالية :

- وافق السيدُ يحيى على التخلّي عن إدعاءاته بخلافة المسلمين، واسقاط لقب «أمير المؤمنين» الذي داومَ أسلافُهُ على اتخاذه لقباً لهم، وأن يكنّي نفسَه ببساطة، إمامَ الزيدية.
- وقد وافقَ إلى جانب ذلكَ على إطلاق سراح كلِّ الرهائن من العرب، وعلى أنْ يمارسَ صلاحياته وضغوطَهَ من أجل ضمان ومساعدة وتعاون القبائل الزيدية في الجبال التي كانتْ تناصرُهُ ضدَّ الأتراك، ويمثلُ هؤلاء الرهائنُ الذين يصلُ عددهم لأكثر من ٤٠٠، كلَّ قبيلة تقريباً في جبال شمال مناخة وتعز، وقد أخذوا من الشيوخ والعقّال والقبائل في سنة ١٩٠٣م، وذلك عندَ وفودهم

على السيد يحيى لإعلان ولائهم عندَ تولّيةِ الإمـامةَ، ومبايعته بعدَ وفاةِ والده محمد حميد الدين.

- إنّ إعادةَ هؤلاء الرهائن، سـيؤدي عملياً إلى تقليص سلطاته الـمدنية على القبـائل الزيدية، الذينَ انضمـوا إلى كلِّ الثورات والحـركات التي قامَ بها الإمامُ.

- وخـلالَ الاشتـباكـات والمنازعات الأخـيـرة، فإنَّ العـديدَ من بطون العشائر أعفوا منَ المشاركة في الاشتباكات بناءً على طلبهم، بعدَ أنْ ألزمـوا أنفسـهم بالبـقـاء على الحيـاد، لا يناصـرون الأتراكَ ولايقـاتـلون مع الإمـام، ولكنَّ بلَـدَهمْ على أية حـال تـعـرضتْ للاحتـلال والتدمـير من قبل العـصابات التي أرسلهـا الإمامُ من مناطقَ أخرى، وكانتْ بلادُهم مسرحاً للقتال بينَ الأتراك وهؤلاء الغزاة (الأعراب). سيّما وأنَّ طلباتهم للشفاعة والاستغاثة بالإمام أثبتتْ أنها ليستْ ذاتَ جدوى.

- ومنذُ انهيار الثـورة، فقدَ الإمامُ يحيى تعـاطفَ عددٍ هامٍ من أنصاره واتباعـه، وهناكَ علاماتٌ تشـير إلى العـزوف عنه، بل حتى وفي بعضِ الأحيان تشير إلى الثورة الصريحه ضدَّ سلطته، وكانَ لهذا العامل، دورَهُ الكبيـرُ في المفاوضات الحاليـة، وأدّى إلى ضغوط دفعـتْهُ لعدم تمكينه من الحـصول على أفضل مـايريدُ أو يساومُ عليه الأتراكُ.

- ومن بينِ الشروط الـتي وافقَ عليها السـيد يحـيى هي إطلاقُ سراح جـمـيع السـجناء الأتراك الذين أسـروا خـلالَ الـسنوات الست

الماضيـة، والتنازلُ عن حقّه في جمعِ الزكاة أو الواجـباتِ الدينيةِ من أتباعه الذين تحتَ الإدارة العثمانية.

-تعهـدتُ الحكومةُ العثمـانيةُ بتأييد السـيد يحيى ضدَّ كلِّ المنافـسين المحـتملين لامامـيّته في المـستقـبل، والسماح له بالإقـامة في كَوْكَـبانَ، ومنحه واتبـاعَه معونةً سنـويةً تصلُ إلى ٢٥ ألفَ ليرة تركية، تُدفع من دخل الولاية.

- وسوفَ يتمُّ إلغاءُ القانون المدني في المستـقبل في سبعة أقضية في الجبال والهـضبة وهي عَمْـران، كَوْكَبان، ذَمـار، يَريم، إب، حَجَّة، الهجر، وسيحل محلها «تنفيذُ الشريعة»، في المحافظات السابقة، وستتبعُ إشـرافَ الإمام، وهو الذي سيعيّنُ القضاةَ مسـتقبلاً في المناصب الملائمـة في الأقضيـة المذكورة، وكلُّ هذه التعـيينات تكونُ خاضعةً لموافقة الحكومة المركزية.

- وكلُّ شيخ تقريباً، له قدرٌ من الأهمية في المناطق الجبلية، مُنحَ معونةً شهريةً ومـخصصات ماليةً، مـشابهةً لما مُنحَ للعلماء والفـقهاء والسادة في كلِّ اليمن.

- لقـد بلّغتُ أنّ ماوردَ أعـلاهُ يمّـثلُ بشكل دقـيق إلى حد مـا، طبـيعـةَ وشروطَ التسـوية التي تمَّ التوصّلُ إليها، والتي قُبلَتْ مـبدئياً من مجلس الوزراء في القسطـنطينية وما سمّى «معـاهدة» يستوجبُ مصادقةَ البرلمان (المبعوثان) التركي عندَ اجتماعه مرةً ثانيةً.

-وعندمـا يحدثُ ذلـكَ، أُبْلغت أنّ عزت باشـا سـيلتـقي الإمامَ، إمـا في كَوْكَبانَ أو شبام، وأنّ الاجراءات قد اتُّفقَ عليها من قبلهم.

ويبدو أنّ هنالكَ قدراً من المعقولية في الافتراض، بأنّ هذه الاجراءات ستلقى القبولَ من البرلمان (المبعوثان).

- وقد أطلقَ الإمامُ فعلاً سراح ٥٠٠ أسير تركيّ ممن أسروا في المعارك الأخيرة، ووصلوا بالفعل يومَ ١٦ الشهر الماضي، وسيعقبُ ذلك قريباً الإفراجُ عن الرهائن العرب.
- وقُرِّرَ مغادرةَ التعزيزات العسكرية التي وصلتْ إلى القطعة لقمع الثورة، فهناكَ ثلاثُ كتائبَ من الألبان، الاحتياط، هي في طريقها إلى الساحل، وفي خلال اسبوع، سيتمُّ نقلُها إلى أوطانها.

ومن الصعوبة بمكان، القولُ بأنّ التسوية التي تمّتْ معَ الإمام السيد يحيى تمثّلُ نجاحاً باهراً لدبلوماسية عزت باشا، بقدر ماتعني استعادةَ الأمن والسلام في هذه القطعة لسنوات قادمة، إنْ لم يكنْ بشكل دائم.

- إن بنودَ الاتفاقية نحّتْ جانباً كافةَ الأسباب للفرقة والتنازع بينَ الأتراك ورجال القبائل الزيدية من أتباع السيد يحيى، وأنّ نجاحَ عزت باشا لايخلو من ضربة حظ، حيثُ سعى للتقرُّب من شيوخ اليمن في اللحظة الأخيرة، وبذا كسبَ تأييدَ الغالبية من المؤيّدين المقرّبين للسيد عندَ بدْء افتتاح المفاوضات.

وعندما توضعُ الاتفاقيةُ للتنفيذ في المستقبل، فستخفضُ عددَ الحاميات العسكرية الدائمة في اليمن، مما سيؤدي إلى تخفيض كبير في النفقات العسكرية، ومن المتوقع أنّ النفقات المخصصة لدعم الإمام

والشـــيـوخِ والسـادةِ يمكنُ الحـصـولُ عليهـا، بكلِّ يسـرٍ من عـائداتِ الولايةِ.

غدت معظمُ الجبالِ هادئةٌ ويسودُها السلامُ بشكلٍ واضحٍ منذُ فكِّ عزت باشا الحصار عن صنعاءَ في نيسانَ الماضي.

إن الأخـبارَ الواردةَ من عـسيـر نادرةٌ، وفي ١٢ أغـسطس، تسلّمَ عزت باشـا اتصالاً من شريفِ مكـةَ، يؤكدُ له رسمـياً، التقـريرَ الخاصَّ بفكِّ الحصارِ عن أبْها في ١٧ يوليو، وقد ذكرَ أيضاً أنّ جميعَ قادةِ بطونِ القبائلِ في المناطقِ المجاورةِ لأبْها قـد بذلوا طاعتَهم، ووعدوا بالتعاونِ ضدَّ السيدِ الإدريسي وأعوانه.

ومنذ ذلك الحينِ، عادَ حسين باشا (الشريفُ الأكبر)، إلى الطائفِ لقضاءِ صومِ رمضان. والأوضاعُ في منطقةِ صبيا، هي إلى حدٍ ما، على حالها. وطبقاً لتقاريرَ مؤكدةٍ، فـإنه يبدو أنّ رجالَ القبائلِ يتجمعون في ذلك القطاعِ بهدفِ اعتراضِ التقدمِ التـركي. بينما تقولُ تقاريرُ أخرى أن المدعي، قد تخلّى عنه أتباعُهُ، وفرّوا إلى الجبالِ.

ومازالَ مـحمـد علي باشـا في جازانَ، ولكنّه، ومنذُ وصـولِهِ في حالةِ سكونٍ، وقد دُعْمَ بقواتٍ قوامها ٢٠٠٠ فردْ.

وهناكَ كميةٌ معتبرةٌ من الذخيرةِ والمؤنِ الحربيةِ يجري تكديسُها هناك، بهدفِ القيامِ بعـمليةٍ مقترحةٍ مع قدومِ الفـصلِ القادمِ من الشتاءِ ضدَّ الادراسةِ، وسيديرُ عزت باشا ذلك بنفسه.

وعلى أية حال، فقدْ تمَّ تحريكُ القوات إلى اللحية والزهرة والزيدية في حركة تطويق للإدريسي وأتباعه، ومن المتوقّع أنّ الكابتن سليمان باشا سيتقدّمُ أيضاً من عسير باتجاه صبيا ليتعاونَ مع قوات اليمنْ.

ويفهم من هذه التحركات، أنّ عزت باشا كان يأملُ بتحويل أنظاره إلى المنطقة الواقعة جنوبَ الحُديدْة، التي تقطُنها قبائلُ الزرانيق الذينَ ناهضوا السلطةَ العثمانية.

ومن المتوقع أنْ يتمَّ إرسالُ حملة عسكرية إلى أراضيهم تحتَ قيادة الجنرال رضا بك بهدف استكمال إخضاع هذه القبائل الثائرة.

وقد علمتُ من مصادرَ مطّلعة، أنه ومعَ رحيل عزت باشا من اليمن، فإنّ محمود نديم، وهو أحدُ نواب الحُدَيْدَة في المبعوثان، ومعاونٌ سابقٌ للحاكم العام في تلكَ المنطقة سيعيّنُ والياً على ولاية صنعاءَ، بينما سيعينُ الجنرال سعيد باشا قائداً للقوات العسكرية المحلية.

ومن المفيد الإشارةُ إلى أنّ المسؤولين الاداريين والمدنيين والعسكريين في هذه الولاية ليسوا على نفس المستوى من الكفاءة التي كان عليها الضباطُ الذين عُيّنوا خلال فترة الحكم الحميدي، وتقدّمُ الحديدةُ مثالاً ممتازاً على ذلكَ، حيث أن المتصرفَ الحالي، ابراهيم باشا، وهو ضابطٌ، ضعيفُ الكفاءة، وعديمُ الخبرة وهو أقلُّ كفاءةً، بالقياس لأسلافه خلالَ العقد الماضي.

وخلافاً لرغبات الإمام، فإنّ الإدارةَ المحلية قد ألغتْ مؤخراً

ضريبةَ الردايد[1] المطبقةَ على صنعاءَ والتي يتمُّ تقاضيها على المبيعات القادمة من المحافظات المجاورة، ومَعَ تقدّمٌ أكيدٌ في إنشاء سكة الحديد المقترحة من الحُدَيْدَة حتى الحُجلية، والتي تقعُ في بداية الجبل، أسفلَ حرازَ ، والميناء الجديد في رأس الكتيب إلى الشمال من الحُدَيْدَة، ومن المتوقع إنّ الأعمالَ الانشائيةَ تقومُ بها مجموعةُ شركات فرنسية حصلتْ على الامتياز، وستكملُ قبلَ نهاية خريف ١٩١٢م، وأن الحكومةَ لم تقررْ بعدُ الخطةَ التي ستُتَّخذُ في تمديد السكة من صنعاءَ إلى عَمْرَانَ، وهم يميلون لطريق تذهبُ من جنوب الحُدَيْدَة –بيت الفقيه– زبيد، ثم تصعدُ شرقاً بجوار وادي زَبيد، نحوَ تعز وذَمار ومن ثمَّ إلى صنعاءَ وعَمْرَانَ. وهناكَ قسمٌ من المهندسين الفرنسيين قدْ أرسلوا من قبل مجموعة الشركات المشار إليها، وهي الآن مهتمةٌ باستكشاف الطريق المقترح ودراسة المشروع.

التجارةُ عموماً نشطة في الحُدَيْدَة وفي الأماكن الأخرى بحسب فصول السنة.

عائداتُ الجمارك في الحديدة دلّتْ على زيادة ملحوظة منذ بداية السنة، وذلكَ بسبب التواجد الكثيف والنشاط والكفاءة والاستطلاع

---

(١) من المعروف أن محمود نديم، مبعوث اليمن، قدم مذكرة في ٢٠ جمادي الثانية سنة ١٣٢٨هـ، طالب فيها الغاء ضريبة الاحتساب، لوقاية أهل اليمن من الظلم الحاصل من وجود هذه الضريبة، وقد وفق على الطلب، انظر، صحيفة العرب، السنة الأولى، العدد ١٤، تاريخ ٢٠ جمادي الثانية سنة ١٣٢٨هـ، ١٤ حزيران، ١٣٢٦ رومي.

للدوريات العثمانية التي تجوبُ البحرَ بقواربها الحربية لحراسة السواحلِ ومنعِ التهريب.

المطرُ جيّدٌ في الولاية، سواءٌ في تهامةَ أو الجبالِ، مع أنَّ نسبةَ سقوطِ الأمطارِ في صنعاءَ نفسها دونَ المعدل

ببالغ الصدقِ وعظيمِ الاحترام

G.A. Richard Son.

يرى الباحثُ أنَّ مجملَ القضايا التي انصبَّتْ عليها التحليلاتُ، تداولاً وانتقاداً وشرحاً ودفاعاً هي :

١- الاقرارُ أو عدمُ الإقرارِ بالسيادة العثمانية على أجزاء من اليَمْن.

٢- أساليبُ الحكم في المناطق.

٣- مكانةُ الشريعةِ في الحياةِ العامة.

٤- النواحي المالية.

٥- التعاونُ أو التحالفُ، أو العلاقاتُ المستقبلية.

إن Richardson والريحاني وأبونتي وسيد سالم، يذهبون إلى إقرارِ الإمامِ بالسيادة العثمانية على اليمنِ، مقابلَ الاعترافِ بوضعِ خاصٍ للإمامِ في الجبالِ، لايرقى لدرجة الاستقلالِ الذاتي، وإنما هو نوعٌ من الحكمِ الذاتي المحدود، هدفُهُ تنظيمُ الأحوالِ الشخصية والمذهبية لطائفة الزيديةِ في الجبالِ فقط دونَ غيرها في الساحلِ أو المناطقِ الأخرى، في حين رأتْ جريدةُ اللواءِ أن الحكومةَ التركيةَ اعتبرت

الإمامَ حاكماً مستقلاً لاتتعرضُ للبلادِ الواقعةِ تحتَ سلطته[1]. تجاوزت الترتيبات المحدودة.

وللحقيقة، فإنّ دراسةَ رسائلِ الإمامِ يحيى منذ بيعته في سنة ١٣٢٢هـ، وحتى توقيعِ الصلحِ سنة ١٣٢٩هـ. لايدلُّ ولايعرفُ لا بالتصريحِ أو التلميحِ أيَّ رفضٍ من الإمامِ للخلافةِ الإسلاميةِ في استانبولِ أو حتى الحطَّ من قدرِ السلطانِ، خليفةِ الضرورةِ أو الحاجة، كما كان يسمى بالمصطلحِ الفقهي آنذاك، وكلُّ ما كان يطلبُهُ الإمامُ، تخليةُ اليمنِ لحكامه من آلِ البيتِ الذين تعاقبوا على حكمه منذ مئاتِ السنين، وخاصّة بعد سنة ٢٨٠هـ، والاقتداءُ بالسلاطينِ العثمانيين الذين أقرّوا للإمامِ القاسمِ بن محمد على حكم اليمن منذ ١٠٥٧هـ، وهو لايتمردُ ولايخرجُ على الدولةِ العثمانية، فإنَّ في عدمِ الاعترافِ بسلطانِ الإسلامِ أو خليفةِ الضرورةِ، لايدخلُ في وجدانِ الإمامِ، وهو العلاّمةُ، صاحبُ الاختياراتِ والاجتهادِ الفقهي، ثم إن الإمامَ وكما أثبتتْ الأحداثُ فيما بعد، كان يرى الواجبَ الشرعي يلزمه أنْ يكونَ لجانبِ الدولةِ الإسلاميةِ العثمانية، ويرفضُ وبكلِّ إصرارِ الاستجابةَ لأحابيلِ الدولةِ الأجنبية، فرنسا أو بريطانيا أو إيطاليا، التي تسعى لكسْبِه إلى جانبها باعتباره القوة الأكبرَ المؤهلةَ للعبِ دورٍ هامٍ في الجزيرةِ العربيةِ، بل وكانَ الإمامُ يتندّرُ على أولئك الذين وقعوا في خداعِ الدولِ الأجنبيةِ والتي يسميها في رسائلِه ووفقَ مصطلحاته بالدولِ

---

(١) اللواء، العدد ٣٧٧٩، ١٩١٢/١/٧م.

النصرانية الكفرية. فالأمرُ لايتصلُ بالسيادة من عدمها، وإنما بطبيعة الأوضاعِ في اليمنِ، وممارساتِ المأمورين والعساكرِ العثمانية في اليمنِ.

أما «لقبْ أميرِ المؤمنين» والذي ركزتْ عليه رسالةُ RichardSon، فلمْ نجدْ في أختامِ الإمام يحيى المؤرخة بين السنوات ١٣٣٠هـ-١٣٣٧هـ، ما يشيرُ إلى حذفِ اللّقبِ، وإنما استمرَّ قرنُ «أميرِ المؤمنين بالمتوكّلِ على الله ربِّ العالمين»[1]، ولم نجدْ ختماً فيما بين أيدينا من وثائقَ أو مراجعَ قدْ خلا من لقبِ «أمير المؤمنين»، وما نميلُ إليه هو اطلاقُ اسم «دولة» على مناطقِ سيطرةِ الإمامِ، وهو الخلافُ عينُه الذي كانَ في استانبول مع الوفد الإماميِّ الذي تفاوضَ في استانبولَ، وكنّا قدْ أشرنا إلى ذلك في بحثِنا، الفصل الثالث «وفدُ الإمامِ يفاوضُ في استانبول».

أما فيما يتعلقُ بأساليبِ الحكمِ، والترتيباتِ التي أُقرَّت، فهي إجراءاتٌ تنظيميةٌ، سواءٌ في إجراءِ الأحكامِ وتنفيذِها أم في عزلِ الحكامِ وتعيينهم، فلا أراها تجاوزت الشروطَ الشرعيةَ الواجبَ توفّرُها فيمن يتولى «ولايةَ القضاء»، ففي المناطقِ التي تبعتْ سلطةَ الإمامِ مباشرةً

---

(١) انظر اختام الإمام يحيى في كتاب سيد سالم، وثائق يمنية، ١٩٨٢، الصفحات، ٢٤٩ وتاريخ الوثيقة ٨ رجب، ١٣٣٠هـ، والختم: أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين وانظر أيضاً، ص ٢٥٧، تاريخها شهر صفر ١٣٣١، ٢٦٣، تاريخها صفر ١٣٣١هـ، ص ٢٦٩ تاريخها ٢ ربيع الأول ١٣٣١هـ، ص ٢٧٥، تاريخها ربيع الآخر ١٣٣١هـ، وغيرها كثير.

يكونُ إقامةُ الحدود وفقَ المذهب الزيدي، والإمامُ هو الذي يعينُ الحكّامَ، وجرى ضبطُ المدة للموافقة وإقامة الحدِّ أو تنفيذ الحكم، فإنْ لم يرد الجوابُ أو التصديقُ، نفّذ الحكمُ دونَ انتظار وصول التصديق. وحتى تلك الموادُّ المتعلقةُ بمحكمة الاستئناف وأحكامها وشروطُ تنفيذ أحكامها، فلم تتجاوز المسوّغات الشرعية المعروفةَ في أصول المحاكمات.

وكانتْ الدقةُ والتحوطُ ظاهرةً في المادة السادسة، المتعلقة بتبديل الحكّام، فعلى الولاية أن تخبرُ الإمامَ مع تبيين الأسباب الموجبة لتبديله والدلائل الشرعية، فالعباراتُ الأخيرةُ «الأسبابُ الموجبةُ والدلائلُ الشرعيةُ» لتبديل الحاكم، وفي مناقشة الأسباب والدلائل آراءٌ واجتهاداتٌ، ولكنها إنْ ثبتتْ، فلا أرى إلاّ الإمامَ مبادراً لعزل وتبديل الحاكم.

أما المحاكم المختلطةُ، فإنَّ أنشاءها كان شيئاً عادياً، مادامَ الزيديةُ تجري أحكامُهم وفقَ المذهب الزيدي، فكانَ للحنفية والشافعية أن تجري محاكمتُهم وفقَ مذاهبهم، ويبدو أنَّ هذه المسألةَ كانتْ واحدةً من الأسباب التي جعلت الإمامَ يحيى فيما بعدَ يُلزمِ الحكّامَ بالقضاء بموجب الاختيارات الفقهية التي بعثها لهم سنة ١٣٣٧هـ، والتي اختارها من كافة المذاهب الإسلامية، شافعيةً وحنفيةً وحنبليةً ومالكيةً وزيدية[1].

---

(١) انظر، كتابنا، سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ١/٥٨-٧٣، المبحث الثالث، اختيارات الإمام يحيى الفقهية.

- لقد حقَّقَ الإمامَ يحيي ما كان يصبو إليه من حيثُ جعلَ الشريعةَ الإسلاميةَ هي المصدرَ الوحيدَ للتشريعِ، ويكونُ الإسلامُ هو النظامَ المتكاملَ للإجتماعِ، والسياسةِ والاقتصاد، وألغى بذلك مبدأَ الفصلِ بينَ الحياةِ الدينيةِ والحياةِ الدنيوية، فأُلغيت الأحكامُ الدستوريةُ العثمانيةُ، وأنهي العملُ بالقوانين والتي عُرفَتْ في اليمنِ باسم «حكم الطاغوت»، واستُبدلَتْ بالشريعةِ فقطْ. وغدا الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكرِ، نافذاً وهو ما يعتبرُهُ الإمامُ يحيى الفوزَ الكبيرَ.
- وتضمن الصلحُ إلغاءَ المظالمِ المالية التي كانتْ ترهقُ كافةَ الرعايا فأسقطتْ بواقي المطالباتِ الماليةِ للدولة العثمانيةِ عن أهالي الجبالِ، وسومحتْ قبائلُ خَوْلانَ ونهم وأرْحَب مما كانوا يدفعونه لمدةِ عشرِ سنين، وكذا عُزَل جبل الشرقِ وبني قشيب وبني أسعد والمنار وبني خالد وبني سويد، أعفوا من التكاليف لمدة عشرِ سنوات، كما حملت الدولةُ رواتبَ المباشرين أوالشرطيين الذي يساعدون الحكامَ في النواحي والأقضية.

ومجملُ الأمورِ المالية، أنها وضعتْ في نصابها الشرعي فلا إعانةَ ولا تكاليفَ ولا ضريبةَ قدومٍ أو مباشرة أو غيرَها من الأعباء المالية الباهظة التي كان يكلفُ بها أهلُ اليمن، وأمّا من حيثُ العلاقاتُ المستقبليةُ والتعاونُ والتحالفُ، فإنَّ العفوَ عن الجرائمِ والتي حُدّدتْ بأنها سياسيةٌ، حيثُ اعتبرتْ كلَّ حروبِ الإمامِ مع الأتراك سياسيةً،

فيكونُ العفـوُ عنها عاماً، ذلك أنّ الدولةَ التركـيةَ كانتْ تعتبـرُ قتلاها في الحـروبِ، جرائمَ جنايةٍ، لابدَّ من إيقـاعِ العـقابِ بمـرتكبهـا إنْ وقعَ في قبضتها، وكذا خسائرُها الماديةُ من أسلحةٍ وعتادٍ ومؤنٍ وذخائر كانت تعتـبرُها جـرائمَ إفسادٍ في الأرض، وقـطعٍ للطريقِ، فاتبـاعُ الإمام عندَ العثمـانيين، قتلةٌ، قطاعُ طرقٍ، عـصاةٌ، فكانَ العفوُ تامـاً شاملاً، أي طيٌّ صفحةِ الماضي بما فيـه، ثم بسطُ الأمانِ والأمنِ سواءً لأصحابِ الإمامِ أو أصحابِ الحكومةِ وسـائرِ الناسِ في ذهابِهم وتجاراتهم، ومن خالفَ أُوقعَ به الأدبُ والقصاصُ من قبلِ حاكمِ المنطقةِ التي وقع فيها التعدي.

وما أرى الإمامَ إلا مدركـاً لطبيعةِ العلاقاتِ المسـتقبليةِ مع الدولةِ العثـمانيةِ حينَ قـبلَ أنَ تكونَ المناطقُ التابعةُ لحكمـه هي، لواءَ صنعاءَ وما يحويه من أقضيةٍ وعَمْرانَ وحجةَ وكَوْكَبانَ وحَراز –ماعدا صَعْفَان وبني مُقَـاتل–. وآنس وذمار ويريم ورداع وما بـلواء تعز من زيدية إذا زادوا عن النصف، أي نصف عددِ السكان في المنطقة، أما صَعْفَان وبني مُـقَاتل فكانت من مـعاقلِ باطـنيةِ حـراز وقاعـدةً للجيشِ العـثمـاني، والحليفِ التقليـدي للعثمانييـن، وبالنسبةِ لتخليـةِ السواحلِ من جازانَ إلى الشيخ سـعيد مـروراً باللحيةِ والـمنيرة وابنِ عبـاس ورأس الكثيب والحُـدَيْدة وغُلَيْفـقَة والخـوْخة ومـوشـج والمَـخَا وحـتى باب المندب، وأجزاءَ من تهـامةَ للعثـمانيين، فـلا أجدُه مخالفـاً لما كان وفـدُ الإمامِ المفـاوضِ في استـانبول قـد طَرَحه، فـالإمامُ يريدُ للدولةِ العـثمـانيةِ المسلـمةِ أن تتولى مـهمـةَ الدفاعِ عن المـوانىءِ والساحلِ أمـامَ القوى

الأجنبية المتربصة بالمنطقة، وهو المدركُ لطبيعة الصراع والتنافس بينَ ايطاليا وبريطانيا على سواحل المنطقة وخاصة وقدْ احكمتْ بريطانيا قبضَتها على اليمن الأسفل وعدن وتوابعها، وإيطاليا تتحركُ نحوَ الإدريسي وتدعمُه للسيطرة على بعض الموانىء كالحُدَيْدَة وميْدي وغيرها، وبوادرُ الحرب العالمية الأولى بدأتْ تلوحُ في الآفاق، والامامُ واتباعُهُ لايملكون السلاحَ المُدَرَّع ولا القواربَ ولا البواخرَ ولا البوارجَ الحربيةَ للدفاع عن الشواطىء والسواحل والموانىء، فقبلَ الإمامُ أنْ تكونَ تحتَ السيطرة العثمانية الإسلامية وهو يساندُها ويعاضدُها حتى لاتقعَ فريسةً لإيطاليا كما وقعَ في مُصَوَّع وزَيْلَعْ ولا تكون لقمةً لبريطانيا وهي التي تتحفّزُ للوصول إلى الحدُيدة وترى الإمام وقواته عدواً لدوداً.

فكانَ الصلحُ محقِّقاً للإئتلاف والاتفاق على المدى القصير، ولصالح الإمام في المنظور الاستراتيجي الطويل الأمد، وقد برهَنَتْ أحداثُ ١٣٣٧هـ-١٣٤٥هـ»، والتي درسناها في كتابنا المشار إليه، «سيرةُ الإمام يحيى بن محمد حميد الدين»، كتيبة الحكمة، صحةَ رؤية الإمام لذلكَ، غداةَ إقامة «الدولة الإسلامية اليمنية»، الحرب العالمية الأولى، فحين امتلكتْ قواتُهُ السلاحَ والخبرةَ ونظَّمَت الدولةُ اليمنيةُ، حفظَ السواحلَ والموانيءَ والسهولَ، سواءٌ من الطليانِ أو الانجليز أو الأدريسي المدعوم من قبل ايطاليا، لقدْ كانَ الصلحُ استجابةً واقعيةً لأمور واقعة، والأخطارُ محدقةٌ بالطرَفيْن المسلمَيْن، فلا مجالَ إلا الوفاقُ والاتفاقُ واتحادُ المسلمينَ، وهذا ما كان. حيثُ سادَ الهدوءُ وعمَّ

الأمنُ والسلامُ، وتغنَّت الأقوامُ وقالت الشعراءُ القصائدَ ابتهاجاً وفرحةً عمَّتْ بلادَ العالمِ الإسلامي والعربي، وتوالت الرسائلُ على الإمامِ من مصر والشام وحتى سنغافورا :

أصبحَ المسلمون عرباً وعجماً أخوةً كالبنيانِ أو كالبناء[1]

ومن ناحية ثانية، فإنّ الباحثَ لايستطيعُ نفيَ أو تأكيد بعضِ النقاط التي وردت في تقرير Richardson حول المعونة المالية للإمامِ من العثمانيين، والمقدرة بـ ٢٥ ألف ليرة تركية، ولا حتى استعداد العثمانيين لمناصرة الإمام ضدَّ منافسيه، إذ أنّ الوثائقَ التي اطلع عليها الباحث لا تتضمن مثل تلك الإشارات، ولم يطلع الباحث على ملاحق سرية إن وجدت.

وبدأ الإمامُ بتعيينِ الحكّامِ، لمحاكمِ صنعاءَ الشرعيةِ الأولى والثانية والثالثة ويلاحظُ تعيينُه للعلاّمة القاضي زيدَ بنِ علي بن حسن الديلمي الذماري حاكماً بالمحكمة الثانية بصنعاءَ وأسندَ إليه الفحصَ عن المنكراتِ والأمرَ بالمعروف[2]. كما عيّن ناظرَ الأوقافِ الداخليةِ ووكيلَهُ وناظرَ الوصايا بصنعاءَ، وحكاماً لأقضية يريم وذَمَار وكَوْكَبَان وآنس وحَراز وحَجَّة وعَمْرَانَ وقضاءِ رَدَاع وقَعْطَبَة وآخرين لنواحي بلادِ البُستانِ وخَوْلان الطِيال المشرقة ولليمانيتين من خَوْلانَ

---

(١) انظر قصيدة، يحيى بن محمد بن الهادي في أئمة اليمن، ٢١٠/٣، وانظر القصائد الأخرى في كتابنا، وأئمة اليمن، وفترة خروج العثمانيين وغيرها.

(٢) انظر، أئمة اليمن، ٢٣١.

العالية وبلاد الحَدَاء ولناحية سَنْحانَ وبلاد الروس وبني بُهلول ولناحية الحَيْمة الداخلية والحَيْمَة الخارجية ولناحية هَمْدانَ ولناحية بني الحارث وبني حشَيْش وناحية جَهْرَان وناحية عُتُمة ولناحية مغرب عنس ولناحية خُبان[1]، ونقرأ في كتاب «وثائق يمنية»، أخباراً موثقةً عن جملة أوامرَ أصدرها الإمامُ بموجب سلطاته إلى حكام المناطق لاجراء التحقيق والفصل فيها بموجب أحكام الشريعة ومنها الوثيقة رقم ٢٨ تارخيها ٨ رجب ١٣٣٠هـ، متعلقةٌ بوصية عبدالقادر بن محمد بن الحسين بن عبدالقادر ت ١١٩٨هـ/ ١٨٨٤م، والذي أوصى بسدس مايملكُ للفقراء، وتقدّمَ أحفادُه : السيدُ أحمدُ بن محمد وأولادُه عبدُالله وعليٌّ وعبدُالرحمن، يطالبون بصرف السدس لهم لأنهم صاروا مفتقرين محتاجينَ، ورُفِعَ الطلبُ إلى الوالي في شهر جمادى آخر سنة ١٣١٧ علي ابن أحمد بن محمد، وكان الحكمُ في القضية لايُرضي مقدِّمَها، إذ قرّرَ له في كلِّ عامٍ عشرةَ ريالاتٍ وربعَ مائة قشر أي ٢٥ رطلاً من قشرحبات البن.

ولما تغير الحالُ، وأُسندتَ الأمورُ إلى الإمامَ عاودَ عليٌّ بنُ أحمد ابن محمد رفعَ القضية إلى الإمام بتاريخ ٨ رجب ١٣٣٠هـ، حيثُ أمرَ الإمامُ يحيى ناظرَ الوصايا محمد بن يحيى اليماني بالبحث عن الوصية وما تضمنت، وكانَ الفصلُ فيها بتاريخ ٢٤ رجب ١٣٣٠هـ[2].

---

(١) انظر، أئمة اليمن، ٢٣١-٢٣٢.

(٢) انظر القضية عندما رفعت أول مرة في كتاب، وثائق يمنية، ١٥١-١٥٢، وانظر اعادة النظر في القضية في نفس الكتاب، ٢٥١-٢٥٢.

وكانتْ الوثيقةُ رقم ٢٩ من كتاب «وثائق يمنية»، إيصالاً يفيدُ بأنَّ الإمامَ قد تسلّمَ قيمةَ الزكاة، وقدّمتْ كهديةٍ للإمامِ، وكانتْ الزكاةُ مقدمةً من علي بنِ أحمدَ بن محمد بن الحسين وتاريخُها شهر صفر سنة ١٣٣١هـ.

ومعنى ذلكَ، أنّ الاتفاقَ قد بُدِئَ بتنفيذه، وأجريتْ أحكامُ الشريعة، وأعْملتْ وقائعُ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، فَعُزِّر من ظهرَ عليه استعمالُ الحشيشة، ومُنَعت البغايا من الذمّيات، وطُلبَ الخمّارون من اليهود، ومُنِعَ اللعبُ بالقمارِ من الدكاكين.

وسادَ السلامُ وعمَّ الأمنُ، وحصلَ السرورُ كما يروي مؤرخُنا : «حصل السرورُ مع الخصوص والعموم، ومُنعَ الظلمُ والإرهابُ من التّجار والجلاّب والجمارك والسماسرة»[1].

وفي غمرة الفرح، توالت الأحداثُ على الدولة العثمانية، فالحربُ الايطاليةُ على طرابلس الغرب اشتدَّ أوارُها، وأحكمَ الحصارُ البحريُّ على الموانيء والبنادر، وتحرّك محمد بنُ عليّ الإدريسي في تهامةَ وعسير، وما حقَّقَتْه قواته منْ انتصارٍ على قوات الشريف الحسين بن عون، وظهورُ تحالف الطليان مع الإدريسي وإمدادُه بالأرزاقِ والمدافعِ والبنادقِ والذخائر، وضَرْبُ البواخرِ الايطالية الحربية لمراكزِ السواحلِ من جَدةَ إلى بابِ المندب، وجرى التحرشُ من قبلِ الإدريسي بأطرافِ الجبال التي تتبع للإمامِ، وهنا بدأ فصلٌ جديدٌ من فصولِ الصراعِ.

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٧٢ب.

الفصل السادس

الإدريسي وإيطاليا ومحاولاتُ تقويضِ الصلح

المبحثُ الأولُ : الموقفُ اليمنيُّ التاريخي من حركةِ الإدريسي.

منذُ عودةِ القـواتِ العثمانيـةِ إلى اليمن، سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، وسيطرتـها على صنعاءَ، أصـبحتْ أجـزاءٌ مهـمةٌ من اليمن تـعاني من الاحتلالِ، فالدولةُ العثـمانيةُ تحتلُّ أجزاءً من السـواحلِ والموانىءُ وبعضِ المـدنِ، والبريـطانيون يحـتلون أجـزاءً من جنوبِ اليـمنِ، والادريسي يتحـركُ في تهامـةَ وعسـير، واليمنيـون في ثورةٍ مسـتمـرةٍ وحروبٍ متواصلةٍ يسعوْنَ إلى تحريرِ كاملِ اليمنِ بكاملِ حدودِه الطبعيةِ.

وكان هذا هو الموقفَ التقليديَّ التاريخيَّ من كلِّ القوى والكيانات المتـصارعـةِ في الجزيرةِ العـربيةِ. وكانتْ إمـارةُ الأدارسة في تهـامةَ وعـسيـر واحدةً من تلكَ الكيـانات المـصنوعة، فـالأدارسةُ غـرباءُ عن المنطقةِ، هاجرَ جدُّهم أحمـدُ من المغربِ، وجاورَ في مكةَ برهةً ثم انتقلَ إلى تهامةَ سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، واستقرَّ بهـا كشيخِ طريقةٍ صوفية أحمـدية، نسبـةً إليه، تسلُكُ مـسالكَ الطريقـةِ الشاذليـةِ، وعاشَ أولادُهُ وأحفـادُهُ من بعدِه على تراثـه الصوفي، حتى نـجحَ محمـدُ بنُ علي بن محمد بن أحمد بن إدريس في إقناعِ الوالي العثماني سعيد باشا بتعيينه قائمقامـاً على صبيا وأبي عريش، ثم كانَ استغـلالُهُ للأوضاعِ المحليةِ والدوليةِ وتوسيعِ مـساحةِ كيانه، وأقامَ إمارةً، قُـدِّرَ أن تكونَ لاعباً في ملعبِ الكيـاناتِ في الجزيـرةِ العربيـةِ. وحينَ جـرى نوعٌ من التعـاونِ

العسكريّ، بينَ الإمـامِ يحيى والادريسي ضدَّ الأتراك، فمـا كان ذلك إلا من بابِ «عدوّ عدوي صديقي»، فالاحتلالُ البريطانيُّ والوجودُ العثماني هو الأكثرُ خطورةَ على اليمن، ولذا لم يتحرج الإمامُ يحيى من الاستفادة من قدراتِ الإدريسي في توسـيعِ جبهةِ القـتالِ مع العثمانيـين في أبْها وجازان، وممارسـة المزيد من الضغط على القواتِ العثمانية ليحولَ دونَ نجاحِهـا في إضعافِ قواتِ الإمامِ، بل وحمـايةِ قواتِ الإمامِ من الخلف في هجومِها ومحاصرتِها صنعاءَ، ومن ثمَّ تشتيتِ العساكرِ العثمانية.

وغدت حركةُ الادريسيِّ شوكةً تخضـدُ خاصرةَ الإمامِ يحيى بعدَ تعاونِ الإدريسي مع الطليـان، وتسلّمه المساعداتِ العـسكريةَ الايطاليةَ من مدافعَ وبنادقَ وذخائرٌ ومؤن، ومهّـدتْ له السبيلَ ايطاليا بالسيطرةِ على بعضِ المـوانيءِ بفعلِ أسطولِهـا البحريِّ في البـحرِ الأحـمر[1]. في الوقتِ الذي تحتلُّ فـيه إيطاليـا بلادَ طرابلس الغرب، وتحاصـرُ القوى الأوروبيةُ مـوانيءَ الدولةِ العـثمانيـةِ في بيروتَ وإزمـيرَ وجنك قـلعة، وتضربُ البـوارجُ الإيطاليةُ موانيءَ السـواحلِ من جُدةَ إلى بابِ المندب. ومن ناحـيةٍ ثانـية، فـإنَّ الادريسيَّ جـذبَ الناسَ في تهامـةَ وعـسيـر إلى دعـوتِه بارتدائه ثـوبَ مسـوحِ الديـن، وصـوَّرَ نفـسَـه للناسِ بأنه المدافعُ عن أهلِ السنـة الشوافعِ، ضدَّ سـيطرةِ الشيعـة، الزيدية، وجعلَ محورَ دعـوتِه، الحثَّ على اتّباعِ قواعدِ الدين والـرجوعِ إلى الإسلامِ في أصولِه وبـساطتِه، يـأمرُ بالمـعروفِ وينهى عن المنكرِ، ويمنعُ الـغزوَ،

---

(١) انظر، تقييد حواد،ث ١٧٣أ.

ويعملُ على إزالة الشقـاق والاختلافات القديمة بينَ القـبائل والعشائر، ويطبّقُ العـدالةَ والمساواةَ، وعـملَ الادريسيُّ على تنظيم حـياة القـبائل البدوية من النواحي الإدارية والقضائية والاقـتصادية، ونظّمَ الجمارك في موانىء ميْدي وشقيق وحبل وبركة والغور.

وليس بخاف أنَّ بعضَ البطون والعشائر اليمنية لم يَرُقْ لها صلحُ دعّان، إما بسبب فقدانها لغنائم الحرب بعدَ توقف المعارك، أو بسبب أوضاعها الاقتصادية أو بسبب ماتراه تخلياً عنها بعدَ الإقرار ببقائها تحتَ وطأة العثمانيين، فانثالتْ بعضُ الزعامات المعارضة، وقد جَذَبَتْها دعايتُهُ الدينيةُ[1]، وخاصةً قبائلَ الواعظات بزعامة شيخها هادي أحمد هيج، وقبائلَ بني نشر وقسماً من قبائل حَجُور البشرى وابن شعيب، فاعلنتْ طاعتَها للادريسي.

وأما الادريسيُّ نفسُهُ، فكانَ يرى بأنَّ نجمهُ قد بدأ بالصعود، وأنَّ علَمَهُ الأخضرَ، الموشّحَ بعبارات «لا إله إلا الله، الادريسيُّ وليُّ الله»، هو العلمُ الوحيدُ الذي بقيَ معارضاً للوجود العثماني، بعدَ توقيع صلح دَعّان، وأن القبائلَ الشافعيةَ سائرةٌ إليه لامحالةَ، كما لحقَ به بعضُ أفراد من الزيدية، بعدَ أنْ ذاعتْ أخبارُ عطاياهُ وكرمه مما أغدقَهُ عليه الطليانُ منْ أموالٍ ومؤنٍ.

ولذا سارعَ الادريسيُّ بتقديم العونِ والدعمِ لصاحبِ جياح، حمودِ

---

(١) Jacob, Kings of Arabia, P. 136.

ابن علي بن عبدالكريم المخنجف في صراعه مع أتباعِ الإمامِ بني ظافرَ، ومع أنَّ الحادثَ جرى تطويقُـهُ بسرعة من خلالِ اللجانِ المشـتركة من قبلِ الإمـامِ والإدريسي، إلاّ أنَّ خطورتَهُ تأتي في اتفاقِ وقوعـه وتحرّكَ الوالي العـثمـاني محمـد علي باشـا لمنعِ تطبيقِ مـوادِ الصلحِ، ومن ثمّ مسـارعةَ الإمامِ للعملِ ضـدَّ قوات محمـد علي باشا. فقد سـارعَ الإمامُ يحيى لارسـالِ السيدِ أحـمد بن يحيى عـامر والياً على بلاد الشـرفين، واسندَ إليه مـراقبةَ تحـركاتِ الإدريسي في حَرَض والحـذرَ من تحرُّكِ الأتراكِ نحـوَ الواعظاتِ والزهرة، وكـذا من تطاولِ الادريسي نحـوَ بني جُماعةَ، واتصاله بالقبائلِ وامدادهم بالمدفعيةِ والذخائر[1].

وتسـارعت الأحداثُ، فقـدْ تعدَّتْ قـواتٌ من أهلِ جـياح ومتـابعي المـخنجف وقبـائلَ أخرى على عـسـاكرِ الإمـامِ في مواقعِ بني الغـيل والشعـابية، وقتلوا واحداً مـن رجالِ الإمامِ، وروّعوا النسـاءَ والأطفالَ بالرمايةِ عليهم، ونهـبوا الماشيةَ، وكانت حـربٌ بينَ والي الإمامِ، يحيى ابن حسن الكُحلاني، وتلك القبـائلِ، دامتْ لأكثرَ من ثلاثة أيام، والحقتْ خسائرَ بالمخنجف وحلفائه، وأورثتْ أحـقاداً دفعتْ بني مسروح وبني حَيْدان لمكاتبةِ الإدريسي للانتقامِ والثأرِ لقتلاهم وخسائرِهم[2].

وكانَ من المـمكنِ الحدُّ من حـركةِ الإدريسي أو تسكينُهـا وحتى التصالحُ مـعه لولا تلكَ العلاقةُ التي قطعتْ أشـواطاً من الاتصالاتِ بينَ

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ص ١٧٨.

(٢) المصدر السابق، ١٧٤ب.

الادريسيّ والطليان، الذين كانوا يتطلعون للسيطرة على البحر الأحمر، والدخول إلى المنطقة كمنافس لبريطانيا، وهو ما يستحقُّ إفرادَ بحثٍ خاصٍّ له.

المبحث الثاني : ايطاليا والادريسي :

كانتْ إيطاليا تتطلعُ إلى الشواطيء الآسيوية العربية المواجهة لأريتريا، مستعمرتها الإفريقية، منذ سيطرتْ على عصبَ ومُصوَّع، وتسعى لاقامة علاقات تجارية مع الموانيء الآسيوية، تدعمُ تجارتَها في البحر والمحيط. وقدْ كانَ للنجاحات العسكرية التي حقَّقَتْها قواتُ الإدريسي ضدَّ الأتراك في واقعة جازانَ والغنائمَ التي حازتها في وقعة الحفائر، أثرُها في سعي إيطاليا في دعم الإدريسي، لاسيَّما وأنَّ كلَّ محاولاتها لاستقطاب الإمام يحيى قد ذهبتْ أدراجَ الرياح، ولاحتْ لإيطاليا الفرصةُ عندما دفعتْ قواتها لاحتلال ليبيا، فأسرعتْ لمدِّ يد العون للإدريسي، ليعملَ في ميدانِ اليمن وعسير فيشغلَ القوات العثمانيةَ ويضعفَ مقاومتَها بتشتيت مجهوداتها الحربية في ميادينَ جديدة، إضافةً إلى الميادين الأوروبية الأخرى في البلقان واليونان وأوروبا الشرقية[1]، وبذا يتعذرُ على العثمانيين نجدةُ قواتها في بلادِ طرابلس الغرب.

كانَ قنصلُ ايطاليا في عَصب من أكثرِ المتحمسين لجذب الإدريسي إلى جانبِ ايطاليا، في حين لم يكن الادريسيُّ بحاجةٍ إلى

---

(١) الجرافي، المقتطف، ٢٢٤.

جهد كبير لتورّطه بالعمل مع إيطاليا، فقدَ سبقَ له التخابرُ مع المترجم الأول في القنصلية الإيطالية في القاهرة محمد علي علوي، عندما كان في القاهرة، حيث وجدت الدعواتُ قبولاً عندَ الادريسي، وأصبحَ الإدريسي يعملُ ضدَّ المصالح العُثْمانيَّة، وخاصةً بعدَ فشل ايطاليا في جذب الإمام يحيى، فقدْ أشارَ الإمامُ يحيى في رسالته إلى علماء ورؤساء حوث بشأن الادريسي : «وإنّنا نقسمُ بالله، أنّه وصلَ الينا رسولٌ من الطليان، يعدُنا بالأموال والأسلحة، وكلِّ ما نطلبُه لنُقاتلَ الأتراكَ، وإنه وَصلَ إلينا كتابٌ من ثقة أن وكيلَ الطليان بعدنَ، طلبَ إلى الإمام تركَ التجهيز على الإدريسي»، على أن يسلَّمَ له الطليانُ كذا وكذا ألفَ ذهبية، ولكنَّ الإمامَ يحيى «أجاب عليه أشدَّ الجواب»[1].

وتشيرُ الوثائقُ إلى أنَّ متولي جمرك مُصوّع للطليانِ، محمدَ بن سالم، وأحدَ التجار، محمد طاهر شنتي، هما اللذان تولّيا الاتصالات بينَ قنصل ايطاليا في مصوّع والإدريسي[2]، وكذا بواسطة تجار ايطاليين في عدن، كانتْ لهم علاقاتٌ مع شيخ جياح، والذي بدوره قامَ بالاتصال بالإدريسي، وهذا يُفَسِّرُ سببَ إقدام صاحبِ جياح[3]. بالاعتداء على أتباع الإمام، من بني ظافر.

إن الوَثيقةَ البريطانيةُ رقم PRO, FO 424/231-2; FO. 195/2395

---

(١) انظر، سيرة الإمام يحيى، ص ٢٤٣.

(٢) انظر، تقييد حوادث، ١٩٥أ.

(٣) Jacob, Kings of Arabia, 57.

وهي رسالةٌ من Richardson إلى Lowther تاريخها ٢٢ حزيران ١٩١٢م، تبينُ مدى التعاونِ بينَ الإدريسي وإيطاليا، والأخطارَ التي شكلَّها هذا التعاونُ على المنطقة[١]. فقد ورد فيها إذ يُعتْقَدُ بأنّ بطاريتَيْ مدفعٍ سداسية الطلقات، وقطعَ مدفعيةٍ نحاسيةً من أنواعٍ قديمة، وبضعَ آلاف من البنادق، وكميات معتبرةً من الذخيرة ومخازنها، قد وصلتْ إلى جازانَ، ميناءِ ميْدي وأماكنَ أخرى بواسطة السفنِ الحربية الإيطالية ثم نُقلَتْ ليستخدمَها ثوارُ الإدريسي ضدَّ الأتراك»، وتحدّدُ التقاريرُ أوجهُ التعاونِ والامدادات الأخرى، على صعيد الامداداتِ والأموال :

- مدفعا ميدانٍ كبيران، أنزلا من باخرةٍ ايطاليةٍ في ميناءِ ميْدي، بجازان.
- ١٠٠,٠٠٠ ريال ماريا تيريزا، أرسلتْ خلالَ الأشهرِ، مارس–مايو، كنفقاتٍ للعملياتِ التي يقومُ بها أتباعُ الادريسي.
- القيامُ بضربِ الموانىء الساحليةِ من قبلِ البوارجِ الإيطالية.
- العملُ لإيجادِ موانىءَ جديدةٍ لنقلِ إمداداتِ التموينِ ومحاصرةِ الموانيءِ التي تخضعُ للسيطرةِ العثمانية. وتمضي الوثيقةُ في التفصيلِ فتورد : «إنَّ الحقائق المذكورةَ أعلاهُ معروفةٌ ومقرٌّبها من قبلِ السلطاتِ المحلية، فقدْ وصلتنا –أي الانجليز– تأكيداتٌ لها من مصادرَ إيطاليةٍ موثوقة.

---

(١) Records of Yemen, Vol. 5, P. 656.

وفي بداية شهر مارسْ، قصفتْ سفينتان ايطاليتان ميناءَ ميْدِي، حيثْ يوجدُ به قواتٌ عثمانيةٌ قوامها من (٦٠-٨٠) عسكرياً، وقد ترافقَ مع القصف هجومٌ من قبلَ أتباعِ الإدريسي براً، ولم يجدوا صعوبةً في التغلّبِ على القوةِ التركيةِ الصغيرةِ، والاستيلاءِ على قلعتها التي سَوَّيَتْ بالأرضِ.

وبعد ذلك بقليل، قصفت السفنُ الحربيةُ الايطاليةُ، مركزَ اللّحَيْة. وقد أدى وجودُ هذه الحملة العسكرية الإيطالية الكبيرة، اضافةً إلى الأعداد الكبيرة من رجال القبائل الموالية للإدريسي، والتي سبقَ جلْبُها إلى المنطقة، أدّى إلى بقاء السيد الإدريسي في خليجِ الحُدَيْدَة. فقدْ كانَ هدفُ الإيطاليينَ هو السيطرةَ على اللُّحَيْة بهجومٍ بريٍّ، ثم فُتحَ الطريقِ وتسهيلُ الهجومِ الذي ستقومُ به قواتُ الإدريسي في نهايةِ المطافِ على الحُديدْة وفي ٢٧ مارس، كما ذُكرَ، احتجزت الحاملةُ الايطاليةُ (كروزر إلبا)، السفينةَ التجاريةَ البريطانية (ودكوك) Woodcoke، استناداً لشكوك أنها متورطةٌ في نقلِ موادَّ لاستخدامِ الإدارة اليمنية، حيث اقتيدت السفينةُ البريطانيةُ إلى مصوّع، وبقيتْ هناكَ ليلةً، ثم أطلقَ سراحُها، ولكنْ بعد الإعلانِ الرسمي عنْ حصارِ صليف، وهو المكانُ الذي كان من المفروضِ أن تُفرِغَ حمولَتَها فيه.

وقبلَ توسيعِ نطاقِ الحصارِ، قامت السفنُ الحربيةُ الإيطاليةُ بقطعِ خطِّ التلغراف بينَ جزيرةِ كمرانَ ومناطقِ الجزيرةِ العربيةِ المقابلةِ للضليف، وهذا الخطُّ كانَ قدْ مدَّ قبلَ ١٥ سنةً، لغرضٍ وحيدٍ،

وهو تيسيرُ حركة مواصلات واتصالات الحجاج إلى الحجاز عبرَ مركز أُقيمَ في كَمَرانَ، ولكنَّ توسيعَ نطاق استخدام هذا السلك لأغراض أخرى كالعسكرية والادارية والتجارية أكثرُ أهمية.

ومن المتوقع أنَّ قطعَ هذا الخط سيوجدُ مشاكلَ خطيرةً وجديةً بالنسبة للسفن البريطانية والحجاج الذين يمرون في كَمَرَانَ خلالَ الموسم القريب القادم، بسبب إنقطاع الاتصالات مع العالم الخارجي.

واقتُرحَ بأنْ تقوم حكومةُ جلالته بطلب إعادة تمديد الخطِّ بينَ كَمَرَان وصليف، بشكل ودّيٍّ، لأخذ موافقتها على ذلك. كما أنَّ جزيرةَ فَرَسَان، والتي ترابطُ بها كتيبتا مدفعية تركية، قد أصبحتْ عملياً محاصرةً، من قبل السفن الحربية الايطالية لبعض الوقت، حيثْ ساعدتْ السفنَ الإيطاليةَ تلك الإغاراتُ الواقعةُ من الداوات العربية التي جاءتْ من المناطق المناوئة للإدارة المدنية والعسكرية في جزيرة فَرَسَان.

ومنذُ الأمس، تروجُ إشاعاتٌ مفادُها، نجاحُ قوات الإدريسي بالسيطرة على هذه الجزر، وأنَّ المأمورينَ الأتراكَ وأفرادَ الحامية العسكرية قد وقعوا في الأسر، وتمَّ نقلُهم إلى ميْدِي، ولكنَّ هذا الخبرَ يحتاجُ إلى تأكيد.

ويثيرُ غيابُ السفن الإيطالية عن حصار ميناء الحُدَيْدَة شكوكاً، حيث أنَّ الجزءَ الأكبرَ من وقتها، تقضيه هذه السفنُ الحربيةُ الايطاليةُ بعيداً عن الحُدَيْدَة إلى الجنوب، لأنهم مشغولون بالزرانيق. فقد وجدوا

عند أحمد فتيني، واحد من زعماء قبائل الزرانيق، استجابةً عاليةً لما يطلبونه منه، فقد صعدَ الشيخُ المذكورُ إلى السفينة الحربية الإيطالية التي رستْ مقابلَ مرسى الطفة، وتمَّ التوصّلُ إلى اتفاقٍ معه، يقضي بالسماحِ للداوات والسنابيك بتفريغ وتحميل البضائعِ من الطفة، متجاوزين حالةَ الحصار السائدة، مقابلَ تسهيلات للشيخ، بالسماحِ له بتصدير الذّرة إلى الموني الأريتريّة. ويفهمُ من الاتفاق أن الأسلحةَ والذخائرَ ستُرسَلُ عبرَ هذا الوسيط، كي يستخدمَها أتباعُ الإدريسي ضدَّ الأتراك. وبناءً عليه فقد أُنزلَ أحدُ المترجمين من إحدى السفنِ الحربية الإيطالية، وأُبْقَي في الطفة، لمراقبة حركة الداوات. وخلال شهريْ : ابريلَ ومايو وصلتْ أكثرُ من (٥٠) حمولةً بحرية إلى المكانِ المذكور أعلاه، تحملُ الدقيقَ والأرزَّ والسكّرَ وسلعاً تجاريةً أخرى، خاصةً بالتجار في الحُدَيْدَة وبيت الفقيه وزَبيد. ووصلَ أيضاً خلالَ الفترة المذكورة، ١٢ ألف كيس من الدقيق والأرز وغيره إلى المدينة عبرَ الطفة للقوات الموجودة في المنطقة، ويبدو، وبشكل واضح، أن الإيطاليين في اتفاقهم مع الشيخ أحمد فتيني قد رفعوا الحظرَ على دخولِ المواد الغذائية التي يحتملُ أنْ تستفيدَ منها السلطاتُ العسكريةُ.

وفي محصلة التفسير الواضح، أنّ هذه الشخصيةَ، أحمد فتيني، يخدعُهم ويتلاعبُ بهم، وقد علمتُ من قبل أحد التجار المحليين، أنَّ كلَّ داوة تصلُ إلى الطفة تحملُ على الأقلِّ من ٦٠-٨٠ كيساً من الدقيق المخبأ تحتَ الشحنة الأصلية والتي لايراها إلا المفتشون، وأجرةُ

الحمولة تتراوح من ٣-٥ ريالات ماريا تيريزا، وعلى كلٍّ كيسٍ من الدقيق والأرز من (٦-١٠ سنتات) الذي يزنُ من ٢-٢,٥ رطل، لشحنها من عدن إلى الطفة، ويتمّ تنزيلُها بكفالة الشيخ حيثُ تنقلُ بواسطة الجمال إلى الحُدَيْدة والمناطق الأخرى.

وعلى الرغم من الحصار، فإنَّ التهريبَ قد اتّسعَ نطاقُه، تحتَ بصرِ سفنِ الحصارِ، كما أنَّ الاستيرادَ التجاريَّ للدقيق والأرز والسكر والسلع الأخرى التي لتجار الهند البريطانيين تمرُّ بهذه الطريقة أيضاً، ويظلُّ الفضلُ إلى الايطاليين، والذين من خلالهم، تصلُ إلى الخصوم بواسطة عصابات التهريب».

وتدلُّ تلكَ الفقراتُ التي تُرجمتْ من الوثيقة على أهمية المعونات والمساعدات العسكرية والتموينية التي قدمتْها إيطاليا للإدريسي، والتي بلغتْ تقديمَ الغطاء العسكري، بقصف المواني والمدن بالأسلحة الثقيلة الفتاكة، ومن ثمّ تقدُّمَ اتباعُهُ للاحتلال والسيطرة.

ويرى بعضُ الباحثينَ المحدثينَ، بأنَّ الدولةَ الادريسيةَ، وإن حالفتْ دولتين أجنبيتين، ايطاليا وبريطانيا، كما وصمها خصومُها، فنعم، وإنما هي محالفةُ تبادل المصالح والمساعدة الحربية، فقدَ أخذَ منها مالاً وسلاحاً، وقاتلَ عَدُوَّيْه وعدوَّيْهما الأتراكَ والإمامَ، وحقّق لنفسه ملكاً ونصراً لحليفتيه ولا شيءَ غيرَ ذلك[1]، بل لم يتورع الادريسيُّ

---

(١) انظر، العقيلي، المخلاف السليماني، ٨١٩/٢.

عن إيراد خبر خروج قزمانَ مع أصحاب رسول الله، يومَ أحد، وقتل ثلاثة من بني عبد الدار، وحمله لواءَ المشركين، وأوردَ حديثاً نسبهُ إلى الرسول، صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم: «أنه اللهَ ليأزر هذا الدينَ الرجل الفاجر»[1]. ومع ذلكَ، فإنَّ الإمامَ يحيى، كان يميلُ إلى تسكين الفتنة ودفع المحنة، فأوفد العلامةَ السيدَ أحمدَ بنَ يحيى بن قاسم عامر والعلاّمةَ محمدَ بنَ علي الذاري والعلامةَ عبدالعزيز بنَ علي المتوكل والعلامةَ محمدَ بنَ محمد الشرعي الحوثي لطرف الإدريسي لاستيضاح الأمور في جازان[2]، حيثُ أمضوا معهُ ثلاثةَ عشرَ يوماً في مباحثات ونصح، ولم تسفرْ وفادتُهم عن نتيجة، فقدْ دعَوْه إلى عقد الصلح مع الأتراك وحقن دماء المسلمين، في الوقت الذي تحاربُهم الدولُ الأجنبيةُ».

ولم يلتزم الادريسي بشيء سوى وعد بعدم التعدي على بلاد الإمام. فقد ردَّ الادريسيُّ على مهمة وفد الإمام برسالة تاريخُها ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٠هـ[3]، حيث عرضَ في رسالته لعلاقاته مع الأتراك بصورة مسهبة، وتناول التطورات والأحداث التي وقعتْ في إستانبولَ وأوروبا، وكانَ أخطرُ ما في رسالته: «وقد اكتفينا ببيانهم في مادة الحدود من الشرف إلى بني جُماعة» وهذا معناه، أنَّ حدودَ سيطرته تصلُ إلى بلاد الشرف وإلى بني جُماعةَ وهي من توابع الإمام. ولم

---

(١) العقيلي، المخلاف السليماني، ٢/٧٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص/٧٤٧.

(٣) انظر جواب الادريسي في كتاب، أئمة اليمن، ٢٣٣-٢٤١، المنار، الجزء الرابع، ١٣٣١هـ، جريدة المقطم، عدد ١٣ صفر، سنة ١٣٣٥م.

يكتف الادريسي بهذا، بل دفعَ جندَهُ إلى جهةِ الشامِ وأخذَ في مهاجمةِ خوْلانِ الشامِ وبلادِ حَجُور.

وأمَّا الإمامُ، فقد أخذَ في الاستعداد لمواجهة تعديات الادريسي، فطلبَ العساكرَ من بلادِ بني صُريم وبلادِ الأهنوم، وأخذَ يرسلُ المجاهدين والإمدادات إلى ساقين وبلادِ صعدةَ، وكتبَ الإمامُ إلى علماءِ وساداتِ حوث[1] بشأنِ الادريسي، من مقره في شُهارةَ وذلك بتاريخِ رجب سنة ١٣٣٠هـ. وكان نصُّ رسالته :

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماءُ الأعلام : من السادات الكرام، والشيعة الفخام، أهل هجرة حُوث، حرسهم اللهُ تعالى، السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، ونصلّي ونسلّم على سيدنا محمد وآله،

صدورُها من محروسِ شُهارةَ، عن أحوالٍ بمنِّ الله صالحة، وأخبارٍ تتوقدُ لها من المؤمنين كلُّ جارحة، مما دهمَ الإسلامَ في أكثرِ البلادِ من استيلاءِ عبادِ الصليبِ عليها في هذا العامِ، وما قبله كبلادِ البلغارِ وبلادِ كريدِ وبلادِ البوسنة والهرسك، ثم بلادِ فاس التي كان يُدعى واليها بأميرِ المؤمنين، وهو عبدُالحفيظ من السادات الإدريسيين، فإنه استولى عليها الفرنساه، وفعلَ بأهلها الأفاعيلَ، ثم بلادِ الإيرانِ وهي بلادُ العراقِ الداخلي التي منها جيلانُ وديلمانُ ووواليها هو شاه

---

(١) مركز الناحية في الظاهر الأعلى من بلاد حاشد، ونسب إليها طائفة من أولاد الامام يحيى بن حمزة.

العجم، وهم من الإمامية، فإنه استولى عليها الماسكوه، وفعلَ بأهلِ تبريزَ ما لمْ يكنْ مثلُهُ في الأزمانِ، ثم بلادِ طرابلس الغربْ، فإنه وثبَ عليها الطليانُ، وأخذَ المدن التي على ساحلِ البحرِ، وقتلَ أربعةَ آلافِ نفسٍ ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، ثم ما كان من جميعِ النصارى من إطلاقِ الرسنِ للطليانِ، لمضايقةِ جميعِ المسلمينَ، ومنحوهُ السلطةَ في البحارِ، حتى شملَ إضرارُهُ بكثيرٍ من بلادِ الإسلامِ، يريدُ أنْ يضطرَ العثمانيةَ إلى تسليمِ طرابلسَ له، واستعانَ بالإدريسي في اليمنِ، وساقَ إليه الأموالَ، والأسلحةَ والرجالَ.

وعلم كلُّ منْ يعلمُ أنَّ الطليانَ والإدريسيَّ، اجتمعوا على حربِ ميْدي والقنفذة من البحرِ والبرِ، وأنَّ المراكبَ التي بيدِ الإدريسي من الطليانِ، وأنَّ المراكبَ التي تأتي بالأموالِ إلى الإدريسي مراكبُ الطليان، وعليها بيارقُ الطليان، وخرج إلى الإدريسي أمينُ صندوقِ الطليان بمصوَّع والاخوانِ هنالك بجازانَ. ويقول الإدريسي أن ما يخرجُ له من الطليانِ هو معاملةٌ، يعني تجارة، فَلِمَ خرج له أمينُ صندوقِ الطليان، وما إليه من التجارةِ والتجارِ ! ومن أينَ للتجارِ مدافعُ ! وكذلك ألفُ بندقٍ من سلاحِ الطليان، ومن أينَ للتجارِ طباشيه[1]! وكيف يأمنُ الإدريسي في البحرِ وحدَه لاغير من الطليانِ، وجميعُ المسلمينَ ممنوعون في جميعِ البحارِ، وأيَّ جامعٍ بينَ المسلمينَ والحربيينَ، وهلَ المستعينُ بالطليانِ، الإدريسي، يريدُ نصرةَ الإسلامِ، وإحياءِ شريعةِ سيدِ الأنامِ،

---

(١) طباشية أي طوبجية، كلمة تركية وتعني ضارب المدفع، مدفعجي.

أم هو الطليانُ استعانَ بالادريسي، وساقَ إليه الأموالَ مقابلَ إعانته، وهل للمسلمينَ الاستعانةُ بالحربيين. والمستعانُ به هو الآمرُ الناهي.

نعم : قد عرفتم انثيالَ الناسِ إلى الادريسي، وتهافَتهم على الأطماعِ، وما في ذلك من المفسدةِ الدينيةِ، وتحالفِ المستهزين بالدينِ على إشادةِ أمرِ الادريسي، وليسوا من الدينِ في شيء.

وإنا نقسمُ لكم بالله، أنّه وصلَ إلينا رسولٌ من الطليانِ، يعدنُا بالأموالِ والأسلحة، وكلَّ ما نطلبُه لنُقاتلَ الأتراكَ، وأنّه وصلَ إلينا كتابٌ منْ ثقة، أنّ وكيلَ الطليانِ بعدن، استعانَ به على أنَّ الإمامَ يتركُ التجهيزَ على الإدريسي، ويسلمْ له الطليانُ كذا كذا ألفَ ذهبةٍ، وأجبْنا أشدَّ الجواب.

أما ما يُقالُ أن الدراهمَ التي بيدِ الادريسي من أهلِ مصرَ أو السنوسي[1] أو غيرهم، فذلك من الكذبِ، كلٌّ أولئك يدينون بوجوبِ طاعة السلطانِ، ويخطبون له في جميعِ البلدانِ، وينسبونَ أهلَ اليمن إلى كلِّ قبيحٍ لمحاربتهم العثمانيةَ، حتى من تحتِ ولايةِ النصارى، أهلِ الهندِ والسندِ والأندلسِ وغيرهم.

أهلُ مصرَ الآن، هم القائمونَ بنفقاتِ المجاهدين بطرابلس من أنفسهم، ومنهم المتطوعون بطرابلس، والسيد السنوسي قد أرسلَ كثيراً من أصحابِه إلى طرابلس للجهادِ، وكأني والله بالطليانِ، وقد

---

(١) المقصود السيد أحمد الشريف السنوسي، قائد حركة الجهاد آنذاك في برقة.

ملأوا سواحلَ تهامةَ نصارى واستحلَّها، أيريدُ المتحرّجُ أن يقولَ له الإدريسيُّ إنه معينٌ للطليانِ، ناصرٌ له. ألا لا يكونُ ذلك، إنما يتسترُ المفسدون بالفضلِ والديانةِ والزهدِ، كما كانَ من عليِّ بنِ الفضلِ ورفيقه.

وأقلُّ أحوالِ الإدريسي أنّه وقفَ موقفَ التهمةِ، إنْ لم تفدْ هذه القرائنُ. وقد قالَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وآله وسلم «من وقفَ موقفَ التهمةِ، فلا يلومَنَّ من أساءَ به الظن». على أنّه لو لم يكنْ من الإدريسي إعانةٌ للطليانِ، لكفى في وجوبِ عداوتِه البغيُ على الإمامِ، وتجهيزُه عليه المدافعَ والعساكرَ، أفي بغيه شكٌّ.

نعم إذا تأملَ المتأملَ في قوله تعالى : «الم، غُلِبَتِ الرُّومُ في أدْنَى الأرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، في بِضْعِ سِنِينَ، للّهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، وَيَوْمَئذٍ يَفرَحُ المُؤمِنُون، بنَصْرِ الله»[1].

لمَ فرح المؤمنون بنصرِ الرومِ على الفرسِ، والجميعُ كفار، أكانَ ذلك لغيرِ أنَّ أهلَ الرومِ أهلُ كتابٍ بخلافِ فارس، وهل للمؤمنِ أن يفرحَ الآن بانتصارِ الكفارِ عبادِ الصليب على العثمانيةِ، وأكثرُ بلادِ الإسلامِ تحتَ العثمانية.

نعم : الشريعةُ الغرّاءُ قد عملتْ بالقرائنِ، بل جعلت الخبرَ المحفوفَ بالقرائنِ مما يفيدُ العلمَ. وقد عرفتمْ ما أوجبَ اللهُ على العلماءِ

---

(١) سورة الروم، آية، ٢-٥.

من البيان، وإنا نناشدُكم اللهَ كذلك، ونُلزمُكُم حـجةَ الله، إنما الإمامُ فردٌ من أفرادِ المسلمينَ، تحمَّلَ أثقلَ الأحمـالِ، وبذلَ نفسَهُ لخدمة المسلمين وخدمـة ذي الجلال، يكفـي الإمامَ ما يصـادُره من المشـاقَ والأهوال، أيظنُّ ظانٌّ أنَّ الإمامَ فرحٌ بما هو فيه، مرتاحٌ بمـا يقاسيه، مريدٌ لغيرِالله للاستمرارِ بما هو فيه، ألا لا.

وأيمُ الله، وإنه يهمُّ بمـا يعلَمه اللهُ، لولا خـشيةُ الـله، أيَّ راحة هو فيهـا، أم أيُّ لذة هو عليها، تالله للبنًا أراحَ منه، أيُسَرُّ مدعي الإيمـانِ، مما يكونُ من اخـتلالِ أمرِ الإمـامِ، وظهورِ أهلِ الطـاغوتِ، وإخوانِه الطـليانِ عليه.

وإنا لنعجبُ مـمن يلومُ الإمامَ على مصـالحة العجمِ، وقـد رأى ما كانَ من الأصـحابِ خلال الجـهاد وبعدَه، ثم يريـدُ أن يحملَ الإدريسي على السلامـة مع ماقد شاعَ وذاعَ، مع أنَّ كلامَ أهلِ المـذهبِ أنه لايجوزُ غزوُ البغاةِ لغيرِ الإمامِ، وطـالما خطبَ الادريسي بصبيا لسلطانِ العجمِ ووالاهم وكتبَ إلينـا غيرَ مـرة يحثُنا على مصـالحتـهم فهذا إلى كـافة العلماء، نأمرهم أن يجتمعوا لقراءته، ويجـيبوا علينا بما نعتمدُ عليه، ولو بالأعـراضِ صفـحـاً، المرادُ إنمـا هو مطابقـةُ مرادِ الـله تعالى، وعـدمُ التفريطِ في شيءٍ لازمٍ، وما أحلى السكوتَ والاشـتغالَ بأخفِّ الأحمال. ولسنا ندافعُ ونمانعُ لخاصة أنفسنا أو صيانة بلادنا وأهلينا، والتكليفُ عامٌ، والدينُ النصيحةُ لله ولرسوله ولأئمـة المسلمين وعامّتهم، والأمرُ جسيمٌ والخطرُ عظـيمٌ، والحجةُ على العلماءِ قائمـةٌ، وهم بذلك يعلمون،

وهذا وقتُ حاجةِ البيانِ، لما يطابقُ مرادَ الربِّ الديانِ، وتأخيرُه عن وقتِ الحاجةِ غيرُ جائزٍ، لأنه يظنُّ الجهالُ وذوو الجراةِ أنّ الأمرَ هونٌ، فيتهافتون تهافتَ الفراشِ على النارِ، فيحرقون.

اللهمَّ أحمِ حمى الإسلام، وأيّدْ شريعةَ عبدك سيّدِ الأنامِ، وأخذلِ الكفرةَ اللئامِ، واجعلْ بأسَهُمْ بينَهم، وكفَّ أكفَّهُمْ عنِ الإسلامِ والمسلمينَ، والدعاءُ مستمدٌ

والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتِه

حرر بتاريخ عشرين رجب سنة ١٣٣٠هـ، ثلاثين وثلاثمائة وألف.

ورسالةُ الإمامِ يحيى إلى علماءِ حوثُ تطرحُ الأمورَ التالية :

- توضّحُ طبيعةَ المؤامرةِ الفرنجيةِ النصرانيةِ ضدَّ الدولةِ العثمانيةِ، وذلك بسيطرتها على بلادِ الإسلامِ التابعةِ للدولةِ العثمانيةِ، آخرُها العدوانُ على ليبيا وقبلَها بلادُ البلغارِ وكريت والبوسنةُ والهرسك، وعدوانُها على فاس وبلادِ جيلان وديلمان، وأشارَ إلى اعتدائهم على فاس وما فعلوه بأميرِ المؤمنين فيها السيد عبدالحفيظ الإدريسي من أقرباءِ السيد محمد علي الادريسي، وكان الإمامَ يحيى يريدُ أنْ يذكّرَ العلماءَ بما يقترفُه السيد محمد ابن علي الإدريسي من خلالِ تحالفه مع الطليانِ والأجانبِ في حين لايقفُ عنْدَ ما يُقْتَرفُ حتى مع أقاربِه أبناءِ جلدته.
- يشيرُ إلى أنَّ الدولَ الأجنبيةَ أطلقتْ يدَ ايطاليا في البحرِ لمحاصرةِ المسلمينِ في البحرِ، والتضييقِ على بلادِ الإسلامِ، وعاونها السيدُ

الادريسيُّ في الهجوم على ميْدي والقُنْفُذَة.

- ويقدمُ الإمامُ يحيى قرائنَ تبيّنُ أنّ الادريسي قد أوكلَ أمرَهُ إلى الطليان، ومن القرائن، تزويدُ الادريسي بالمراكب البحرية، ومراكبُ الطليان، التي تحملُ العلمَ الايطالي كانت تأتيه بالأموال واستقبالُهُ لأمين صندوق إيطاليا في مصوّع، حيث وصلَ إلى جازانَ، وما ذلكَ إلا لإيصال الأموال إلى الادريسي.

- ويفنّدُ الإمامُ يحيى ادّعاءَ الإدريسي بأنَّ تعاملَه مع الطليان ما كان إلا للتجارة وأسبابها ويثيرُ الإمامُ أسئلةً باستفهام استنكاري، فإذا كان الأمرُ متعلقاً بالتجارة، فلماذا يخرجُ إليه أمينُ الصندوق، ثم من أين للتجار المدافعُ والبنادقُ وأطقمُ تشغيل المدافع، وهل هو الذي سخّرهم لأغراضه أم هم الذين سخّروه لخدمة مصالحهم، ويسخرُالإمامُ من الادريسي وإدعاءاته : هل يريدُ الطليانُ نصرةَ الإسلام وإحياء شريعة سيد الأنام.

- ثم يشكو الإمامُ يحيى إلى العلماء والسادات مايراه من انثيال الناس إلى الإدريسي طمعاً في الأموال والأرزاق وما في ذلك من مخالفة للدين.

- ويشيرُ إلى أنَّ الطليانَ، اتصلوا به، ووعدوه بالأموال والأسلحة مقابلَ ألاَّ يجهزَ على الإدريسي، وأن يقفَ منهُ موقفَ الحياد، ولكنّه رفضَ ذلك أشدَّ رفض.

- وينبّه الإمامُ إلى أنَّ الأموالَ التي بيد الإدريسي ما هي إلا من الطليان وليسَ من مصرَ أو السيد أحمد الشريف السنوسي، لأنَّ هؤلاء

يدينون بالطاعة لسلطان الإسلام، ويعيبون على أهل اليمن محاربتَهم للدولة العثمانية. وهم الذين يقومون بدعم المجاهدين في طرابلس.

- ويقلّلُ الإمامُ من أهمية الإدريسي، ومن شأن قرائنه الداعية لنصرته من قبل العلماء، فلو لم يكنْ إلا وقوفُ الادريسي موقفَ المتهم من خلال تعامله مع الطليان، فالأجدر به أنْ يتوقفَ عن ذلك وعن عدوانه على الإمام يحيى وبلاده.
- يستشهدُ الإمامُ بالآية القرانية، آلم، غلبت الروم .. الخ، ليثبتَ أنَّ المسلمين فرحوا بهزيمة الفرس لأنهم وثنيّون، في حين أنّ الرومَ أهلُ كتاب، فالأولى مناصرةُ الدولة العثمانية المسلمة ضدَّ قوى الدول النصرانية الأجنبية.
- ولما كانَ البعضُ، وخاصةً الادريسي وأعوانَه، والذين أغواهم منطقُهُ، يلومون الإمامَ على مصالحته للعثمانيين، فيردُّ الإمامُ بأنَّ الإدريسي نفسَهُ كثيراً ما يكتبُ إلى الإمام يدعوه لمصالحة العثمانيين، وها هو يحاربُهم بعد أنْ ركنَ إلى ايطاليا.
- ثم يطلبُ إلى العلماء والسادات قراءةَ رسالته، ويتمنّى الإجابة على كتابه، فما يقومُ به، يهدفُ من خلاله خدمةَ الإسلام والمسلمين ولايريدُ لنفسه منفعةً ولا علواً.
- ويبلغُ الإمامُ قمةَ مايريدُ فيقول : «والأمرُ جسيمٌ، والخطرُ عظيمٌ، والحجةُ على العلماء قائمةٌ، وهمْ بذلك يعلمون، وهذا الوقتُ حاجةُ البيانِ، لما يطابقُ مرادَ الربِّ الديان». وما نراه هنا، هو أنّ الإمامَ

كانَ يمـهّدُ ويعدُّ جبـهتَهُ الداخليـةَ، لتكونَ موحّدةَ المـواقف اتجاهَ الإدريسي، وفي الوقت نـفسـه يتـصـدى لحـمـلات الإدريسي الدعائية.

وعلى الجـانب الآخـر، فإنّ الإمـامَ بادرَ إلى اتخـاذ الاحـتيـاطات العسكرية لاحتمال بدء المعارك، فعـهدَ إلى أحمد بن يحيى عامر بولاية بلاد الشرفين، وإليه ترقّبُ حركة الإدريسي إلى مدينة حَرَض، وتجميعُ العسـاكر من جبال أم ليلى ومـجز من بني جُماعـة. وأشعلَ الإدريسي الحرَب في مناطق بني جُماعة وخـاصةً في مناطق عروى والقبل وجبل الدف، وسـادت الاضطراباتُ بلادَ سحـار، في الطلح والنظير، وكـانت مناوشـاتٌ وحروبٌ مـحدودةٌ[1]. وإزاء مراجـعات عـزت باشا لـلإمام، وتقـدير الأخطار التي يمثّلـها الادريسي، كـانت الاستـجابةُ، ووقـعتْ مـعاركُ في سـوق الاثنين وفي أطـراف شعب حي وحـصن المـوشح والقارة ووادي مـزرعة وسوق عاهم وجـهات حَجُـورَ والشرف، رافقَ ذلكَ زيادةُ ضغط القوى الأوروبيـة على العساكر العثمـانية في اليونان والبلغار والبلقان، وتحالفَ الروسُ والألمانُ وفرنسا والنمسا والانجليزُ ضدَّ الدولة العثـمانية، لاقتسـام تركتها. وكانَ الرأيُ مـعاودةَ الاتصال بالإدريسي أملاً في عـودته عن مهـاجمة الدولة العـثمـانية، في الوقت الذي تُطبْقُ القوى الأجنبيةُ على الدولة العثمانية من كافة الجهات. ولكنَّ الإدريسي سارعَ بفـتح جبهـة حَجُور، وأمـدَّ بني سعد وبني أحـمد من

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٨١.

بني هني بالمال والسلاح، حيثُ كانَ العام ١٣٣٠هـ مسرحاً شاملاً للعمليات العسكرية بينَ الإمام والإدريسي. وقد حقّقَتْ قواتُ الإدريسي بعضَ النجاح في ميدان الشام، فقد تخاذلَتْ جموعُ ذي غيلان وابن شاكر، وأصابَ الوهنُ القوات العثمانيةَ، وتردّتْ روحُها القتاليةُ بعدَ اتّصال أخبار الحروب حولَ الأستانة بينَ الدولة العثمانية ودول البلقان، وخوف العساكر العثمانية على أهليهم وذويهم ورغبتهم في مفارقة اليمن، ثم إنّ الحملات العسكريةَ ضدَّ الادريسي قد استنفذتْ جزءاً مهماً من خزينة أموال الحملة في اليمنْ، وتعويضُ ما أنفقَ مازال غيرَ محقّق.

وإزاءَ تضعضع الأحوال، وصلَ عصمتْ باشا، أركانُ حرب القوات، يصحبُهُ العلامةُ قاسمُ بنُ حسين أبو طالب، وبعدَ التداول مع الإمام ومستشاريه، أجمعَ الرأيُ على ضرورة الاتصال بالإدريسي من أجل تسكين الحرب وحقن الدماء والسعي إلى عقد صلح معه، وقفلا راجعيْن إلى صنعاءَ، وبعدَ التداول مع الوالي محمود نديم، كانَ الرأيُ أنْ يرأسَ الوالي بنفسه الوفدَ لمقابلة الإدريسي.

المبحث الثالث : الوفودُ على الادريسي :

رأس الوالي محمود نديم الوفدَ الذي تشكّل من: قاسم بن حسين العزي، أبو طالب، وأحمد بن يحيى عامر، وعبدالكريم بن أحمد المطهر، رئيس الكتاب، وحسين كامل، رئيس التدقيقات المالية، ومن أعيان تهامة، عبدالباري بن محمد عبدالباري الأهدل المراوعي، والسيد محمد ابن عبدالرحمن الأهدل، ورجب بك متصرف الحديدة.

وطلب الإمامُ إلى موفديه دراسةَ شخصيةِ الإدريسي وأحوالِ دولتِه ورجالِ إدارتِه وقادةِ قواتِه، والتحقّقَ من مدى فاعليةِ المساعداتِ الإيطاليةِ إليه، ويستشف من تكليفِ الإمامِ موفديه بهذه المهمةِ، إدراكهُ بحتميةِ فشلِ المحادثات، وأنه لايعوّلُ شيئاً على نتائجها، لأنّ الإدريسي فاقدُ الإرادة، رهينُ المصالحِ الإيطاليةِ، وليس له القرارُ فيما يُدعى إليه، وإذا كان الأمرُ كذلك فليستفد الإمامُ من الوفدِ في تحري وبحثٍ ورصدِ أحوالِ الادريسي الخفيةِ، استعدادِ للجولةِ الحاسمةِ مَعَ الإدريسي.

وجرت الإتصالاتُ بين الوالي محمود نديم والسيد محمد الادريسي لتحديدِ مكانِ وزمنِ الاجتماع، فناورَ الادريسي وراوغ، فسافرَ لطرفه ثلاثةٌ من الأعيان، وبعد لأي وافقَ الإدريسي على الاجتماعِ بهم في ميْدي، إلاّ أنّ الإدريسي لم يصلْ في الوقتِ المحدّد، وتمترسَ في وسطِ الطريقِ بين ميْدي وجازانَ، وبعدَ محاوراتٍ وافقَ على أنْ يكونَ اللقاءُ في جازانَ مقرِّ الإمارةِ الإدريسية، فأبحرَالوالي وأعضاءُ الوفدِ إلى ميناءِ جازانَ، وقضت الترتيباتُ أنْ تكونَ المفاوضاتُ نهاراً، ويكونَ الرجوعُ ليلاً إلى الباخرةِ للمبيت. لقد أحاطت الشكوكُ وعدمُ صدقِ النوايا بالطرفين، حتى قبلَ بدءِ المحادثات، فالإدريسي كان يخشى اصطيادَهُ وحملَهُ بالباخرةِ «الحميدية» التي كانتْ تنقلُ الوفدَ، والوفدُ يخشى غدرَ الإدريسي بهم، إن أسلموا أنفسهم للمبيتِ في مقرِّ نفوذه.
ماذا جرى في المفاوضات ؟ لقد تناولَ التقريرُ الذي بعثَ به Richardson إلى السيرGerard Lowther بعضَ تفصيلاتِ المحادثاتِ وما انتهتْ

إليه[1]. وجاء في الوثيقة البريطانية PRO. FO 424/238 ما يلي :

رقم ١٢٠

(٢٠٤٩٨)

من السيد Lowther إلى السيد Edward Grey استُلمتْ في ٥ مايو،

رقم ٣٦١

سيدي،

لي الشرفُ أن أنقلَ لكم نسخةً من رسالة نائب قنصل جلالته في الحُدَيْدَةَ والتي تفيدُ سفرَ الهيئة العثمانية التي يرأسُها محمود نديم بك لزيارة السيد محمد الإدريسي في اللُّحَيْة.

إنَّ جهودَ القنصل العام توسكاني المتمثلةَ في تعيين نائب قنصل إيطاليّ في مخَا ومؤشرات أخرى وردت في التقارير القادمة من الحُدَيْدَةَ تشيرُ على ما يبدو إلى أنَّ ايطاليا تعتبرُ اليمنَ حالياً ولدرجة كافية على الأقلِّ كمنطقة نفوذ لها، ومن الواضح أن الجهودَ السياسيةَ الإيطاليةَ مع السيد الإدريسي لم تتوقفْ إبانَ الحرب، ومن المفيد الإشارةُ إلى أنَّ جزرَ فَرَسَان حيثُ يخطّطُ الألمانُ لإقامة محطة وقود هي ضمن منطقة السيد الادريسي.

اطلعتُ وعلم

Gerard Lowther

---

(١) Governer of the Yemen to meet the Idrisi. Italian interests in the Yemen : Lowther to Grey, 29 April 1913, enclosing letter form Richardson to Lowther, 25 March, 1913.

المحتوى المرفق رقم ١٢٩

نائب القنصل ريتشاردسون إلى السيد جي، لاوذر

رقم (١٠)

الحُدَيْدَةَ، ٢٥ مارس ١٩١٣

سيدي،

يسعدُني إبلاغكم وصولَ السيد محمود نديم بك والي اليمن إلى هنا قادماً من صنعاءَ، في ١٣ من الشهر الجاري، في طريقه إلى اللُّحَيْة، حيثُ سيراسُ هيئةَ سلامٍ إلى عسير لطرف السيد محمد الادريسي، ويرافقُ سيادتَهُ حسين كامل بك، نائبُ هيئة المحكمة الشرعية في هذه الولاية، والسيدُ قاسم العزي من الرَوْضَة قربَ صنعاءَ، وسيقومُ الأخيرُ بتحرّي ومراقبة ومراعاة مصالح الإمام يحيى في المفاوضات التي ستجري.

وقد توجَّه الجماعةُ إلى اللحية على متن الباخرة وسْمانَ في العشرين من الشهر الجاري، ومن المتوقع أن تدعمَ في ذلك المكان بالجنرال سعيد باشا، رئيس أركان هيئة القوات، والذي مازالَ مع قوات حامية عسير في الزهرة إلى جانب الشريف حمود، وهو وجيهٌ عربيٌ متنفذٌ من منطقة الزهرة، وعلمتُ من محمود بك أن البعثةَ ستقابلُ الداعي المعارضُ شخصياً في مكان يسمى حَبَل، وهو ميناءٌ صغيرٌ على مسافة خمسين ميلاً إلى الشمال من اللُّحَيْة، وستهدفُ البعثةُ المشارُ إليها أعلاه مناقشةَ الوضع في عسير مع السيد الادريسي، ومحاولةَ

التوصل إلى تسوية مؤقتة لتهدئة الأوضاع في تلك المقاطعة المضطربة.

ويبدو أنَّ البابَ العالي، وبكلِّ الحسابات، مستعدٌ لمنح نوعٍ من الحكم الذاتي تحتَ السيادة العثمانية للداعي المعارض في منطقة أبي عريش، والسماح له بمدِّ صلاحياته إلى الشرق، باتجاه الحدود اليمنية مع عسير.

وفي الأحوال المشار إليها أعلاه، فإنَّ موانيءَ حَبَل وميْدي وجازانَ وبرك وجزر فرسان هي الآنَ في أيدي ذلك الثائر، وباستثناء جزر فَرَسَان، فإنَّ من الصعب القولَ بأنَّ للعثمانيين أكثرَ من نفوذ رمزي قبلَ بدء العداء التركي – الايطالي، وهي التي ستبقى على وضعها الحالي.

ويُصرُّ البابُ العالي، على أنَّ العلَم العثماني الذي استُبْدِل بعلم خاص أخضرَ يمثلُ ألوانَ علمِ الإدريسي، يجبُ أنْ يعادَ رفعُهُ على الأماكن المذكورة أعلاه.

على أية حال ، فإنَّ من المشكوك فيه، فيما إذا كانَ السيدُ محمدٌ سيقبلُ باستبدال العلم العثماني بعلمه.

وقد علمتُ أيضاً أنه، وبينما سيُعادُ توزيعُ واقتسامُ دخل المنطقة المقترحة للحكم الذاتي، كما كان معمولاً به في بعض الأحيان من قبل الداعي المعارض، وإنَّ السلطات التركيةَ ستمتنعُ عند التدخل في شئونها الداخلية، وسيكونُ هناكَ شرطٌ في الترتيبات، يقومُ على أساس

عدمِ تقديمِ تنازلاتٍ وعدمِ إقامةِ علاقاتٍ مع الأجانبِ دونَ موافقةِ الحكومةِ العثمانيةِ.

وهناك تفسيران قُدِّما لتوضيحِ قلقِ الحكومةِ العثمانيةِ لإتمامِ الانفراجِ مع الداعي المعارض، في الحالةِ الراهنة، مع الإشارة إلى تركيزِ قوةٍ في الزهرة، تحتَ قيادةِ سعيد باشا، وأخرى في عسير بقيادة فيصلِ بنِ الشريفِ الأكبرِ الحسينِ بن عون، شريفِ مكةَ، وهاتان القوتان جاهزتان لضربِهِ وإخضاعه.

ومن بينِ الجوانبِ الأخرى المتعلقةِ بما سبق، التصميمُ على التصدي للقواتِ والنفوذِ الإيطالي في مناطقِ سيطرةِ السيدِ الإدريسي، وكما ذكرَ فإنه يسودُ اعتقادٌ عامٌّ، أنَّ هنالك بنوداً سريةً وغيرَ منشورةٍ في إتفاقيةِ لوزانَ الأخيرة، تمنحُ، ولفترةٍ مناسبة، حكماً ذاتياً للسيدِ الإدريسي، حليفِ ايطالي في شمالِ اليمن.

وتشيرُ بعضُ الدوائرِ من ناحيةٍ أخرى، إلى أنَّ العاملَ الحاسمَ لاتخاذِ العثمانيين هذه الخطوةَ، هوالنفوذُ المتنامي للإمامِ يحيى. والسيدُ الإمامُ يحيى حميدُ الدين تعاني إدارتُهُ المحليةُ من نقصٍ في الكوادرِ منذُ الاتفاقِ المشهورِ بينه وبين عزت باشا. ومما يجبُ التنويهُ إليه، أنَّ الأتراكَ كانوا يسعوْنَ لسحقِ حركةِ الإدريسي بعدَ تعاونِه مع الطليانِ، وتقديمِ المساعدةِ للإمامِ يحيى وتزويدِه بالأسلحةِ والذخائرِ ودفعِ ديّاتِ أتباعه الذين يُقتلونَ خلالَ العملياتِ الموجهةِ ضدَّ الإدريسي، وقلّما مضتْ ليلةٌ واحدةٌ، لم تكن السلطاتُ التركيةُ مضطرةً

للاستجابة لطلبات الإمام يحيى من الذخيرة أو الخزينة لدفع ديّات القتلى لأعداد من رجال القبائل، الذين يُفْتَرضُ أنهم قُتلوا. وفي الحقيقة، وبعدَ توقّف الأعمال العدائية بينَ الايطاليين والأتراك، والعفو عن السيد محمد الإدريسي، فمنَ الصعب كفُّ يد الإمام يحيى عن الإدريسي. وهذا سيؤدّي إلى تمكين الإمام من ملء خزائنه وتزويد ترسانته العسكرية على حساب الأتراك. ولذا فليسَ من المفاجئ، أنْ يكون الأتراكُ قلقين من التنامي السريع لنفوذ الإمام يحيى، وتحويل نشاطات القوى الأجنبية الأخرى عن مراكز الإمام الأساسية بغرض عدم محاصرته والتضييق عليه، وعلى الرغم من الشروط الكريمة واللّينة التي قُدّمتْ للداعي المعارض في عسير، فإنَّ الرأيَ العامَّ المحلي كثيرُ التشاؤم حيالَ نتائج المفاوضات التي ستجري مع ذلك السيد.

وقد علمتُ مؤخراً من مصادرَ موثوقة، أنه عندما استُدعيَ توسكاني إلى الصليف في سفينة حربية إيطاليةٌ هي Cubtatone فإنه يعتقدُ أنّه أرسلَ رسولاً إلى الادريسي، بكتاب يحثُّه على إفشال مهمة الهيئة التركية، المشار إليها في هذه المراسلة.

اطلعت وعُلم

ريتشاردسون

والتقريرُ البريطانيُّ يؤكّدُ الأمورَ التاليةَ :

- النوايا الصادقةَ من قبلِ العثمانيين لتهدئة الأوضاعِ المضطربة في عسير.

- التوجّهَ نحوَ منحِ الإدريسي حكماً ذاتياً، تصلُ حدودَه إلى الحدودِ اليمنية، منطقةِ سيطرةِ الإمامِ آنذاك.
- وضعَ موانىءَ حَبَل ومَيْدي وجازانَ وبرك وجزر فَرَسَان تحتَ السيادةِ العثمانيةِ ورفعَ العلمِ العثماني عليها.
- عدمَ تدّخلِ الدولةِ العثمانيةِ في الشئونِ الداخليةِ لإمارةِ الادريسي.
- قبولَ الإدريسي بعدمِ تقديمِ تنازلات، وعدمِ إقامةِ علاقاتٍ مع القوى الأجنبيةِ دونَ موافقةِ الحكومةِ العثمانية.
- ومن الغريبِ، الإشارةُ إلى ملاحقَ وبنودٍ سريةٍ في معاهدةِ لوزانَ التي وقعتْ بينَ إيطاليا والدولةِ العثمانية، سنة ١٩١٢ تقضي بالاتفاقِ على منحِ الإدريسي حكماً ذاتياً في شمالِ اليمن.

وهذه الشروطُ تتناقضُ، ومطالبَ الإدريسي التي يتمسّكُ بها، وهي كما نشرتْها مجلةُ المنار[1].

- الاستقلالُ الإداريّ التامّ تحتَ سيادةِ الدولة.
- أنْ لا تتدخلَ الدولةُ في شئونِ موظفي البلادِ التي في قبضةِ يده، والتي ستُبيْن حدودُها في المعاهدة.
- أنْ تكونَ الرايةُ، الهلالَ والنجمَ مع كلمةِ التوحيدِ من جهة، و«محمد رسول الله» من الجهةِ الأخرى.
- أن تكونَ الجنودُ محليةً، وعددُها كافياً لحمايةِ البلادِ في زمنِ السلمِ والحرب.

---

(١) انظر، مجلة المنار، المجلد ١٦، الجزء ٦، ص ٤٧٠، تكوين اليمن الحديث، ١٩٤.

- أن تكونَ الجمـاركُ في الثـغـور راجـعةً إلى الإمـارة الادريسـيـة، والمعاهداتُ التجاريةُ مع الدول من حقِّها أيضاً.
- أن تكونَ الأحكامُ طبقَ الشـريعة الـغراء، واللغـةُ الرسمـيةُ هي اللغـةَ العربـيةَ فقط، بحـيثُ لاتعرفُ لغـةٌ سواها في الـتعليم والقـضاء والإدارة، وفي المخابرات الرسمية مع الآستانة.
- كلُّ ما ينشـأُ من المنافع العمومـية كالسكك الحـديدة والتلغراف في جـهات عـسيـر، يجبُ أن يكونَ لمنفـعـة الإمارة، وخـاصةً بهـا، وخاضعةً لها.
- أن يصـدرَ بهـذا الاتفاق فـرمـانٌ سلطانيٌّ، قـبلَ أنْ يجتـمعَ مـجلسُ المبـعوثان العثـماني يؤتى به من الآستـانة على يد مندوب عال، وعلى سفينة حربية، ويقرأ باحـتفال عام في المكان الذي يختارُهُ الأميرُ الإدريسي.

كما كانَ هناك أيضاً مسائلُ أخرى خصوصيةٌ وفرعيةٌ. وشتان ما بينَ المراد والمرُيد فكانَ الفـشلُ متوقعاً، وعـادَ الوفدُ إلى صنعاءَ. ومن ناحية أخـرى، فقد تلقى الإمامُ تقاريرَ مـبعوثيه في الوفد حـولَ المهامِ التي كُلِّفوا بها، فجاءَ في إفادة السيد أحمدَ بن يحيى عامر، أنَّ الإدريسي لازال يتلقّى الإمـدادات من الطليان، وأن عـدالتَـهَ التي كانَ يتظاهرُ بهـا، ومعاملةَ الناس سواسـيةً قد تغيّرتْ، فالأقاربُ عـنده غيرُ الأباعد، وتلكَ العقـيدةُ الزاهدةُ المـتصوفـةُ ماعادت مـوجودةً، والناسُ ينفـضّون من حوله، ولم يبقَ معه إلا بعضُ المشايخ طمعاً بما يدفعُه اليهم، وليمكّنُهم

من رقاب الناس وانتهاب أموالهم. واعلمَ الإمامَ بأنَّ الإدريسي، واثناءَ المحادثات، كانَ يُصدرُ أوامرَهُ لأتباعه في حدود الشرف وحَجُور الشام بتسكين الحرب، وفي نفس الوقت يمدّهم بالذخائر وآلات الحرب والمؤن سراً[1].

وأمّا قاسمُ بنُ حسين العزي، فقد أوردَ في تقريره ما دارَ بينَه وبينَ الإدريسي، ومحاولةَ الإدريسي الايقاعَ بينَ الأتراك والإمام، فحين يجتمعُ بالعثمانيين يطعنُ على أصحاب الإمام ومذهب الزيدية وأنه سيعمل على إزاله المذهب، فكأنه يسعى لفك رابطة الصّلح بينَ الإمام والدولة، وأكّدَ ذلك ما جاءَ في إفادة أحمدَ بن يحيى قاسم حولَ خداعه في مناطق الشرف وحَجُور الشام، وقدّم العزيُّ تفصيلاً بأشخاص قيادات الادريسي العسكرية، ورؤساء مصالحه الإدارية والمالية ومسؤولي دوائره الاقتصادية وخاصةً في الموانيء والساحل. وأنهى تقريرَه بالعبارات التالية «إنّ العربَ يروْنه ساحراً كذاباً، وما وجدوه إلا كالسراب، غُرَّ من رآه، وخابَ من رجاه، مجانبتُهُ أمنٌ وسرورٌ، ومصادقتُهُ غرورٌ ... الخ[2].

إنَّ فشلَ المفاوضات كانَ أمراً محتوماً، فالإدريسي لايُبْرِم أمراً إلا بوحي إيطاليا، وكانَ ايعازُها عن طريقِ توسكاني بضرورة إفشال المحادثات.

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٩١.

(٢) انظر، تقييد حوادث، ١٩٤ب، أئمة اليمن، ٤٧٨.

وكانَ معنى ذلك العودةَ إلى ميادينِ القتال، وكانت سحارُ قد فاءَتْ إلى حظيرة الطاعة، وعقد صلح بينَ بني مروانَ وخيران ومستبا في ميدانِ حَجُور. وتضافرت القبائلُ، ووقعتْ معاركُ ضدَّ بني جُماعةَ وقبائلِ رازح في العر والمصنعة في رجب ١٣٣١هـ، واستولت القواتُ الإماميةُ على جبل حُرُم[1]، وحدثت مناوشاتٌ على حدودِ حَجُور ومناطقَ أخرى.

ثم كانَ الاجتماعَ في أولِ شعبانَ ١٣٣١هـ بينَ الوالي محمود نديم والإمامِ في حصنِ السودة لتنسيقِ التعاونِ وتظافرِ الجهودِ والتعاضد لمناجزة الادريسي، وخضد شوكته قبل أنْ يتمكّنَ من توطيدِ نفوذه، وفي الاجتماعِ سلّم الوالي محمود نديم للإمامِ تصديقَ الدولةِ على صلحِ دَعّان، وكان نصُّه :

جنابَ مرجعِ السيادة، عاليَ الانتساب، فرعَ الشجرة الزكية، طرازَ العصابة العلوية، أكرمَ السلالة الهاشمية، السيدُ الشريف الإمامُ، المتوكلُ على الله، يحيى بنُ محمدِ بن حميدالدين، حفظهُ اللهُ تعالى، من آفاتِ السموات والأرضين.

إذا وصلَ توقيعي الرفيعُ السلطاني، فليعلمْ أنّ نخبةَ آمالنا الشاهانية أن يعتلىَ، ويزداءَ بتوفيقه تعالى شأنُ حكومتنا الإسلامية وشوكتُها، وأنْ تشيّدَ بآثارِ العدالةِ والراحةِ أطرافُ ممالكنا المحروسةُ،

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٩٥ب.

وأن تتأبّدَ لكلٍّ فرد من إخوانِ الدين المبني أسبابُ السعادة والسلامة، وإنّ تتميمَ حصولِ مقاصدنا الهمايونية في الخطة المباركة اليمنية، مطلوبٌ وملتزمٌ لدن ملوكيتنا، ولذاكَ اقترنَتْ بتصويبنا الهمايوني الموادُّ التي تقررتْ بالمذاكرة بينكم وبينَ ناظرِ أمورنا الحربية، أحدِ الأعيانِ، افتخارِ الأعالي والأعاظم، ومستجمعِ المعالي والمكارم، عزت باشا، زادَ علوُّه، حينَ كانَ قائدَ قوّاتنا العسكرية في اليمن لرفعِ الأحوالِ التي كانتْ منذُ زمنٍ متواليةً في قسمِ الجبالِ من خطتنا اليمانية، ومؤديةً لأنواعِ المضارِ بينَ المسلمين، ولتأمينِ واستراحةِ تبعتنا الصادقين الساكنين في ذلك الجوارِ ونفعهم، وصدرتْ إرادتُنا السنيةُ السلطانيةُ بوضعِ تلك الموادِ في موقعِ التطبيقِ، وبياناً لكونِ مطلوبنا الشاهاني المصحوبِ بالمعالي، صرفَ المساعي والاهتمامَ من جنابكم ومكارمِ مناقبكم أيضاً، كما كانَ في رفعِ الشقاقِ المضرِّ بالأهالي المحلية منذ سنين وفيرة، ونريدُ المصافاةَ والاتحادُ بينَ المسلمين، وإراحةَ قلوبِ المؤمنين كانَ احرازُ السيادة.

تحريراً في اليومِ السادسِ والعشرين من شهر شعبان المعظم لسنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة وألف[1].

وفي نفسِ الشهرِ أذاعَ محمود نديم منشوراً بيّن فيه جهودَهُ من أجلِ الاتفاقِ مع الإدريسي، ولكنَّ الإدريسي كانَ مراوغاً، ويلجأُ إلى الملّةِ الكفرية، وأفسدَ المساعي الطيبةَ والغاياتِ النبيلةَ التي كان وفدُ

---

(١) انظر، العزب، فترة خروج، ٩٨.

الهيئة يسعى إليها. وكانَ المنشورُ يرمي إلى كسبِ الرأي العامِ اليمني، واعدادِه للخطواتِ القادمةِ التي ستتخذُ ضد الادريسي[1]، وقد جاءَ في المنشور:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أجلَّ ما قامتْ به الجوارحُ، ونطقتْ به لسانُ الإبانةِ من فنِّ الممادحِ، إشادةُ معالمِ الدينِ، والذبُّ عما شرعَه ربُّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا المنقذِ والهادي لأمّتِه من المهالك، وعلى آله وأصحابه الذين أوضحوا طرقَ الهدايةِ لكلِّ سالكٍ وبعد؛

فإنه لما وردَ الأمرُ إلينا من مقامِ الصدارةِ العظمى، عطفاً على القرارِ الذي ناسبَ إصدارُه من شورى الدولةِ العليةِ المتضمنِ لتعيينِ هيئةٍ علميةٍ للتوجهِ بهمْ تحتَ رئاستِنا إلى مقرِّ محمدِ بنِ علي الادريسي، لإلقاءِ النصائحِ الدينيةِ معه، وحمله على العدولِ عنْ شقِّ عصا المسلمين، والإنابةِ عن سفكِ دماءِ الموحّدين، والخوضِ فيما يكونُ به اطفاءُ نارِ فتنته المُضلّة التي أشعلَها في البلاد، فكانَ من المندوبين لهذا المقصدِ الخيرِ، السيدُ العلاّمةُ قاسمُ بنُ حسينِ بن محمد العزي، أبو طالب، بعدَ أنْ وقعت المخابرةُ القلميةُ فيما بيننا وبينَ حضرةِ الإمامِ المتوكلِ على الله، حماه اللهُ في تعيينه، والإلزامِ بالعزمِ معنا لهذا المقصدِ المرضي.

---

(١) انظر، وثائق يمنية، ٢٨١-٢٨٧.

ولما كانَ فرطُ الرغبةِ في سدِّ بابِ هذه الفتنةِ هو العاملَ المؤثّر في الهممِ، والمتعلّقَ بالنفوسِ والأنظارِ دونَ تحملِ المشاقِّ والألمِ، لم يسعْه بعدَ ذلك إلا الاسعادُ. طمعاً في رضى اللهِ وخدمةِ الإسلامِ، وإمتثالاً لأمرِ الحكومةِ الجليلةِ والإمامِ.

وحينَ كُملت الهيئةُ العلميةُ بما تخيّرنا من السادةِ الكرامِ، والعلماءِ الأعلامِ، ضمَمْنا إليهم من أمراءِ الدولةِ العليةِ، منْ هو أهلُ السلوكِ مفاوزَ هذا المرامِ، ثم توّجـهْنا بعونِ اللهِ وحينَ وقعَ الوصولُ إلى اللحـيةِ، كانَ الرأيُ منّا بتـقديمِ الهـيئةِ وبعـضِ الأمراءِ لإلقاءِ الـنصائحِ مع المـذكورِ وتقريبِه لمـواجهتنا إلى محلٍّ يليقُ، فكانَ عـزمُهم إلى مستقـرِّ المذكورِ ومحلِّ إقامتِه وكانَ بجازانَ، وبعـدَ وصولِهم إلى هنالك وقعت المراجعةُ مـعه، وإبلاغُ النصـيحـةِ التي يرعـوي بها عن الغَي كلَّ ذي لبٍّ عـارف، ويأنفُ بعدَ سماعِها ذو البصـيرةِ عنْ وقوفِه بتلك المواقفِ، وأخيراً وقعَ حصولُ الهـيئةِ منه على مواجهـتنا إلى ميدي، بعدَ أنْ تكرّرتْ مـواعيدُهُ، وكـانَ كلُّ ما وعـدَ أخْلف، قـوقعَ رجوعُـهم إلى مـيدي، وهو على أهبـةِ اللحـوقِ بهم، وجدّدَ الإنتظارُ بـميـدي بعدَ وصـولنا إليه، ومـرّت الأيامُ كسالفاتهـا ومواعيدُه بالخلُف مقرونةٌ، ثم تخـيّر أنْ يكونَ إتفاقُنا به في جَازانَ، بعدَ أنْ قـدْ كانَ وصلَ إلى بعضِ طريقِ ميْدي، قـوقعَ عزمُنا إلى هنالك وبمعيّتنا الهيئةُ والأمراءُ على الباخرةِ الحربيةِ المسماةِ الحميدية.

وعندَ الوصولِ إلى جازانَ وقعَ الإتفـاقُ والمذاكرةُ معهُ، فـاتخذْنا لقبولِ النصيحةِ وإرعوائِه عمـا هو عليه من الطريقةِ القبيحةِ كلَّ وسيلةٍ،

فكان يتلوّنُ في الجـواب، ويُسهـبُ في الخطاب، فتـارةً يدّعي التقـشّفَ والولايةَ، وآونةً يرتدي برداءِ الكبرياءِ والجبروتيةِ. وحينَ تبيَّن أنّ إقامةَ الدينِ ليست من مقاصـدِ قيامه، وصيانةَ المسلمين بعـيدةٌ عن متعلقات شئونه ومرامه. ولقد شاهدنا ومـاذا بعدَ المشاهدةِ، وعرفْنا أحوالَهُ أولاً وأخيراً، وماذا بعدَ المعرفةِ.

إنّ هذا المخـذول قدْ جعلَ الملّةَ الكفـريةَ له ملجأً وعوناً على قـتالِ المـسلمـين، وعلْمنا أنـه لاسبـيلَ لقـبـولِ النصحِ عـندَ هذا الرجلِ الذي استـحوذَ عليـه الشيطانُ حتى ألـجأهُ في مسـالكِ الخسـران، وتيقّنّا أنَّ النصيحةَ لديه، رقْماً على الماءِ، وأنَّ هدايته، كالإضاءةِ للأعمى، عدْنا بعدَ إبلاغِ الحجةِ وإيضاحِ المحجةِ، وكان السيدُ العلاّمةُ قاسمُ ابنُ حسين بن محمد العزي، أبو طالب، من أجلِّ منْ ضربَ معنا في هذا المعنى بالسهمِ الوافر.

كتبَ اللهُ سعيَ الجميعِ في صحائفِ الحسنات

وصلى اللهُ على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه

٢٥ شهر رجب ١٣٣١هـ

لقدْ وُضـعَ التعاونُ اليمنيُّ – التركيُّ موضـعَ التنفيذِ، اتجاهَ التحالفِ الإدريسي – الإيطالي، حيثُ استـبْدلَت القواتُ العثمانيـةُ المشاركةُ في القتـالِ بغيرِها، وجُـهّزَتْ ثلاثةُ طوابيرَ عـثمانيـة، وتفقّدَ الإمـامُ حصنَ المتوكلي بالسودة، ووصلَ الشيخَ ناصرُ بنُ مـبخوت الأحمر إلى الإمامِ بعدَ أنْ تأكّدَ له ضلوعُ الإدريسي في مناصرةِ الطليان.

وكانتْ معاركُ آلة حميدان من أطراف سحار، وبعدَ كرٍّ وفرٍّ وتراجعٍ وتقدّمٍ، استولت القواتُ الإماميةُ على آلة حميدانَ وآلة ذرية والمعلفة وهجرة ضَحْيَان. وحاصر العساكرُ مجز، مركزَ بني جُماعة والعرو ووادي المعبار، واستولى المجاهدون على الأشغاف والأزوار[1].

وخلالَ ذلك، عملتْ القواتُ العثمانيةُ في تهامةَ على تجميد حركة قوات الإدريسي، ومنعها من الإمداد أو المشاركة في أحداث بني جُماعةَ أو رازح، ثم كانتْ الحملةُ على جبل رازح حتى فاءَ إلى الطاعة، وواصلتْ قواتُ الإمامِ مطارداتها لتأديب القبائل النابية، والتي لاتزالُ موالية للإدريسي في حَجُور، مثل بني هني وبني سعد وبعض بلاد ضاعن، وبني رخمة، وقضاة الأودية، وكانت الحربُ سجالاً حتى ذي الحجة، سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.

وقد تكشّفَ حالُ الإدريسي، وأخذت القبائلُ تنفضُّ من حول الإدريسي، بل وتطالبُ بالقضاء عليه، ومن ثمَّ ينتقلُ محمود نديم إلى الحُدَيْدةَ واللُّحيّة، وشاهل وفَرَسَان، يدبّرُ أمرَ قطع الإمدادات بمدرعات حربية. عثمانية عن الادريسي، ومن ثمَّ وقعَ الإنفجارُ الكبيرُ باندلاع الحربِ الكونية الأولى، ولتدخلَ اليمنُ في مرحلة تاريخية مهمة، كنّا قد درسناها في كتابنا، «سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين»، جزءان، ط، عمان، دار البشير، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

---

(١) تقييد حوادث، ١٩٥ب.

الفصل السابع

المخطوط والمؤلف

المبحث الأول : منْ هو مؤلفُ المخطوطِ

بقدرِ مَا كانَ الاشْتغَالُ بدراسةِ وتحقيقِ هذا المخطوطِ مُمْتعاً في أحدِ جوانبِه، فقدْ كانَ مُضْنياً شاقاً في جوانبِه الأُخْرى، لأنَّ مُحَاولاتِ الحصولِ على نُسْخَةٍ ثانيةٍ تُسَاعِدُنَا في ضَبطِ المتنِ قَدْ ذَهبتْ أدْراجَ الرياحِ.

والنُسَخةُ الوحيدةُ التي حصلْنَا عليها خلَتْ منْ اسمِ المؤلفِ، وسُجِّلَ على صَفْحةِ عُنْوانِها، عبارةُ «لمْ يُعْلَمْ مُؤلفُهُ».

اقْتَنَتِ دارُ الكتبِ والوَثائقِ القَوْميَّةِ بالقَاهرة، نُسخَةً مُصَورةً على رُقيِّقٍ، ميكروفيلم منْهُ، رقمُهُ (٢١٢٩). كانتْ ضِمْنَ الكُتبِ المُصَادرةِ من مكتبةِ الإمامِ أحمدَ، ورقمها (٣٥).

ووَرَدَ على عُنوانِ النُسْخةِ.

«تقييدُ حَوادثِ إنشاءِ تجديدِ الجهادِ الثاني
لمَّا التَفتَ أميرُ المؤمنينَ، المتوكِّلُ على اللّهِ لعنانِه ثاني
مستعيناً بمنْ أنزلَ السبعَ المثاني
بتاريخِه شهرِ شوال
سنة ١٣٢٥».

والنسخةُ الثانيةُ التي كُنَّا نؤمِّلُ الحصولَ عليها، محفوظةٌ في

مكتبة الجامع الغربي بصنعاءَ، وهو ما أفادَ به، فهرسُ مخطوطات المكتبة الغربية، إعدادُ محمد سعيد المليح وأحمد محمد عيسوي، ط الاسكندرية، ١٩٧٨م، ص ٦٥٧، حيث سُجِّلَ فيه «تقييدُ حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني، لمؤلفه، محمد بن سعد الشرقي».

وقد سافرَ الباحثُ إلى صنعاءَ، وهناكَ أبْلِغَ من إدارة المكتبة، بأنَّ النسخةَ قدْ أُعيدتْ إلى ورثة محمد بن سعد الشرقي، ولايعرفونَ لها مستقراً ولامقاما، ورغم استمراري في البحث والتقصّي، فلا زَالت المخطوطةُ حبيسةَ واحدةٌ من خزائنِ الكتبِ الأسَريّة أو العامة، نأمَلُ أنْ ترى النورَ ذاتَ يوم.

إنَّ ما وَرَدَ من معلومات على النسختين، يقودُنا إلى تقديرِ أحد أمرين :

الأول : أنَّ المؤلفَ مجهولٌ حتى يتمَّ الكشفُ في قادمِ الأيام

الثاني : أنَّ المؤلفَ هو محمدُ بنُ سَعْد بن محمد الشرقي ت ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م

ومن هنا كانَ بحثُنا في المصادر والمراجع المعاصرة لفترة أحداث المخطوط، وخلالَ دراستنا لها، توقفَ الباحثُ عندَ إشارة وردتْ في كتاب عمدة القارىء في سيرة إمام زماننا، سيف الباري، المتوكل على ربِّ العالمين، الإمام يحيى بن الإمام المنصور ابن سيّد المرسلين لمؤلّفه يحيى بن علي بن ناجي الحداد، ت ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، فقد ذكرَ في كتابه المشار إليه أنّه نقلَ من كتاب عنوانُه «قلائدُ النحور في سيرة

إمامنا، المتوكّل على الله، يحيى بن الإمام المنصور «لمؤلفه، سعد بن محمد بن عبدالله الشرقي[1] ت ١٣٣٥هـ/١٩١٦م، ومثلُ تلكَ الإشارة إلى كتاب قلائد النحور قد وردتْ عندَ محمد بن محمد زبارة[2] أيضاً. وهاتان الإشارتان زادتا البحث تعقيداً، فقد أضيفَ احتمالٌ ثالث، بأن يكونَ سعدُ بنُ محمد بن عبدالله الشرقي هو مؤلفَ المخطوط. وصارتْ مشكلةُ البحث محصورةً في ثلاثة احتمالات.

- المؤلفُ المجهول، وهذا يتطلبُ ترجيحاً للعصر الذي عاشَ فيه المؤلفُ، واقتراباً منه، للتعرف على سيرته ومنهجيته في الكتابة التاريخية.
- المؤلفُ هو القاضي العلاّمةُ سعد بن محمد الشرقي.
- المؤلفُ هو ابنهُ، القاضي العلاّمةُ، محمدُ بنُ سعد بن محمد الشرقي.

لقد فرضتْ علينا الإضاءاتُ السابقةُ، قراءةَ المخطوط قراءةً نقديةً، نُعْملُ فيها قواعدَ النقد التاريخي، الباطني والظاهري، وفقَ أصول البحث التاريخي، وإذْ قمنا بذلك فقدْ التقطْنا الأخبارَ التالية.

حينَ كلّفَ الإمام يحيى العلاّمةَ القاضي، سعدَ بن محمد الشرقي، ليكونَ رئيسَ الوفد الذي سيسافرُ إلى حاضرة الدولة العثمانية، استانبول، لإجراء المحادثات حولَ: إصلاح اليمن مع الدولة العثمانية، تشكّل الوفدُ من : القاضي العلاّمة، سعد بن محمد بن عبدالله الشرقي

---

(١) انظر، عمدة القارىء، ٨٦ (مخطوط).

(٢) الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ٤٦٢.

رئيساً، وعضوية كلٍّ من، السيد العلاّمة، عبدالله بن أحمد من نسل الإمام القاسم بن محمد ت ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، والسيد محمد بن أحمد إبراهيم بن عبدالرحمن بن هاشم الشامي ت ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

وحين سلَّمَ الإمامُ مصاريفَ الرحلة، وردَ في الورقة ٦٢أ «لم أعلمْ، كمْ هي، قبضَها سيدي العلاّمةُ العزي، محمدُ بنُ أحمد الشامي، وتولّى الخرجَ (أي المصاريف)، سيدي العلاّمةُ الفخري، عبدُالله بن ابراهيم».

وجاءَ في الورقة ٥٣ب «وربي يعلمُ ما عندي، وولدي محمدُ بن سعد، وعسكرُه معي». وفي الورقة ٥٥ أ» ... فأتفقَت الأشوار (ج مشاورة وشورى) على وادي ماخر وهناك اشتدَّ بولدي العلاّمة محمد بن سعد، الحالُ، وضاقَ حتى اشتدَّ عليه من الدمِ الاحتراقُ، ونبتْ إحدى عينيه لضيقه من الفراق، ولما رأى من تناهي ضعف والده، فحضرَ الحكماءُ، وأبلغوا في اختيار الأدوية» وتمضي الروايةُ «وإني لما رأيتُ ذلك، أبلغتُ له في التسلية حتى شفاه اللهُ، ولم يكتف بمسيره هو ومَنْ معه من عسكره وخدَمه، بل يريدُ العزمَ معنا، فمنعتْهُ أسعدَه اللهُ عن الزيادة مع الخوف عليه، حيثُ وهو ركنٌ من أركانِ أعوانِ الإمام».

والروايةُ تفيدُ بأن محمدَ بن سعد كان يُرافق والدَهُ مودّعاً خلالَ هذه المرحلة من رحلة الوفد إلى استانبولَ، والوالدُ سعد، طلبَ إلى ابنه محمد العودةَ، لأنّهُ ركنٌ من أركانِ أعوانِ الإمامِ، ويُخشى عليه مغبةُ أمرٍ سوء.

وجاءَ التفصيلُ في الورقة ١٥٦أ «وفي صبحِ يومِ الثلاثاء، عزمَ ولدي وقُرةُ عيني، محمدُ بنُ سعد بن محمد الشرقي آيباً، بعد أنْ استطيبتُ منه الخاطرَ، لما رأيتُ ما حلَّ به من المشاقِّ في جسده من الفراقِ»، ويضيفُ «فعزمَ بحمدالله بعسكره وخدمه آيباً متوّجهاً نحوَ المحابشة ثم إلى أهله إلى حجورِ الشامِ، أودعه اللهُ السلامةَ والكرامةَ». والإشارةُ تؤكّدُ رجوعَ العَلاَّمة محمد بن سعد، عائداً إلى أهله في حين واصلتْ قافلةُ الوفدِ سيرَها «وسرْنا وسارَ معنا من العسكرِ ومعهم البغالُ والجمال».

فالراوي والكاتبُ وفقاً لما سُجّل عاليه هو سعدُ بنُ محمد بن عبدالله الشرقي». وتؤكّد الإشاراتُ التاليةَ أيضاً ما ذهبنا إليه : ففي الورقة ٦٦ب، ورد «ترجّح بقاءُ الحقيرِ العاجزِ، وتحقّق العُذرُ، وخرجَ سيدي العلاّمةُ الفخري، عبدُالله بنُ ابراهيم، وسيدي العلاّمةُ محمدُ بنَ أحمد الشامي»، وما الحقيرُ العاجزُ إلاَّ سعدُ بنُ محمد الشرقي، والذي كان قد جاوز الثمانين من عمره، وهو غيرُ قادرٍ على تحملِّ مشاقِّ ووعثاءِ السفرِ، ففضّلَ البقاءَ والاستراحةَ في الباخرةِ، بدلاً من مقاساةِ متاعبِ السيروالانتقالِ للنزهةِ في المدينةِ أو تناولِ طعامٍ عندَ مضيف.

واللافتُ للنظرِ أنَّ علامتَنا المؤرخ، قد اعتادَ على وصفِ نفسه بالحقيرِ العاجز، وهو اصطلاحٌ يستعملُهُ العلماءُ عبرَ العصورِ، ففي الورقة ٧٢ أوردَ «ومعهم أحدُ أدباء أذكياء العصر، شابٌّ، حدثُ السن من طلبةِ المدرسةِ البحرية، وصفُوه بحُسنِ الخُلقِ والأدبِ، فلم يكنْ في

استقبالهم غيرُ العاجزِ وسيدي محمدُ بنَ عبدالله مزيقر»، وفي ورقة ١٧٧أ « ... وتقدّمَ سعيد بك، فأخذَ بيدي إكراماً عندَ نزولي في سلمِ البابورِ، وقد أُعدَّتْ لنا العرباتُ من الاصطبلِ العامرة السلطانيةُ، فركبتُ أناوسعيد بك، ياورَ الصدارةِ في عربةٍ، ومع كلٍّ منا واحدٌ من الأمراءِ.

فالخبرُ، يفيدُ بأنَّ المتحدّث يحظى بمكانة مرموقة، أجلسَهُ ياور الصدرِ الأعظمِ في عربته ويرافقُه أمير، ولم يكن هذا إلاّ العلاّمةَ سعدَ بن محمد الشرقي، رئيسَ الوفد.

ومن ناحية أخرى فإن الإشاراتِ والرواياتِ المبذولةَ في ثنايا متنِ المخطوطِ، والتي تدلُّ على شخصيةِ مؤلفِ المخطوطِ كثيرةٌ.

وكانُ للإشارة التي وردتْ في الورقة ٨٤ب، أهميتُها في تحديدِ المؤلف بصورة دقيقة، وكانت ضمنَ خبرِ التهنئة التي رفعَها عبدُالله ابنُ ابراهيمَ إلى حسين حلمي باشا، حينَ أُسنَدتْ إليه الصدارةُ العظمى، وكانت التهنئةُ بالتركية، أعادَ نظمَها عبدُالله ابنُ ابراهيمَ بالعربية، وجاءَ في الخبر : انتهى ما نُقلَ مما جمَعَهُ سيدي العلاّمةُ، فخرُ الإسلامِ، عبدُالله بنُ ابراهيمَ من رحلتنا، وقعَ الاعتمادُ في التفاصيلِ والأسماءِ عليه، لحفظه اللسانَ العجمي، ونباهته، حفظهُ الله، وحسنِ عبارته، ولما ضاقَ خاطرُهُ وتكدَّرَ فكرُهُ مع الحادثات المهمات، وظُلمة الفتنِ المدلهمات، صعَبَ عليه ذلك، وها أنا أشرعُ في إكمالِ رحلتنا، وبيانِ بعضِ ما طرأ علينا، حسبَ طاقتي، وإنْ كانَ قدْ ضعفتْ حاستّي وجمدَتْ قريحتي، ولكنَّ تكميلَ ذلك مما يحسُنُ طبعاً.

وهذا الخبرُ يقودُنا إلى استنتاجِ أنَّ العلاّمةَ عبدَالله بنَ ابراهيم، قد أخذَ في تدوينِ الرحلةِ من اليمنِ حتى استانبولَ، أو أنّه كُلِّفَ بذلك، لإجادته اللغةَ العثمانيةَ، ولكنّه توقفَ بسببِ الأحداثِ المكدرةِ التي وقعتْ لأعضاءِ الوفدِ في استانبولَ، وخاصةً بعد فشلِ المحادثات، والانقلابِ الذي وقعَ ضدَّ السلطانِ عبدالحميد، وشهدَ الوفدُ فصولَهُ. ولنا أنْ نميلَ إلى اشتغالِ العلاّمةِ الشرقي بتقييدِ حوادثِ الجهادِ الثاني حتى إذا كانت رحلةُ الوفدِ إلى استانبولَ، أوكلَ التدوينُ إلى العلاّمةِ عبدالله بن ابراهيمَ، ولما استعفى نقلَ سعدُ بنُ محمد الشرقي، أحداثَ الرحلةِ مما كان قد جمعَهُ عبدُالله بنُ ابراهيمَ، وواصلَ التدوينَ، وحينَ فشلتْ محاولاتُ الإصلاحِ، عادتِ القواتُ إلى الميادينِ، ووضعَ الإمامُ يحيى نصبَ عينهُ صنعاءَ، لتكونَ هدفَ استراتيجيته العسكريةِ، يحاصرُها ويديمُ الطوقَ عليها حتى استلامَ القواتُ العثمانيةُ فيها، وبينما الإمامُ يحيى يصدرُ الأوامرَ للإعداد ويشرفُ على التجهيزِ والتخطيطِ يردُ في الورقةِ ١٠٥ب» : ثم عندَ أنْ تبعَهما الإمامِ إلى السودة، تابعَ إليَّ الأوامرَ بتقييدِ الحوادثِ وإتمامِ السيرةِ إلى ما كنتُ جمعتُهُ قبلَ رحلتنا إلى الاستانةِ. وكان قَدْ استعفيتُ من الإمامِ، من الكَتبِ لضعفِ النظرِ، ومن الطبيعةِ لكثرةِ الحكمِ بالرأي، وعدمِ قصرِ الحكامِ على الحكمِ بالمذهبِ الشريفِ، وتقلّصِ الشريعةِ وشدّةِ الكدرِ، فقد وهنَ العظمُ، وضعفَ البدنُ، وخمدت القريحةُ، وسكنت الشقشقةُ، وماذا بعدَ تناهي العمرين، أربعين عمرِ الزيادة، وأربعينِ عمرِ النقصان، غيرَ أني لا أقدرُ على الامتناعِ، بعدَ الأمرِ القاطعِ، والالزامِ المتابعِ،

فامتثلتُ للأمرِ الإمامي كعادتي في عنفوانِ شبابي، وسالفِ أيامي، فقلتُ مستمداً من الله التوفيقَ والإعانة.

إن هذا الخبرَ يدعمُ الرأي القائلَ بأنَّ مصنّفَ المخطوط هوالعلاّمةُ القاضي، سعدُ ابن محمد بن عبدالله الشرفي، وليس ولَدَهُ محمد، وانتفى كونُ المؤلفِ مجهولاً.

وتبقى مسألةٌ تستحقُّ النظر، ولابدَّ من معالجتها في مبحثِ وصفِ المخطوط، وهي خلوُّ المخطوطِ الذي ننشرُهُ من المقدّمة التي تلي البسملة والحمدله مما سيدفعنا إلى شرحِ سببِ اقدام المؤلف على تصنيفِ الكتاب، ومبرراتِ اختيارِ اسمه أو مباحثه، وهو ما غابَ عن كتابنا، إذ لا توجد فيه خطبة التأليف ولا الفصولُ والمباحثُ ولا الأبوابُ، وسيكونُ لنا توضيحٌ وتفسيرٌ لكلِّ ذلك لاحقاً، ولكن، منْ هو مؤرخنا ؟

المبحث الثاني : سيرةُ حياة المؤلف :

المصادرُ والمراجعُ التي اهتمتْ بسيرةِ حياةِ المؤلفِ محدودةٌ، فنكادُ لانعثرُ إلاّ على شذراتٍ متفرقة، أو إشاراتٍ إلى المؤلف في سياقِ روايتها للأخبارِ والأحداث، ومن تلك الفقراتِ نستطيعُ الإلمامَ بسيرته، فهو القاضي العلاّمةُ، سعدُ بنُ محمد ابن عبدالله الشرّقي المذْحجي الكندي، من بني الشَرّقي الذين يُنسبون إلى الجبلِ المعروفِ بجبلِ الشرق، الواقعِ إلى الغربِ من ضَوْرانَ، ومن أعمالِ أنس، من قبيلةِ مذْحج، احدى فروعِ كنْدة.

وُلِدَ في صنعاءَ سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، وفيها نشأَ وشبَّ، حيثُ درسَ على علماءِ عصرِه، ومنهم العلاّمة عبدالله بنُ أحمد مشكاح العنثري المؤيدي الضحياني، الذي درسَ عليه كُتُبَ أصولِ وفروعِ المذهبِ الزيدي[1]، وحصلَ على الإجازةِ من عددٍ من كبارِ علماءِ العصرِ، صحبَ الإمامَ المتوكّلَ على الله، المحسّنَ بنَ أحمد (١٢٧١هـ- ١٢٩٥هـ)، وهاجرَ إلى الإمامِ المنصورِ بالله محمد بنِ يحيى حميدالدين سنة ١٣٠٨هـ، فولاه الإمامُ المنصورُ القضاءَ ببلادِ الشرف. وعاملاً على الجهةِ الأنسية[2]، حيثُ دخلَ بصحبةِ سبعِ مئةِ نفرٍ مدينةَ ضَوْرانَ وأسروا القائمقام محمود رؤوف وأحمد أغا، وبعدَها رتّب مدينةَ ضَوْرانَ والجبلَ بالمقاتلة، وانتقلَ إلى مطرحِ الجمعة لحثِّ الناسِ على الجهاد، وقبضِ الواجبات، وكانتْ له معاركُ ضدَّ أحمد فيضي في زمنِ الإمامِ المنصور[3]. وقد عُرف عنه إخلاصُهُ للإئمة، فقد كانَ نصيرَ وظهيرَ ومشيرَ الإمامِ المحسنِ بنِ أحمد، تولّى له القضاءَ بسناع ثم أعمالِ البُستان، وكانتْ له مواقفُ مشهورةٌ في استنهاضِ قبائلِ حاشد من محمدي وحسيني لقتالِ الأتراك، وبعدَ وفاةِ الإمامِ المنصورِ استمرَّ في معاضدته لإبنه الإمامِ يحيى، حيثُ أوكلَ إليه رئاسةَ الوفدِ الذي خرج إلى استانبولَ للنظرِ والتباحثِ بما فيه إصلاحُ أحوالِ اليمنِ، ورفْعِ

---

(١) انظر، نزهة النظر، ٧٣٢، أئمة اليمن، ١/٢٣٥، هجر العلم ومعاقله، ١٢٠٠ب، تقييد حوادث، ١٣٥أ.

(٢) انظر، الدر المنثور، ٢/١٨٢.

(٣) انظر، تقييد حوادث، ١٠٥ب.

أسباب القتال بينَ أهل اليمن والأتراك. وقد وقفْنا على رسالة بعثَ بها الإمامُ المنصورُ بالله إلى القاضي سعدِ بن محمد الشرقي جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم : أمير المؤمنين

المنصور بالله، ربّ العالمين

ولما كانتْ أصلابُ الرجال الحميدةُ لاتلدُ إلاّ الحميةَ، وأرومات المناصب السعيدةُ لا ينتجُ عنها إلا السعيدُ الرشيدُ، صدَّقَ هذا الكلي أو كذّبها مشاهداتُ الأفعال في معالي شوامخها أو محكماتُ الأقفال في رواتجها، وكان ممنْ زانَتْه الأعمالُ الشريفةُ والعناصرُ المنيفةُ القاضي العلاّمةُ سعدُ بنُ محمد الشرقي المذْحجي الكندي، فإنَّه من عنفوان شبابه، اشتغلَ بالعلم والعمل، ولازمَ أئمةَ الهدى في سرعة أو مهل، وأورثَ ذلكَ من بعده من الخلف، فاتّصلَ به العزُّ والشرف، واستحقَّ بذلك الامتيازات في المعاملات عنْدَ منْ أنكرَ أو عرفَ، فهو من الأئمة وإليهم، معوّلاً في جميع الأمور عليهم، ثبَّتَهُ اللهُ في أقواله وأفعاله، وأصلحَ بحميد سعيه من تعثّر بأثقاله

كتبه شهر القعدة عام ١٣٢٠

بمحروس النواش[1]

والإشارةُ إلى الخلف، قُصدَ بها ولدُه القاضي العلاّمةُ محمدٌ وأولادُهُ، حسين وحسن وسعد وأحمد، فقد كان ابنُهُ محمدٌ على جانب

---

(١) انظر، هجر العلم ومعاقله، ٢٢١، والنواش، حصن في عذّر حاشد.

عظيم من الزُّهد والورع وحسن الأخلاق، وليَ عمالةَ قضاء حَجُور الشام منذ سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٠م. وقد أوصى قبلَ موته : أنَّ جميعَ مامعه لبيت المال، ولم يستثنِ إلا بعضَ الملبوسات، وأنَّ جميعَ بيوت المال معلومةٌ ببيانات ودفاترَ، وأنَّ أهلَ حَجُور موفون، ولم يبقَ لدى أحد منهم شيءٌ، وتبرأ إلى الله أن يخُاطبُوا بشيء[1].

وُصفَ القاضي العلاّمةُ سعدٌ بالصلابة والفروسية، شاركَ في قيادة الجند ضدَّ الأتراك، وكانَ زاهداً في متاع الدنيا، ونلمسُ صلابةَ عوده وحنكَتَهُ الدبلوماسيةَ وذكاءه الحادَّ في جولات محادثاته مع الأتراك. ثقةٌ، مأمونُ الجانب، وكلُّ هذه الصفات دفعت الإمامَ يحيى لتكليفه بتسجيل وقائع مرحلة من مراحل التاريخ اليمني.

المبحثُ الثالثُ : منهجُهُ في الكتابة التاريخية :

من خلال نظرنا في كتاب «تقييد حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني «وتحليلنا للروايات الواردة فيه، فإننا نسجلُ الملاحظات التالية :

– أوردَ المؤلفُ العديدَ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة والأمثال والأشعار، وهذا يدلُّ على سعة واطلاع وثقافة المؤرخ.

– كانت المصادرُ التي اعتمد عليها المؤرخُ أوليةً، فقد كانَ المؤرخُ قريباً من الإمام، وهو الذي طلبَ إليه، تقييدَ الحوادث واتمام السيرة، فامتثلَ

---

(١) انظر، نزهة النظر، ٥٣١.

للأمرِ الإمامي، وقد تـنوّعتْ مصادرُه بينَ المشاهدة المبـاشرة، فيروي «ولولا المشاهدةُ لأقولَ هذا الراوي كاذبٌ»[1]، وبينَ الاطلاعِ على كتبٍ أو رسائلَ وصلتْ إليـه، «واطلعتُ على كتـابِ أحمد مطهـر»، «واطلعتُ على تحقيقِ السيدِ العلاّمةِ حسن بن أحمد حوذان، حيثُ أوضحَ صحّةَ الوقعةِ وسعةَ الغنائم».

ويبدو أنَّ الإمامَ كـانَ يطلبُ لقادةِ العسـاكرِ والمقدّمين أن يـكتبوا إليه بأحداثِ المعارك ونتائجها، وكـأنّها «يوميات الحرب» وهو ما سمّاه مؤرخُنا بالتحـاقيق، ولانعدو الحقيقةَ إذا قـرَّرْنا، أنّها المرةُ الأولى التي تُكْتَبُ فيها «يوميـاتُ الحرب» في تاريخِ العربِ العسكريّ الحديث، وهذه اليومياتُ، التحـاقيقُ، كانتْ تصلُ بعدَ كلِّ معركةٍ واشتبـاك، يُبسطَ فيها أحداثُ ووقائعُ المعركةِ ونتائجـها، والأخطارُ المتوقعةُ وطلبُ الإمداداتِ والأسلحةِ والذخائرِ والمؤنِ والأموال، فوصلَت تحاقيقُ منْ عليِّ بنِ علي السراجي، وسيفِ الإسلام أحمدَ بن قاسم حـميدالدين ومحمد بن سعد الشرقي وأحمدِ بن يحيى قاسم عامر وراجح مقداد، ونصيرالدين، عليٍّ ابن مقـداد، ومحـمد ابن يوسفَ الكبـسي ومحـسنِ بنِ أحمدَ الـغانمي وغيرهم من القادة، وتُدفعُ إلـى مؤرخنا فيقومُ بتسجـيلها في كتابِه أو يقـومُ بتلخـيصِ المهمِّ منـها، فـالكتـابُ مسـتندٌ إلى الوثائقِ الأصليـة والمصادرِ المعاصرةِ للأحداثِ الواقعـة، بلْ ومشاركةٌ فيها ومنْ صُنّاعِ القرار.

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ٤٨ب.

– وأحياناً، يكتفي المؤرخُ بتأكيد ثقة صاحب الخبر، فيوردُ «أخبرتْنا الكتبُ الثقةُ»، أو وحقّقَ المحقّقُ الثبتُ»، ويذكرُ «أخبرَنا بعضُ السادات الأثبات»، وقدْ يذكرُ صاحبُ الخبر، «أخبرَنا بهذا شيخُ العُبال عن عدد العُبال» أو لا يذكرُ فيروي» قال المخبرون أو عُقّلاء المجاهدين[1].

– لقد كانَ مؤرّخنا مدقّقاً أميناً في إيراده للحوادث والأخبار، يتحرّى الدقةَ، لايميلُ إلى المبالغة ويحاولُ أن يكونَ موضوعياً في كتابته قدرَ الإمكان، فحينَ عرضَ لثروات أحمد فيضي في استانبولَ، ذكر «مقدارَ الأموال عندَ أحمد فيضي، يستحي العاقلُ، ذكرَ ذلك القدر»[2]، وعن عزيز المصري وتدخّله في الإصلاح بينَ الدولة والإمام، يذكرُ «وعزيزٌ هذا رجلٌ ذكي، أقرَّ له منّ له خبرةٌ من السادات»[3]. وفي رواية أخرى يوردُ «ولعلَّ خبرَ البونيّ كذبٌ»[4]، وكذلك حولَ مشاركة قبائل عتيبةَ وهُذيل أو غامد وزهران في وقعة جازانَ التي كانتْ بينَ الأتراك والإدريسي، وهُزمَ فيها الأتراكُ، وألحقتْ بهم خسائرُ فادحةً، ولما كانَ مؤرخُنا غيرَ متيقّنٍ من تحديد القبائل المشاركة إلى جانب الإدريسي، أو أنّ القبائلَ كلّها اشتركتْ فيها، فقد اكتفى بعبارة «واللهُ أعلم»[5]، وإنْ قالَ المؤرخ – أنه لايعرفُ حقيقةَ ماجرى فإنه يوردُ كافةَ الرواياتِ المتصلة بالخبر :

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ٤٥ب، ١١٥ب، ١٩ب.

(٢) انظر، تقييد حوادث، ٤٩ب.

(٣) المصدر السابق،١٣٨ب.

(٤) المصدر السابق، ١٣٠ب.

(٥) المصدر السابق، ١٣٤ب.

قـائلٌ يقولُ كـذا، وقائلٌ كـذا، وهلَكَ فيـه من الأرناؤط على خلاف بينَ مكثـرٍ ومقللٍ مـن الأفواه، لعـدمِ إمكانِ التـقصّي، فـلأنه لمْ يتـمكنْ من استقصاءِ الخـبرِ وتسـجيلِ الحقيقةِ المـؤكّدة، أوردَ ماوصلَ إليه بأمانةٍ وموضوعية.

– أوردَ المصنفُ في كـتابِه عدداً من الرؤى، وليسَ الأحـلام، ليدّللَ على أهميةِ الحدثِ الذي سيرويه ومنهـا مثلاً: رؤيا دخولِ الإمامِ يحيى، بيت الإمامِ أحـمد بن عبـدالرحمن هاشم، والأعوادِ المظلـلّة المُكسَّرة، ورؤيا الثُّعْـبَان الذي دخَل إلى ثيابه ومـانجح في جذبِ رأسه خـارجاً، ورؤيا تتعلقُ بسنواتِ حياتِه وغيرها من الحوادثِ العجيبةِ الغريبة[1].

وما أحسبُ إيرادَ مـثلِ هذه الأخبارِ الرؤى والعجـائبِ إلا نوعاً من ثقافةِ العصرِ.

لم يغفلَ المؤرخُ الجانبَ الحضاريَّ في كتابتِه التاريخية، فقد قدَّمَ وصفاً للعديدِ من الآلاتِ والمصـانعِ والمظاهرِ الحضارية التي شاهدها بنفسـه، فقـد أطنبَ في وصفِ البواخـرِ والقطاراتِ التي سافـر بها من الحُـدَيْدَة حتى اسـتانـبولَ، وكـان دقيـقاً فـي وصفـه، فيـوردُ عبـارةَ و«تأملتُها» وفي مـرةٍ «وعدْدتُها»[2]. وحتى الأمـاكنَ التي زارَها حيثـما حلَّ، وأنىَ أقام.

---

(١) انظر الأوراق، ١٩أ، ١٠٣أ، ١٢٧.

(٢) انظر، تقييد حوادث، ٦٣ب.

- اتبعَ المؤلفُ في كتابه، تأريخَ الحوادث وَفْقَ منهجِ «الحوليات» فهو يؤرّخُ باليومِ والشهرِ والسنة غالباً، وينبّهُ إلى بدايةِ كلِّ شهرٍ ونهايةِ أحداثه. يقول: انتهتْ حوادثُ سنة ١٣٢٤هـ، وهاكَ حوادثَ عامنا، تاريخ ١٣٢٥، ويؤكّدُهُ على طريقة حسابِ الجُمل، ولكنّ هذه المنهجيةَ لم يجرِ التقيدُ بها، فأحياناً يؤرّخُ بالتاريخِ العام، يفصّل في ذكره للخبر، وإذا ما أرّخ بالحوليات، تفكّكَ الخبرُ واحتاجَ إلى حرصٍ في متابعته في حوادثِ السنواتِ التالية.

وأما الأسلوبُ الذي كُتبَ به المخطوطُ، فقد كانَ سلساً، ولكنَّ المؤرّخَ لم يلتزمْ بأسلوبٍ واحدٍ في الكتابة، فيكتب مرة باللغةِ الفصحى، وأحياناً بالعامية، فذخرَ المخطوطُ، بالعديدِ من الكلماتِ العامية، مثل، مخازين (مخازن)، الجمروك (الجمرك)، لحيث (حيث)، فيش (لا يوجد) زباطية (ضباط)، تصدور (تصدر)، وسيالته (وسألته) وغيرها كثير[1].

كما استخدمَ المؤلفَ العديدَ من المصطلحات والكلمات والألفاظ التركيةِ دونَ تفسيرها أو شرحها أو ضبطها، فكانَ الارتباكُ والخطأُ واضحين، ومنها، أورمان (غابة)، طبجي (ضارب المدفعية)، باش كاتب (رئيس الكتاب)، الأنجمان (لجنة)، استخانه (مرحاض، بيت الخلاء)، وغيرها، وقد قام الباحث بترجمتها وشرحها في مكانها من المتن.

---

(١) انظر، تقييد حوادث، ١٠٥ب.

تظهرُ أهميةُ المخطوط من خلال الأمور التالية :

- يعتبرُ المخطوطُ واحداً من أهم مؤلفات الفترة (١٣٢٤هـ-١٣٣٣هـ)، بسبب ما انفردَ به من ذكر لأحداث وأخبار لم تردُ في سواه، والباحثُ لايعرفُ مخطوطاً آخرَ، حوى من التفصيلات والتحقيقات كما في مخطوطنا هذا.

فكتابُ عبدالله بن محسن العَزَب، فترةَ خروج العثمانيين الأخير، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، بيروت، ١٩٨٦م، كان مختصراً، ألَمَّ برؤوس الموضوعات دونَ التفاصيل، وكتابُ الحداد، «عمدةُ القارى»، نُقلَ عن مخطوطنا هذا، فالمخطوطُ يتفردُ بهذه الميزة، فهو سجلٌ لتاريخ اليمن الحديث في الفترة المذكورة.

- لقد جاءَ المخطوطُ وثيقةً، يمكنُ إضافتُها إلى الجغرافية التاريخية للمدن والبلدان والأماكن التي زارَها المؤلّفُ بنفسه، فَقدَّمَ وصفاً متميّزاً للطريق من قَفْلَة عذَر حتى الحُدَيْدَة ثمَّ من الحُدَيْدَة إلى السويس بحراً، ومن السويس حتى الاسكندرية براً، ثم من الاسكندرية حتى استانبولَ بحراً. فعلاوةً على وصفه البلدانَ والطرقَ السهليةَ والجبليةَ والوديان، أعطى تفصيلات عن المجتمعات التي مرّ بها، فذكر أسماءَ شيوخها ورؤسائها وعُقّالها وحتى أعدادَها، وكانَ يُطنبُ في وصف المظاهر العمرانية والتكنولوجية التي شاهدَها، فحينَ رسا البابورُ في الساحل الإرتيري، سجّل مؤرخُنا ما شاهده من حركة البوابير في ميناء

مُصَوّع، ووصفَ الميناءَ وصفاً دقيقاً وما أحْدثَ فيه من عَمْرانَ، والعاملين فيه والبلدانَ التي أتوا منها ونمطَ حياتهم، ومثلَ ذلك فعلَ عند مروره بالمواني الأخرى، وكانَ ما سجّلهُ في كتابه عن الاسكندرية وشوارعها ووسائل التنقل فيها، وفنادقها، وحال المجتمع فيها وطرائق حياتهم من أمتع ما جاءَ في المخطوط، وقبيْلَ وصوله إلى الإسكندرية، وصفَ الطريقَ البريَّ من السويس حتى الاسكندرية وما فيه من زراعات مثل الموز والمندلي والبرتقال وغيرها.

ومن الاسكندرية حتى وصوله إلى الاستانة، كانَ مؤرّخُنا، يقظاً، يسّجلُ ويصفُ كلَّ البلدان والجزر التي تمرُّ الباخرةُ بها، ويداومُ على الاستفسار عن الأمور التي قدْ لايعرفُها. وفي استانبولَ، قدّمَ وصفاً للمدينة ومعالمها الأثرية والتاريخية والعمرانية، شوارعها وميادينها، ومساجدها، وقصورها، وبيوت علية القوم فيها، مقارِّ الدولة الرسمية، مثل قصر يلدز وقصر دولمه باهجه وكقصور النساء في الاسكدار والمتاحف المتعددة فيها، والشركات والمصانع بأنواعها ومتنزهاتها وحدائقها وحماماتها.

فكانَ الكتابُ وثيقةً جغرافيةً تاريخيةً هامّةً، يستفيدُ منها الباحثون في دراسة تاريخ تطور المدن.

- يطرحُ الكتابُ وجهةَ النظر اليمنية في الأحداث التي عصفتْ باليمن، وما كانَ يريدُه الإمامُ من خلال الحرب والصلح مع الأتراك، فلم يكن يطلبُ الاستقلالَ بمعنى الانفصال عن الدول العثمانية، وإنما تركَ اليمنَ لحكامه من آل البيت الذين حكموه منذُ وصول الإسلام إلى اليمن.

كما يوضحُ الكتابُ موقفَ اليمنِ من صراعِ القوى في البحرِ والمحيطِ، وعدمَ تورّطها بالاستعانةِ بالقوى الأجنبيةِ ضدَّ الدولةِ العثمانيةِ المسلمة.

- تنّوعتْ مادةُ المخطوطِ مابينَ السياسةِ والمعارك والحروب، وأحداثها، واهتمت بقضايا المجتمعِ والحضارة والاقتصاد والجغرافياً التاريخيةِ وأدبِ الرحلات. فبدا المخطوطُ، وكأنّه دائرةٌ واسعةٌ من المعارف، وسجلاً من سجلات الدولة، وهذا يُضفي على المخطوطِ أهميةً زائدةً، لا نجدها إلاّ في القليلِ من مصنفاتِ العصر.

وأما مسألةُ النزاهة والحياد، فالمؤلفُ بطبعه منحازٌ إلى جانبِ الإمامِ واليمنِ، وهو شأنٌ لايطلبُ فيه الحيادُ، فاليمنُ حسّبَ رأيه - وقعَ فريسةً بغي واضطهادِ أمراءِ وموظفي الدولة العثمانية-، ومن المقاومة، الانحيازُ لأهله ووطنه، ومع ذلك فإنَّ الأمانةَ والإنصافَ ظهرا بوضوحٍ في تسجيله للأحداث وروايات الأخبار، لأنَّ المؤلفَ يراها شهادةَ حقٍّ أمامَ الله، فلا المبالغةُ وجدْت طريقَها إلى أسلوبه، ولا الكذبُ والافتراءُ وجدا منفذاً لآرائه وأحكامه، فجاءَ الكتابُ وكأنه «شهادة حقٍّ وقولُهُ صدقٍ». لا كذبَ ولا افتراءَ، ولاتعدٍ على حقٍّ اللهِ في الشهادةِ والأمانة.

المبحث الخامس : وصفُ المخطوط

اعتمدْتُ في نشرِ المخطوطِ على نسخةٍ فريدة، اقتنَتْها دارُ الكتبِ والوثائقِ القوميةُ بالقاهرة، مصورةً على ميكروفيلم رقمه ٢١٢٩ (قائمة بالمخطوطاتِ العربيةِ المصورةِ من الجمهوريةِ العربيةِ اليمنيةِ)

كانتْ بعثةٌ مصريةٌ قد صوَّرَتْها من اليمنِ سنة ١٩٦٤م. وجاءَ على صفحةِ العنوان:

«تقييدُ حَوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني
لمَّا التَفتَ أميرُ المؤمنينَ، المتوكِّلُ على اللّه لعنانه ثاني
مستعيناً بمنْ أنزلَ السبعَ المثاني
بتاريخه شهر شوال
سنة ١٣٢٥».

ولمْ يذْكَرْ اسمُ المؤلف على صفحةِ العنوان، وهو ما كانَ مثارَ اهتمامنا، ولما أعْمَلْنا قواعدَ النقدِ التاريخي، ثبتَ لدينا أنَّ مؤلّفَه هو سعدُ ابنُ محمد بن عبدالله الشرقي ت ١٣٣٥هـ/١٩١٦م، وجاءَ في الورقةِ الأولى بعدَ البسملة:

«وإنَّ مولانا أميرَ المؤمنين، المتوكلَ على الله، ربِّ العالمين، لما ثنى عزمَه على نكايةِ العجمِ، ورمى بأسهمه أفرادَ شرطته»..

والورقةُ الأولى من المخطوط، خَلَتْ من المقدمة ومن خطبةِ الكتابِ التي يوضّح فيها المؤرخُ -عادةً- سببَ تصنيفِه لكتابِه، ثم اسمِ الكتابِ كما اختاره.

وقد توقّفَ الباحثُ طويلاً عندَ هذه المسألة، لاسيّما، وقد ذكرَ مؤرخُنا في الورقةِ ١٠٥ب» تابعَ -أي الإمامُ- إلَيَّ الأوامرَ بتقييدِ الحوادثِ، وإتمامِ السيرةِ، إلى ما كنتُ جمعْتُه قبلَ رحلتِنا إلى الأستانة»

ويمضي المؤلفُ في بيانِ سببِ طلبِه الاستعفاءَ من ذلك، ولكنْ، واستجابةً للأمرِ الإمامي، امتثل له كعادتِه في عنفوانِ شبابِه وسالف أيامه يورد : «فقلتُ، مستمداً من الله التوفيقَ والإعانةَ إلى خيرِ الطريق» وبعدَ البسملة والحمدله، وها أنا أشرعُ فيما أُمْرتُ مرتباً ذلك على أبوابٍ وفصولٍ «لكلِّ جهادٍ بابٌ، ولكلِّ جهةٍ فصل».

البابُ الأول : بابُ الجهادِ الأولِ، كما سبقَ في فتحِ صنعاءَ وخروجِ فيضي

البابُ الثاني : حسبما تقدّم تحريرُه

البابُ الثالث : حسبَ تفصيلِه وبابِه

وهذا الباب الرابعُ : في الجهادِ وفصولِه

الفصل الأول : في الوقعاتِ الحادثةِ في حوازاتِ صنعاءَ

الفصلُ الثاني : في تفصيلِ أعمالِ الجهاتِ العدنيةِ

ومعنى ذلك أن ضرورةَ تضمينِ الكتابِ مقدمةً وخطةً بأبوابٍ وفصولٍ مترسخةٌ في ذهنِ المؤرخِ، وهو ما لمْ نجدْه في بدايةِ المخطوطِ الذي ننشرُهُ، حيثُ قد غابَ عن كتابِنا، الجهاد الأول : والذي يؤرخُ للأحداثِ من سنة ١٣٢٢هـ حتى ١٣٢٤هـ أي منذ بيعةِ الإمامِ يحيى، وحتى دخولِه صنعاءَ سنةَ ١٣٢٣هـ، بعدَ محاصرةٍ واستسلامِ القواتِ العثمانيةِ في صنعاءَ، وتوقيعِ هدنة، انتقلت بموجبِها العساكرُ العثمانيةُ إلى مناخَةَ، وتسلّمَ الإمامُ صنعاءَ، وما أعقبَ ذلك من نقضٍ للهدنةِ والصلحِ امتدّ إلى سنة ١٣٢٤هـ. هذا الجزءُ من الكتابِ غيرُ

متضمّنٍ في الكتابِ الذي بينَ أيدينا، إضافةً إلى المقدمةِ وخطبةِ الكتاب.
أما باقي الأجزاء :

الجهادُ الثاني، ١٣٢٤هـ-١٣٢٧هـ، ومعاركُهُ ومساعي التوفيقِ والاصلاحِ وسفرُ الوفودِ إلى الاستانة ثم فشلُها.

والجهادُ الثالث : المعاركُ التي وقعتْ إثرَ تولية الوالي محمد علي باشا وعودةِ الوفدِ من استانبولَ

والجهادُ الرابع : معاودةُ محاصرةِ وتطويقِ صنعاءَ والعملُ في حوازاتها، ثم الوقائعُ في الجهاتِ العدنية، وكذا الحروب ضد الإدريسي.
فهي متضمنةٌ في الكتابِ، وللإجابة على ذلك، كان بحثُنا، والذي توصَّلْنا اليه من خلاله، أنّ ما بينَ أيدينا هو ثلاثةُ أبوابٍ من كتابِ سعد ابن محمد الشرقي المعروف «بقلائدِ النحورِ في سيرةِ إمامنا المتوكّلِ على اللهِ يحيى بنِ الإمامِ المنصورِ «وهو ما أشرْنا إليه في مبحثِنا عن منْ هو مؤلفُ المخطوط.

وتقديرُنا أنّ كتابَ سعدِ بنِ محمد الشرقي هو «قلائدُ النحورِ في سيرةِ إمامنا المتوكلِ على الله» وهو لايزالُ مفقوداً، وأنَّ أحدَهم قد استنسخَ هذه الأبوابَ الثلاثَ منه، وهي أجزاءٌ من الكتابِ الكبير. الذي كانَ قد نَقَلَ منه يحيى الحداد وطالعه محمدُ بنُ محمد زبارة أما خاتمةُ المخطوط : فجاءتْ في الورقة ٢٠٨ب، وتتناولُ حركةَ الإدريسي، وفيها «قال : بلغَ خروجَ نصراني إلى الإدريسي، وصلَ بابورٌ إلى جازانَ، ووصلَ محمد يحيى وزيرُ الأدريسي، أنه يريدُ صلاحَ شأنه

وسيفعلُ ويفعلُ، لكنْ عندَ ظهورِ القوةِ، وأجبنا عليه، أنَّ له الإجلالَ والرئاسةَ والأمانَ التام، تاريخه ١١ محرم الحرام ٣٣.

قال مولانا : لابُدَّ من التجهيزِ على رَدَاع وقَعْطَبة، «ثم وقفة كاتب».

كُتبَ المخطوط بالمداد الأسود وبخطٍّ حسن، ووضّحَت العناوينُ بخطٍّ أكبرَ حجماً عددُ الأوراق : ٢٠٨ ورقة.

عدد الأسطر : مختلف بين (١٩-٢٣) سطراً.

اسمُ الناسخ : يبدو أنّ أكثرَ من ناسخٍ قد شاركَ في نسخه، فالمؤرخُ الشرقيُّ كانَ واحداً من النسّاخِ، وقد تعرّف الباحثُ على خطِّ كاتبِ المقام الإمامي عبدالكريم بن أحمد مطهر، فقد نسخَ العديدَ من الصفحات، وغيرُهُ شاركَ في نسخِ المخطوط، لاسيّما وأنّ المؤرّخَ وكما يذكر، قد جاوزَ الثمانينَ من العمر، ويعاني من وهنِ القوةِ وضعف النظر، ومن الجديرِ بالذكرِ أنه توفي بعدَ سنتين من الأحداثِ التي سجّلَها في الكتاب، حيث توقفَ الكتابُ عندَ بعضِ أحداث سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، وتوفي مؤرخُنا ١٣٣٥هـ/١٩١٦م. والنسخةُ التي ننشرُها، روجعتْ منْ قبلِ أحدهم، وأظنُّه عبدَالكريم بنَ أحمد مطهر، فقد ظهرتْ فيها تصويباتٌ وطمسٌ بالحبرِ الأسود. والنسخةُ نُقلتْ عن أخرى وليستْ من النسخةِ الأمِّ، فقد جاءَ في الورقة ١٣٦ب.

«ونْقلُ هذه من صورة بخطِّ مَنْ لايدقّق، فلا يُعابُ عليَّ لتعذّر الأم». والتعليقُ المشارُ إليه، كُتبَ بخطِّ عبدالكريمِ بن أحمد مطهر، الذي شاركَ في النسخِ، ويفيدُ بتعذّرِ حصولِه على النسخةِ الأمِ في عصرِه،

الأمرُ الذي يضفي أهميةً بالغةً على ما بينَ أيدينا، فإذا تعذَّرَ حصولُ كاتبِ المقامِ الإمامي على نسخةِ الأمِ، فلنا القولُ، بأنَّ النسخةَ التي ننشرُها «فريدةٌ» وتستحقُّ العنايةَ.

ويلاحظُ بأنَّ العديدَ من صفحاتِ المخطوطِ قد تُركَتْ بيضاءَ خاليةً من الكتابةِ وهي الصفحاتُ ذواتِ الأرقامِ «٣٨ب، ١٣٩أ، ٤٠ب، ١٢٠، ١٧٠أ، ١٨١أ، ١٢٠١أ، ١٢٠٨أ» وليس معنى ذلك، أنَّ الأحداثَ التاريخيةَ تقطّعتْ، أو أنَّ متنَ المخطوطِ ليسَ متصلاً، فإنَّ الكلماتِ الواردةَ في حردِ كلِّ صفحةٍ، وبدايةِ الصفحةِ المقابلةِ، تدلُّ على إتصالِ مادةِ الكتابِ واكتمالِها، وما أحسبُ الفراغاتِ البيضاءَ إلاّ من عملِ النساخِ أو الناسخِ، فلعلّهم كانوا يرغبون بكتابةِ بعضِ التعليقاتِ على أحداثِ الكتابِ تفسيراً وتوضيحاً وتعليقاً، ولكنْ لم يتمَّ ذلك.

إن الأخطاءَ الاملائيةَ والنحويةَ والخللَ العروضيَّ ظاهرةٌ واضحةٌ في المخطوطِ، فإذا ما أضيفَ إلى ذلك تنوّعُ أسلوبِ الكتابةِ من الفصحى إلى العاميةِ، أدركْنا مدى الإرباكِ اللغويِّ في المخطوطِ، ومعاناةَ الباحثِ ومقاساته في ضبطِ المتنِ وتصويبِ سقيمِه قدرَ الإمكانِ في الإملاءِ والنحوِ، وأما الأشعارُ، فظاهرةُ عدمِ الالتزامِ بالقافيةِ الشعريةِ ملموسةٌ فيها وأخيراً، فإنَّ المخطوطَ ثريٌّ بمعلوماته، مفصّلٌ في أحداثِه، فريدٌ في شرحِ وجهةِ النظرِ اليمانية. وعليه فإنَّ البحثَ عن نسخةِ الكتابِ الأصليةِ «قلائد النحور في سيرة إمامنا، المتوكّل على الله يحيى بن الإمام المنصور «مازال هدفاً ننشدُهُ مادام في العمرِ بقيةٌ.

تقييدُ حوادثِ إنشاءِ تجديدِ الجهادِ الثَّاني
لما التفتَ أميرُ المؤمنينَ، المتوكلُ على الله
لعنانِه ثاني
مستعيناً بِمنْ أنزلَ السبعَ المثاني
بتاريخهِ شهر شوال
١٣٢٥هـ

تأليف

القاضي العَلاَّمة سَعْد بن مُحمَّد الشرقي
ت ١٣٣٥هـ/١٩١٦م

الجزء الثاني

(المخطوط)

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢أ) وإن مولانَا أميرَ المؤمنين، المتوكلَ على اللـه ربِّ العالمين، لما ثَنَى عنانَ عزمه على نكاية العجم، ورمى بأسهمه أفرادَ شُرَطية أعداء الله. فَعَمَّ إصابةُ أسهمه أفراداً من أولئكَ الشُّرَط وعرفائهم، أهلَ الغيِ والشَطط قتلاً وأسراً، ليلاً ونهاراً، جهراً وأسراراً، حتى لا يكاد أعوانُ الظالمين أنْ يأمنَ، ولا يجدُ له مكاناً ولا ملجأً مطمئناً، حتى صارَ طاغيةُ العجم، أحمدُ فيضي[١] لا يقدرُ على تأمين أصحَابه ولا نكاية مخيفي أحبابه.

وكانَ الإمامُ، حفظه اللهُ، فَتَحَ ديوانَه لحصر العساكر، وأخذَ عليهم الوثائقَ على الوجه المطابق في السِّيرة الشرعية والطريقة المرعية، فعزمَ، حفظه اللهُ، سيدي العلاَّمةُ محمدُ بنُ يوسفَ الكبسي[٢]، لجمع

---

(١) أحمد فيضي: والي تركي، تولى ولاية اليمن، ثلاث مرات، كان متصرف بلاد عسير، شُهِرَ بحزمه وجبروته، له معارك طاحنة مع الائمة في اليمن، عُزل نهائياً عن اليمن سنة ١٣٢٦هـ، انظر، أئمة اليمن (سيرة المتوكل على الله يحيى)، ١٢٧-١٢٨؛ ليلة خلع السلطان عبد الحميد، ٤٨.

(٢) محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الكبسي، ت بصنعاء ١٣٦٢هـ، شارك في عدة معارك لاخضاع مناطق يَرِيم بقيادة عبدالله بن إبراهيم بن أحمد سنة ١٣٢٩هـ، وثبت في معارك بيت عَرْهَب، ومن ثم لزم بيته، وعاش زاهداً ورعاً، عانى من الفقر صنوفه، انظر، نزهة النظر، ٦١١؛ هجر العلم ١٧٩٨.

المجاهدينَ من قبائل أرْحَبَ[1] ونهم[2]، وقطع الفتن المثبطة للمجاهدين، وعزمَ، حفظه اللهُ، على نشر ألْوية الجهَاد، المبدّد لحُثَالة أهل الغيِّ والعناد حتى ينقطعَ عنهم الأملُ، ويَحلَّ بهم الخزيُ والخَطَلُ، ويلحقَ آخرَهُم بالأول.

ففي شهر شوال خرجَ جماعةٌ من ضُبَّاطية هَمْدانَ[3] من صنعاءَ مرفودينَ، فهجموا على خمسة ضبَّاطية في بيت نُعم[4]، فقتلوهم وسلبوهم الأسلحةَ والأمتعةَ، ووصلوا إلى مولانا عُقيبَ تلك الوقعة، فشكرَ الامامُ، حفظه الله، منْ فعلهم، وأجازَهم بالضيافة والكسوة والمصاريف ورغَّبَهم بالمعاش والعزِّ والتأليف، وعَزَّمهم الأرضَ

---

(١) أرْحَبُ، قبيلة كبيرة من هَمْدان، واطلقت على ناحية تابعة لمحافظة صنعاء تبعد عنها بمسافة ٥٠كم شمال شرقيها، يحدها شمالاً وادي ذيبين وجنوباً بني الحارث وشرقاً بلاد الجوف وبعض نهم وغرباً هَمْدان وطرفاً من حاشد. انظر، الاكليل ١٠/١٣٤، البلدان اليمانية، ٢١؛ اليمن الكبرى، ٧٣؛ نشر العرف، ٢/٢٧٤.

(٢) نهم: قبيلة من بكيل الهمدانية، مساكنها في الشرق الشمالي من صنعاء، على بعد ٥٨كم، تتصل من شمالها بالجوف وبلاد سفيان ومن شرقيها بالجوف ومن جنوبها ببلاد حشيش وخولان العالية، ومن غربيها ببلاد أرحب. انظر، الاكليل ٢/٤٥٣؛ صفة الجزيرة، ١٥٤؛ نشر العرف ٢/١٩٤؛ معجم الحجري ٢/٧٤٦؛ اليمن الكبرى، ١٩٤.

(٣) هَمْدان: من أشهر قبائل اليمن، موطنها من شمالي صنعاء حتى صعده، ومن مأرب شرقاً حتى البحر الأحمر، وفيها بطون لحاشد وأخرى لبكيل. انظر، الحجري، مجموع، ٢/٧٥٣؛ المقحفي، معجم، ٦٨١؛ تاريخ اليمن الثقافي، ١/٥٤.

(٤) بيت نُعم: قرية في أعلى وادي ضهر من أعمال ناحية هَمْدَان، انظر، صفحات مجهولة، ٨٨؛ السفر الثاني من رياض الرياحين، ٨٦.

المحرقةَ السوداءَ (٢ب) المعروفةَ بالأحربيّ، بيت همداني وأرْحبي، ردءًا لمن كان قبلَهم من أفراد المجاهدين كلٌّ باسل أبي، متربصين اختطافَ العجم، ومنْ في سلكهم انتظم، ففي كلٍّ وعد تحصلَ من الأولين حوادثُ قبلَ حوادث هذا الردء، منها ما حصلَ في وادي ظهر[١] من خروج كبراء العجم، ومن في قبائحهم ارتطم للضيافة عندَ الشريف عليّ بن محمد الشويع[٢] في شهر شعبانَ الماضي من معارضة عصابة يسيرة من الجبل الغربي والرمي لأولئك الأكراد متتابعاً، فظنوا أنه قدْ وقعَ بهم واقعاً، فافتشلوا أعظمَ فشيلة، وتناثرتْ أمتعتُهمْ على هيئة رذيلة، وفروا فرارَ الأرامل لا يلتوي على أواخرهم الأوائلُ، ثم تعقّبَ ذلك هجومُ جماعة ممن ذكرْنا على مدير العجم، وحاكمهمْ بن حنش[٣] وبن مشحم[٤] فقُتلا وقُتلَ معهما سيدي محمدُ بنُ محمد بن محمد بن أحمد ابن ناصر سحاق غلطاً[٥]، وأُصيبَ سيدي العَلاَّمةُ حسينُ بنُ علي بنِ

---

(١) وادي ظهر: وتكتب ضهْر، أحد متنزهات صنعاء الغربية الشمالية بمسافة ٧كم، أرضه خصبة، به نهر يسقى ضياعه وبساتينه، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٤٣؛ الاكليل، ٥١/٢؛ تاريخ اليمن الثقافي، ٩٤/٢؛ الحجري، مجموع، ٥٥٤/٢؛ أئمة اليمن، ٥٣/١ (سيرة الهادي شرف الدين).

(٢) علي بن محمد الشويع: آل الشويع من قبائل همدان، يسكنون وادي ضَهْر، من الأشراف الحمزات، وكان لمحمد بن علي الشويع مناصرة للأتراك في اليمن، انظر، الحجري، مجموع، ٤٥٩/٢؛ المقحفي، معجم، ٣٦٢؛ الإرياني، الدر المنثور، ٢٧٨/١، ٢٨٠، ٢٩٧، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤١٥، ٤٦٨.

(٣) علي بن أحمد حنش الصنعاني مدير ناحية هَمْدان.

(٤) ابن مشحم، المقصود بنو مشحم، من صَعْدَة، أسرة علم، والحاكم هو محمد بن أحمد مشحم.

(٥) في أئمة اليمن، ٧٨، أحمد بن ناصر بن إسحاق بن المهدي الحسني الصنعاني.

محمد بن علي غمضان الكبسي[1] كذلك غلطاً، ومنها الوثوبُ على بقية الأئمة الخُبّث المكارمة، عبدالله بن علي المكرمي، طُعِنَ أو رُمِيَ في مكانه بينَ أولاده وإخوانه، فَقُتِلَ في بيته في قُطْبَيْن[2]، وحلَّتْ بأهلها الحسرةُ والخيبةُ، فتكلفت العجمُ بالخروج للمخلص إلى الحاوري وضُلاع[3] والمحافظة على الطرق، فلم يمنعوا عن أنفسهم، ولم يسلموا من بأسهم بل دارتْ على محاطهم الروحاتُ، وأخذت أرزاقَهم الغدواتُ، وتتابعتْ إلى بئر العزَب[4] بالرماية الغزواتُ، وصارَ الانتهابُ من أرزاق العجم طعمةً للمجاهدين حتى بطلَ أمرُ العجم في لواء نواحي صنعاءَ، وباتوا في حيرة صرعى لا يقدرون (٣أ) على إمضاء أمر حربيٍّ الا بتكليف كلي، إما بعسكر جرار أو بتسلّق ماكر غدار، كما فعله مديرُ عرِّ الحيمة[5] لما بطلَ جُلُّ أمره، فأعملَ خبيثَ مكره، وأنعمَ لمشايخ الحَيْمة

---

(١) حسين بن علي بن محمد بن علي غَمْضان الكِبسي، حاكم الأوقاف وعضو محكمة الاستئناف الشرعية بصنعاء، ينسب إلى أحمد الكبسي الملقب غَمْضَان، ت بصنعاء، شوال ١٣٤٤هـ، انظر، الأمير علي الوزير، ٥٤٧، كان حاكماً لناحية هَمْدان؛ وانظر أيضاً، زيارة، نزهة النظر، ٢٧٧.

(٢) قُطْبَيْن: قرية على مسافة تسعة أميال من شُهارة، انظر، أئمة اليمن، ١٠٨. وقُطبين من قرى حاشد في البُطنة، انظر، المقحفي، معجم، ٥١٨.

(٣) ضُلاع: بلدة في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٨كم، وهي من الوديان الخصبة المشهورة بزراعة القات، انظر، معجم المقحفي، ٣٩٦؛ الحجري، مجموع، ٥٥٣/٢.

(٤) بئر العَزَبْ، متصلة بصنعاء، كان لها سور خاص قبل ذلك في الجانب الغربي من صنعاء، فيها الآن محل الوزارات والادارات الحكومية، انظر، صفحات مجهولة، ٣٦.

(٥) الحَيْمَة: ناحية مشهورة إلى الغرب من صنعاء بمسافة ٣٧كم، وتنقسم إلى الحيمة الداخلية =

بالاتحاد على مدافعة العجم بالممكن. ومضى أمرُ الإمام، حفظهُ اللهُ، من غيرِ بأسٍ، فأمنوه، ومن بطشِ الإمام، حفظه الله، أمَّنوه إلى أنْ لاحتْ له الفرصةُ فاحمد قنصه تربصَ للشيخ محمد بن حسين بن حسن وأخيه ذاتَ ليلةٍ في غفلة أصحابه وذويه، فما شعرَ إلا بإحاطة العساكر، وأخذوهما في ليلٍ ساتر، لما تقدَّمَ منهما إبلاغُ الوسعِ في الجهادِ الأولِ ومحاصرتُه المنصورة[1] ذلكَ الحصارَ الأطولَ.

وفي نصف شهرنا القعدة، شرعَ مولانا حفظهُ اللهُ في تأهيبِ العُددِ والعُدَّة، فأَنْفَذَ القاضي العَلاَّمةَ حسينَ بنَ أحمدَ العرشي[2] إلى

= والحيمة الخارجية، مركز ناحية الحيمة الداخلية العر، ومركز ناحية الحَيْمَة الخارجية مفحق، انظر، نزهة النظر، ١٤٤؛ طبق الحلوى ٧٨؛ اليمن عبر التاريخ، ٥٢؛ صفحات مجهولة، ٢٣٠؛ معالم الآثار، ٣٧؛ نشر العرف، ٢٥٢/١. والعرّ، يقصد به الجبل العالي في الحَيْمة الداخلية، المتصل بجبل النبي شعيب من ناحية الشرق، في أعلاه قرية العرّ، مركز ناحية الحَيْمة الداخلية تشتهر بزراعة البن، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٧٧؛ معالم الآثار، ٣٧؛ المقحفي، معجم، ٤٣٥.

(١) المنصورة: المقصود الحصن الكائن في الحيمة الداخلية، حيث حوصرت فيه قوات الأتراك ١٣٠٨هـ، وأسر القاضي عبد الرحمن بن أحمد المجاهد، الذي عينه الأترك، انظر، اليمن الكبرى، ٣٩؛ معالم الآثار، ٣٨؛ المقحفي، معجم، ٦٣٥؛ الإرياني، الدر المنثور، ٢٨٤/١-٢٨٥.

(٢) حسين بن أحمد بن صالح العرشي الخولاني الصنعاني، ولد سنة ١٢٧٦هـ بهجرة الكبس من خَوْلان وبها نشأ، أخذ عن العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي، وعلي بن حسن الديلمي، أديب، شاعر، لازم المتوكل على الله يحيى حميد الدين، وكان خطيبه ومنشي رسائله، لازم الإمام المنصور بالله من نحو سنة ١٣١٠هـ، وكان من أعيان حضرته، وتولى الكتابة له مع غيره من الأعلام، ألف «بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور»، وساق فيها الأحداث إلى سنة ١٣١٧هـ، فقط ولم يكملها إلى عام وفاته سنة ١٣٢٢هـ، صنف بلوغ المرام في شرح مسك =

جهات جبري[1] وخَوْلاني[2] وعَرشَي[3] وما يُدانيها من تلكَ القبائل، وانتخابُ الرجالِ الأماثلِ لئلا يصلَ المُقَدّمي إلا لمباشرةِ العمل والوثوبِ إلى محلِّ الأمل.

وفي هذا الشهرِ عزمتْ طائفةٌ من العجمِ على التخليصِ في سارع[4]، وطلبوا من المالِ الشيءَ الواسع، فثارت الفتنةُ، واشتعلتْ على العجمِ نارُ المحنة، وقعَ في العجمِ قتلةٌ وهزيمةٌ إقامةً لأهلِ سارع قويي الشكيمة فاستمدوا من مولانا، حفظه الله، المددَ بالمؤنة فأمدَّهم، فتجمعتْ عليهم ألفافُ العجم، وقدموا على مركزِ سارع محلِّ الشيخِ حسنِ بن يحيى القرم والقُفَّاف، فتنحى عنه أهلُ سَارِع بعدَ أنْ غيّروا مناهلَهُ وأحاطوا به واستمدّوا من مولانا، حفظهُ اللهُ، مقدمياً وعساكر، فأنفذ مولانا، حفظهُ اللهُ، في نصفِ (٣ب) الشهرِ المذكورِ مقدمياً السيِّدَ

= الختام فيمن تولى من ملك وإمام، فرغ من تأليفه ١٣١٨هـ، ط مصر ١٣٥٨ (طبعة سقيمة)، وله الدر النظيم فيما كان بين أهل اليمن والعجم، أرّخ فيه لكل قبيلة من العرب، وله رسالة سمّاها «كحل الأحداق في مرثية مكارم الأخلاق والتعريف بمكارم الخلاق»، ت٢١ ذي الحجة ١٣٢٩هـ، انظر، نزهة النظر ٢٤٩-٢٥٤.

(١) جبَري: نسبة إلى بني جَبْر من بطون خولان صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ٢٢٣.

(٢) خَوْلان: من القبائل اليمنية الكبرى، وهي ثلاثة أقسام، خولان صنعاء، وخولان صعدة، وخولان قُضاعة، وهي من خولان ابن عامر، انظر، المقحفي، معجم، ٢٢٢-٢٢٥.

(٣) عرشي، الأعروش، قبيلة من خَوْلان الطيال، وبنو العَرَشي، ينسبون إلى الأعروش بيت علم ورئاسة، انظر، اليمن الكبرى، ١٨٢؛ الأمير علي بن الوزير، ٥٨٣؛ الاعلام ٢/٢٥٠.

(٤) سَارع: أرض واسعة بالشمال الغربي من شبام كوكبان بمسافة ٨كم، وسارع بلدة في السَّوَادية وأعمال رداع، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٢٤، ١٨٥؛ المقحفي، معجم، ٢٩٧.

الهمامَ الخريتَ المقام، عباسَ بنَ عبدِالله بن الامامِ[1] بعساكرَ منتخبةٍ ملازمةٍ لجهادِ العجمِ مجرَّبةٍ.

وفي يومِ الجمعةِ عشرين شهر القعدة، وصلَ كتابٌ من سَارِع من الشيخِ حسنِ ابنِ يحيى القرم، ومشايخِ سَارِع حقَّقوا فيه بوقوعِ حربٍ يومَ الأحدِ الماضي، خامسَ عشرَ الشهرِ المذكور، ووقوعِ فشلٍ في بعضِ رعايا سَارِع، وذلك بعض بني جَديلة[2] وبعض[.....][3]، وظهرَ من المشايخِ الشدةُ والطمأنينةُ، واستعجالُ المقدّمي والرجالِ وتوالي العجم قدامَ المقدّمي المذكورِ حتى احتارَ في السود، فرجعَ مولانا أميرُ المؤمنين المتوكلُ على الله، ورأيهُ السديدُ وأمرهُ الرشيد بأنْ أنفذَ أمراً إلى السيد الصمصامة، زينة الشجعان، أهل العزمِ والشهامةِ سيدي فخر الآل، عبدالله بن يحيى، أبو منصر[4]، أن يعزمَ

---

(١) عباس بن عبدالله بن عباس بن عبدالله بن يوسف المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل بن القاسم، ت بالجراف سنة ١٢٧٠هـ، قاد عدة معارك، تولى أعمال غُريان من نواحي حاشد، انظر، الأكوع، هجر العلم، ٣٥٨-٣٥٩.

(٢) بنو جَديلة: قبيلة من بطون حاشد، من طيء، من لحامها، الثعالب، ثعلبة بن جدعاء، وثعلبة بن ذهل، وثعلبة بن رومان، وبنو تميم، وبنو حَبْتر، وبنو طريف، وبنو ثمامة، وبنو لام، ومساكنهم شمال بلاد عَفار بمحافظة حجة، انظر، طرفة الأصحاب، ٤٨؛ المقحفي، معجم، ١١٤؛ البرق المتألق، ١٦٥.

(٣) بياض بالأصل.

(٤) عبدالله بن يحيى بن غالب، أبو منَصُّر الحسني: من قواد الإمام المنصور بالله عامل مدينة ثلا ونواحيها حتى مات، ثم خلفه ابنه عبدالله ت ١٣٧٨هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٦٤؛ هجرة العلم، ٢٨٤.

جهات كُحْلانَ[1] وعَفَّار[2] وحَجة[3]، لا يعرفُ له مرام، وهو ممن لا يهتابُ الصدام، فعزمَ عند وصول الأمر الشريف الذي لا يميلُ عنه ولا يحيف. فلما توجه حفظه اللهُ نحوَ تلك الجهات حصلَ مع العجمِ الوجلُ مع علمهم بفتكات هذا السيد البطل، فأغار غالب باشا من جهات بني عَوَّام[4]، وأمرَ يوسف باشا[5] بأنْ يُغيرَ من صنعاءَ بأربعة طوابيرَ فتواثبا، كلٌّ منهما مغير، فلما توجهت العجمُ كذلك وأنسوا سيدي عباس ابن عبدالله بن المؤيد، فعزمَ من ورائهم، وكانت طريقُه على بلاد كَوْكَبان[6] من الضلع نهاراً فشاع علمُه واستفاضَ خبرهُ لعزمه جهاراً،

(١) كُحْلان: هي كُحْلان تاج الدين، شرق شمالي حَجَّة بمسافة ١٧كم، تسمى كُحْلان عَفَّار، الاكليل، ٢/٢٤٥؛ صفة جزيرة، ٢٠١؛ معالم الآثار، ٧٥؛ نشر العرف، ١/٧٩٧؛ المقحفي، معجم، ٥٣٤.

(٢) عَفَّار: بلد من نواحي حجة شمالي شرق، على مقربة من كُحْلان تاج الدين، ينسب إليها بنو عَفَّار، يفصلها عن حَجَّة وادي شرس، انظر، صفة الجزيرة، ١٨٣؛ الإكليل، ٢/٨٨؛ معالم الآثار، ٧٦؛ نشر العرف، ٢/٦٨٥.

(٣) حَجَّة: تقع بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٢٧كم على قمة جبل، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٠؛ المقحفي، معجم، ١٥٧؛ البلدان اليمانية للاكوع، ٨٣.

(٤) بنو العَوَّام: ناحية من نواحي حَجَّة، منها عُزلة الصُرابي وعُزلة بني قُدَم وعزلة بني الذواد وغيرها، وإليها ينسب بنو العَوَّامي، انظر، اليمن الخضراء، ١٠٢؛ نشر العرف، ١/٥٤٢، ٧٤٦.

(٥) يوسف باشا بردقان: أحمد ضباط الأتراك، عمل في اليمن لأول مرة سنة ١٣٠٩هـ برتبة قول أغاسي أركان حرب، سنة ١٣٢٢هـ، كان في بلاد الشرف، ثم إلى الاستانة سنة ١٣٢٦هـ، حيث توفي هناك، انظر، الأئمة اليمن، ١٢٩-١٣٠ (سيرة المتوكل على الله يحيى).

(٦) كَوْكَبَان: جبل قرب صنعاء، والمدينة شمال غرب صنعاء بمسافة ٤٠كم، وإليه يضاف شبام كوكبان، انظر، معجم البلدان، ٤/٤٩٤؛ مراصد الاطلاع، ٣/١١٨٨؛ البلدان اليمانية ٢٣٣؛ المقحفي، معجم، ٥٤٣؛ تاريخ اليمن الثقافي، ١/٥٨؛ الاكليل، ٢/١٠٧؛ نشر العرف، ٥٤، ٢٧٢؛ قرة العيون، ٢٩٧؛ معالم الآثار، ٧٤.

فوصلَ سَارِع وقد تكاثرت الحروبُ من العجمِ، وأهلِ سَارِع خامسَ وعشرين من شهرنا القعدة أو سادس وعشرين من الشهرِ المذكور.

ومن حوادث هذا الشهر، أنها وقعتْ تعشيرةٌ[1] إلى بئرِ العَزَبْ، وقع منها فشلٌ ووجلٌ حينئذ، وهي وقعت من خُزَيْمَة[2] وتبعتْها التعشيرةُ العظيمةُ (٤أ) إلى القصرِ ليلةَ الربوع وامتدتْ زيادةً على التعاشير، وخبر أنه خرجَ بنُ الماس من عسكرِ العجمِ بجماعةٍ فكوِّنَ برصاصةٍ في وجهه مزّقتْ أنفَهُ

وفي هذه الليلةِ طُعِنَ مديرُ السلكِ في زُقَاق الغُول[3].

وفي هذا اليومِ قُتل ابنَ البيطارِ سَوَارياً في خُطةِ الترك الذي في قريةِ مرام[4] بالقربِ من عُرَام[5].

وفي الليلةِ التي قبيلَ هذه، ليلة الثلوثِ سابعَ عشرَ شهرِ القعدة

---

(١) التعشير أي إطلاق النيران بكثافة.

(٢) خُزَيْمَة: المقصود مقبرة خُزَيْمَة، كانت غربي صنعاء، وهي اليوم في قلب صنعاء، انظر، عبدالله الوزير، طبق الحلوى، ٨١.

(٣) زقاق الغول : زقاق في صنعاء يصل إلى سَوْح السعادة، والأسطورة أن في البيت ما يُرمى بالحجارة السوداء من جهة جبل نقم. انظر، طبق الحلوى، ٧٥.

(٤) قرية مرام : قرية في عنس. انظر، المقحفي، معجم، ٥٨٠.

(٥) عُرَام : جبل يطل على وادي ضَهْر من ناحية الشمال ويتصل بدار الحجر، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٩٤/٢، المقحفي، معجم، ٤٣٦.

الحرام سنة ٢٤ قُـتلَ مديرُ بني[١] الحارث[٢] خارجـاً من صلاة المـغرب من جامع الرَوْضة[٣]، أبَاحَ دمَه وعـرضَه، وكانَ من أعـيانِ شيـعة أهلِ البيت، ووالدُه عابدُ جامعِ صنعاء[٤]، لاقوةَ إلا باللّه، «من تزيّا بغيرِ ما هو فيه فضحَتْهُ شواهدُ الامتحان».

ومع ذلك أنه قتل وعُرْضي[٥] العجم غَربيَّ ذلك الموضعِ مشغولون بالمـحافظة على أنـفسـهم، لا يأمنون ليلاً ولا نـهاراً، يقلّبـون أفكارَهم حيارى، فـوقع لقتله في العجمِ وأعوانهم مـوقعٌ عظيم، واحتارتْ أفكارُ كلّ عاقلٍ منهم وحكيم، ورجعوا إلى حبسِ أناسٍ من الرَوْضة، ليسوا من أهلِ هذا الثبات، ولا منْ فرسانِ ذلك الميدان.

وفي يومِ الخميسِ والجمعة ثاني وعشرين أو واحدٍ وعشرين من

---

(١) مدير ناحية بني الحارث وبني حشيش هو الحاج حسين بن مطير الحيمي الصنعاني، قتله بعض الناس بفأس حديد في رأسه في الروضة.

(٢) بنو الحارث : قبيلة مشهرة تقع ديارها شمال صنعاء بنحو ٥كم من قراها، القابل، عُلمان ثَقبان، ذَهْبَان، جَدِر، الحتارش، بيت القسم، الغَوْلَة، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٧/١، اليمن الكبرى، ١٦٦، معالم الآثار، ٢٥، المقحفي، معجم، ١٤٢.

(٣) جامع الرَّوْضَة: منتزه صنعاء، كانت تسمى المناظر، روضة حاتم، شمالي، صنعاء بمسافة ٨كم، تنسب إلى السلطان حاتم بن أحمد بن عمران الهمداني، انظر، صفة جزيرة ١٥٣، المفيد، ٢٣٥، مراصد الاطلاع، ١٣١٥/٣، نشر العرف، ١٦١/٢، صفحات مجهولة، ٢٠.

(٤) جامع صنعاء، المسجد الجامع، بني في السنة السادسة للهجرة، بأمر الرسول بناه وبر بن يُحنَسّ أو فروة بن مُسيك المرادي أو أبان بن سعيد، انظر، جامع صنعاء ٩-٢٣؛ حياة الأمير، ٦١٤؛ مساجد صنعاء لمحمد الحجري ٢٣؛ طبق الحلوى، ١١٨.

(٥) العُرْضي : مقر عسكر صنعاء، جنوب سور صنعاء، انظر أئمة اليمن، ٣٢٣/٢.

شهرِ العقدةِ المذكورِ وقعت القتلةُ العظمى والداهيةُ الدَّهيا بأنْ تجمَّعَتْ عساكرُ العجمِ من جمعةِ آنس، ومن المراكز الأخرى وتوجهوا نحو الفرش[1] قاصدين للشيخ نصير الدين علي ابن المقداد بن أحمد بن عبدالله بن أحمد راجح[2] لمّا ظهرَ منْ تخفيةِ عندَ تكاثفِ عساكرِ العجمِ الرديفِ الذي ملأ الفجاجَ، ولم يجدْ سبيلاً لمصادمةِ ألوفِ أولئك الأعلاجِ، تستَّرَ وأظهرَ الموتَ، ولم يظهرْ له حركةٌ ولا صوت، فعند ظهورِ أمره وتآلبِ زُمره، قصدوه هذا المقصدَ إلى قمعة[3]، ولما قصدوه أغارَ أهلُ الشيمةِ من الأنصارِ منهم السيدُ صالح حيدرة من جانبٍ، والشيخُ المجاهدُ عبد ربه بن أحمد السنحاني ومن معه من جانبٍ والشيخُ المجاهدُ صالح دغيش، وأحاطوا بالعجمِ من جميعِ الجوانب، فحصلَ منه النصرُ العظيمُ ما يحتارُ منه الحليمُ بأن استطالت الحربُ يومين من قمعةَ إلى بابِ الحوض[4] وأخذتْ أنصارُ الحقِّ الغنائمَ الواسعةَ **(٤ب)**

---

(١) الفَرْش : قاع فسيح يتوسط بين آنس وبني مطر، ويعرف بَفْرش آنس، فيه عدد من الحمامات المعدنية الطبيعية منها : حمام قمعة وحمام بني سُوَيْد، انظر، اليمن الكبرى ٧٦، المقحفي، معجم، ٤٩٤.

(٢) علي بن المقداد بن أحمد بن عبدالله راجح، نصير الدين (ت ١٣٤١هـ) من كبار مشايخ البلاد الآنسية جمع شرف الحياة وشرف الجهاد، مقدام، شجاع، حارب الأتراك مناصراً للإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين وثم مع الإمام يحيى، وحروبه وبطولاته مشهورة، انظر، نزهة النظر، ٤٥٧.

(٣) قَمعة : في قاع الحقل بآنس يوجد بها حَمَّام، المقحفي، معجم، ٥٢٣.

(٤) باب الحوض : الحوض الذي يتلقف الماء من البئر تسمى المراجو، والمقصود حوض المسجد، انظر، وصف صنعاء، ٦٦-٦٧.

وقُتلت البغـالُ وعُقرَت الجمالُ، وانتُهـبتَ الأثقالُ وحُزَّت الرؤوسُ وحلَّ بالعجمِ الخزيُ والبوسُ، فسبحانَ الملكِ القدوس.

وفي هذا الشهرِ قُتلَ نجّابٌ من أعوانِ العجمِ يدخلُ صنعاءَ ويخرجُ بمعاشاتِ بعضِ عُقّالِ خَوْلان، وذلك النجّابُ علي شغدرٍ، والقاتلُ له علي ابن أحمد السمان.

وفي غرةِ شـهرِ الحـجةِ من السنةِ المـذكورة، يومَ الإثنين، جـهزَ مولانا، حـفظه اللهُ، السيدُ العـلامةُ النحريرُ المـجتهدُ الخطيـر، صاحبُ الفكرةِ الوقّـادةِ والفطنةِ النقّـادة، عالمِ المـعقـولِ والمنقولِ في الفـروعِ والأصولِ سيدي العلامةُ الصفي أحمدُ بن يحيـى قاسـم[1] عامر، لا زال محـفوظاً وسهمُـه قامر، وجندُه مـؤيد ظافر، في أثرِ القاضي العـلامةِ الشرفي حسـينِ بن أحمد العرشي مولاً على جهـةِ بني جبر[2] وخَوْلان والحـدا[3] خصـوصاً، وعلى الجهـاتِ العدنية، وجّـهزهُ أحسنَ الجـهاز، وحملَ معه سبعةَ جمـالٍ من المؤنةِ، وَحوَّلَ بمونات أخرى، وفوّضَهُ في

---

(١) أحمد بن يحيى قاسم عامر : ولد بالأهنوم سنة ١٢٨٢هـ، لازم علماء الأهنوم وأخذ عنهم، كان عامل مُسْتَبا الواقعة ضمن جبال وشْحَة من الجهة الغربية، ت سنة ١٣٥٦هـ، انظر، نزهة النظر، ١٦١.

(٢) بنو جبر : من بطون خولان صنعاء، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٥/١؛ اليمن الكبرى، ١٦٦؛ المقحفي، معجم، ٢٢٣.

(٣) الحداء : ناحية وقبيلة في الجنوب الشرقي من ذمار بمسافة ٣١كم، تقع منطقة الحدا بين سهل جهران غرباً وخولان العالية شمالاً وَعْنس جنوباً، وبنو ظَبْيان من خولان شرقاً، انظر، معجم الحجري، اليمن الكبرى، ١٦٦؛ نشر العرف ١٤٨/١.

نصْبِ العمالِ، وتجـهيزِ الأجنادِ إلى أقاصي البلادِ، واللهُ سبـحانه يفتحُ على يديهِ، ويؤيدُ مـولانا بجندٍ من لديه، وأمـدَّه بجانبٍ من المـال نافع، ومنَ الله سـبـحـانَه المـددُ الواسع الذي لم يُجَّـهـزْ مـثلُ ذلك قـبلَه من المقادمة مثله. فلما بلغَ يوسف باشا حـركةُ سيدي العلامة الصفي إلى الجهة العدنية ونفوذُ سيدي العباس بن عبدالله بن المؤيد سارع[1]، قهقرَ وراءَ ظهره، وبطُلَ ماكـان فيه طامع، وأنه لمّا وصلَ سيـدي عباسُ بمنْ معه أمنَ أهلُ سَـارع، وكان قدْ تنَّحوْا من مطارحِ العجم، فهـجمت العجمُ على مطرحِ سيدي عباسٍ وثبتَ في أعـيانَ جُنْده حتى وصلت الغارةُ إلى سـيدي عـبّاسٍ من أهلِ سـارع، ومن بعضِ أهلِ الشّاحـذيه[2]، فهُـزمت العجمُ إلى بئـرِ علي، وبيتِ الحكمى، وسقطَ فـي العربِ قتـيلان من أهلِ البلادِ ومـصابان، وثبتَ المقـدّمي سيدي عبـاس ومن معه في القـفافِ والغريفا في يومِ الأحـدِ ثامنِ شهرِ القعـدة الحرام سنة ٢٤. ونفذت من مولانا ثمانيةُ حمالةٍ بمونةٍ على ظهورِ الرجالِ يومَ وصولِ الهولِ، يومنا الجمعة ٤ شهر الحجة الحرام **(١٥أ)** وتعقَّبَ ذلك أنْ أخْبرتِ الكتبُ اليقينَ، كتابَ سـيدي عباس، عـافاه الله، وكتابَ الحاج مـصلح بن ناصر داحي العبدي، «وعندَ جهينة الخبرُ اليقينُ»، أفادت أنَّ العجمَ أحرقوا ماكانوا فيه من المحاط، فعرف المقدَّميُّ، عـافاه اللهُ، أحدَ الأمرين؛ إما ارتفاعُ العجمِ

---

(١) سارع : شمال غرب كوكبان بمسافة ٨كم، انظر، هذه هي اليمن، ٦٤/٥، صفة جزيرة العرب، ١٢٤، ١٨٥.

(٢) الشاحذية : عزلة من ناحية الرُجُم وأعمال الطويلة بالغرب الجنوبي من كوكبان، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٢٤؛ الإكليل، ٤٥٣/٢؛ المقحفي، معجم، ٣٣٩.

لانتقال أو لقسط، فعارضهم الحاجُ المجاهدُ الثبْتُ المجرّبُ في معارك الحربِ والضربِ في الشام واليمنِ والشرقِ والغربِ بمن معه من إخوانه من بني عبد[1] وعيالَ يحيى بأنْ طلعوا جبلَ الهجر، فقصدهُم العجمُ بالهجومِ من الليلِ، وأحاطوا بهم إحاطةَ العصابةِ بالراسِ، حتى كادتْ أن تكونَ سبباً لليأس، فأغارَ شديدُ الباسِ، عينُ أعيانِ رجالِ الحربِ والراسِ، السيدُ المسندُ العباسُ بنفسه الشريفة كما هي عادتُه الشئواءُ، وهو بالغدواتِ والروحاتِ أحرى وأولى، حتى اتّصلَ بمنْ معه من أصحابه بالحاجِ المجاهدِ وأصحابه، وامتدت الحربُ وتطاولتْ حبالُها، وارتجّتْ جبالُها من الليلِ إلى الليلِ، والعجمُ تتواثبُ عليهم تواثبَ السيلِ، فلما جنَّ عليهم الليلُ تحرّفوا للقتالِ، فاتفقَ من البلوى بأن سقط سيدي العباسُ في مهواةٍ من مهاوي، تلك الجبال، فَتَجرَّحَ وتكسّر البندقة، ووقع في بني عبدٍ أربعةُ مصاويبَ ومقتولان من أهلِ البلاد، وسيدي عباسٌ ما لزادٍ أمكنَ مشيا ولا ركوباً من تلك الجراح.

ومما حكوا منه تفرقُ أهلِ سَارع، فلم يجدوا طعاماً ولا شراباً مساءَ وصباحاً واستمدوا من الإمامِ، حفظه الله، المددَ بالمؤنة والرجالِ والزادِ والمالِ، وذلك لمّا استولت العجمُ على بني الوليد[2] أصحابِ

---

(١) بنو عَبْد : من قبائلَ بكيل بجوار عيال يزيد وأعمال عَمْرَان، انظر، نشر العرف ٣١٩/١؛ المقحفي، معجم، ٤٢٤؛ البدر الطالع، ١٣٣/١.

(٢) بنو الوليد : عزلة من بلاد سارع وأعمال المحويت، انظر، المقحفي، معجم، ٧٠٢، الحجري، مجموع ٧٧٢/٢.

الشيح القـرم، أخربوا وأحرقوا واختـفوا، فعندَ ذلكَ وجَّهَ الامـامُ، حفظه اللهُ، جماعـةً من بني العذري[1] يعزمـون أرْحَبَ ينتخـبون لهم عـصابةً نافعةً ورجـالاً قاطعة، وإلى الجهاد مسـارعة، وكساهم، وأعطاهم السلاحَ، وهم أهلٌ للنّزال والكفاح، وأهبَّ أيضاً جماعةً من محبي أهلِ الحيمةِ بالزيادةِ النافعةِ **(٥ب)** فلما كـانَ يومُ الاثنين، سابع شـهرِ الحجـة الحرام سنة ٢٤، وصلت كتبُ سـيدي العباسِ بنِ المـؤيدِ بأنَّ أهلَ سَارع سلطنوا[2]، ولم : يَجد معيناً ولا مقرّاً ولا كفايةً للأجناد، وأخذَ على ذلك رقماً على مشايخِ سَارع، ومن جملتِهم الشيخُ حسينُ بنُ يحيى القرم المذكور أولاً.

وفي يومِ عـرفَةَ، وصلَ بعضُ العـسكرِ، أخبـروا بارتفاعِ سـيدي عباس بعدَ ذلك وهذه عادةُ الحربِ : سـجالٌ جريرتُه التجاربُ، وضُرِبَتْ بها الأمثالُ، كما قال الشاعر :

فيومٌ علينا ويومُ لنـــا ويومُ نُساءُ ويومٌ نُسَـــرْ

وأما سيدي الهمامُ الفخري، عبدُالله بن يحيى، أبو منصر، فلما بلغَه رجوعُ يوسفَ باشا عُمْرَان[3]، رجعَ مركزَهُ ببلدِ السُّودة محروس الناصرة[4].

---

(١) بنو العَذري : من مشايخ أرْحَب، انظر، الحجري، مجموع، ٢٧٥/١.

(٢) سلطنوا: أي أطاعوا السلطان العثماني.

(٣) عَمْرَان : مدينة شمال صنعاء بمسافة ٤٨كم بأعلى البَوْن، مركز القضاء، يمتدُّ أمامها سهل البَوْن الخصيب، انظر، الأكليل، ١٨٥/٢؛ صفة جزيرة، ١٦٧؛ المفيد، ٢٦٣؛ مراصد الاطلاع، ٩٦٠/٢؛ صفحات مجهولة، ٢٩؛ معالم الآثار، ٢٦٣.

(٤) الناصرة : حصن في بلاد السُّوْد، وشمال غرب عَمْرَان بمسافة ٤٤كم، انظر، نشر العرف، ١٧٤/٢، اليمن الكبرى، ٨١.

وفي ثامنِ هـــذا الشـــهر، يومَ عـزمَ سيـدي الفخـريُّ عبـدالله بن قاسم بن عـبدالله بن يحيى حمـيد الدين[1] بالمدفعِ البِسْبَاس، لما كـثُرَ الإلحاحُ من أخـيه السـايس الفراص، والمـخدر الماس سـيدي العـلاَّمةُ الخريتُ الذي في سياسـته لا يقاسُ، أحمدُ بن قاسم بن عبدالله بن يحيى حميد الدين[2]، ابنُ ابنِ عمِّ الإمامِ المنصور بالله رب العالمين، وهو في ساقين[3] من بلاد خَـوْلان ابن عامر[4] مراكـزَ للسيد حسنِ بن يحيى القاسمي[5]، المشاقِ لمولانا في بلادِ الشـامِ، ناشرَ أعوانَ القاسمي من

---

(١) عبدالله بن قاسم بن عبدالله حميد الدين، كان عالماً ورعاً، شقيق سيف الإسلام، أحمد بن قاسم، لم تظهر شخصيته بسبب قوة شخصية أخيه سيف الإسلام أحمد. انظر، حياة الأمير، ٥٦٦.

(٢) أحمد بن قاسم بن عبدالله بن يحيى حميد الدين ت ٢٢ ربيع الأول ١٣٥٣هـ، كان مجتهداً له نبوغ في القيادة العسكرية وفنون الحرب، تولى أعمالاً كثيرة بَردَاع وأنس، ولد بقرية القابل في صفر ١٢٧٧هـ، انظر، نزهة النظر، ١٢٠؛ تحفة الإخوان، ٥٢؛ شرح أجود المسلسلات ٣٤؛ حياة الأمير ٥٣٢.

(٣) ساقَيْن: بلدة في الجهة الغربية من صَعْدَة على مسافة ٤٥كم من قضاء خولان بن عمرو بها مركز خَوْلان، انظر، هجر العلم، ٩٣٤؛ صفة جزيرة، ١٢٩؛ معالم الآثار، ٧١؛ المقحفي، معجم، ٢٩٨؛ الحجري، مجموع، ٢/ ٤١٠.

(٤) خَوْلان بن عامر، (بن عمرو) : (خولان صَعْدَة)، مساكنها تشمل منطقة واسعة من صعدة من بطونها، رازح وحَيْدَان وجُماعة، سِحَار، بنوحي، بنو بَحْر وغيرها، انظر، المقحفي، معجم، ٢٢٤.

(٥) حسن بن يحيى القاسمي الضحياني (ت في ٥ جمادي الأولى ١٣٤٣هـ)، عارض الإمام يحيى ولد بضحيان سنة ١٢٨٠هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٤١؛ هجر العلم، ١٣١؛ صالحية، دراسة كتيبة الحكمة، ٩٩- ١٣٢.

الجـهوز[1] والأحلاف، وفـرّقَ جمعَ أهلِ الخـلافِ بانتصـابِ الكُربِ من قبائلِ الجهوز، وهم المحيطون بساقين ثم الخوالد، ومتابعةُ كبيرِ الجهوزِ، محـمد بن علي بن بشر لمـولانا بعد أن كان أكبـرَ أعوان القاسـمي، لما ظهرت عليه عربشـات أحوال السيد المذكور، وتظهرُه بمـعاضدةِ العجمِ أهلِ الفجور، ثم متـابعةُ بني سعد[2] ثم الشيخ علي بن صـلاح الشويع، عاقلُ حلفِ اليمن، كبيرُ زَبيد[3]، القبيلةِ المحيطة بَحيْدان[4].

ووصلَ سيدي اسحـاقُ بنُ محمد بن الإمام، وابنُ أخيـه محمدُ بنُ قاسم بن مـحمد بن الإمـام، دولةَ سَاقين، ومنْ وصلَ صـحبتُهـما من الكُرَبِ الشيخُ حـسينُ شميلـة والحاج سعد هادي مـعتبر، وكـان الحاج سعـد هادي لم يضطرَّ لوصـولِ الشيخِ مـحمـد أحمـد العلائي، فـعزمَ قبلهما، ضيقاً من تأخرِ المدفعِ، وضيق عيد الأضحى، لأن مولانا، حفظهُ الله، شديدُ الحزمِ. (٦أ) على المدافعِ لما يحدثُ عـليها من توائبِ العدوِّ،

---

(١) قبائل الجهوز : من قبائل خولان بن عمرو، في صَعْدَة، انظر، الحجري، مجموع، ٢٠٢/١.

(٢) بنو سعد : ناحية تابعة إلى المحويت في حداد حراز، انظر، المقحفي، معجم، ٥٢٩، ٣١٥.

(٣) زَبِيد : وادي زَبيد، مشهور يصب في تُهامه ثم في البحر الأحمر، خصب، وأطلق اسم الوادي على المدينة التي كانت تُسمى الحُصيب ويقال أن محمد بن زياد هو الذي اختطها، انظر، الأكليل، ٣٠١/١، الفضل المزيد، المقدمة، البلدان اليمانية، ٨٩، الحجري، مجموع، ٢٦٢/١.

(٤) حَيْدان : مدينة مشهورة بالغرب الجنوبي من صَعْدَة بمسافة، ٧كم، في الجهة الشرقية من جبل المفتاح، جنوب مركز ساقين، انظر، الأكليل، ٤٦٥/١؛ نفح العود، ١٤٤؛ اليمن الكبرى، ١٦٧؛ المقحفي، معجم، ٢٠١.

وكانَ منْ جملةِ مَنْ وصلَ المقامَ الشريفَ الشيخُ أحمدُ بنُ صلاح الشويع أخو الشيخ علي بن صلاح فأكرمَهُ مولانا، حفظهُ اللهُ، وكساه وأجازه.

ثم إنه لما وصلَ الشيخُ محمدُ بنُ أحمد العلائي وأصحابُه سيرةَ للمدفعِ المذكور، وعزمُهم الامامَ، حفظه الله، زادَ أردفَهم حزماً منه، حفظه الله، أردفهم بمولانا سيف الإسلام، سيدي العَلاَّمة الصمصامة، عز الآل محمد بن الإمام الهادي[1] حفظه الله محافظاً إلى بني عُوَير[2].

وفي هذه العشر وصلت القصيدةُ:

بسم الله الرحمن الرحيم، المرسومةُ من صنعاءَ سؤالاً، فأجابَ عنها مولانَا حالاً كما حرره[3]: – الطويل –

---

(١) محمد بن الإمام الهادي شرف الدين عشيش، الملقب، أبو نيْب، سيف الإسلام، ت بالمدان ٩ شوال ١٣٦٢هـ، عالم جليل، قاد قوات والده لمحاربة الدولة العثمانية في خولان العالية ثم أرحب وحاشد، تولى ناظرة الشام (نائب الإمام في بلاد صَعْدَة)، ثم أخمدَ حركة المعارض الحسن بن يحيى الضحياني، وكانت له قيادته في عهد الإمام يحيى، حارب الادراسة، لزم المدّان أواخر أيامه، ولد في السُّوده سنة ١٢٨٤هـ، انظر، تحفة الإخوان، ١١٨؛ نيل الحُسنيين، ١٩٩؛ نزهة النظر، ٥٣٢؛ هجر العلم ١٩٨٥.

(٢) بنو عُوَير: من قبائل سِحَار في الجنوب الغربي من صَعْدَة، نُسب إليهم جبل بني عُوَير المطل جنوباً على العَمَشية وشمالاً على سهل المهاذر، انظر، اليمن الكبرى، ١١٤؛ المقحفي، معجم، ٤٧٤؛ الحجري، مجموع، ٦١٨/٢.

(٣) انظر القصيدة في أئمة اليمن، ٨١ (سيرة الإمام المتوكل على الله يحيى).

إلى معـــــقلٍ فيه المكـارمُ تُنشَرُ ... وحيثُ رياضُ العلمِ تنـدى وتزهرُ

وحيثُ ربوعُ الدينِ والعـلمِ والتقى ... لها أرَجٌ من نشرِ دارين أعطـــرُ

أبثُّ سؤالاً قدّ عرا الذهنَ صـعبُـه ... وأصبحَ في مجرى النفيسةِ تحضرُ

ويا طالما حـــاوَلْتُ تقديمَ فكرتي ... إليه وشـأنُ الفكرِ فيه التأخـــرُ

فما رايُ مولانا الإمامِ بجمعـــــة ... تُقامُ بهذا العصرِ فينا وتُشْهـــرُ

بجامعِ صنعاءَ الذي شُيِّدَ أسُّـــهُ ... بأمرِ نبيِّ اللهِ وهو المطهَّـــــرُ

وأومى إليه المصطفى بعلائـــم ... لفروة لما سالَهُ أين يعمـــــرُ

فهلْ تجْزَيَنَّ المرءَ فيهِ صلاتُـــهُ ... إذا ما أتى أمْ يأثمَنْ حينَ يحضـــرُ

وهل جائزٌ للضرِّ فيها حضـــورُه ... وإن جازَ هذا الفصلُ كيف يُقـدَّرُ

هل الفعلُ منه مسقطٌ فرضَ وقتها ... أمْ الظهرْ في هذي الجماعة أظهـرُ

إليكم عصا الأشكالِ ألقت رحالَهـا ... وجاءت بما عندي له الحلُّ يعسـرُ

فجودوا بإسراعِ الجوابِ تكرُّمـــاً ... وفيه الذي أعيا الأنامَ تفـــــردُ[1]

ودمتمْ على دستِ الإمامةِ مـرجعاً ... وحظُّكم بالسَّعْدِ يزهو ويُبْهـــرُ

ومنَّا ســـلامُ اللهِ يُهدى إليكـــمُ ... مدي الدهرِ أو مالاحَ بدْرٌ مكـــررٌ

وسلم ربُّ العرشِ بعدَ صلاتـــه ... على المصطـفى والآلِ ما فاح عنبرُ

وناظمها محمد بن محمد بن زباره[2].

---

(١) في أئمة اليمن (سيرة المتوكل على الله يحيى) وردت «مفسر».

(٢) محمد بن محمد بن يحيى زبارة: عالم معروف، ومؤرخ مشهور، ت بصنعاء ١٣٨٠هـ، تولى للإمام يحيى أعمالاً كثيرة، وتولى إمارة قصر صنعاء، وعهد إليه بسفارات كثيرة، منها إلى الشريف الحسين ابن علي بن عون، وإلى الملك عبدالعزيز بن سعود، من مؤلفاته: أئمة اليمن، =

(٦ب) فأجابه مولانا أميرُ المؤمنين المتوكلُ، عليه السلام من حينه بقوله حفظه اللهُ[1]:

لقد هزنا شوقاً نظامُ محبَّـــــرُ ... أتى وعليه الفضلُ يزهو ويزهــرُ

يُحبِّرهُ مـــنْ فاقَ ذهناً وســؤددا ... ونرجوه أنْ يسموَ وبالعلمِ يُشْهـرُ

يُسَايلُ عن أمرٍ يعمُّ امتحانُـــــه ... لكلِّ تقيٍ تحتَ ذي البغى محصَـرُ

وذاكَ حضورَ الجمعة الظالمَ أهلُها ... وهلْ جايزٌ في شرعِ أحمدَ تُحضرُ

ومذهبنا فيها هو المـذهبُ الــذي ... يشيِّدهُ منّا التقيُّ المطهُّـــــرُ

فيحيى الذي أحيا الهُدى بصـفايحٍ ... وجردٍ وضـــربٍ للرُّؤوس يكسِّرُ

يرى المنعَ منها مطلقاً لمقالـــــةٍ ... ومعه جماعاتٌ من الآلِ تُزْهِـــرُ

وإنّ كثيراً من بني الطـــهرِ أحمـدٍ ... أجازوا وكلٌ للدّليلِ يحـــــرَّرُ

وقال جماعاتٌ وأحْسِنْ بقولهـــم ... يجوزُ ولكنْ حيثُ ماثمَ منكـــرُ

دعاءٌ لسلطانٍ ظلومٍ وإنَّ فيـــــه ... جرحاً لمَنْ يدعو له وهو أظهـــرُ

فإنْ كانَ لا تصـــريحَ باسمٍ لظالمٍ ... فلا بأسَ فيها والسعيدُ المبكّـــرُ

وما هي في التحقيقِ إلا كغيرهـــا ... من الصلواتِ الخمسِ والحقُ أنـورُ

ولكنّها لما بها نيطَ منكـــــــر ... مُنعْنا وقلنا تركُها هو أيْســـــرُ

وقد لاحَ من ذا أنْ ليس مجزئـــاً ... لمَنْ خافَ ظلماً فعلها فتدبَـــرُوا

= ٤ أجزاء، اتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين، شرح ذيل أجود المسلسلات، نزهة النظر وغيرها كثير، انظر، هجر العلم، ٥٨٥-٦٠٢، وأول من عُرف بزيارة الشريف حسين بن علي زيارة، الذي أسس هجرة في خولان الطيال (العالية)، وعرفت بدار الشريف.

(١) انظر القصيدة في أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى لزيارة)، ٨١.

ولابدَّ من ظهرٍ يُقام عقيبُهـــــــا على خفيةٍ واللهُ يحمي ويستـــــرُ
ودُمْ في سرورٍ لايُضامُ مُصَليـــاً على أحمدٍ والآلِ ما لاحَ جوهـــــرُ

٦ شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٤

وفي يومنا هذا ، يومِ عرفة، وصلتْ بقيةُ رهاين خَوْلانَ وبني جبر سعد مـختارين من أبناء العُـقَّالِ، من لدى القاضي الشرفي حسين بن أحمد العرشي، عافاه الله.

(٧أ) وفي هذا < اليومِ> يومِ عـرفـةَ، وصلَ محسن بن أحـمـد الغانمي بمكاتيبَ من الجـوفين[١] من الأشراف وذو حسين[٢] بالجوابِ وعداً بوصولِ رهائنهم عقيبَ هذا العيد، ورهينتُه على منْ في بيانه نحو الستين. ولم يقبلْ ذلك مولانا إلا لعصابةٍ نافعةٍ وطائفةٍ قاطعةٍ.

وفي سابعَ عشـرَ الشهر، عزمَ سـيدي العَلاَّمةُ محـمدُ بنُ يوسف الكبسي، بقوم نافعة من أرْحَبَ ونهم تابعـاً لسيدي العلامةِ صفي الدين أحمدَ بنِ قاسم عامر الجهة العدنية[٣]، ثم في يومِ ثامن وعشرين الشهر المذكور، عزم سيدي الهمامُ المقامُ عليٌّ بنُ الإمامِ أحمدَ بنِ علي السراجي[١]

---

(١) الجوفين: المقصود الجوف الأعلى والجوف الأسفل.

(٢) ذو حسين: من قبائل بكيل في بَرَط والجوف، وقبائل ذو حسين بن غَيْلان في الأصل يحياوي وذوملي، وآل يحيى منهم حميداني وأحمدي، انظر، الحجري، مجموع، ١١٢/١؛ المقحفي، معجم، ٦٩- ٧٤.

(٣) الجهة العدنية: أي الجهة الجنوبية.

(١) علي بن علي السراجي، ت ١٣٣٩هـ، أحد قادة الإمام البارزين، بعد صلح دَعْان عيَّنه الأتراك =

من مقامِ مولانا من القَفْلَة وأحسنَ مولانا ،حفظه الله، تجهيزَهُ بالمونات والمالِ ما يحتاجُ إليهم القومُ من المصاريف ونحوها وأصحَبه قوماً من عيال سُرَيح[1] والجبل، وكذلك من أرْحَبَ بيتِ العذري[2] ومن قبائلهم حَسَّان[3].

وفي سلخِ هذا الشهر وصل عُقَّالُ خَارِف[4] برهائنهم؛ صايدي وكلبي وجُبري، ثم وصلَ سُفيان[5] برهائنهم، ومولانا ،حفظه الله، ثانياً عنانَ عزمه، تأليبُ الأجنادِ أكبرُ همه، أنتهت حوادث سنة ٢٤.

= على بلاد البستان، ثم عينه الإمام يحيى على نفس المنطقة، انظر، حياة الأمير، ٥٧٥؛ سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ١٩٥.

(١) عيال سريح: من قبائل هَمْدَان، شمالي صنعاء بمسافة ٢٨كم، من توابعها، عُزلة الخُمَيْس وعزلة بني حَجَّاج وعُزلة الداية وعزلة بني عبد، انظر، صفة جزيرة، ١٣٧؛ معالم الآثار، ٢٦٣؛ تاريخ اليمن الثقافي، ٦٣/١؛ المقحفي، معجم، ٣١٤.

(٢) بنو العِذَري: من مشايخ أرحب، انظر، الحجري، ٢٥٩/١.

(٣) حَسَّان: بلد من أرحب، من زهيري وذبياني، انظر، المقحفي، معجم، ١٧١؛ الحجري، مجموع، ٦٤/١.

(٤) خَارِف: بطن من حاشد، موطنهم شرقي قاع البَوْن وشماله، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام الصيد والكلبيون وبنو جبر، والصيد وهي خميس هَرَّاش وخُميس حرمل، وخُميس أبو ذيبة وخُميس القُديمي وخُميس القايفي، وبلاد الصيد، متصلة بالبون، من قراها كانط ناعط، والكلبيون وهم ثلث ضُحْيان وثلث الواسط وثلث بيت زود، وبلاد الصيد والكلبيون من أعمال ريدة ثم بنو جُبر من أعمال ذي بين، وهم خميس الغُزي، وخُميس النُّفَيش، وخميس الغُوله، وخميس الشِطبة، وخميس ذي بين، انظر، الإكليل، ٨٥/٢؛ اليمن الكبرى، ١٦٧؛ معالم الآثار، ٦٤؛ المقحفي، معجم، ٢٠٧-٢٠٨.

(٥) سُفيان: قبيلة من بكيل، لهم ناحية تعرف بحرف سُفيان، شمالي صنعاء بمسافة ١٤٦كم، =

وهاكَ حوادثَ عامنا هذا، منها تاريخ ١٣٢٥

أولُها السيدُ الأديبُ العارفُ الأريبُ، حاوي الأدبِ، شريفُ الحسبِ والنسبِ سيدي العباسُ بنُ علي بن إسحاق[١] بهذه الأبيات: -البسيط-

إنَّ الأعاجمَ قدْ رامتْ بقـــوَّتها ... فغالبت مـــن هدانا أوضحَ النهـــجِ

تروم طمْساً لهذا الدينِ قدْ صبغَتْ ... دهابَه مع اسحـــــارٍ بها تلـجِ

واللهُ يأبى ومـــولانا وشيـــعتُه ... وسادةٌ قد ترقَّوا أرفعَ الـــــدرجِ

فأبشرْ بنصر إله العـــرشِ خالقنا ... فهو المُرَجَّا فـــلا تيأسْ من الفرجِ

فقد سررتُ بما أرَّخْـــتُ في سنتي ... بالنصرِ سُرَّ مـــولانا وبالفـــرجِ

ويليه تاريخُ السيد النبيل الذي هو من أصلٍ شريف، ونسب منيف سيدي محمد بن أحمد الشامي[٢]، وله في الفصاحةِ مقـامٌ رفيع، متفننٌ في أفنانِ البيانِ والبديع.

= ترتبط بقضاء خَمْرٍ، انظر، نشر العرف، ٥١٩/١؛ الإكليل، ٨٣/٨؛ تاريخ اليمن الثقافي، ٦٥/١؛ المقحفي، معجم، ٣١٧.

(١) عباس بن علي بن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق ت ١٣٦٥هـ، عالم، شاعر، أديب، خطيب، تولى للإمام أحمد أعمالاً كثيرة، فعمل مساعداً للعلاّمة أحمد بن يحيى عامر في بلاد خَوْلان الطيال، وامتد نفوذه إلى سنَحان وبلاد الروُس وبني بُهلول والحدا وذَمار، كان قائداً للإمام يحيى سنة ١٣٢٩هـ، ثم تولى الكتابة للإمام يحيى، وعمل مع الإمام أحمد. انظر، نزهة النظر، ٣٢٧؛ الأكوع، هجر العلم، ٣٥٧-٣٥٨؛ حياة الأمير، ٥٥٥.

(٢) محمد بن أحمد بن الشامي، ولد سنة ١٢٨٨هـ في محلة المسقاة من بلاد خبان، أديبٌ شاعر، ولاه الإمام يحيى القضاء في بلاد السُّوْد من ناحية جبال عيال يزيد وأعمال عَمْران سنة ١٣٢٤هـ، له شعر يصف ما حَلَّ بالعساكر العثمانية على يد عسكر الإمام يحيى، ت بالمسقاة سنة ١٣٣٨هـ. انظر، نزهة النظر، ٥٠١.

(٧ب) بشرا لنا إذ لاح في تاريخه ... برقٌ به النصرُ المبيـــــنُ يبشرُ

ومطلع القصيدة المذكورة:

شيء من التشبـيب حقـــاً يعذرُ ... لكنْ شكَـــكْتُ بأن يُقالَ مقصّرُ

ورأيتُ كلَّ فصيحِ شـــــعرٍ نظمُه ... بصفـــــاتِ أيامِ الشبابِ يُصَدَّرُ

وعلى حـــــقٌ للشـــباب وإنه ... لأحـــــقُ بالنظمِ البـديعِ وأجدرُ

رمى به روضَ الأمـــــاني اخضرٌ ... نضرٌ ودوحُ الوصـــلِ فيه مثمرُ

مـــــرتْ لياليه علـــــى لاليا ... تزهـــو على جيدِ الزمانِ وتزهرُ

فلكمْ نظـــمتُ الشعرَ فيه مشبباً ... فكـأنه درٌّ هنـــــاك وجوهرُ

حتى إذا مضـــــت الثلاثون التي ... طابتْ وسيـــعٌ في السنينِ وأشهرُ

أزمعتُ أني لا أقـــــولُ قصيدةً ... الا يُحظى بها الامـــــام الأكبرُ

القائمُ المتـــوكلُ الليـــثُ الذي ... يخشاه كسرى في الملوكِ وقيصرُ

من قـــــامَ منتصراً لملةِ أحمدٍ ... إذْ شاعَ جوراً في البلادِ ومنكـــرُ

تكاثف ظـــلم الـــضلال فأظلمت ... والسح خمْـــر في الطغاة وميسرُ

فأفنت بذلك معشـــر لسيف الشفا ... فعصـــابة الشيطان ذاك العُشَّرُ

وسطا عليهم سطـــــوةٌ علويةٌ ... جهـــراً كما قصدَ النعاجَ غضنْفرُ

كم وقعةٍ مثـــــلِ الغمامِ كأنه ... سُحُـــبٌ عليهـــم بالمنايا تمطرُ

ما أقشعت إلا رأيـــتَ جسومَهمْ ... صرعى وحـــرٌّ وجههم متعفِّرُ

وغدتْ تلوكُ عظـــامَهُمْ ولحومَهُمْ ... رُخَمٌ وطـــاويةُ الوحوشِ وأنسُرُ

فغـــدتْ بأرضِ الشامِ كلُّ مليحةٍ ... ثكلا وفيـــــضُ دموعِها يتحدَّرُ

وكـــــــذاك كلُّ مليحةٍ من يافثٍ تبكـــــي بعيـــــني عبرةٍ لا تفترُ
تبكي رجـــالاً بالصوارمِ والقنى هلكوا جميعاً آمرٌ ومـــــــؤمَّرُ
ولقد غـــــدا السلطانُ في فتكاته تطويه طارقةُ الهمـــــومِ وتنشرُ
متـرقـــــباً غارةَ جنـــدٍ إمامنا بالغـــزوِ في اقطـــــــباه تتكرَّرُ
وتصولُ في الأتراكِ صـــولةَ واثقٍ بالنصـــــــرِ تقتلُهم هناك وتأسرُ
ففضـــــائلُ المولى الإمـام كأنها نارٌ على عَلَمٍ وما هـــــــي أشهرُ
يا عاذلاً لقصـــورِ اقلامي عن الإ طنابِ عُـــــــــذراً للذي لا يقدرُ
إنْ كنتَ لا تُحصي صفـــاتِ كماله عجزاً فلا أحـــــــداً يقول مقصرُ
مع أنها كثُرتْ فلـــن تحـــصى لنا عداً فحصـــر صفـــــاته متعذر
فاذا تعـذر مطلـــــــبٌ عن نيله سيَّان فـــيه مُقـــــــلُّهُ ومكثِّرُ
خـــــذها أمير المؤمنين خريدةً فَلَكـــــــم بِنَظْم عقودها تستغفرُ
تُنســـيك عن عامٍ تنالُ به المنى بالنصـــــــرِ آتٍ بالفتوحِ مبشِّرُ
بشـــــراً لنا إذْ لاح في تاريخه برقٌ به النصـــرُ المبـــينُ يُبشِّرُ

(٨أ) وتاريخٌ ثالثٌ جمعه كاتب هذه، ونظمه مولانا حفظه الله، بقوله:

لنا البشـــــرى بهـــذا العام إذ قد أتا تاريخه فـــي هتك فيضي

٤٥٢ ٩٠٠

وتاريخٌ رابعٌ للسيد النحريرِ الخريتِ الماهرِ، ملحقٌ بالأوائلِ الأواخرِ وحي عبدالله بن إبراهيم[1] ابن الإمام، وهو قوله،

يا قـومَنا هذا إمامُ الهـــــدى خليـــــفةُ المختـــارِ يدعوكُمُ

---

(١) عبدالله بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن اسحاق من نسل الإمام القاسم بن محمد =

فجاهدوا فـــي الله واستبشـروا بلقـــــــــائه واللهُ يجـزيكُمُ
يصيحُ فيكـــــم جاهدوا تغنموا وتسلـــــــموا واللهُ يشكـرْكُمُ
ثم ابشـــروُا واذكُـــــروا ربَّكُمْ ذكْراً به يرضـــــــى ويذكُـركُمُ

وصدَّرَهُ السيدُ العـلامةُ الفصيحُ المصقعُ والأديبُ المـبدعُ سيدي محمدُ بنُ أحمد الشامي وأكـملَهُ وعملَه مولانا ، حفظه اللهُ، ببيتين، وذلك قوله، -الرمل-

إنما الدينُ بحـــدِّ السيفِ يمضي وجهـــادُ الترك فرضٌ أيُّ فرضي
أيُّها الأنصارُ للـــــــــدين لكم من إلـه العرش ما يشفي ويُرضي
أصلحـــوا النـــيّات لله فَمَـــنْ يصلـــحِ النيةَ للأغراضِ يقضـي
وتواصَـوْا بينكـــم بالصـــبرِ وليبذلِ النصـــــحَ بعضٌ لبعضِ
ولنا البشـــــرى بهذا العامِ إذْ قد أتا تاريخُه في هتـــكِ فيضي
حاسِـــــبُ التاريخِ هـــذا بارعٌ طالَ ما حـــــالٌ بمبرمٍ ونقضِ
ذاكم الشرقي سعـــــد بن محمد عن مغيض الأتراك لا يرضى الترضي

وفي يوم السبت، الثالـث من شهر محرم مـفتاح سنة ٢٥، وصلَ رسولُ سـيدي العـلامةُ صفيُّ الدين أحـمدُ بنُ يحـيى بن قاسم عـامر، وكـتابُ سـيدي العـلامـة محـمد بن يوسـف الـكبسي، وكـتبُ عُقَّـالِ المجاهدين من أرحبَ ونهـم أنها كانتْ توجّهت الأجنادُ الجهـةَ العدنيةَ،

= ت ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، ولد بصنعاء سنة ١٢٧٨هـ، كان شاعراً مترسلاً، بليغاً، أجاد اللغة العثمانية، تولى القضاء في كوكبان من قبل الدولة العثمانية، التحق بالإمام يحيى سنة ١٣٢٣هـ، وقاد حملات عسكرية، أرسله الإمام يحيى ضمن وفد إلى إستانبول في محاولة للصلح مع الأتراك، انظر، نزهة النظر، ٢٦٧.

وكان في حصن مشمل الأعماس[1] من شرقي الحدا، فخلفت العجمَ من ورائهم، ووصلوا أسْنَاف[2] وبِشَار[3] والحصنَ الأبيض[4] وجَحَانة[5] ورتبةَ الجبال، فردت المجاهدون على أعداء الله من كلّ جانب، وكانَ بعضُ المجاهدين في محلة الشيخ قطرانَ بنِ قطران من جبل اللّوز[6] منحصرين. فلما وصل المجاهدون وتلاحمت الحربُ حتى انفرجَ للمحاصرين في جَحَانة مَخْرَجاً، فخرجوا من وسط العدوِّ طعناً، وتصادمَ المجاهدون هم والعجمُ في الجبالِ والأكامِ حتى انحصرَ العجمُ في جَحَانة، ووقعت الغنائمُ للمجاهدين من الأسلحة الواسعة البنادق والماوزر ونحوها، وجزت الرؤس من العجم.

ودخل المجاهدون الحصن الأبيض فاصلاً بين العجم الذين في جَحَانةَ وأسْنَاف

---

(١) الأعماس: عزلتان في الحداء، أعماس الجبل وأعماس الضُلع، انظر، المقحفي، معجم، ٣٩.

(٢) أسْنَاف: حصن وقرية بالغرب من جَحَانة، جنوب شرق صنعاء بمسافة ٢٠كم، من أعمال خَوْلان الطيال، يسكنها بنو دَهْمش، انظر، معالم الآثار، ٤٦؛ المقحفي، معجم، ٣١.

(٣) بِشَار: قرية كبيرة في الحدا، اشتهرت بزراعة التين والعنب، انظر، صفة جزيرة، ١٨٠؛ المقحفي، معجم، ٧٩.

(٤) الحصن الأبيض: قرية الدار البيضاء الحصينة في بلاد الروس، على مسافة مرحلة، جنوب صنعاء، انظر، أئمة اليمن، ٩٥ (سيرة المتوكل على الله يحيى)؛ المقحفي، معجم، ٢٢٩. والحصن بين أسناف وجَحانة.

(٥) جَحَانة: في أعلى وادي مَسْوَر خولان، على مسافة ٤٠ شرقي جنوب صنعاء، انظر، أئمة اليمن، ٩٢ (سيرة الإمام يحيى)؛ المقحفي، معجم، ١١٢.

(٦) جبل اللوز: من جبال خولان الطيال في بني سحام، المقحفي، معجم، ٥٧٢.

فعامكم تاريخه جـــازمٌ إن تنصـــروا الله ينصركم

(٨ب) وذلكَ الحربُ في يومِ الاثنين الثامن والعشرين من شهرِ الحجة الحرام خـتامَ سنة ٢٤. وفي يومِ الأحـــد، الرابعِ من شهـــرنا محرم، جـهزَ مولانا رُدءاً للأجنادِ الذين في بلادِ خَوْلانَ سـيدي السنـدَ الخريتَ اللبـيبَ الأديبَ سيدي عبـاسَ بنَ علي بن اسحاق، وصحبـتَه الشـيخُ عـونُ الدين المجـاهد أحـمـدُ بنُ أحمـد بن مـساعـد الرجـامي الحشـيشي بعـصابة من المقـامِ وأمراً لبني حـشَيْش[1] وبني بُهلول[2] وسَنحان[3] وبلادِ الروس[4] بقطعِ المـادةِ على العجمِ الذين فـي خَوْلان. وقطعِ الجلَبِ إلى أعداءِ الله، جعلَ اللهُ في عزمهم الخيرَ والبركةَ.

وفي يوم الأربعـاء، السـابع من شهـرنا المـحـرمِ، أنفذَ الأوامـرَ

---

(١) بنو حِشيش: قبائل تلحق بخولان الطيال، تابعة لمحافظة صنعاء، تتصل بجبل نُقُم وبَراش من شرقيها ومن شمالها ببلاد نِهْم وبني الحارث ومن غربيها ببني الحارث وصنعاء وتنقسم إلى ثمانية أقسام، ثمن سعوان ومنها بيت اللهيدة، وثمن الرُّوْنه وعيال مالك وصَرف وذي مرمر ورجام، والشَرَفة والأبناء. انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٧٨/١؛ المقحفي، معجم، ١٧٤؛ طبق الحلوى، ٨٨.

(٢) بنو بُهلول: من نواحي صنعاء في الشرق، على نصف مرحلة، يفصل بينها وبين ناحية سنحان ويتصل بها من شرقها خولان العالية، انظر، مذكرات المؤيد بالله محمد، ٥٠.

(٣) سَنحان: قبيلة موطنها في الجنوب الشرقي من صنعاء، انظر، الإكليل، ٢٤٦/٢؛ صفحات مجهولة، ٤١؛ معالم الآثار، ٣٦، ٣٩؛ أئمة اليمن، ٤٠٥/٢.

(٤) بلاد الروس: من نواحي صنعاء، على بعد ٤٠كم جنوباً، مركزها وعلان، تتصل من شمالها ببلاد سنحان وناحية البستان، ومن شرقها ببلاد خَوْلان العالية والحدا ومن جنوبها ناحية جهران وبلاد آنس، انظر، الحجري، مجموع، ١٤٠/١؛ رياض الرياحين، ١١٢.

لسيدي العلامة حمود بن محمد شرف الدين[1]، صاحب كَوْكبان، بأنْ يعزمَ بخارف ردءاً ثانياً لخَوْلان، حيث قد كملت قواعد رجال خَارف، وقد احتملوا بعصابة نافعة وعيَّنَ معه مأموراً لجمع الكفايات، وهو سيدي الصفي، أحمدُ بنُ إسماعيل حميد الدين، وجهزَ معه الخزنةَ، وجعلَ عليها مأموراً بالتفريق علي بن محمد المحجري. وان العجمَ دخلتْ لهم الزيادة، فجهزوا على من في بيتِ الخردل[2]، فأغار عليهم سيدي محمدُ بنُ يوسف بمن معه من الحصن الأبيض فما وصلَ بيتَ الخردل إلاّ وقدْ خرجَ مَنْ فيه من المجاهدين، فانتزحَ إلى عِنَاقة[3] من بني بُهلول، وسيدي العلامةُ أحمدُ بنُ يحيى قاسم إلى بيتِ العرش من وادي بني سِحام[4]. ثم انتقلَ سيدي محمدُ ابنُ يوسف، عافاه اللهُ، إلى بلادِ الرُوسِ للإتصالِ بالشيخِ نصيرِ الدين، واتفقا وفرَّقا القومَ في بلاد

---

(١) حمود بن محمد بن أحمد بن محمد بن الامام (الدولة) ت ١٣٨٥هـ، صاحب كتاب زورق الحلوى في سيرة قائد الجيوش وأمير اللوا منه نسختان مخطوطتان في مكتبة الجامع الكبير رقم ١٠٢ تاريخ و٨٨ مجاميع، انظر، فهرس مخطوطات المكتبة الغربية، كان شاعراً، جزلاً فصيحاً، عين سنة ١٣٣٨ حاكماً لبلاد العُدين، ولد بذمار ١٣٠٥هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٤٩؛ نزهة النظر، ٢٩٤.

(٢) بيت الخزدل: قرية من عزلة أسناف، ناحية خولان الطيال، انظر، المقحفي، معجم، ٢١٣.

(٣) عِنَاقة : قرية من خولان الطيال من عُزلة قروي، كانت تتبع بني بُهلول. انظر : الحجري، مجموع، ٦١٢/٢، المقحفي، معجم، ٤٦٧.

(٤) بني سِحَام : عُزلة ووادي في خَوْلان العالية، متصلة بسَنْحَان، تعتبر قبائلها من أوسع فروع قبيلة خَوْلان العالية أرضاً وبشراً، بها جبل اللوز، انظر، المقحفي، معجم، ٣٠٥.

الرُوس، فوقعت الحربُ في خَبَّه[1] يوم، وقُتلَ فيه اثنان من خَوْلان، وواحدٌ من أرْحَب، ومن نهم ثلاثةٌ؛ أحدُهم النقيبُ أبو لحوم واليوم الثاني وقعَ في خَبَّه، وقُتلَ فيه اثنان من أرحب، أخذتُهما رصاصةُ المدفعِ، ثم وقعَ الانتقالُ إلى الدار البيضاء[2]، وكان قدومُ العجمِ على الدارِ البيضاء يومَ الجمعة الرابع والعشرين من شهرِ محرمِ الحرام، وفيها سيدي العلامةُ محمدُ بنُ يوسف الكبسي والشيخُ نصير الدين على المقداد بالهجوم ابتداءً، وثبت لهم المجاهدون، وكلّما هجَموا إلى بينِ البيوت خرج لهم المجاهدون، ولا زالوا على ذلك إلى نصف نهارِ الأحد والمدافعُ تضربُ والمجاهدُ يحربُ حتى خولطَ الأزقةُ والأكتافُ، ودارت العجمُ من كلِّ جهةٍ فخرج سيدي عبدالولي، واستلحق جماعةً من بني مطر[3]، وأتى العجمَ من ورائهم حتى أخرجَ العجمَ عن ثمانيةِ مقاتيلَ من العربِ، واحدٌ من أرْحَبَ، واثنان من نهم وثلاثةٌ من خَوْلان. وخرجَ

---

(١) خَبَّة : وادٍ ضيق بين وعْلَان وخِدَار من ناحية بلاد الروس في الجنوب من صنعاء، انظر، صفة جزيرة، ٢٩٥، المقحفي، معجم، ٢١١.

(٢) الدار البيضاء : قرية من ناحية بلاد الروس، قرب صنعاء، انظر، الحجري، مجموع ١٣٣/١، المقحفي، معجم، ٢٢٩.

(٣) بنو مطر : ناحية واسعة من محافظة صنعاء بالغرب منها، وتعرف قديماً ببلاد البستان من توابعها عزلة النبي شُعيب، وعزلة بني قيس، وعزلة جُنُب المعروفة بمخلاف عياش، وعزلة شهاب الأعلى وشهاب الأسفل، وعزلة الثلث والعروس، وعزلة حزة صنعاء، وحزة سُهْمَان، والبروية ويُقلاَن، وعزلة بني سواء وبنى الراعي، وعُزلة ديان، انظر، المقحفي، معجم، ١٠٤، تعداد صنعاء، ٩١/١.

المجاهدون منها إلى بُقْلان[1] والذي غنمه المجاهدون بنادقَ وسيوفاً، والقتلى من العجمِ غيرُ منحصرين لملاحمة الحروبِ يومين وليلتين، ومع اتفاق الحربين في يومٍ لم يعه مقادمةُ حَاشد[2] وحشَيْش.

(٩أ) وجهّزَ مولانَا، حفظه الله، سيدي عليٌّ بن علي كما ذكرناه أولاً، فلما أعْزمَ بَمنْ معْه من الظاهر استطرفَ فريقان، فضبط مشايخَها وأرسلهم تحتَ الحفظ إلى الحضّرة، ونفذَ إلى حَسَّان، محل المكول حتى اجتمعَ الملزومون منهم، مصاحبتَه، وَعَزَمَ منها يومَ الجمعة، وكان يوسفُ الخبيث مرسساً عليه، فلما عزم سيدي عليٌّ بن عُلي، حفظه الله، بمن معه تبعَ يوسفَ الخبيثَ إلى محلٍّ قراتيل[3]. وكانت الحربُ بينهم من ظهر إلى جانبٍ من الليل، وقعَ في المجاهدين قتيلٌ من ذَيْفَان[4] ومجروحٌ، وتخلفته الأخبارُ بقتلة عظيمة فيها من البوش[5] كما روى سليمان باشا لواء، وضباطٌ آخرون، وفي العساكرِ كما روى فوقَ الميّة قتلى وجرحى، وتركهم سيدي الجمالي علي بن علي ومن صحبته،

---

(١) بُقْلاَن : مخلاف وقبيل من حضور بن عدي بناحية بني مطر (البستان قديما)، انظر، معالم الآثار، ٣٤، الاكليل، ٢٤٧/٢، المقحفي، معجم، ٨٢.

(٢) حاشد : إحدى كبريات قبائل همدان، تنسب إلى حاشِد بن جُشم، قبيلة ذات أراض واسعة، تشمل جبال الأهنوم وظَلَيْمة وعُذر والعُصَيمات وخارف وغيرها، انظر، الحجري، مجموع، ٢١٣/٢؛ المقحفي، معجم، ١٤٣-١٤٥؛ قرة العيون ٣٢٢؛ صفة جزيرة العرب ٢٤٢-٢٤٦.

(٣) قراتيل، قرية من هَمْدَان من عُزلة الربع، انظر، المقحفي، معجم، ٣٢٦.

(٤) ذَيْفان: بلد في ناحية رَيْدَة من قضاء عَمْرَان، من قراها عقبات، انظر، الحجري، مجموع، ٣٥٣؛ المقحفي، معجم، ٢٥٥، وهي قبلي صنعاء على مسافة مرحلة منها.

(٥) البوش: كلمة تركية معناها رؤساء العسكر.

ومضوا كرهاً على عدوِّ الله، وكبتَ الخبيثَ حيثُ مضَوْا كرهاً عليه، ولم يتمَّ له منعُهم، وأمسَوْا في برجانَ، وكان أدهمُ اللعينُ أغارَ من كَوْكبانَ قبلهم بطابور، فرَّ عاملُ كركون[1] جبل النبي شعيب[2]، فلما سمع الحربَ من ورائه رجع وباتَ في ظُلُمَان[3].

وفي اليومِ الثاني تقدمَ أدهمُ محلَّ الجلب خشيةً منه على الحَيْمَة، وإنه لما وصلَ إلى مولانا، حفظة اللهُ، هذا الخبرُ يومَ الربوع وقت العصر، ففكَّر في الزيادة لسيدي علي بن علي السراجي ومن بمعيته، فعزم من حينه على إلحاق السيد الهمام حسين بن محمد مجد الدين الحوثي[4] بالرجال الباقين من أرْحَب ومرهبة[5]، وهم رجالٌ منتخبون، فما فرغَ، حفظه اللهُ، من مجلسه حتى عزَّمهم في جوفِ الليل بمصاريفهم ومؤناتهم، وسَرَوا متوكلين على الله.

ورتبَ مولانَا، حفظه اللهُ، لحسينِ بنِ علي العبدي أن يعزمَ بعصابته المعدودة على رايةٍ ومؤنة، فكان أسبقَ الزياداتِ لسيدي عليٍّ

---

(١) كركون: كلمة تركية معناها مخفر.

(٢) جبل النبي شعيب: في ناحية البستان (بني مطر)، يُدعى باسم جبل حَضُور، انظر، اليمن الكبرى، ١٧٤؛ صفة جزيرة العرب، ١٥٦؛ الإكليل، ١٧٤/٨؛ الحجري، مجموع، ٢٧٦/١.

(٣) ظُلُمَان: قرية في جبل حضور من عزلة بني الراعي، انظر، الإكليل، ٢٨٤/٢.

(٤) حسين بن محمد (مجد الدين) الحوثي: حسين بن محمد أمير الحوثي، ينسب إلى حُوث، جده الأعلى حسين بن محمد الحوثي، وهو من علماء ضَحْيان ت ١٣٢٩هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٨٢/١؛ أئمة اليمن، ٢١٥ (سيرة المتوكل على الله يحيى).

(٥) مرْهَبة: قبيلة من بكيل ثم من نِهْم ومنهم قسم من حاشد، وتسمى مرْهبة الدَعَّام، يلحق بها قبائل عيال سُريح، انظر، الإكليل، ٢٣٩/٢.

ابن علي السراجي مع خفته وصفة عصابته، وإنّ سيدي عليَّ بنَ علي السراجي لما وصلوا رأى بما كتب إليّ من بلاد شمات[1]، وكان من العجم، مخالصةً فأرادَ هو ومن معه الاستئصال مخالصة العجم، فأغارَ عليهم محمود رؤوف من الطَويلة[2]، فالتقاهم سيدي عليٌّ بنُ علي وأصحابُه فهزموهم حتى ردوا العجمَ إلى الطَويلة.

ومن عجائب الحوادث أن سيدي العَلاّمة الفضلَ الشرفي، حسينَ ابنَ علي بن حسين الحيفي، قبَّاضَ الإمام في عيال سُريح، خرجَ من الفريقين من وادي ضبيان[3] يومَ الجمعة ٩ شهر محرم، فلما وصلَ وسطَ وادي ضبيان فما شعرَ إلا بالخبيث يوسف باشا وقومَه وراءَ الخيالة متوجهين إليه وفوقَه بيانات ومكاتيبُ من الإمام ، حفظه اللهُ، وحوايلُ من الإمام، حفظه اللهُ، فالتفتَ يميناً، وإذا بمزين من مزاينة ضبيان فرفعَ إليه جميعَ الأوراق التي فوقه، فما وصل الخيَّالُ إلى السيد المذكور إلا وقد أنجدَ ذلك المزين، وعزم هو والخيالةُ إلى **(٩ب)** يوسفَ الخبيث، أنساه اللهُ ذكرَ السيد الذي قد تطلبّه مراراً، فقال : أين تروح يا فقيه ؟ فقال : نطلبُ المعيشةَ. فقال الخبيثُ: لازم تروين الطريقَ إلى

---

(١) بلاد شمات: عُزلة معروفة من بلاد الطويلة، انظر، الحجري، مجموع، ٤٥٦/٢.

(٢) الطَويلة: مدينة بالغرب من كوكبان بمسافة ٢٥كم، في سفح جبل القَرَانع، بها مركز قضاء الطَويلة المطلُّ على بلاد الحويت من الغرب، وإلى الجنوب على بلاد حراز، والحَيْمَة، انظر، صفحات مجهولة، ٧٢؛ اليمن الكبرى، ٦٣؛ المقحفي، معجم، ٤٠٦؛ طبق الحلوى، ٢٠١.

(٣) وادي ضبيان: ضبيان، قبيلة كبيرة من قبائل خَوْلان في مشارق صنعاء، انظر، صفحات مجهولة، ٦٠.

قراتيل. قال : أروح أدعي من البدو العارفين بالطريق. فأذن له ففارقه ليدعوَ أولئك البدوَ والذين يعملون.

فقال السيدُ لهم : تعالوا رووا هذا الطريق.

قالوا : كيف وقع يا سيدي بالورقِ والبياناتِ وتعاريفِ الإمامِ ؟

قال : أنا قبضت المزينَ عندي، رويتي للخبيث ما ثمة قلق، ولكن يخارجني الله أنا، قال السيد، عافاه اللهُ، فلما وصلتُ بهم إليه، قلت : يا أفندينا، أنا ضعيف ومالي خبرة، فأذن لي. قال : ففرقت منه، وإذا أنا بصادق أفندي ومعه زباطية كلُّهم يعرفونني، فلما نظرَ إليّ صادق أفندي، فقال : مرحباً سيد حسين، أين تروح ؟ فأجاب عليه السيدُ، قال: عَمْران[1]. فلما ولىّ السيدُ من عند صادق والزباطية والأتان حقّ السيد بعدَه، فلما رأوا الأتان تواثبوا عليه فانتثرت الدراهمُ فتسابقوا على الدراهمِ، واشتغلوا بها حتى غابَ السيدُ عن أعينهم إلى عُرضى شعبة، وفر فراراً بليغاً فهذه من كراماتِ اللهِ وسترهِ حيثُ أنقذَ السيدَ من يدِ عدوِّ اللهِ. أخبرني بهذا سيدي الشرفي منْ فيه.

وفي يومنا هذا بلغ الخبرُ إلى مولانا أنَّ العجمَ قد تكالبتْ على سيدي علي بن علي السراجي، فبعث، حفظه اللهُ، من حينه بإنفاذ بني عبد، كان وصل منهم نفران بالرهينةِ، وهما الحاج مصلح بن ناصر

---

(١) عَمْران: مدينة شمال صنعاء بمسافة ٤٨كم، بأعلى البون، مركز القضاء، يمتد أمامها سهل البون الخصيب، انظر، الإكليل، ٢/١٨٥؛ صفة جزيرة، ١٦٧؛ المفيد، ٢٦٣؛ مراصد الاطلاع، ٢/٩٦٠؛ صفحات مجهولة، ٢٩؛ معالم الآثار، ٦٢.

داحي العبدي، والأقرب إلى الرهينة علي بن علي منصور فعزَّمهما، وعزَّم قبايلهما بني عبد لزيادة سيدي علي بن علي السراجي، رجاءَ أن تكونَ غارتُهم أسرعَ من أرْحَبَ الذين قدَّمْنا ذكرَهُم، ومعهم ناصر بن السيد عبدالله بن المهدي، وحوّلَ لهم بمعاش شهر ومصروف الطريق، وأصحبَهم عشرةَ حمالين مؤنة، ويوسفُ الخبيثُ تبعَ بعدَ سيدي علي ابن علي السراجي من الضلع، وتابعَ عليهم الحربَ بالمدافع وبنو الخياط[1] ركبوا متنَ الضلال، وتسبّبوا بسخط ذي الجلال، وأجمعَ شورَهم مع أعداء الحرب المجاهدين، فتنحى المجاهدون إلى بلاد الشاحذية[2]. ويوسفُ الخبيثُ لما رأى تطاولَ أعمالِ سيدي علي بن علي السراجي وسيرَ أصحابه، وظهرَ له من عزمهم التوثبَ والروغانَ من مكان، (١١٠أ) وبلغه حركاتُ المقادمة وتواردُهم من جهات سيدي المولى، حفظه اللهُ، إلى سائر البلاد، رجعَ عليٌّ ورأيُه إلى بلاد هَمْدَان، وكانَ قرارُه في قرى الغيل[3]، وسيدي علي ابن علي لما ولّتْ زيادةُ

---

(١) بنو الخيَّاط: بلدة في الطويلة، وبنو الخَيَّاط من أهالي جِبْلَة، انظر، الضوء اللامع ١٩٤/٧؛ الحجري، مجموع، ٥٥٩/٢.

(٢) الشاحذية، عُزلة من ناحية الرجم وأعمال الطَويلة بالغرب الجنوبي من كوكبان، انظر، المقحفي، معجم، ٢٢١.

(٣) الغيل: الغيل عدة مواقع في اليمن منها قرية في حاشد تعرف بغيل مغدف، والغيل الأسود مجرى مائي كان يشق صنعاء ليسقي ضواحيها الشمالية، كان ينبع من القاع بين قرية الجرداء غرباً وقرية بيت سَبَطان شرقاً، وغيل البرمكي، مجرى مائي تسقي القاع الشمالي لصنعاء، مأتاه من قرية بيت عقيب وقرية غيمان شرقي صنعاء، نسبته إلى خالد البرمكي الذي استخرجه لما ولي صنعاء للرشيد، سنة ١٨٣هـ، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٦٣؛ =

العجم عن وراهم، وأخذوا مشايخهم الذين أعانوهم، ووصلتْ إليه زياداتُ مولانا، حفظه اللهُ، اشتدَّ عضدُه واستقوى ساعدَه، وسقطَ ما في يد أهل تلك البلاد، فانهرعوا إلى طاعة مولانا، حفظه اللهُ، وواجهوا بالرهائن وأعلنوا بالتنصير العظيم، حتى انتهى التنصيرُ إلى حُفَاش[1] ونحوها، وتعينَ مجاهدون من بني حبش[2] ألف، ومن الشاحذية ألف، ورتّب البلادَ، وخالفَ عن الطاعة، أهلُ بيت المري فأخذه وأحرقه، ثم الزايغ أحمد بن علي شذان، فأخذ محلّهُ وأحرقهُ، وطرحت البلادُ عصا الخلاف، ولزمتْ طريقَ الوفاق والإئتلاف، ورتَّب بني الخياط وبلادَ شمات والأهجر، ورجع التدبيرُ على الطَويلة وما حولها كما يأتي تفصيلُ حوادث صفر إن شاء الله.

انتهت حوادثُ شهر محرم سنة ٢٥

وفي التاريخ وصلتْ هذه القصيدةُ من السيد العلامة المحقّق المدقق، حافظ العلوم: المعقول منها والمنقول في الفروع والأصول،

= اليمن الكبرى، ٦١؛ وغيل ضهر، شمال صنعاء بنحو ١٥كم، أصله من ريعان، يسقي وادي ظهر وقرية القابل، انظر، تاريخ صنعاء للرازي، ٥٦٩.

(١) حُفَاش: جبل مشهور بالغرب من صنعاء بمسافة ١٤١كم، جوار جبل مِلْحَان وهو ناحية من نواحي المحويت، غني بموارده الطبيعية، انظر، صفحات مجهولة، ٤٦؛ معالم الآثار، ٧٦؛ الإكليل، ٢٣٧/٢؛ صفة جزيرة، ١٢٤؛ المقحفي، معجم، ١٨٣.

(٢) بنو حبش (حُبَيش): ناحية من أعمال إب في الشمال الغربي منها، انظر، المقحفي، معجم، ١٥١؛ نشر العرف، ٧٦٩/١؛ اليمن الكبرى، ٤٤.

سيدي عبدالوهاب بنِ أحمد[1] الوريث يحثُّ مولانا على الجهاد وهي قوله : -الخفيف-

إن عصراً قد خصنا الله فيه ... بإمامِ الهدى لأكملُ عَصْرِ

فجديرٌ بأنْ يتيهَ ارتفاعاً ... وجديرٌ يجرُّ أذيالِ فخرِ

فبيحيى قد لُفَّ شملُ المعالي ... وبيحيى ركائبُ العدلِ تجري

وبه الدينُ عامرٌ وهو مثرٍ ... بعدَ قَفْرٍ وبعدَ شدَّة فقرِ

فلقدْ ألْبَسَ الأعاجمَ ذُلاً ... وسقاهُمْ من بطشه كأسَ قَهرِ

ورماهُمْ منْ بأسه بدواةٍ ... سلَبْتُهم أحكامَ نهيٍ وأمْرِ

فتراهُمْ لا يعقلونَ صَوابا ... وتراهُمْ قالوا بمَقْعَدِ خُسْرِ

فإذا ثُلَّ عرشهُمْ وتداعى ... ورأينا بهم نوازلَ ضَيْرِ

يا إمامَ الهدى لكَ اللهُ كافٍ ... كلَّ سوءٍ مدافعٌ كلَّ مكْرِ

(١٠ ب) إنَّ فيهم بقيةً فتلافا ... بجيوشٍ تذيقُهم كلَّ مُرِّ

واغمدَنَّ سيفَك المهنَّدَ فيهم ... إنَّهم أهلُ منكراتٍ وسُكْرِ

لم يُبالوا كأنَّ ذلك دينٌ ... جاءَ في سنةٍ وفي آيِ ذِكْرِ

وبقانونهمْ رَمَوْا شرعَ طهَ ... خيرَ شرعٍ بفادحاتٍ وزورِ

فخذ الثارَ للشريعةِ منْهمُ ... وبعدلٍ أزِلْ معالمَ جَبْرِ

ومحبُّوكَ كُنْ عليهم عطوفا ... فجنودُ الدعاء لهم أي سرِ

---

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن علي المعروف بعبد الوهاب بن أحمد الوريث، ت شوال سنة ١٣٥٠هـ، علامة وأديب، شاعر، هاجر سنة ١٣٠٩هـ إلى الحدأ مؤازراً للإمام المنصور محمد بن يحيى، تولى القضاء في يريم وبلادها، ولد سنة ١٢٨٧هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٠١.

أسبـــلَ اللهُ كـــلَّ خيـــرٍ عليكمُ ووقاكـــم بحفـــظهِ كلَّ ضيَرْ
وهنيـــئاً قدومَ عـــامٍ سعيداً بســرورٍ قدومُه وبيُسْـــــرِ

فأجابه مولانا، حفظه اللهُ، بهذه الأبيات :

أيُّ نظـمٍ كأنه مـــــن اللآلِ صيـــغَ أو أنّه سُلافـــــةُ خمرِ
ريحُه طيّـــــبٌ وإنْ لاحَ أزيزاً بالدّراري عنـــدَ منْ كانَ يدري
كنظـــام أتى من السيّدِ المفضالِ مَنْ حـازَ كلَّ فخـــــرٍ وبشرِ
الوجيهِ الـــذي تفرَّد بالعلْـــــمِ ونالَ المـــرامَ مـــنْ كلِّ فخرِ
جـــاءنا في بضـاعةٍ أيَّ نصـحٍ لم نمـــل عنه كـــلَّ فضلٍ ويسرِ
حـــثَّ فـيه على منـــاجزة الأتـراك حـرباً تنـسي بقتـــلة بدر
ونَعَـــمَ تلكـــموا منابأ وكمِ ونا ديت قومـــي نـــداء سرٍ وجهرِ
هل لمن قـــام في مقام المعالي من معينَ يا آل يعـــــرب يجرِ
أين أين الأباة للضـيمِ والحـــــ ـــق أين الأســـود أبناءَ فهرِ
أين أهل الطـــعانِ في ملتقى النقـــع وضـــرب السيـــوف في يوم حرِ
يا لقومـــي إن العـــدو أدال الله منـــــه أتى بفحـــــش ونكرِ
بدّل الدين فالحـــــرام مباحٌ عنـــده والحـــلال قهوة خمرِ
لن تروا غـير فاســـقٍ بشراب أو زنّاءٍ ومـن يدين بكفـــــرِ
(١١أ) ولتغيـــير ذلكم قد ركبنا له كُـــلَّ صَعْـــبٍ وكلَّ حلوٍ ومرِ
وعـــدمـــنا العلا إذا حاكينا الأ رض حمـــراً من الثياب لصفرِ
وفرشـــنا البقاع مـــن تكلم الأ جســـاد ذات الفساد في كُلِّ أمرِ
واختطـــفنا الأرواحَ منهم جهاراً فعجيجُ النساءِ فـــي كُلِّ قصرِ

وأشـــدنا مـــن الشريعة ما قد هدمتُه الأعـــــلاجُ فـي كُلِّ قطرِ
وحمـــلنا على الشريعة هُدى النا سِ طـــوعاً ومـــن أبى فبكَرٌ
ومحـــونا رســـومَ جورٍ وبغيٍ ورسمنا حـــــدودَ عدلٍ ويُسرِ
لم نهـــــب كثرة العدد ولا قلةَ أصـــــحـــابنا ولا يومَ شـــرِ
لا ولا نحـب الهزايمَ عـــــاراً رُبَّ جبرٍ يكونُ من بعـــــد كسرِ
ونقـــود الجيـــوشَ عاماً فعاماً ونذودُ الأعـداءَ عن كُـــــلِّ نهرِ
أو نرى المـــوتَ دون ذاك وخيـــــرُ الناسِ مَـنْ ماتَ فـي جهادٍ وصبرِ
يا وجيهَ الأنامِ يا عمـــدةَ الأعلامِ لا زلتَ فـــي ســـرورٍ ووفرِ
لا تـــدعنا من الـــــدعاء لنا واسلم ودُمْ في الثنـــاء حمـد وشكرِ
وصـــلاةٌ مع الســـلامِ على أحمـــــــــدَ والآلَ ما ترنم قُمري

(١١ب) وفي الليلة، السادس عشر، من شـهر محرم الحرام سنة ٢٥ خرجَ طابورٌ من صـنعاءَ، الساعـة الثالثـةَ، لصباح السـبت بحمـيرٍ وخيلٍ وبغالٍ. أخبرَ الرسولُ أنّ عليـه مالَ أربعينَ صندوقاً مؤنةً ماوزر. فلما وصلوا إلى طرف سَـواد حزيز[1]، وكان الشـيخُ عونُ الدين أحـمد مساعد كامناً بالمجاهـدينَ هنالك، فلما قَرُبَ العجمُ إلى عند المجاهدين، وكان الشيخُ أحمدُ أمرَ المجـاهدينَ أنْ يتَّبعُوا ما فعلَ، إنْ رمى رَمَوْا، وإن طعنَ طعنوا، وإن فرَّ فروا، فلما دنا منهم العجمُ والمجاهدون ينظرونَ ما يصنعُ فـرمى بندقاً واحـدةً مع الملاصـقةِ، ورمىَ المـجاهدونَ مـثلَه،

---

(١) حِزْيَز: بلدة جنوبي صنعاء بمسافة ٥ كم، وهي من ناحية سنحان، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٥؛ معجم المقحفي، ١٧١؛ زبارة، أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى)، ٩٣.

ووثبَ بجنبيتـه على العجمِ، ووثبَ المجاهدونَ، فـحصدوا ذلك الطابورَ رميـاً وقتـلاً، وغنموا جـميعَ ما حـواه ذلك الطابور بنصر اللـه، أربعينَ صندوقـاً مونةَ ما وزر ومـا سلمَ للغانمـينَ إلاَّ اثني عشـر بغلةً وثلاثَ خيل، وما عداها قُتلَ، والرؤساءُ من مقاتيل العجمِ أربعةٌ من أهلِ الرُّتَب، دلّتْ على ذلك نيشـاناتُ أخطاط في ثيابهم، وأما سائرَ الغنائـمِ فقد مَنَّ اللهُ على تلك العصـابة، المجاهدين، من فضله لكل بنـصيب كاف، وهذا ما أخبـرَ به الرسولُ محمـد بن أحمد المحـيا. فأمرَ مـولانا، حفظه الله، بإيقاد النيران، وضَرْبِ المدافع، إعلاناً بالبُـشرى وإظهاراً للنعمة، وكسا ذلك البشيرَ.

وفي يومِ الأحـد، أصبحَ قتلي الـعجمِ مُجـدَّلينَ، وخيلُهم وبُغـالهم وحـميـرُهم كـذلك، فخـرجَ العجـمُ من صنعاءَ، ووجـهـوا نحوَ القـتلى بالعربيـات، وفرّقُـوا البشائرَ، وسـحبوا المـدافعَ، وأدخلوا مَنْ يريدونَ إدخالَه على ظهورِ العربيات، وصارت الحـايمةُ من الطيرِ كأنها السحابُ والوحـوشُ والكلابُ تنهشُ بالمـخالبِ والأنيـابِ، وصـارَ لتلك الوقعـة موقعٌ عظيمٌ، وأثرٌ جسـيمٌ عندَ كلِّ سفيهٍ وحكيمٍ، لاسيـما، ولم يُقْتَلْ منَ المجـاهدينَ إلاَّ شهـيدٌ واحـدٌ، فيا لله الـعجبَ من نصره، كـيف طابورٌ يُحْصَدُ، ولم يكن في المجاهدينَ إلاَّ شهيدٌ واحد.

ولقدَ أحْسَنَ سيدي عبدالله بن ابراهيمَ في تقريظه وتاريخه حيث قالَ ناظماً[1]: -الرَمَلَ-

---

(١) وردت بعض الأبيات في كتاب أئمة اليمن، ٩٤ (سيرة الإمام يحيى).

أبشروا بالنصر مـــن ربِّ العباد ... وبجنات وحـــــــور في المعاد

فلقدْ حُـــــــزْتم منَ المجد الذُرا ... ونَعشْـــــــتم هماً نحوَ الجهاد

(١١أ) طالَ ما كانت ترا أخا فتية ... تربيَ في فعـــل أسباب المبادي

وتنادى مَـــنْ يرى راحـــــــته ... في عنا الأتـراك أصحابَ الفسادي

فإذا العبـــاسُ مُردي الصيد مَن ... من نجيـعِ الترك أروى كُلَّ صادي

وصـــــفي الدين، عونُ الحقِ مَن ... منـــــعَ الأتراكَ توضيعَ الوساد

جمعا الأشبـــــالَ من غاباتها ... وبها قـــــاما على رُغم الأعادي

يمنعان العـــــجمَ إنقاذَ الأولى ... وصـــلوا خَوْلانَ أو بيت الزيادي[1]

وأراحـــوا الناسَ من تشديدهم ... لاختـــطاف المالِ أو حثِّ الشدَّاد

فـإذا الطـــــابور ليلاً قد أتا ... يُصحب الأثقال من خوفِ العوادي

فغدوا فيهـــــم، وما أبقوا على ... أحدٍ منهـــــم، وفازوا بالمرادِ

رجـــعوا بالغـــي غُنَماً واسعاً ... فيهم، فافخـــرْ إلى يوم التنادِ

إنما جـــــاءوا ليرضوا ربَّهم ... ويذيقـــوا التركَ أطرافَ الحدادِ

فَلقوْا خَيْراً وأرخـــــناه : ها ... ذهب الطابـــور في قاع السواد

٦ ٧٠٧ ٢٤٩ ٣٦٣

سنة ١٣٢٥

فلما اشتدَ ضـيقُ الطاغيةِ أحمد فيضي باشا طلبَ صـالحَ مساعد أخا الشيخ عون الدين، وأكثرَ عليه التهدُدَ والتوعدَ، وقالَ له : اطلعْ القلعةَ، واجباً تأتي بأخيك إلى عندي إلى القلعة، وأخرجَ العساكرَ والمدافعَ، يوم

---

(١) بيت الزيادي: قرية في بلاد الروس على مقربة من راس نقيل يَسْلح، انظر، صفحات مجهولة، ٨٢. وبنو الزيادي، من مشايخ بنو شَدَّاد في خولان الطيال، انظر، المقحفي، معجم، ٢٩٥.

الاثنين، إلى وادي الأَجْبَار[1] إلى بيت نمير[2]، وكان فيها رتبةٌ فنزعَ أهلُ بيت نُمير حريمَهم وقراشهم، وواجهوا العجمَ بالحربِ، ودخلت العجمُ وصارخُ الجهادِ، صرخَ في المجاهدين، يوم الثلوث، وكان حربٌ عظيم، ومن لحظات مولانا، حفظه لله، كان ذلك عندَ وصولِ المقدمي سيدي العلاّمة حمود بن محمد، حفظه الله، بخَارِف، فاغارتْ المجاهدونَ من كلِّ جهة، معَ ثبات المجاهدينَ من خَارِف وبني حشيش حتى عارَ أهلُ الرَّوْنة[3] من القبلية بظهرِ جبلِ قمتان، وصارَ بأيدي أهل الرَّوْنة نحو ثلاثة عشر بندقاً، وغارت بنو بُهلول، وفروا (١٢ ب) من أعيان سَنْحَان، فأحاطوا بالعجمِ وردوهم وراءَ ظهورهم القهقرى، فحرقوا الضبعات[4] وبيت نُمير، ورجعوا إلى بيت حاضر[5]، وكانَ كما قيلَ إنها وصلت للعجمِ مادّةٌ ممنْ كانَ في جَحانة. لما ولى العجم على ظهورهم القهقرى إلى نصفِ الليل، والحربُ قائمةٌ فانسلَّ العجمُ من بيت حاضر، حتى روى الرسولَ، سريع، أنهم كانوا أفلتوا المدافع في سِفال وادي الأَجْبَار

---

(١) وادي الأَجْبَار: من الوديان المشهورة في سنحان، شرق شمال صنعاء، فيه قرى الجوزة وسَحَر والحافة وبيت حاضر وبيت الجاكي، ودار الحَيْد وزَيْد، انظر، المقحفي، معجم، ١٤.

(٢) بيت نُمير: من قرى سنحان، شرق جنوب صنعاء على مسافة نحو ثلاث ساعات، أئمة اليمن، ٩٥.

(٣) الرَّوْنَة: عزلة ووادي خصب من ناحية بني حشيش بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٣كم، انظر، صفحات مجهولة، ٥٨؛ المقحفي، معجم، ٢٧٧.

(٤) الضبعات: من سنحان، انظر، العزب، فترة خروج، ٣٨.

(٥) بيت حاضر: قرية في وادي الأَجْبَار (وادي التناعم سابقاً) من بلاد سنحان، انظر، معالم الآثار، ٤٢؛ الحجري، مجموع، ٢٢٦/١؛ المقحفي، معجم، ١٤٥.

ثم رجعوا له. قال الرسولَ: والبندقُ قارحٌ وراءَ العجمِ إلى لكمة الجزارين[1]، اللكمة الحمراء، شرقي بيت مِعْيَاد[2]، وصَبَحَ العجمُ الربوعَ في صنعاءَ وهناً على وهن، فأخرجَ الطاغيةُ العساكرَ الرَوْضَةَ، يومَ الخميس.

وفي يومِ الجمعة، ثلاث وعشرين، شهر محرم سنة ٢٥، تقدموا على رِجام يريدونَ قشلةَ بني حشيش، فرتبوا الفُرسَ[3] وبيت الحكمي، وأحاطوا بالقرية من رِجام[4]، فأغار الشيخُ أحمد ومعه من بني حشَيْش مئةُ رامٍ، ومن خارِف مئةُ رام، ومن قروي[5] مئتا رامٍ، ووجهوا فزعين على رِجام، يومَ الجمعة، وسطَ النهار، وأتوا العجمَ من وراء ظهورهم. وكان في حرب الضبعات، وبيت نمير وقعةٌ عظيمةٌ في العجم، والشهداءُ من خارف ثلاثة، واحد من بيت الأبيض، وواحد من بيت الجفرة وواحد من بيت هراش، ومجاريح.

وفي حرب، يوم الجمعة رابع وعشرين شهر محرم سنة ٢٥، استشهد واحد من بني حشيش، ولم قدْ تناهت الأخواضُ حتى يتميز

---

(١) لكمة الجزارين: هي الكلمة الحمراء، شرق بيت ميعاد.

(٢) بيت مِعْيَاد: قرية في قاع صنعاء الجنوبي، كانت تعرف باسم داع الخير، أصبحت اليوم جزءاً من صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ٦١٢.

(٣) الفُرس: في الشمال من صنعاء، من ناحية بني حشيش، انظر، المقحفي، معجم، ٤٩٤.

(٤) رِجام: وادٍ من ناحية بني حشيش بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ١٧كم، انظر، اليمن الكبرى، ٧٢؛ المقحفي، معجم، ٢٦٣؛ أئمة اليمن، ٢٥١

(٥) قَرْوي: عزلة ووادٍ في خْولان الطيال بالجنوب الشرقي من صنعاء، فيها سكن بني النويرة، انظر، المقحفي، معجم، ٥١٣.

الخبيث من الطيب من الأخيار، وأبقوا في مطرحِ بيت حاضر سيدي حمود بن محمد[1]، وعنده ست مئة رامٍ. لعلمهم إنما أرادَ فيضي إلاَّ تفريقَ مطرحِ بيت حاضر.

وفي هذا الاسبوع، التفت مولانا، حفظه الله، إلى تجهيز سيدي محمد بن المتوكل[2]، ومعه قومٌ واسعة من سُفيان، ومضى منه حُوث، ومضى منه خَمِر ، وأنفذ سيدي عبدالله بن ابراهيم لتجهيز مصاريف سُفيان، ومضى منه، حوث في اليوم الخامس والعشرون من شهر محرم الحرام، وأما بنو صُرَيم[3]، (١٣أ) فكان مولانا، حفظه الله، لما وصلَ القاضي حسين بن أحمد العرشي من بلاد خَوْلان لتدبر شفاهي إلى مولانا، حفظه الله، خاصاً وعاماً فقضى أرَبَه، وعزّمه راجعاً إلى عمله، وأمره أن يمرَ مع طريقه، على بني صُرَيم العلو، بمصاريفهم، ومعاشِ شهرهم التقدمة، وكانَ قد أثبتَ حصرَهم سيدي يحيى بن حمود بن شرف الدين، وسيدي عباس بن عبدالله بن المؤيد، وقبضوا

---

(١) حمود بن محمد بن شرف الدين، ولد بكوكبان سنة ١٢٦٧هـ، أخذ عن علماء عصره، كان يعتمد عليه في فصل الخصومات، له مؤلفات في النحو وغيره، توفي سنة ١٣٤٤هـ، انظر، العزب، فترة خروج، ٣٦.

(٢) محمد بن المتوكل على الله محسن بن أحمد بن محمد، من ذرية الإمام المتوكل على الله المطهر ابن يحيى ت ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، انظر، نزهة النظر، ٥٧٤.

(٣) بنو صُريم: من قبائل حاشد، أحد أقسام حاشد الأربعة وهي صُرَيْمي وخَارفي وعُصيْمي وعِذري، انظر، الإكليل، ٤٥٢/٢؛ اليمن الكبرى، ١٦٦؛ الحجري، مجموع، ٢١٣/١-٢٢٦؛ المقحفي، معجم، ١٤٣- ١٤٤.

رهائنهم، وكان عزمُ سيفِ الإسلامِ، سيدي محمد ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله[1]، سلخ شهر محرم الحرام سنة ٢٥ متوجهاً جهات حَراز[2]، وأفاضَ إليه مولانا، حفظه الله، بابلاغِ الوسع في إجلاء جرثومةَ الفتنة الباطنية، وشدَّدَ عليه بمعاملة الباطنية، معاملةَ أهلِ الحرب، بل أشدَ لكونِ الباطنية يظهرونَ الإسلامَ، ويبطنونَ الكفرَ.

وفي سلخ الشهر المذكور، عَزَّمَ مولانا، حفظه لله، سيدي عبدالله أبو منصر، ومعه طائفةٌ من عُصَيمات[3] الجبل والوطا، رئيسهم الشيخ السايس الفارس الممارس، خَريت الفوارس، ناصر بن مبخوت الأحمر[4]، وأصحبهم مدفعاً من البسابيس الصغار بخزنته، وقوماً من خَارف، وقوماً من أهل جبلِ الأهْنوم[5]، وجبلِ عيال

---

(١) محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين (الأمير البدر)، أديب، له شغف بنشر العلوم والمعارف، تولى إمارة الحُدَيْدَة، وكان قد تولى أعمال قضاء الشرفين من أعمال حَجَّة، ت غرقاً سنة ١٣٥٠هـ، في شاطئ الكثيب، شمال الحُدَيْدَة، انظر، تحفة الإخوان، ١٢٨؛ نزهة النظر، ٥٩٨؛ أئمة اليمن، (سيرة الإمام يحيى)، ٢٩٠؛ هجر العلم، ١٧٣٩.

(٢) حَراز: صقع متسع غربي صنعاء بمسافة ٨١كم، مركزه مناخه، انظر، الإكليل، ٢٠٣/١؛ صفة جزيرة العرب، ٢٠٩؛ صفحات مجهولة، ٤٥؛ معالم الآثار، ٧٧؛ نيل الوطر، ٣٥٧/١.

(٣) عُصَيْمات: من بطون حاشد، وهم أربعة أقسام، جبري وفضلي وغنيي وقيص، انظر، المقحفي، معجم، ١٤٤- ١٤٥.

(٤) ناصر بن مبخوت الأحمر الحاشدي: شيخ مشايخ قبيلة حاشد في ذلك الوقت، انظر، أئمة اليمن، ٤٧/٢؛ وثائق يمنية، ٢٤٤.

(٥) جبال الأهنُوم: جبال شامخة في بلاد حجة في الشمال الغربي من صنعاء، سميت بالأهنُوم بن الحارث، أغلب قبائلها من تليل، انظر، المقحفي، معجم البلدان، ٥١. من مدنها: علّمان، =

يزيد[1]، وجهـزَهم، حفظه الله، أحسـنَ الجهازِ نحـو الجهات الكُحـلانية والمحبية وما والاها.

وأما سـيدي مـحمد بن يوسف الكبـسي، فبـعدَ انتقـاله من بلاد حَوْلان إلى بنـي بُهلول ثم إلى بلاد الروس، واجتـمع بالشيخ المـجاهد نصيـر الدين، علي بن المـقداد، ووقعت بينـهم وبينَ العجمِ وقـعاتٍ في حول خِدار[2] ووعلان[3].

ووقعتْ في الدارِ البـيضاءَ مـن بلاد الروس وقـعـةٌ فيها الوقـعةُ التي قدمنا شـرحَهـا، ما يهولُ العـقول، وكثـرةَ قتلى العـجم في الأزقةِ والطَرق.

وعندَ خروجِ المجاهدينَ كلٌ أخذَ لـه من البنادقِ والسيوف ما قَدرَ على حمله، حتى أنه حكى بعض المطلعينَ علـى حقائقِ العجمِ، أنَّ القتلى

= المَدَان، الجُمْلول، ومَعْمَرة، ومن جبال الأهنوم: سيران، ذري، وجبال شُهَارة والعيازرة. انظر، شرح أجود المسلسلات، ٢١.

(١) عيال يزيد: جبال لقبائل بكيل في ناحية عَمْران، من قراهم: جَوْب، الخدرة، عيال يحيى، الاكهوم، الصّرارة، بنو قطيل وغيرها، يتصل من شماله ببلاد عبد وحاشد والسودة، ومن شرقه بناحية ريدة والبون، ومن جنوبه ببلاد عَمْران وثُلا، ومن غربه بثُلا وقارن وما إليها. انظر، الحجري، مجموع، ١/١٢٥، ٢/٢٨٢؛ المقحفي، معجم، ٧١١.

(٢) خِدَار: بلدة على ربوة أمام الصاعد من نقيل يَسْلح. انظر، صفة جزيرة، ١٥٦؛ المقحفي، معجم، ٢١١.

(٣) وَعْلان: في أرض رَدْمان، شرقي رداع، تعرف اليوم بالمِعْسَال، هي خربة الآن، وهي غنية بالآثار، انظر، المدارس الإسلامية، ٧٥؛ الإكليل، ٨/١٧٥؛ معالم الآثار، ٩٦؛ صفة جزيرة العرب، ١٥٦.

من العجم في الدارِ البيضاء ما يزيد على خمس مئة قتيلٍ، والجرحى أكثرَ من ذلك.

(١٣ب) وفي ليلة الجمعة المذكورة، رابع وعشرين من شهر محرم الحرام سنة ٢٥، لما رأى مولانا، حفظه الله، علوَّ همةِ سيدي العَلاّمة علي بن حسين بن عبدالله[١] في طلبِ العلمِ والحفظِ والذكاءِ والأدبِ، تَفَرَّسَ فيه البركةَ في العلمِ والنجابةِ، وهو أخو سيدي الوجيه، عبدالرحمن بن حسين بن عبدالله الشامي[٢]، جهزَ مولانا الإمامُ المتوكلُ على الله، حفظه الله، وهما؛ إبنا خال الإمام المنصور بالله، وكان الإمام المنصور بالله، رضوان الله عليه، كثيرُ المحبة لابن خاله، وهو سيدي الوجيه عبدالرحمن بن حسين بن عبدالله الشامي، حتى زَوَّجَهُ ابنتَه، وهي أختُ الإمام المتوكل، حفظه الله، وإن الولدَ سرُ أبيه فإنَّ الإمامَ

---

(١) علي بن حسين بن عبدالله بن حسين الشامي ت ربيع الأول ١٣٧٢هـ، عالم مبرز في كثير من العلوم ولا سيما العربية، شاعراً، أديباً، وله مشاركة في علم التفسير والحديث، كان الإمام يحيى يشهد له بسعة علمه، تولى القضاء في مَقْبَنة وَرَدَاع وذمَار وحراز، وكان عضواً في محكمة الاستئناف بصنعاء، ولد بصنعاء سنة ١٣٠٢هـ، ثم انتقل إلى جَحانة، ورحل إلى الأهنوم ١٣١٦هـ، حيث درس في هَجِرة الأهنوم، انظر، تحفة الإخوان، ٩٨؛ نزهة النظر، ٤٢٧؛ هجر العلم، ٣٢٥.

(٢) عبد الرحمن بن حسين بن عبدالله الشامي ت ١٣٨١هـ، عالم فاضل، هاجر إلى قفلة عِذَر زمن الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، ابن خال الإمام المنصور، زَوّجه الإمام المنصور ابنته، كان عاملاً للإمام المتوكل على الله يحيى على قَفْلَة عِذَر، وتزوج ابنة الإمام يحيى بعد وفاة زوجته الأولى، اشتغل بالعلم أواخر حياته، له عناية بالكتب وجمعها، انظر، تحفة الإخوان، ٨٥؛ نزهة النظر، ٣٣٨؛ هجر العلم، ٣٢٢؛ أئمة اليمن، ٣٧.

المتوكلَ لما رأى في سيدي الجمالي، علي بن حسين بن عبدالله، النشأةَ المحمودةَ والصفات الطيبة، التي قَلَّتْ في زماننا، أنْ تكونَ موجودةً فزوجَهُ بابنته الكبرى، وكانت عندَ والدتها في محروسِ شُهارةَ[1] المحروسة، فعزَّمَ ولديه وسبطيه سيدي أحمد بن المتوكل، وسيدي محمد بن المتوكل، وأصحبهما خالهما السيد الكريم، جمال الآل، علي ابن علي الوشلي، ومولانا سيفَ الإسلام العلامة محمد بن الإمام الهادي، عافاه الله، وصعدوا إلى شُهارة في تحصيلِ ما يلزمُ تحصيلُه من الأمورِ اللازمة، عزما إلى ليلةِ الجمعة المذكورة فَزُفَّتْ إليه على أحسنِ الأحوالِ. وفي ذلك الشأن وقعت التهنئةُ من سيدي العلامة محمد ابن أحمد بن ابراهيم الشامي :

وكان قد عرض له شيء من المالي خولياً[2]، فقال، ولله دره من قائل :

أُهني جمالَ الأكرمينَ أخا الفخري ... وعنوانَ أهلِ الخطِ والنظمِ والنثرِ
ومَنْ صارَ فينا جَوْهراً في مُهندٍ ... وبدرَ دُجاً قد حَفَّ بالأنجمِ الزهرِ
وواسطةُ العقدِ الثمينِ وإنما ... تَزينُ نفيسَ الحليِ واسطةَ الدرِ
أُهنيه عُرساً عَلَتْ عن شبيهةٍ ... فلا زالَ في ثَوْبِ السرورِ مدىَ الدهرِ
إذا قيلَ ما هذا ترى في شُهارةٍ ... يُجَابُ بأنَّ الشمسَ زُفَّتْ إلى البدرِ

---

(١) شُهارة: جبل مشهور في بلاد الأهنوم، شمالي حجة، من معاقل اليمن المشهورة، وهي عبارة شهارة الفيش وشهارة الأمير بعد وصل الفج بينهما، انظر، نيل الوطر، ٢٩٩/١؛ نشر العرف، ١٢/١؛ صفة جزيرة العرب، ٢٣٨؛ البدر الطالع، ٢٥٨/١؛ المقحفي، معجم، ٣٦٦.

(٢) المالنخوليا: مَرض عصَبي يفسد المزاج، يجعل المصاب سوداوي المزاج.

(١٤أ) فأشرقتْ الآفاقُ نوراً وبهجةً ... وعَطـرت الأرجاءَ رائحـةُ العطرِ

ودارت على البابِ أهـلَ شُهارة ... كـؤوسُ نشاطٍ لا معتقةَ الخمرِ

فَدُمْ في علـو يا علي ورفعة ... وعز طـويلٍ كلما غرّدَ القُمري

ولا زالت الأيامُ عيـداً مؤبداً ... وكلُّ ليالٍ لـم تزلْ ليلةَ القدرِ

ودَمْ سالماً ما كـررت في شُهارة ... لدى كل تالٍ مصحفاً سورةَ النصرِ

وما نقلتْ أهـلُ البديعِ فرايداً ... بمدحِ إمامِ العصر، تنظمُ مـن شعرِ

تداولها أيديُ الـرواةِ كأنها ... لمن يتمـلا حسنُها مسندُ الزهرِ [1]

تمت، ولله دره، والله يشفيه

وفي غرةِ شهرِ صفر الظفر، عـزم سيدي سيفُ الإسلامِ محمدُ بن المتوكل، حفظه الله، من خَمرَ متـوكلاً على الله، واجتمع معه جندٌ، أنشأ اللهُ فيـه البركةَ، وتَبِعَـهُ سيدي، فخـرُالآل، عبدالله أبو منصر في قـومه متـوجهـاً إلى السَّوْد في عـمله. فلما علمَ الخـبيثُ يوسفُ باشـا، أسرعَ بانتقاله من هَمْـدان إلى عَمْران، كأنه خَيَّبَ اللهُ أملَه، وخسَّـر عليه حافظَ الأرضِ بطولها والعرضِ، فَـرَتَّبَ أطرافَ الجبلِ، وكأنهم قد أجـمعوا على قصدِ بيوتِ المـجاهدينَ، ليفرقوا محطات المـجاهدينَ، واللهُ غالبٌ على أمره، ماضٍ حكمه، كلما دبروا أمـراً، رَدَّ اللهُ كيدَهم في نحورهم، وجعلَ الدائرةَ عليـهم، ﴿ومكروا ويـمكرُ الله، والله خيـرُ المـاكـرين﴾، فوصلَ عَمْران، وأمرَ بدائرٍ على السوق الخـارجي بمدينة عَمْران، ورفعَ المراتبَ التي كانت في الخَدرة[2] ونحوها إلى عَـمْران، وسيفُ الإسـلام، حفظه

(١) وردت بعض الأبيات في أئمة اليمن (سيرة يحيى حميد الدين)، ١٠٣.

(٢) الخدرة: من أكبر قرى عيال يزيد، شمال غرب مدينة عَمْران، انظر، المقحفي، معجم، ٢١٢.

اللهُ، بات ليلةَ السبت في دَعّان[1]، ومنه سرى مساءً ليلةَ الأحد في كُحْلان، ويومَ الأثنين أوطي على وادي شَرِس[2] وسبقَ رِتبةٌ إلى عقبة لماس وهَدَاد[3]، فاعترضهم المطرُ وبعضُ التقدمية رقدوا، ثم عزموا فرتبوا التعقبةَ والطفاينَ ونحوهَا، وسَبقَهم طائفةٌ من العجمِ رتبوا هداداً، فلما توجهتْ القومُ فَقَرَحْت **(١٤ ب)** البندقُ من العجم إليهم والطريقُ وعرةٌ على القَراش[4]، وأغارَ أولاً المعمريُّ، رتَّبَ الشراقيُّ جميعَ مراتبه؛ فالعجمُ خرجوا ليلةَ الاثنين من حَجةَ، فطلعَ سيفُ الإسلامِ، حفظه الله، ومَنْ تأخرَ من القومِ دهموا أهلَ التعقبة وأهل التقدمية، سيدي عباسُ بن عبدالله المؤيد، وفي صحبته نفذوا فوقَ الرتبِ الأولة الطفاين وما إليه، وسيفُ الإسلام، ومن إليه رتبوا رأسَ المعزبةِ والجبلَ الشرقيِّ[5] والشمطةَ إلى بيت الذيب[6]، ودارت الحربُ من بَعْدِ شروقِ الشمس إلى ثلث الليل، والخارجُ من العجم من حجّة، القومندان

(١) دَعّان: بلدة في ظهر جبل عيال يزيد من همدان في الشمال الغربي من مدينة عمران بمسافة ١٨كم، انظر، الإكليل، ١٦٢/٨؛ اليمن عبر التاريخ، ٣٦٩؛ المقحفي، معجم، ٢٣٥.

(٢) وادي شَرِس: وادٍ وبلدة أسفل مدينة حجة، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٢٥؛ الإكليل، ١٠٠/٢.

(٣) هَدَاد: اسم يطلق على حصون في بلاد آنس، وجبل في مخلاف ابن حاتم، جنوب صنعاء، وآخر في جبال حَجّة بالشرق منها، والثالث في نجران في جبال يام، انظر، الإعتبار، ٦/١؛ المفيد، ١٦٣؛ صفة جزيرة العرب، ١١٥؛ العقود اللؤلؤية، ٧٧/٢؛ أئمة اليمن، ١٢٠ (سيرة المتوكل على الله يحيى)؛ المقحفي، معجم، ٦٧٥.

(٤) القراش: المواشي، لغة في اليمن.

(٥) جبل الشِرْق: جبل مشهور بالغرب من ضَوْران ومن أعمال آنس تعرف بجبل الشِرق، انظر، المقحفي، معجم، ٣٥٣.

(٦) بيت الذيب: قرية من بلاد بني مطر (البُستان)، انظر، المقحفي، معجم، ٢٥٤.

غالب بيك، والسيد الوشلي معهم أربعةُ طوابير وثلاثةَ مدافع، وكانت وقعةٌ مهيلةٌ والعجمُ الذين في مَسْوَر[1] وبيت عُلْمان[2] أغاروا إلى الرغيل، وخَيَّبَ اللهُ أملَ العجم، رجعوا خائبينَ، ونفذَ المجاهدونَ إلى العريف[3]، وبني العوام، واسترَّ العربُ وأوقدت النيرانُ والبشائرُ حتى الصَّفقين[4] بلغت، وانجلت المعركةُ على ثلاثة شهداء من المجاهدين وجرحى، وأما القراشُ فما أمكن نفوذُها حالَ الحرب مع عُسر الطريق والحرب بالمدافع، وأما المدافعُ فأُرجعَتْ إلى بيت قُدَم[5]، ووقع انتظارُه، حفظه الله، للقراش والأثقال، وتأخرَ معها من المقادمة، سيدي السيد العلامة الأجل يحيى بن محمد بن يحيى بن الهادي، وبلغَ أنهم لحقوا بها من طريق عيال علي[6]، وأُخذَ إلى أطراف بني حَبش[7] ومَرَّ فيها.

---

(١) مَسْوَر: يقال لها مسور المنتاب تمييزاً لها عن غيرها، تابعة لصنعاء، وجبالها أثرية معروفة، انظر، اليمن الكبرى، ٦٩؛ معالم الآثار، ٧٦؛ الإكليل، ٢/٨٠؛ نشر العرف، ١/١٨٣.

(٢) بيت عُلْمَان: قرية وجبل أسفل وادي ضهر، غربي صنعاء بمسافة ٥كم، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٧؛ الإكليل، ٨/١٢٢؛ الحجري، مجموع، مادة بيت عُلمان؛ المقحفي، معجم، ٤٥٩.

(٣) العريف: عُزلة من ناحية بني العوام، حَجَّة، انظر، العزب، فترة خروج، ٣٨.

(٤) الصَّفقين: جبل في المحويت، انظر، المقحفي، معجم، ٣٨٢.

(٥) بيت قُدَم: جنوبي حجة، تنسب إلى بطن من هَمْدَان من ولد قُدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جُشم بن حاشد، انظر، الإكليل، ١/٣١٨؛ قرة العيون، ١٧٨؛ صفة جزيرة العرب، ١٢٥؛ اليمن الكبرى، ١٨٧؛ تاريخ اليمن الثقافي، ١/٥٥.

(٦) عيال علي [بنو علي]: قبيلة من بني زهير بن أرحب، انظر، المقحفي، معجم، ٤٦١.

(٧) بنو حَبِش: بلد واسع من أعمال الطويلة، فيه قرى كثيرة، يعرف بجبل تيس، انظر، صفة جزيرة، ١٠٣.

ذكرَ بعضُ الحمالينَ، أنها وصلتْ له كتبٌ من سيدي على السراجي بالحثِّ لسيفِ الإسلامِ، حفظه الله، في الزيادةِ له، ولعلَّ ذلكَ، أنه لما رأى سيدي علي بن علي، عافاه الله، وثوبَ الخبيث يوسف باشا، على بيتِ مفرَّح[1] وتلك الملحمة، وخَرجتْ من صنعاءَ زيادةٌ ليوسف فَقَرُبَ سيف الإسلام، حفظه الله، وارتقى من مقادمة سيفِ الإسلام، حفظه الله، سيدي عباس بن عبدالله بن المؤيد، ومعه عصابةٌ نافعةٌ، فلما توجه سيدي عباس بن عبدالله إلى بني هيثم[2]، خرجتْ عليه العجمُ يومَ الخميس ١٤ شهر صفر سنة ٢٥، والتحمت الحربُ بين سيدي عباس وبين العجم، وأغارَ سيدي علي ابن علي السراجي، عافاه الله، على العجم من ورائهم، وكانتْ حربٌ متوسطةٌ، فلما تواصلت زيادةُ العجمِ مَعَ يوسف الخبيث، فامتدت رتبُ الخبيث إلى جبل أيهم، وكان فيه سيف الإسلام، حفظه الله، ودارت الحربُ إلى نصفِ الليلِ، وكلٌ من المجاهدين في مرتبة وجماعة من أصحاب سيف الإسلام في موبد، أحربوا حربا عظيمةً، ومعهم ناسٌ من الحَيْمَة، ولم يغير عليهم أحدٌ فثبتوا ثباتاً إلى الليلِ وخرجوا سالمين (١٥أ) لم يكن فيهم إلاَّ ستةُ مجاريح، خفيفة، فلما اشتدتِ الحربُ عندَ سيفِ الإسلامِ وضاقت بالمجاهدينَ الحالُ، فأبلغوا المراجعةَ لسيفِ الإسلام، فلم يسعدْ حتى توجهوا عليه بعَقيرة[3]، فخرجَ، حفظه الله، ليلاً، وتوجه نحو ما أمر فيه،

---

(١) بيت مفَرَّح: قرية في ضلع كوكبان وأعمال الطويلة، انظر، المقحفي، معجم، ٦١٨.

(٢) بنو هيثم: من بلاد الشاحذية وأعمال الطويلة، انظر، المقحفي، معجم، ٦٨٥.

(٣) العقيرة، ذبح بقرة إعترافاً بالخطأ والذنب، أمام منزل والي الأمر.

فلما رأت بنو صُرَيْم أن البلادَ التي أمروا لقصدها نائيةٌ، رجعوا على ورائهم القهقرى، والكثيرُ منهم أخذوا ما قدروا عليه، وكانت هذه الوقعةُ عظيمةٌ، وقعَ فيها من العجم قتلٌ واسع أخبر المخبر أنه وقعَ مَنْعُ الداخل والخارج، ولا زالوا على ذلك المَنْعِ بمحطتهم حتى كمَّلوا دفنَ القتلى، وانتقل بعدَ ذلك سيفُ الإسلام، حفظه الله، إلى ضيعة من أسفل بلاد الشاحذية، واتفقَ فيها بسيدي علي بن علي السراجي، واجتمعَ رأيُهما على عزمِ سيفِ الإسلام نحو الحَيْمة لقصد محلَ عنوة سيف الإسلام، حفظه الله، فلما وصلَ سيفُ الإسلام، حفظه الله، إلى وادي دايان[1] وقعَ العدد لمن بقي في محطته، فعُدوّا فما بلغوا خمسَ مئة نفرٍ وستةً وخمسينَ نفراً.

وكان ذلك الخبرُ قد بلغَ، مولانا، حفظه الله، أمرَ سيفَ الإسلام، حفظه الله، بآلة تجتمع بسيدي العلامة محمد بن يوسف والشيخ نصير الدين، وهما في الحَيْمَة الداخلية في بني يوسف[2] وأمرهما بجمع الكلمة على رأي سيف الإسلام، حفظه الله، فما رفعَ بذلك إلى الإمام يطلبُ التدبيرَ إلا وقد سبقَ أمرُ الإمام بذلك وفَوَّضَهُ في العمل تَفْوِيضاً عاماً، وأما سيدي علي بن علي السراجي، عافاه الله، لما علمَ أن يوسفَ الخبيثَ، لما علم أن سيفَ الإسلام نفذَ منْ هنالك، فانحدرَ يوسفٌ نحو

---

(١) وادي دايان: وادي في مخلاف دايان من ناحية البستان، من نواحي صنعاء في الجهة الجنوبية الغربية متصلة بحقل صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ١١٨، ١٢٢؛ العزب، فترة خروج، ٣٩.

(٢) بنو يوسف: عُزلة من ناحية الحَيْمَة الداخلية، غربي صنعاء، انظر، الحجري، مجموع، ٨٠٦/٢؛ المقحفي، معجم، ٧١٩.

الرُّجم[1] فاستلحق سيدي علي بن علي السراجي إلى محل يُقال له، منحية والعصابة سدوا الهلكة، وكانَ العجمُ تائهين آمنين.

فلما علمَ العجمُ بقربِ سيدي علي بن علي توجهوا عليه، وفتحوا الحربَ، وكانت حربُ عظيمةٌ إلى نصفِ الليلِ، وارتفعتْ العجمُ إلى الطويلة، وسيدي علي بن علي، عافاه الله، انتقلَ إلى بيت غزوان من بلاد الشاحذية، وبلغَ إلى الخبيث يوسف أن سيدي العلامة سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي وصلَ إلى هجرة الصَّيد[2]، ويجمعُ المجاهدينَ من أرْحب وحَاشد فحصلَ معه قلقٌ عظيم.

(١٥ ب) وفي يوم الجمعة المذكورة ٤ شهر صفر سنة ٢٥ كرَّ سيدي علي بن علي السراجي، بعد ارتفاع يوسف الخبيث إلى هَمْدَان، ووصلت الزياداتُ إليه كما قدمناه، ورتَّبَ بني الخياط، وأخذ بيت شذان ومن إليه وأحرقَ بيتَه، وطلعوا إلى المأخذ وبيتَ قصيلة وقصبةَ العيليات[3]، وكان فيها عجمٌ ثم بدلوهم بضبطية من العرب، فداخلوا حول قصبة العيليات، فأحربت الضبطية وقد لاصقهم المجاهدون بين السخمة[4]، فما ظهر على مَنْ في القصبة[5] إلا وهم تحتها، وقد انكشفت

---

(١) الرُّجم: من ناحية الطويلة، انظر، العزب، فترة خروج، ٣٩.

(٢) هجرة الصيد: ناحية من بلاد حاشد، من رَيْدَة من خَارِف، فيها هجرة معروفة، انظر، اليمن الكبرى، ١٧٩؛ صفة جزيرة العرب، ١٢٣؛ الحجري، مجموع، ٥٤٨/٢؛ معالم الآثار، ٩٩.

(٣) قرية من بلاد كوكبان، انظر، رياض الرياحين، ٥٥.

(٤) ما ورد السُّخْنَة: قرية في الحيمة الداخلية، من عُزلة بني عمر، وعلى بعد ١٠كم غرب العِرّ، انظر، اليمن الكبرى، ٥٨، ٩٤؛ المقحفي، معجم، ٣٠٨.

(٥) القصبة: عُزلة من ناحية الطويلة، والقصبة، بلدة في أرحب، وقرية في الحيمة الداخلية، =

السخمة، فقتل بن منصور أخو منصور بن حسن وتكوَّن منصور بن حسن كَوْناً[1] جائراً، وقُتلَ واحدٌ، ثم خرجَ بالضبطية من قصبة العيليات فحطوهم تعشيرةً بالبنادق، ودخلوا القصبةَ، وأهلُ مدينة الطويلة من العرب خرجوا غارةً، فتواثب لهم المجاهدون وهزموهم أقبحَ هزيمةٍ، وقُتلَ من أهل المدينة، قيلَ نحو العشرين كما قال الشاعر :

مـــــن تزيا بغيرِ ما هوَ فيه فضحتُه شواهـــــدُ الامتحانِ

ومما أنشدَ صاحبُ الطويلة قولَ الشاعر :

أقـــــــولُ لمحرزٍ لما التقينا تَنكَّـــبْ لا يقطُـــــركَ الزِّحَامُ

استأسدَ صاحبُ الطويلة، وخرجَ من طوره، فنال وبالَ أمره، ولو تَنكَّبَ عن النزال، ووقفَ عن حده، كما قال : «ما زلَّ امرؤٌ عرفَ قدرَ نفسه». نعم، فلما بلغَ العجمُ ذلكَ الخبر، رجعَ يوسفُ الخبيثُ، ومعه جمعٌ من العجم، ومن المدافعِ، فلما كان يومُ الجمعة تقدَّمَ يوسفُ، ودارت الحربُ على بيت مفَرّح من الضلع، وكانت حَربُ عظيمةٌ، وقتلى في العجمِ قتلى كثير، وفي العربِ يسير، قيلَ، مقتولٌ من بني عبد، وقيلَ أربعةٌ من بني حَبش، واثنان من الشاحذية، واثنان من أرْحَب، واثنان من العجم، وخرجَ مَنْ في بيت مفَرَّح إلى غيره من المحلات المنيعة، ووصلَ كتابٌ من سيدي علي السراجي، يستنجدُ الامام، حفظه الله، في الخلفة على يوسف، ومن كلامه بلفظ الهزل : «يا مجداً في النجدة».

= انظر، نشر العرف، ٢/٥٥؛ المقحفي، معجم، ٥١٧.

(١) الكَوْن: الإصابة بجراح.

قال، عافاه الله : «يا مولاي حنّوا في المونة والزيادة، لأن قد كثرت النفسانياتُ بيننا وبين يوسف، فحالَ وصولِ كتاب سيدي الجمالي علي بن علي، إلى مولانا طلب أهل مشورته، واجتمعَ الرأيُ على عزمِ مولانا سيف الإسلام العلامة محمد بن الإمام الهادي، عافاه الله، بأهبة إمامية، وأعوان هاشمية، وهمة علوية وسيجعلُ اللهُ في عزمه النصرَ والظفرَ، والوسعَ الأكبرَ (١٦أ) وفي يومِ الخميس سلخ محرم، ويومَ الجمعة غرة شهرنا صفر المذكور، طلعَ من العجم طابورٌ بمونة وأرزاق لمن في عرّ[١] الحَيْمَة، وكانت طريقُهم على الفجرة[٢]، فالتقاهم أفرادُ مَنَ المجاهدينَ فهزموهم، والحربُ قامت على ساق. وغارَ أعيانٌ وأفرادٌ من أهل الحَيْمَة، ووقعَ القتلُ لأمير السرية من العجم، وهو قمندانُ عسكر الحَيْمة وأُخذَ فرسُهُ وحُزَّ رأسُه، وأُخذَت المجاهدونَ غنائمَ من البنادق والقراش والمؤنة والدقيق، جاءوا بحصر المدفع ومَنْ معه، ثم توجه العجمُ على بيت شردة، وقُتلَ الشيخُ حسين شردة والعرب في يناع[٣]، وانحازَ العجمُ في بيت شردة، وفي المعارضة وفي بيت الهرطام وغوائرُ العربِ متواردة، والعجمُ توجه منهم طابورٌ إلى بُوعان[٤]،

---

(١) العرّ: مركز ناحية الحيمة الداخلية في جبل العرّ على مسافة مرحلة غرباً من صنعاء، وهو متصل بجبل النبي شعيب من ناحية الشرق، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٧٧؛ معالم الآثار، ٣٧؛ المقحفي، معجم، ٤٣٥؛ أئمة اليمن، ٤٣/٢، (سيرة الإمام يحيى).

(٢) الفَجْرة: عزلة من مخلاف العَوْد وأعمال النادرة، انظر، المقحفي، معجم، ٤٩١.

(٣) يناع: حصن منيع من عزلة الجدعان بالحيمة الداخلية، انظر، المقحفي، معجم، ٤٧٧.

(٤) بوعان: من ناحية البستان، غرباً من صنعاء على مسافة ٤٠كم، انظر، أئمة اليمن، ٣٣٦/٢، ٣٩١.

واستمد أهلُ الحَيْمة منَ الإمام، حفظه الله، بالمونة والرجال، فَعَجَّلَ بثمانية حمالين، على ظهورهم ألفي معبر، وألزمهم بحثّ السير.

وفي يومِ الجمعة من شهر صفر الظفر، وقعَ الحربُ بين يوسف الخبيث في بيت مفَرَّح في ضَلع كوكبان، وصارَ الحربُ في العيليات يومَ السبت. ويومَ الأحد، كان وصولُ حمالة المونة، الحضرة الشريفة، يوم الخميس ١٤ شهرنا صفر، حالَ عزمِ مولانا سيف الإسلام العلاّمة محمد بن الإمام الهادي، ومن بعض السادات المعينين صحبته، ومن سعادة مولانا الإمام، حفظه الله، وشدة وجده وقلق خاطره على المجاهدين، أخبر الحمالون المذكورون، أن مولانا سيف الإسلام محمد بن الإمام المتوكل وصل الرُّجمَ، ويقال أن بينَ الرَّجمِ والطويلة نصفَ شَدّة.

نعم، وفي يوم الجمعة ١٥ شهرنا صفر، بعدَ الصلاة وصلَ رسولُ الشيخ ناصر مبخوت الأحمر، أخبرَ بأخذ حصن شُيعان[١] المعروف، وقعَ القدومُ عليه صبحَ الربوع، ثالث عشر شهرنا صفر، ودارت عليه الحربُ من شروقِ شمسِ الثلوث إلى صبحِ الرَبوع، والرميُ له مدفعان حتى تهدمت دوائرُ الحوش والحصن، ثم وقعَ الهجومُ، وبعضُ العجمِ هربَ حصنَ عَفَّار[٢]، رتبةُ الطريقِ كانت من الأهنومِ، فغفلوا عن الطريقِ، والآخرون أسَروا ستة وعشرين والضابط، وغنمت

---

(١) حصن شيعان: من بلاد حجة، انظر، العزب، فترة خروج، ٣٩.

(٢) [حصن] عفّار: بلد من نواحي حجة الشمالية الشرقية على مقربة من كُحلان تاج الدين ينسب إليها بنو عَفّار، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٨٣؛ الإكليل، ٨٨/٢؛ نشر العرف، ٦٨٥/٢؛ قرة العيون، ٤٠٧؛ معالم الآثار، ٧٦.

بنادقهم، وقليل من الخزنة، والشهداء من المجاهدين ثلاثة وجرحى. وكان سيدي الفخري عبدالله أبو منصر مترقب في سودان[1] وما يليه من الجوانبِ المضرةِ بغارةِ العجم، لو أغاروا من حَجّة، فلم يغير أحدٌ، ولله المنة.

(١٦ ب) ولما تحاوصت الأمورُ في رِجَام[2] وكثرت العجمُ والعربُ، وقعَ الرأيُ من رؤساءِ المجاهدينَ، رفعَ اللهُ قدرَهم، بنقلِ الفاضل من المجاهدينَ جُلَّ كفايةِ المدافعة للعجمِ إلى محلٍ يقومُ بالمجاهدينَ، ويُفرقُ العجمَ، فعَزَم منهم طائفةٌ نحو بني بُهلول أو سَنْحَان، فتلاقى العجمُ بما صورتُه صورةَ الصُبح، وسارعوا بالانتقالِ إلى الرَوْضَة وصنعاءَ فرقى مَنْ خَدَعَهُ من المجاهدين، ثم انتقلَ المجاهدونَ والمقادمةُ إلى شَعْسَان[3] ببلاد سنحان، وذلك جيشٌ واسعٌ، وسيفٌ، إن شاء الله، قاطعٌ، وصارَ حالُ الطاغيةِ فيضي باشا، كما قال الشاعر؛

تَفَرَّقْت الظباءُ على خراشٍ فما يدري خراش أيُّها ما يصيدُ

وفي خلال، ذلك طلعَ محمود نديمَ[4] وبمعيته السيد علي بن محمد

---

(١) سودان: عزلة وناحية من حجة، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٤٢؛ معالم الآثار، ٧٦، ١١٣؛ المقحفي، معجم، ٣٣٣.

(٢) رِجَام: وادٍ من ناحية بني حشيش، شمال شرق صنعاء بمسافة ١٧كم، انظر، اليمن الكبرى، ٧٢؛ المقحفي، معجم، ٢٦٣.

(٣) شعسان: قرية من ناحية سَنْحان من بلاد صنعاء، انظر، الحجري، مجموع، ٤٥٤/٢.

(٤) محمود نديم: عربي سوري، كان معاون والي اليمن العثماني، ثم تولى ولاية اليمن واختار البقاء بعد جلاء العثمانيين، مكث في اليمن أكثر من عشرين سنة، ثم عاد إلى دمشق وتوفي =

المطاع[1]، ومعهم جانباً من حقوقِ اليمن وأعملَ رأيُ العجمِ والسيد يحيى بن هاشم وعبدالله بن حسين الصوفي[2] على خروجِ فيضي لمقصده دفعَ المطرح، عن تلقي محمود باشا، ومقصدُ السيد يحيى بن هاشم الذبُّ عن نفسه وبلده، ومقصدٌ عبدالله بن حسين الصوفي شدةُ عداوة للقاضي حسين العَرَشي.

فلما كان يوم السبت خرجَ فيضي باشا نحو سَيْانَ[3] وقصدَ المخرفَ[4] والمعاينَ[5] فلما بلغَ فيضي باشا مقصدَه، ومن معيته، رجعَ إلى صنعاء وخَارِف الذين كانوا في المطرحِ العدني، رجعوا وأمرهم الإمامُ، حفظه الله، ونفذوا من رَيْدَة[6] يومَ الخامس والعشرينَ من شهر صفر سنة ٢٥، وما كانَ من المجاهدين سيدي عباس، حفظه الله،

= سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، انظر، زورق الحلوى، ٧١؛ حياة الأمير، ٧٦، ٦٩، ٦٠٠؛ المعلوم والمجهول، ١٨٩.

(١) علي بن محمد بن أحمد المطاع: ت بصنعاء سنة ١٣٧١هـ، كان عضواً في مجلس الادارة في العهد العثماني، وتولى في عهد الإمام يحيى نظارة الأوقاف، زار استانبول زمن السلطان عبد الحميد، وعينه الإمام لأعمال رَداع، كان معروفاً بحنكته السياسية، انظر، نزهة النظر، ٤٦٦؛ هجر العلم، ٦١٤.

(٢) عبدالله بن حسين بن ناجي الصوفي: مدير الأتراك من جهة خَوْلان، انظر، أئمة اليمن، ١٧٢.

(٣) سَيَّان: جنوب صنعاء من بلد سنحان، محاطة بجبال بني بهلول وبني مطر، انظر، صفحات مجهولة، ٥٤؛ أئمة اليمن، ٢١٣؛ المقحفي، معجم، ٣٣٦؛ صفة جزيرة العرب، ٢٣٨؛ مراصد الاطلاع، ٧٦٣/٢.

(٤) المخرف: قرية كبيرة من اليمانية العليا، انظر، العزب، فترة خروج، ٤٠.

(٥) المعاين: قرية من عُزلة اليمانية العليا، ناحية خولان الطيال، انظر، العزب، فترة خروج، ٤٠.

(٦) رَيْدَة: شمال غرب صنعاء بمسافة ٤٩كم، وهناك ريدة الصَيْعَر، وريدة الدين، وجبل ريدة، =

والقاضي حسين بن أحمد العَرَشي، عافاه الله، والشيخ عون الدين أحمد بن أحمد مساعد، ومَنْ بمعيته منَ المجاهدين فنفذوا إلى أطراف بلاد الحدأ[1] يريدون الحمولةَ الطالعةَ من ذَمار[2] صحبتَهَ محمود نديم والسيد علي بن محمد المطاع، فسبقهم العجمُ إلى زِرَاجة[3] ونحوِها، فأداروا الفكرَ إلى الرجوعِ لسَيْان فقدَّموا جماعةَ الليلِ، ودخلوا بيتَ السيد يحيى هاشم، وقبضوا على ولديه السيد محمد بن يحيى وأخيه في ليلة السبت ٢٣ شهر صفر سنة ٢٥، ورفعوا الأمرَ إلى مولانا، حفظه الله، وصارت الأوامرُ (١١أ) بالمراجعة لمولانا سيف الإسلام العلامة محمد بن الإمام الهادي في كيفيةِ المحطات من قبلِه، وعُدْنَّ في حوازات صنعاء.

وفي خلالِ ذلك رجعَ يوسفُ الخبيث إلى عَمْران يدورُ أمرَه ويعملُ مكرَه.

= انظر، الاكليل، ١/ ٢٧٠؛ اليمن الكبرى، ٨١، ١٧٠؛ صفحات مجهولة، ١٩٠؛ قرة العيون، ٢٢٢؛ معالم الآثار، ٦٤؛ المقحفي، معجم، ٢٨٠.

(١) الحدأ: اسم قبيلة من بكيل وناحية من نواحي صنعاء بالجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٥٠كم، مركزها زِرَاجة، يقع غربها سهل جهران، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٠٢؛ مراصد الاطلاع، ٣٨٦/١؛ صفحات مجهولة، ٣٢؛ نشر العرف، ١٤٨/١؛ اليمن الكبرى، ١٦٦؛ حياة الأمير، ٦١٧.

(٢) ذَمار: جنوب شرق صنعاء على بعد ١٠٠كم من صنعاء، بها كثير من المساجد والآثار، مركز اللواء، انظر، صفة جزيرة، ٧٩؛ الإكليل، ٥٥٢/١؛ صفحات مجهولة، ٢١؛ أئمة اليمن، ٤٦/١؛ اليمن الكبرى، ٥٤؛ المقحفي، معجم، ٢٥١؛ حياة الأمير، ٦٢٠.

(٣) زِرَاجة: مركز ناحية الحدأ، تابعة إدارياً ذمار، شرق ذمار، انظر، رياض الرياحين، ١٠٨؛ المقحفي، معجم، ٢٨٩؛ صفحات مجهولة، ٨٧؛ مذكرات المؤيد، ٢١٨.

وفي يومِ الخميس، الثامن والعشرين من شهر صفر سنة ٢٥، خرجَ فيضي من صنعاءَ، ومعه طائفةٌ من العساكرِ والخيَّالة إلى عَمْران، فلما علمَ بذلك مولانا، حفظه الله، عَجَّلَ المونات وحثَّ المقادمةُ الساداتُ الأمجادُ على الثبات، وكتبَ إلى مقادمةِ بلادِ خَوْلان وسَنْحَان بفتحِ العمل من وراء فيضي واغتنامِ الفرصةِ في محلِ الحمالة مع غفلة العدو، وكانَ نفوذُ الأوامرِ يومَ السبت سلخَ شهر صفر سنة ٢٥.

وهذه حوادث شهر ربيع أول سنة ٢٥.

وفي يوم الجمعة توجه الطاغيةُ فيضي إلى كُحْلان والمجاهدينَ تقسَّموا عنوات؛ فكانت عنوةُ الجبلِ الذي فوق عَزَّان[١] عنوةَ سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبدالكريم والشيخ ناصر الأحمر، والجَميمة[٢] وغُربان[٣]، عنوةَ سيدي عبدالله، أبو منصر ومن معه، وجماعةٌ عنوتهم القلعةَ والمشعيبَ[٤] بما فيه من ترك، ودارت الحربُ، وقد داخل الفشلُ كثيراً من حَاشد إلى الليل، فآوى الشيخ ناصر مبخوت إلى سقيف طرفِ الجبل، وركنوا على قومٍ من حَاشد في المحراس والمحافظة على

---

(١) عزّان: قرية في كُحلان الشرف، بالشمال من حجة، انظر، المقحفي، معجم، ٤٤٢.

(٢) الجَمْيمة: قرية في مَبْيَن حجَّة من عُزلة الظفير، والجميمة اسم مشترك لعدد من المواضع منها قرية سيران الشرقي من بلاد شُهارة، وقرية في عُتمة وناحية من نواحي حجة وجبل الجميمة في بني حشيش، انظر، معالم الآثار، ٣٣؛ المقحفي، معجم، ١٢٩.

(٣) غُرْبَان: بلدة شهيرة في حاشد، ينسب إليها آل الغُرْباني، من فروعهم بنو حيدرة وبنو مغل، وبنو جَحَّاف، من ولد الأمير ذي الشرفين محمد بن جعفر بن الإمام المنصور القاسم العياني، انظر، معجم البلدان، ١٩٦/٤؛ المقحفي، معجم، ٤٨٠؛ مراصد الاطلاع، ٩٩/٢.

(٤) المشعيب: عزلة من ناحية كحلان عفار حجة، انظر، العزب، فترة خروج، ٤٠.

الجبل، فما شعرا إلاَّ بالعجم حولهما ففزعا فراراً لا يعلما أين جاءت الهجومُ فانحدرا، فما كان الشيخ ناصر، فكأن خُشيَ على البغلِ حقه، فرمَى البغلَ خُدَّامُه وانحدرَ إلى الزيلة[1]، شرقي جَبل عَفَّار، وما كان من سيدي عبدالكريم فعزمَ بمنْ وجه معه ليلاً.

وأما سيدي الهمام الفخري عبدالله، أبو منصر، فرجعَ إلى مَنْ في القلعة والمشعيب إلاَّ وقد هربَ من رتبة المشعيب، وادعة[2]، وبقيَ فيها الأهنومُ، وأهل الجبل ورتبةُ بني حشَيْش وحده، فتقدمَ عليهم العجمُ إلى قلعة الجرادي[3] وقرية المشعيب يوم السبت من وقت الغداء إلى نصف الليل، وكانت الحربُ أشدَّ من حرب الجمُعة، حيثُ لم يبق مع العجمِ معارضٌ إلى نصف الليل، فضربَ بالنَفير بالهجومِ، وكانَ مع سيدي عبدالله بن يحيى بورزان[4] يعرفُ لغةَ النفير، فسأله سيدي عبدالله،

---

(١) الزيلة: جنوب صنعاء من بلاد صُريم بالقرب من أثافت، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٤٥؛ والزيلتين، من بلاد صُريم بالقرب من أثافت، انظر، السيرة المنصورية، ٣٤٤؛ اللآلي المضيئة، ٢/ ٢٩٩؛ وجاءت في معجم المقحفي، الزيلة، قرية في الحَيْمَة الداخلية من عزلة الأحبوب، وهي المقصودة هنا، انظر، المقحفي، معجم، ٢٩٦.

(٢) وادعة: من قبائل حاشد، وهم يتوزعون في جهات مختلفة، منها وادعة حاشد في بلاد حاشد على مقربة من خمر، ووادعة الشام، شرقي صَعْدَة من ناحية الصفراء ووادعة عسير، شمال نجران بغرب، وربع وادعة من ملحقات صنعاء، انظر، الاكليل، ٣١٤/١؛ اليمن الكبرى، ١٩٧؛ المقحفي، معجم، ٦٨٧.

(٣) قلعة الجرادي: نسبة إلى بني الجرادي، وهي عُزلة من ناحية السلفية وأعمال رَيْمة، وبنو الجرادي أيضاً، قرية وحصن في عمران من عزلة الحجوز، والجرادي من قبائل شوكان من بلاد ذمار، انظر، الاعتبار، ١١٤؛ المقحفي، معجم، ١١٥.

(٤) بورزان، تركية معناها عازف الألحان.

فقال : آمَرَهم بالهجوم، وكان سيدي عبدالله بن يحيى، ماهراً في الحرب ومجاولة العدو، فنظرَ إلى قرية المشعيب وإذا هي ولا مجيب، وماؤها نازح غير قريب، فأمَرَ أصحابَه بالخروج حَذراً من انحصار **(١٧ب)** في البروج، ولا ساقيها إذا تعذَّرَ الخروجُ، فعزموا نحو شَرس مع تعذُّر الطريق من غيرِ الوادي ودارَ إلى الصُلبة والتركُ أخرجوا المنحصرينَ في حصنِ عَفّار، وذلك منتهى مآربُ الطاغية فيضي، لما هو منه عادتُه، أَخَذَ المدّحةَ في أيامه الماضية، وحَسْداً إلا ينتهي ليوسف الخبيث بدرجة عالية، والصبحُ تراجعت الأجنادُ بعدَ الفشلِ وضاقَ بهم الحالُ من ذلكَ الزّلل، فصارَ التحقيقُ أنّ القومَ قدرُ ثلاث مئة، وأما الطاغيةُ فَرجعَ إلى عمرانَ ثم إلى صنعاءَ خشيةً من حدوث ملامة بحادثة من أحد المقادمة، وصارت الأوامرُ من مولانا، حفظه الله، بالكرِّ على جميعِ مَنْ فرَّ من العسكر والباقينَ بمحطة سيدي الفخري، عَافَاهُ اللهُ، هم الصميمُ، وأهلُ الصبرِ على النهّجِ القويم، فاجتمعوا إلى قرية قَيْدَان[1].

وفي يومِ الخميس، تقدَّمت العجمُ على قَيْدان، وثبتَ المجاهدونَ غيرةً لدين الله، ونكايةً لأعداء الله، ولا زالَ الهجومُ من شروقِ الشمس إلى قبلِ الظّهر، فلم ينالوا خيراً، ومن عصرٍ إلى بعدَ العشاء والمدافعُ ثلاثةٌ، فخرجَ منها المجاهدونَ بعدَ أنْ تهدَّمت القريةُ بالمدافعِ وآلةِ المدافعِ، ووقعَ في المجاهدينَ شهيدان، السيد يحيى بن أحمد بن محسن أبو منصر، وحسين الخُبَاني من خاصة سيدي الفخري، عَافَاهُ اللهُ، واثنا

---

(١) قَيْدَان: بلدة في جبل كُحْلان عَفّار، انظر، تاريخ اليمن الحديث، ٤٠؛ المقحفي، معجم، ٥٢٦.

عشر جريحاً، جروحَ السَّلامة، وأما العجمُ فكانت هذه الوقعةُ صادمةً لهم، ومقنعةً أزالت الضلعَ، وأذهبتْ من العجمِ الطمعَ، فأحرقوا من خرابات القرية ما أحرقوا، وارتقوْا إلى الجبل، وأرادوا الارتحالَ عَمْرانَ جانباً، وحَجَّةَ جانباً، فطلعَ الشيخُ ناصرُ مبخوت إلى أغوالِ الصُلبة، قدموا للاتراك المتوجهين عَمْران، فانتظروا وصولَ عصبة المدفع بمدفعهم، وضربوا عليهم بالرميِّ حتى فرَّ العجمُ عن المدفع، والمدفعُ كبيرٌ، ما وزر، ولم يكن للشيخ ناصر زيادةٌ غيرَ مَنْ مَعَهُ، فتوقفَ المدفعُ مكانَه حتى أغارَ غالبٌ بمن معه من العجم، وأرادوا الإحاطةَ بالشيخِ ناصرِ ومَنْ معه، فلم يظفرْ أعداءُ الله بغير نجاتهم، وأخبرَ بقتل ضابط الطوبجية، وقتول كثير في العجم، وفي قراشهم، ورجعَ الشيخُ ناصرُ إلى الزَيْلَة، ووصلَ إليهم أبو سهيل في جَماعةً من أصحابه، وعزمَ بهم الشيخُ ناصرُ وجماعةٌ من بني مَوْهب[1] وتوجهوا على العجم الذينَ في **(١١٨أ)** في الصعيفية[2] ترقبوا لهم إلى أن شدَّ البعضُ وهجموا على الآخرينَ من العجم فتداخلت البيوتُ، ووقعَ في العجم قتولٌ وأسارى، وغنمَ المجاهدونَ وتبعوهمُ في سودان[3] ثم في شرس ثم في عقبة سلامة[4] إلى مغربة كوكبان حَجَّة، وأغارَ عليهم التركُ الذينَ في حَجَّة.

---

(١) بنو مَوْهَب: عُزلة من كُحلان عَفَار بالشرق من حَجَّة، من قراها، بنو سريع وبيت وحيش وبيت الحجر والوجرة وغيرها، انظر، الإكليل، ٢٧/٢: المقحفي، معجم، ٦٤٨.

(٢) الصعيفية: قرية في شرس بالشرق من حجة

(٣) سودان: عُزلة وناحية من حجة

(٤) عقبة سلامة: ما بين حجة وشرس.

كانَ ذلك في ٩ شهرِ ربيعِ أولِ سنةِ ٢٥.

وفي هذا الشهرِ وقعتِ الحربُ في بني السَّياغ[١] في محلِّ المحطة، تجمعَّ العجمُ منْ صنعاءَ، ومنْ الفرقِ ومنِ الذينَ في رَيْمَة[٢] وبيت عَجَل[٣]، وباتت الحربُ ثلاثةَ أيامٍ أصحاب سيدي محمد بن يوسف، عافاهُ اللهُ، وغارتْ إليهمُ الغاراتُ منْ بني أهلِ الحَيْمة وثبتَ المجاهدونَ حتى حطت القرى بالمدافعِ، فكانَ في العجمِ قتلٌ واسعٌ، وخرجَ، حفظهُ اللهُ، وأصحابهُ في سلامة ولا قتيلَ فيهم، ولا جريحَ يعتدُّ بجرحه، وتوجَّهَ، حفظهُ اللهُ وعافاهُ، نحوَ بلادِ الثلث من بني مطر، فخَابوا ومُنعوا عن الضيافةِ ورموا بقليلٍ من البنادق، فتركهمُ المجاهدونَ ورَقَدوا تعباً بعدَ حربِ ثلاثةِ أيامٍ إلى الصبحِ، وأضافَهمْ القشامونَ[٤]، أهلُ القارةِ[٥]، غداءً وعشاءً.

---

(١) بنو السيَّاغ: عُزلة كبيرة من الحَيْمة الداخلية محاذية لبني مطر من جهة الشرق فيها قرى كثيرة أهمها: هجرة العين، انظر، المقحفي، معجم، ٣٣٥؛ رياض الرياحين، ١٣٠.

(٢) رَيْمَة: جنوب شرق الحديدة بمسافة ٧٠كم، وجنوب غرب صنعاء، انظر، معالم الآثار، ٣٧؛ اليمن الكبرى، ٥٧؛ قرة العيون، ٢٦٩؛ الإكليل، ٤٦٢/٢؛ نشر العرف، ٤٩٠/١؛ صفحات مجهولة، ٣٢.

(٣) بيت عَجَل: من قرى بني السيَّاغ، من بلاد الحيمة، انظر، رياض الرياحين، ١٣٠، ١٣٣.

(٤) القشامون: الذين يعملون في البساتين الملحقة بالمساجد، ويزرعون الخضر والبقول ونحوها ويسمى البستان، المقشامة، انظر، السياغي، صفحات مجهولة، ١٠١.

(٥) القارة: من مخلاف جبل الشرق وأعمال آنس، والقارة لغة الأكمة، والقارة في اليمن كثير، انظر، هجر العلم، ١٦٤٣؛ المقحفي، معجم، ٥٠١؛ الحجري، مجموع، ٦٤١/٢. والمقصود قارة بلاد البستان من عُزلة الثلث.

ثمَّ انتقلَ بمنْ معَهُ إلى البروية[1] وبيت الجعدبي[2] ثمَّ إلى بيت الرَمَّاح[3]، وكتبَ لمولاَنا منْ بيت الرَمَّاح يطلبُ تدبيرَ مولاَنا، حفظهُ اللهُ، وأمّا الشيخُ نصيرُ الدين فإنَّهُ طَلَعَ منْ بيت الشقاقي[4] إلى مَسْيَب[5] والمكاتبةُ بينهُما في المطرح.

نعَمْ وأمّا سيفُ الإسلام، سيدي محمد بن المتوكل، فإنَّهُ لمّا سَمعَ ذلكَ الحربَ في أعلى الحَيْمة، أنفذَ المقادمةَ منْ حضرته، حفظهُ اللهُ، محلَّ الحرف إلى نحو الفرق، فوصلت المقادمةُ سيدي العلامة محمد بن يحيى عامر، عافاهُ اللهُ، وسيدي عباس بن عبدالله بن المؤيد والأجناد إلى بيت الرَّميم[6]، وحيثُ ما وَصَلوا هنالكَ إلى يومِ الاثنين ٩ تاسع شهرنا ربيع، وكانَ قدْ انتزحَ سيدي محمد بن يوسف كما ذَكرْنَا، تجمعتْ العجمُ عليهمُ، وكانتْ حربٌ عظيمةٌ طالتِ الحربُ إلى الليل.

---

(١) البَرَوِيَّة: صقع كبير من بني مطر، غرب جنوب صنعاء بمسافة ٢٨كم، انظر، المقحفي، معجم، ٧٧.

(٢) بيت الجعْدُبي، أو الحجادب ويقال الجعَادب: بلدة من عزلة شهاب الأسفل في ناحية بني مطر، انظر، الإكليل، ٢٦٣/٢؛ صفة جزيرة، ٢١١؛ المقحفي، معجم، ١١١.

(٣) بيت الرَمَّاح: من مشايخ ناحية البستان (بني مطر)، انظر، المقحفي، معجم، ٢٧٢.

(٤) بيت الشَقَّاقي: قرية في الحيمة الداخلية، إليها يُنسب بنو الشَقَّاقي، أهل صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ٣٥٩.

(٥) مَسْيَب: قرية في بني مطر، من عُزلة بني الراعي، من قرى بلاد البستان (بني مطر) غرب صنعاء، انظر، صفحات مجهولة، ٣١؛ الإكليل، ٣٥٥/٢؛ معالم الآثار، ٣٦؛ صفة جزيرة العرب، ١٥٧؛ البدر الطالع، ٥٨/١.

(٦) الرُمَيْم: موضع في بلاد الحَيمة الخارجية، إليها ينسب بنو الرُميم، انظر، صفحات مجهولة، ٨٤؛ المقفحي، معجم، ٢٧٤.

ولمّـا وصلت الأخبـارُ والكتبُ إلى مـولانا حفظهُ اللهُ أسـرعَ أولاً بالمونات الحمالون[1] عصبةً في أثرِ عصبةٍ. ثمَّ أمرَ السيد العلامة محمد ابن يوسف بالبقاء في بلاد البستان[2]، وكذلكَ الشيخ نصير الدين أمرهُ، مولانا حفظهُ اللهُ، بالتـردد لمّا عَلِمَ مولاَنَا، **(١٨ب)**، حفظهُ اللهُ، بتجمع العجم، إلى نحو الفرق الغربيِّ خشـيةً منْ انقطَاعه عَليهمُ لما يَنَالُهم منهُ الضررُ الشديدُ بقطعه، فقدْ تجمّعت العجمُ إلى هنالكَ، ووصلَ الخبرُ إلى مولاَنَا، حفظهُ اللهُ، كذلكَ بخروج يوسف الخـبيث منْ عَمْرانَ وتوجَّهَ إلى بيت غَفَر[3] طرفاً منْ بلاد همْدَان لمـقاصدَ تحتملُ، إمّـا انتظاراً لما يَبْدو منْ حركـات مولاناَ العلامة سـيف الإسلام، سيـدي العلامة محـمد بن الامام الهـادي وأرْحَب أو يُريدهُ فرصَـتَهُ في بلاد الطويلة مع اخـتلاف الرأيِّ بينَ سيدي علي بن علي السراجي، وبينَ العلامـة حمود بن محمد ابن شرف الدين أو يكونَ قرباً خشيةً منْ انضمام هَمْدَان وأرْحَب وبلاد البُستان أمّا لواحد منْها أو الكلِّ، واللهُ ناصرٌ دينَهُ ومعزٌّ أولياءهُ.

ولمّـا بلَغَ مولاَنَا تجـمّعُ العجمِ في الحَـيْمـة عجّلَ حـوايلاً نافـعةَ

---

(١) الحمالون: المقصود من يحملون بالاجرة حسب الاتفاق والتعويض عما يكون من قتلى وجرحى، انظر، صفحات مجهولة، ٢٠٧.

(٢) بلاد البستان: بلاد واسعة غربي صنعاء، بها مخاليف عديدة، منها تمر الطريق إلى الحديدة، يحدها شرقاً قاع صنعاء، وغرباً بلاد الحيمة، وجنوباً أنس، وشمالاً كَوْكَبان وهمدان، انظر، اليمن الكبرى، ٧٦؛ صفحات مجهولة، ٣١؛ رياض الرياحين، ١٢٢.

(٣) بيت غَفَر: قرية شرقي جبل كوكبان بمسافة ٥كم، غرب شمال صنعاء على طرف قاع المُنَقَّب، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٢/٩٣؛ المقحفي، معجم، ٤٨٣.

بدراهمَ وحبٍّ ومؤنة، مدداً لسيف الإسلام محمد بن المتوكل لئلاَّ تلجيه الضَّرورةُ إلى الإلحاحِ على الرعيةِ أهلِ الحَيْمةِ. وأيضاً عَرَفَ الإمامُ، حفظهُ اللهُ، إنّ سيفَ الإسلامِ محمد بن الإمام الهادي إلى بلاد أرْحَب بزيادة سيف الإسلام، محمد بن المتوكل إلى الحَيْمة، ومع ذلكَ فقدْ وصلتْ في هذا الشّهر كتبٌ من الأشراف آل نمي، يروونَ فيها عَنْ سعود النجدي[1] أنْ الخبرَ عنْدَهُ من السّلطنة، إنّهُ لابدَّ من تخلية ولاية اليمن، وجزمَ به، وفيهُ أنّ متصرفَ عسير طلبَ حواراً وأماناً منْ علي بن محمد بن عائض[2]، وإنّهُ على رأيه وإرَادَته إنْ أرادَ أنْ يبقى بقيَ، وأنْ أرادَ أنْ يرتحلَ ارتحلْ. ومنْ ذَلكَ أنّ فيضي طَلَبَ العفوَ عن ولاية اليمن لكبر سنّه. ومنْ ذلكَ خبر، أنّ ثمّة مأموراً من طرف السلطان يُقالُ له، هادي باشا[3]، ومَعَهُ آخرُ وعالمان لاغير، بأمر من السلطان، ويُروى أنّ فيضي ضائقٌ منْ وصول المذكور، واللهُ غالبٌ في أمْره، عَدْلٌ، فيما قَضَاهُ. وكانَ وصولُهم يومَ الأحد، خامسَ عشرَ شهرِ ربيعٍ أوّل، سنة ٢٥ وهمُ

---

(١) المقصود سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، من ملوك الدولة السعودية، والذي قاد عدة معارك في عهد أبيه، انظر، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ٧٧٣، ١٤٠٤.

(٢) علي بن محمد بن عائض، حاكم منطقة عسير، حارب الأتراك، وكانت له حروب مع قبائل المنطقة، وكانت له حروب مع آل سعود والادارسة ت في حرملة سنة ١٣٢٤هـ، السراج المنير، ٩٦-١٠٤؛ الدر المنثور، ١٨٠-١٨٤.

(٣) في أئمة اليمن، ١٠٣، (سيرة الإمام المتوكل على الله) ورد قدوم الاستاذ محمود أسعد أفندي من العلماء، والفريق ثابت باشا والفريق هادي باشا وأميرالاي أحمد بن محمد الخباني الصنعاني.

سبعةُ أنفارٍ، رئيسُهُم، محمود أسعد، وثانيهم، هادي باشا فريق، وثالثهم، شكري بن ابو السلام فريق، ورابعهم السيد أحمد بن محمد الخباني[1] ميرالاي، والآخرونَ ياورات.

ومنْ حوادث هذا الشّهرِ، وقعَ وصولُ سيدي محمد بن يوسف، عافاهُ اللهُ، والشيخ نصير الدين، علي بن المقداد محلَّ حَلَّة[2] منْ بني شهاب[3]، والتركُ وَصلَوا بيتَ حَنْبَص[4]، وقعَ فيها عدمُ موافقة، فخرجَ المجاهدونَ منْها وأرادوا الوصولَ (١١٩أ) بيتَ رَدَمَ[5] أخبرني السقاية، صاحبُ هجرِ البروية، أنَّ أهلَ بيت رَدَمُ قَالوا إنْ كانَ ثمة أمرٌ من الإمامِ، حفظهُ اللهُ، أَطْلَعتونَا عَلَيه ومَرْحَبا، فلم يُظهروا لهم رأياً، فرجَعوا البرويةَ والتركُ لحقوا إلى نجد عمار، فارتَقَى المجاهدونَ والعجمُ جبلَ قَيْفَان[6]، وغارَ منْ أهلِ البلادِ منْ كلِّ مخلافٍ، ودارتِ الحربُ منْ يومِ

---

(١) أحمد بن محمد الخبُاني: كان في مجلس المبعوثان التركي عن لواء سنجق صنعاء، انظر، حوليات العلامة الجرافي، ٢٤٤.

(٢) الحلَّة: قرية في قاع جهران، جنوب صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ١٨٨.

(٣) بنو شهاب: عُزلة من ناحية بني مطر (البستان)، انظر، المقحفي، معجم، ٣٦٤.

(٤) بيت حَنْبَص: قرية عامرة في ظاهر جبل عيبان من الشرق، وفي الغرب الجنوبي من صنعاء بنحو ٥كم، انظر، صفحات مجهولة، ٥٦؛ صفة جزيرة العرب، ١٥٧؛ تاريخ اليمن الثقافي، ٩٠/١؛ معالم الآثار، ٣٣.

(٥) بيت رَدَمْ: قرية مشهورة من قرى مخلاف بني شهاب، تابع بلاد البستان (بني مطر)، إليها ينسب بنو الرَدَمي، أهل صنعاء، انظر، صفحات مجهولة، ٣٢؛ تاريخ اليمن الثقافي، ٩٨/١؛ المقحفي، معجم، ٣٦٦؛ البلدان اليمانية للأكوع، ٤٥.

(٦) جبل قَيْفَان: من بلاد بني مطر (البستان)، انظر، أئمة اليمن، ٩٥ (سيرة الإمام المتوكل على الله)..

الاثنين، ثامنَ عشرَ شهرِ ربيعٍ أوّلٍ إلى يومِ الخميس، ونزلَ المجاهدونَ الحباترة[1] والعجمُ رجَعَ كلُّ فريقٍ منهمُ جهتهُ الذينَ كانوا في صبرِ خيرة مركزَهم، والذينَ خَرجوا من صَنعاءَ رَجَعوا إليها والذينَ من مَتْنَه[2] رَجَعوا إليها، وقدْ عَظَّمَ المخبرونَ كثرةَ القَتْلى في هذه الوقعة، وما قَدْ وصلَ تفصيلُ الخبر.

نَعَمْ وكانَ عزمُ القاضي العلامة حسين بن أحمد العَرَشي ذَمار يومَ الربوعِ، ثامنَ عشرَ شهرِ ربيعٍ أوّلٍ سنة ٢٥.

وفي هَذا التاريخِ وصلَ الخبرُ أنَّ المجاهدينَ غَنموا قافلةً منْ رأس جَهْرَان[3] ما بينَ ضَاف[4] وقريةِ النقيل، وهيَ أرزاقُ حبٍّ، وبقرٍ مئةٌ وعَشرة جمال، أو ثلاثةٌ جمال وعشرونَ رأساً بقراً من شونه العُجمِ طالعةً، منْ نحوِ ذمار.

وفي هَذا اليومِ الخامسِ والعشرينَ منْ شهرِ ربيعِ الأولِ سنةَ ٢٥،

---

(١) الحَباترة: مخلاف من بلاد البستان وبني مطر، من عُزلة بني قيس، انظر، صفحات مجهولة، ١٠٧؛ المقحفي، معجم، ١٤٨.

(٢) مَتْنَة: قرية غربي صنعاء في حقل سُهْمان من ناحية بني مطر، على طريق الحُدَيْدَة – صنعاء، تبعد حوالي ٥٠كم، انظر، صفحات مجهولة، ٥٤؛ المقحفي، معجم، ٥٥٧؛ حياة الأمير، ٦٢٩.

(٣) جَهْران: أرض واسعة في الجنوب من مدينة صنعاء بمسافة ٦٦كم، جنوبي نُقيل يسلح وشمال ذمار، تسمى حقل جَهْران، وجَهْران ناحية من أعمال آنس، وتعرف بقاع جهران وهو المقصود هنا، انظر، المقحفي، معجم، ١٨٤.

(٤) ضاف: قرية كبيرة في قاع جهران من أعمال آنس، انظر، المقحفي، معجم، ٣٩٣؛ الحجري، مجموع، ٥٥١/٢.

وَصَلَ الخبرُ بحصولِ الحربِ في الأشمور[1] بينَ يوسف الخبيث وسيدي عبدالله أبو منصر في الأشمور، وحالَ وصولُ الخبرِ عزَّمَ مَوَلاَنَا، حفظهُ اللهُ، عشرةَ حمّالينَ مونةً لسيدي عبدالله أبو منصر، عافاهُ اللهُ.

وفي يومِ الاثنينِ ثالثِ وعشرينَ، ويومِ الثلاثاءِ رابعِ وعشرينَ شهرِ ربيعِ أولِ سنةِ ٢٥، توجّهتِ العجمُ بيوسفهم الخبيث على الأشمور، وسيدي الفخري عبدالله أبو منصور إلى حِلَمْلَمْ[2]، وكانَ بينهم وقائعُ عظيمةٌ وهجوماتٌ شديدةٌ، راحَ فيها منِ العجمِ، أقْماهمُ اللهُ، قَتْلٌ فظيعٌ وجرحٌ شنيعٌ، وفي العربِ قتولٌ، وتكوَّنَ سيدي الفخري، عافاهُ اللهُ، في كَتفه إنْ شاءَ اللهُ، كَوْنَ السلامة.

وكَتَبَ الإمامُ، حفظهُ اللهُ، إلى سيدي عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم[3] إلى نَيْسا[4]، يطلعُ، يقومُ مقامَ سيدي الفخري عبدالله، أبو

---

(١) الأشمور: جبل مشهور بالغرب من مدينة عَمْران، بمسافة ٢٢كم، انظر، المقحفي، معجم، ٣٤؛ اليمن الكبرى، ١٠٦؛ غاية الأماني، ٥٦/٢؛ اليمن عبر التاريخ، ٣٣٩.

(٢) حِلَمْلَمْ: قريتان من عُزلة الأشمور وأعمال عَمْرَان، حِلَمْلَمْ العليا وحِلَمْلَمْ السفلى، وهما في محاذاة جبل المصانع من الشمال، انظر، الإكليل، ١٠٦/٥، ١٨٢/٨؛ صفة جزيرة العرب، ١٢٣؛ المقحفي، معجم، ١٨٨.

(٣) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرب، من أولاد الحسين بن القاسم بن محمد: من أهل الرَوْضة، كان مع الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين في صَعْدَة، وتولى له بعض الأعمال، سكن مبُين حجة، تولى للمتوكل على الله في جبل نيسا، انظر، نزهة النظر، ٣٩٧؛ هجر العلم، ١٩٣٨/٤؛ الدرر المنتقاة، ٣٩.

(٤) نَيْسا: وجبل نيسا: جبل من بلاد حاشد، غربي عَفَّار، يفصل بينه وبين عَفَّار وادي نعلان، وهو عُزلة من ناحية المغربة التابعة لمحافظة حَجَّة، انظر، الحجري، مجموع، ٧٤٧/٢؛ المقحفي، معجم، ٦٦٩.

منصر، لجمعِ شملِ الأجنادِ الأماميةِ هنالكَ.

وأمرَ سيدي العلامة اسماعيل حسن الوادعي[1] بلمِّ شعثِ القومِ إلى وصولِ سيدي عبدالكريم بن محمد، وسيقعُ إنْ شاءَ تعيينٌ عليهمُ على ما يوافقُ ويطابقُ الحالَ.

(١٩ب) وفي العَشْرِ الأواخرِ منْ شهرِ ربيعٍ تجمّعت العجمُ على سيفِ الإسلامِ محمد بن المتوكل، حفظهُ اللهُ، إلى الحَيْمَةِ، فتوجَّهَ شكري بيك منْ أعلى الحَيْمةِ بأربعةِ مدافعَ وأربعةِ طوابيرَ، ويوسف حقّهُ منْ أسفلِ الحَيْمَةِ بثلاثةِ طوابيرَ وثلاثةِ مدافعَ، فوقعَ بينَ الاثنين منْ أعلى الحَيْمَةِ مناوشةُ حربٍ في قرامش[2]، وليسَ بالكثيرِ لقلةِ مَنْ واجَهَ للحربِ، والقومُ تفرّقتْ لم يبقَ منْها إلاّ القليلُ ثمَّ نَيْهَان[3] وعزّان وبيت الخطابي كذلكَ. فلمّا رأى سيفُ الإسلامِ، حفظهُ اللهُ، أهلَ الحَيْمةِ افتشلتْ، والقومُ تفرّقتْ، ولم يُجْدِ ما يظنُ فيه المنعةَ، إمّا لَعَدمِ الماءِ، وإمّا لَعَدمِ ما يقومُ، والبقيةُ لديه من القومِ ليستْ نصابَ صدامِ أولئكَ الأقوامِ في غيرِ منعةٍ، وموانها[4]، فتنحى، حفظهُ اللهُ، إلى طرفِ قضاءِ

---

(١) إسماعيل بن حسن بن عبدالله بن أحمد بن محمد الوداعي، ت في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦هـ، عالم محقق في الفقه، تولى اصلاح أمور المحويت، ثم تولى القضاء فيها، ولد في هجر وادعة سنة ١٢٨٨هـ، انظر، نزهة النظر، ١٨٥؛ هجر العلم، ٢٣١٨.

(٢) قرامش: موضع قرب الحيمة.

(٣) نَيْهان: جبل بالجنوب من الحدب في بني شهاب الأسفل بناحية الحَيْمة، انظر، معالم الآثار، ٣٤؛ المقحفي، معجم، ٦٥٤.

(٤) موانها: أي تقديم المؤن لها.

كَوْكبان إلى محلٍّ يُقالُ له، مهضان، واستمدَّ من الإمام، حفظهُ اللهُ، الزيادةَ بالرجال والمونة، فنفذتْ إليه الزيادةُ الأولى مَنْ أرْحَب ثمّ أمر الشريفُ عبدالله بن محمد الضُمين[1]، ومعه عصابةٌ، ثمَّ نفذَ الأمرُ إلى محطة بلاد سَنْحَان، وهي أقوى محطةٌ من الرجال، مقدّمهم، سيدي عبدالله بن علي بن اسحاق[2]، عافاهُ اللهُ، والشيخ عون الدين أحمد بن أحمد مساعد بالعزم إلى سيف الإسلام، محمد بن المتوكل، حفظهُ اللهُ، وعرّفَ قطبَ رحى الجهاد في الجهة العدنية، سيدي العلامة صفي الدين أحمد بن يحيى عامر، حفظهُ اللهُ، بتجهيزهم وتعجيلهم إلى طرف سيف الإسلام، حفظهُ اللهُ.

وفي العَشَرِ الأواخرِ من شهرِ ربيعٍ أول، طلعت العجمُ إلى مَسْوَر من حجّة، وتقدّموا على عسكر سيد يحيى بن حمود بن محمد بن شرف الدين، وكانوا في بيت عُلْمَان، ودارتْ بينهم حربٌ عظيمةٌ حتى أحاطوا مَنْ في بيت عُلْمَان، ووقعَ حربُ أيام. وقَعَ فيها كثيرُ قتلٍ في العجم حتى انتهى الأمرُ إلى خروجِ مَنْ في بيت عُلْمَان سالمينَ، لم يكنْ فيهم كما بَلَغ إلا مجاريحُ يسيرٍ، ودخلَ العجمُ بيتَ عُلْمَان.

---

(١) عبدالله بن محمد الضُمين: ولد سنة ١٢٨٢هـ من نسل الإمام عبدالله بن حمزة أول من عين قائداً للجيش المتوكلي المظفر أميراً، نظم الجيش، وله معارك كثيرة في حاشد وتهامه والجوف وغيرها ت في ذي القعدة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م، انظر، حياة الأمير، ٥٦٣؛ وثائق يمنية، ٢٩٩.

(٢) العلاّمة عباس بن علي بن أحمد إسحاق، ولد بالجراف سنة ١٣٠٢هـ، أخذ عن جماعة من علماء عصره، تولى أعمال جهات خَوْلان الطيال، وشارك في حروب الأتراك ت ١٣٦٥هـ، انظر، العزب، فترة خروج، ٢٥.

وهذه حوادثُ شهرِ ربيعِ الآخرِ سنةِ ٢٥.

وفي يومِ السبتِ ٥ شهرِ ربيعٍ، عَزَمَ الهيئةُ الخارجونَ من السلطنةِ، وقَدْ عيّنوا أعياناً يلقُونَهم إلى الحُدَيْدَةِ[١]، وكانتْ طريقُهم العدنية وجهّزهَم فيضي إلى بلادِ سَنْحَان.

وفي يومِ الأحدِ، سادسِ الشهرِ، وصلَ الخبرُ بالحربِ خارجَ ذَمارَ، وإنّها وَقعَت محربات، وقَدْ ألزمَ الإمامُ، حفظهُ اللهُ، عندَ ذلكَ عزمَ المطرحِ العدني سيدي عباس ابن علي والشيخ عون والمطرحِ جميعه بالعزمِ ذَمار لقربهم.

ولمّا بَلَغَ الإمامُ من خروجِ زيادةَ منْ صنعاءَ لمنْ في ذَمارَ وأضربَ (١٢٠أ) عَنْ عَزمهم إلى سيفِ الإسلامِ محمد بن المتوكل، حفظهُ اللهُ، حيثُ لا حثيث عنْدَهُ في الحالِ، وتضيّقت الحادثةُ عند منْ في ذَمارَ.

ومن الحوادث البالغة أنَّ جماعةً من العجمِ الرديف في عَمْرانَ، دَخَلوا وحَطّوا في مُسيك[٢] في شعوب[٣]، وانجالَ إليهم مَنْ في الرَوْضة

---

(١) الحُدَيْدَة: مدينة معروفة على البحر الأحمر على بعد ٢١٦كم، شمال غرب صنعاء، فيها ميناء كبير للتجارة، يحُده تعز من الجنوب، ولواء حجة من الشمال والبحر الأحمر من الغرب، ولواء صنعاء من الشرق، انظر، حوليات النعيمي، ٣٥؛ أئمة اليمن، ١٦٢/١؛ صفحات مجهولة، ١٩؛ حياة الأمير، ٦١٧؛ المقحفي، معجم، ١٦٢؛ الحجري، مجموع، ٢٥٠/٢.

(٢) مُسيك: المقصود مسجد فروة بن مسيك المرادي الكائن في الجهة الشمالية بالقرب من الجبانة، والتي هي مصلى العيدين بصنعاء، انظر، الحجري، مساجد صنعاء، ٨٩.

(٣) شُعُوب: ضاحية صنعاء الشمالية، أصبحت اليوم في وسط المدينة بعد التوسع العمراني، انظر، المقحفي، معجم، ٢٥٨، وفي صنعاء باب شُعوب، في شمالها، يخرج منه إلى شعوب وسائر البلاد الشامية، انظر، صفحات مجهولة، ٦٧.

من الرديف، والذينَ في نُقمُ[1] والتَقفوا الأرزاقَ خارجةَ الرَّوْضَة فأخَذُوها. ووقعَ مجاريحُ في الحربِ بينهمُ وعَضَدهُم مَنْ في بابِ السبح[2] من العجم، ووقعتْ بينَهُم واسطةٌ، فَدَخَلَ الضّباطُ حقَّهمُ، وقَصدَوا بيت السلك[3]، وبَقوا هنالكَ، ومنَعوا على السلكِ حتى ترجعَ لهم الإفادةُ من السلطانِ نَفْسه، ومَا رَضي يَخْرجُ منهم من بيتِ السلك أحدٌ، أجَابوا : إنّما هُمُ خارجونَ إلاّ يَصل إليهم فيضي وفلان، قيلَ إنّهم عازمونَ إنْ وَصَل إليهم ليَقْتلُونَهُ. وهذه دلائلُ سعادات لمولاَنَا، حفظهُ اللهُ، حيثُ ألقى اللهُ بيَنَهم العداوةَ، وأظْهَرَ سرائرَهم. وإنّهُ منْ جملة ما روَاهُ الثقةُ أنَّ المطلوبينَ للدخولِ إلى السلطانِ كلَّموا عدوَ الله فيضي، فَقَالوا : إنّا مطلوبون إلى السلطانِ، ما ندخلُ، نقولُ للسلطانِ، وأنتَ في هذه، الأعمالِ والجهد.

قَالَ : كلٌّ تكلمَّ بكيفية، إلاّ إنكُم كلَّموا السطانَ أنَّ فيضي، لا نومَ، ولا أكلَ، وعسكريٌّ مفسدٌ، وضابطٌ مفسدٌ، وقبائلُ مفسدون، فهذه من عجائبِ قدرِ الله، كيفَ يُقرُّ بعدَ ذلكَ الكبرُ.

---

(١) نُقُم: جبل صنعاء المشهور، يطل عليها من الشرق، يرتفع عن البحر حوالي ٢٨٠٠م. انظر، صفحات مجهولة، ٨٨؛ المقحفي، معجم، ٦٦٤.

(٢) باب السبح: أحد أبواب صنعاء الغربية فيما بين صنعاء وبئر العزب، انظر، صفحات مجهولة، ٦٧.

(٣) السلك: هو خط الاتصال البرقي، يربط بين صنعاء والحديدة، ثم مع الباب العالي بطريق الحجاز وبلاد الشام.

وفي هذا الشهر وقعتْ مَقْوَلةُ[1]، وذلكَ أنّ فيضي استلحقَ يوسف الخبيت من عَمْران، فدخلَ منْ عَمْرَان، ولم يقفْ في صنعاءَ إلا أربعُ ساعات،وتوجَّه نحوَ بلادِ سَنْحَان متكبراً على الله، وإنَّهُ سيطرتْ منْهُ في الجهة العدنية.

فَلمّا كانَ يومُ الاثنين تقدّمَ على مَنْ في مَقْوَلة صحبة السيد الماجد عباس ابن علي بن اسحاق، حفظهُ اللهُ، والشيخ عون الدين، أحمد بن أحمد مساعد، عافاهُ اللهُ، فخرجَ المجاهدونَ لحربِ الخبيث، عدوِّ الله، فَهُزم إلى سَيَّان، واستغاثَ بفيضي الطاغية، فخرجَ فيضيُ بمَنْ مَعَهُ في صنعاءَ، وكانت الحربُ يومِ الاثنين، ويومِ الثلوث ويومِ الأربعاء، عله، ٧ شهرِ ربيعِ الآخرِ السنة المذكورة.

فَلمّا كانَ يومُ الأربعاء، خَلَتْ على المجاهدينَ المونةُ، ولَمْ يكنْ عنْدهمُ مشقةٌ مَنْ أعداء الله، فانتظرَ منَ النهارِ إلى جانبٍ في الليلِ **(٢٠ب)** وصولَ مونة مَنْ حضرة سيدي العلاّمة، الصفي، أحمد بن يحيى عامر أو منْ سيدي العلامة سيدي، سيف الإسلام، محمد بن الإمام الهادي، عافاهُ اللهُ، فلَمْ يصل شيءٌ، فأجْمعَ رأيُهما على الخروجِ منْ مَقْوَله والانقسامِ؛ فسيدي عباس انتقلَ بالقومِ، محلَّ اللمعِ منْ بلدِ خَوْلان، والشيخ عون الدين بثلاثِ مئةٍ منتخبةٍ غرباً، فَغَزَا في ليلته على

---

(١) مَقْوَلة: من أطراف بلاد سَنْحَان، من عُزلة الربع الشرقي، على مسافة ٢٠كم جنوب شرق صنعاء، بها حصن قوي، انظر، معالم الآثار، ٣٩؛ أئمة اليمن، ٩٥ (سيرة الإمام المتوكل على الله يحيى)؛ المقحفي، معجم، ٦٢٤.

رتبة ضير خيرة تعاشيراً ونحوَهَا، ووجّه قريةَ حافد[1]، انقضت المعركةُ على ثمانية شهداءَ من المجاهدينَ مفرّقينَ على اثني عشر مكاناً.

وأمّا العجمُ، فالخبرُ على أنّ القتلَ فيهم فوقَ المئة.

وفي اليوم الثاني خرجا منْ مَقْوَله ورجعا صنعاءَ، وأولئكَ المجاهدونَ اتبعوا لَهُم التناصيرَ في رأس نُقُم من الجهة العدنية، وفي ضبر الخَوْلاني[2] والتعاشير في القاع العدنيِّ، ورَجَعَ يوسف الخبيث عَمْران، خشيةً على ما وراه، أو خشيةً منْ متابعة محطّته إلى محطة المخالفينَ من العجمُ الذينَ في الجراف، وفي شُعُوب، وذلكَ قبلَ أنْ تنفذَ إليهم أوامرُ الإمامِ بالنهوض أولاً إلى سيف الإسلام، ثمّ بالنفوذ إلى القاضيِّ حسين العرشي إلى ذَمارَ.

وفي يومِ ثاني عشرَ من شَهرنا ربيع آخر نفذَ سيدي عبدالكريم ابن محمد بن عبدالكريم، والشيخُ ناصر مبخوت الأحمر بالأجناد التي في عَفَّار إلى بني العوامِ، فَوصَلوا إليها، وأنفَذوا محصّلينَ إلى البلادِ من قضاء حَجّة.

وفي يومِ السبت ١٢ ربيع الآخر، وقَعَت الحربُ في وادي علي[3] من بلادِ مَسْورِ بين العجمِ الخارجينَ منْ حجّةَ ومنْ عَمْران، وبينَ سيدي

---

(١) حافد: قرية وحصن، حازة بني شهاب، انظر، المقحفي، معجم، ١٤٦.

(٢) ضبر الخَوْلاني: موضع في نهاية جبل نُقُم من الناحية الجنوبية، انظر، حياة الأمير، ٦٦٦؛ المقحفي، معجم، ٣٩٤.

(٣) وادي علي: في آنس، جنوب ضَوْران بمسافة ١٠كم من بلاد مسور، انظر، رياض الرياحين، ٥٦؛ اليمن الكبرى، ٥٩، ١٤٤، ١٤٥؛ المقحفي، معجم، ١٩٠؛ العزب، فترة خروج، ٤٢.

الهمام يحيى بن حمود بن محمد وأصحَابه رجال خَارف، وكانت الحربُ يومَ الثلاثاء، خامسَ عشرَ شَهرنا ربيعِ الآخر.

ويومَ الاثنين، السادسَ عشرَ وحربَ المدافعِ منْ رأس الحترِ إلى قلعة زوبره من عزلة الأتام[1]، وانجلت المعركةُ بعدَ قتلٍ في أعداء الله كثيرٍ، كما جرت عادةُ الله في خلقه.

(٢١أ) وَمنْ عجائبِ الأخبارَ أنَهُ وصلَ إلى حضرة مولانا، حفظهُ اللهُ، السيد حسين بن يحيى بن أحمد الهجوة الكبسي[2]، ولدُ السيّدِ الباقعة في اليمن، وأصْلاً من الديار الداخلية. دخلَ في طلب مخرجِ والده المذكور لمّا حَبَسهُ الطّاغيةُ فيضي. فَلمّا خَرجت الهيئةُ المذكورةُ فأطْلقوا المحابيسَ، والسّيدُ يحيى بن أحمد المذكور في حبسِ الطاغيةِ أحمد فيضي مُغلّظاً عليه.

فلمّا أُطلقَ وخرجَ من صنعاءَ، أرسلَ ولَدهُ المذكورَ، وأتى ببعضِ أخبارٍ من السلطان، منها إنّهُ خرجَ بابورٌ عسكرٍ منْ أناضول، ثاني شهرِ محرمٍ، سنة ٢٥، فيه ستُ زلان[3] يريدونَ بهم اليمنَ مكتوماً منهم، فلمّا وصَلوا إلى السويس، ظَهرَ عليهم أنّهُم لم يَخرجُوا لقتالِ النَّصَارَى كما

---

(١) الأتام: عُزلة من ناحية عَتُمة وأعمال ذمار، انظر، المقحفي، معجم، ١٢.

(٢) يحيى بن أحمد بن يحيى بن أحمد الهجوة الكبسي ت في ضُوران، مركز قضاء آنس في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٩هـ، سياسي، كان عامل مَفْحَق والزيدية والنادرة وآنس، أنشأ المدارس، كان مقرباً من الإمام البدر، انظر، الأكوع، هجر العلم، ١٨٠٢.

(٣) زلان: نوع من السفن، السريعة الحركة. الأصح زلالات، تكون صغيرة وسريعة، انظر، النخيلي، السفن الإسلامية، ٥٧.

أظهرُوهُ لَهُم، وأنّ المرادَ اليمنَ، وأنَّ ذلكَ تغريرٌ فـقَتَلوا القبطانَ، ومأمورَ العسـاكرِ، وسَحـبَوا البابورَ إلى القـربِ من بَرِّ مصرَ ورَجَـعوا بلاَدهم أناضـولَ؛ وإنّهُ خَرَجَ مأمورٌ إلى الشامِ اسـمُهُ مصطفى بيه وغالب أفندي إلى طرابلس الشّامِ لأَخْذ عَسْكَرِ نظامٍ بالقرعـة. فَلمّا بَلغَا إلى قريةِ المنيا من البلادِ المذكورةِ فقَتَلوهُما في خـامسٍ وعشرينَ شهرِ الحجةِ الحرامِ سَنَة ٢٤.

ومنْ أخبارِ السيِّدِ المـذكورِ إنَّهُ قَدْ خرجَ منْ حقِّ بلادِ السلطانِ إلى تحت وطأةِ الانجليزِ، ولاية قـبرص وبلغارستان وولاية أكـريد ومصر، وكلُّ هذه في أيامِ دولةِ السلطانِ عبـدالحميد بن عبدالمـجيد[1]، وكلُّ ذلكَ عقـوبةٌ منَ الله لحربه أهلَ البـيتِ في اليمنِ، وصـارَ مُصـرًّا على أنها لا تطيبُ نَفْسَـهُ بقطعةٍ منَ الأرضِ يتـولاّها أهلُ بيتِ رسولِ الله كـبراً منْ شماتته عندَ القرانات الكفريةِ.

وهَذه مَنْ عـجائبِ ضـلالِ العـقولِ، والتكـبرِ على أولادِ الرسـولِ، صلّى اللهُ عليه وآله وسلّمَ.

وفي هَذا الاسبوعِ الثالث منْ شـهرِ ربيعِ الآخرِ، سنةَ ٢٥، وصلتْ هذه الأبياتُ منِ السّيـدِ العلامةِ محمد بن أحمـد بن إبراهيم الشامي لمّا عَارَضـهُ المالنـخوليا فـي المقـامِ الشريف، وأطلعَ مـحروسُ شُـهَارة **(٢١ب)** فاشتدَّ عليه ذلكَ الأثرُ فالجتِ الحالُ إلى إرسَالُهُ وطنَهُ.

---

(١) السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد: هو السلطان عبد الحميد الثاني، عُرف بتوجهه نحو الجامعة الإسلامية ومعارضة استيطان اليهود في فلسطين، تولى سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، خُلع بمؤامرة عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، وتوفي سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م.

فَلمّا وَصَـلَ وطَنَهُ شرعَ الشفـاءَ فَذَكـرَ الإمامُ، حفظهُ الـلهُ، وعقلَ وقائعَ الجهادِ فأنشأَ هذه الأبيات، وهيَ قَولُهُ، عَافَاهُ اللهُ:

حَمَدتُ إلاهـــي إذْ تواتـرت البشرا ... بفتحِ نواحي الأرضِ مـنْ فَضلَه قَسْرًا
لمولَى الأنامِ المرْتَجـــى نيلُ كفِّه ... لأهلِ التُّقَى والسيفُ للمبتَغى شَرًّا
إمامَ الهُدَى حتفُ العدا أُسدُ الشرى ... خَضمَ النَّدا مَنْ خافَ سَطَوتهُ كسْرَا
لَقَدْ نُشرت أعلاَمُـــهُ وجُنـــودُهُ ... وفـــاضَ نَداهُ يَالَها من نعمةٍ كُبْرا
وزَلزلتَ الأتراكَ فـــي كلِّ معقلٍ ... ونَرجو من الرّحمن يَستسلموا قَهْرا
وتنفذُ في الأقطارِ شـــرقاً وغرباً ... عَساكـــرهُ واللهُ يُعطيهمُ النّصْرا
لَهُ منْ عليٍّ سَطْـــوَةٌ حَيـدريَّةٌ ... أذلَّ بها في فَتْكـه الفسقَ والكُفْرا
فَضَائلهُ في كلِّ قُطـــرٍ حَـديثُها ... لكلِّ خطيبٍ في مَنـــائرهَا تُقْرا
هو الليثُ إقْداماً هو الغَـيثُ رَحْمَةً ... هـو البحرُ عِلْماً قَعْـرُهُ يَبعثُ الدّرا
لَقَد شَملتْ كلَّ المحـــــبينَ منَّةً ... فَضَائلُهُ مـنْ فَضْـــل أنْعامه برّا
وفَاضـــتْ على الأعداءِ منْهُ سَحابةٌ ... لَوامعُها مـــنْ فيضِ صَارمه تَتْرا
صَواعقُها صوتُ المدافعِ فـي الوَغى ... إذا أمطرتْ كانَ الرَّصَاصُ لَها قَطْرَا
سَقَتْ كلَّ طاغٍ منْ عـــدَاهُ وَغَادرٍ ... بكاسٍ هـوانٍ بَعْدَ أنْ شَربوا الخَمْرا
وذَاقُوا نَكالاً بَعْـدَ أنْ خَضـبتْ بهم ... يدُ الدهـــرِ إنْعَاماً وقَدْ لَعَنُوا الدَّهْرا
إذا كانَ أهلُ البيـــــتِ آياتُ رحمةٍ ... فَهَذا بهَذا عَصْـــــرُنا الآيةُ الكُبْرا

وفي صُبحِ يومِ الخميس، سابعَ عشرَ شهرِ ربيعٍ الآخر، سنة ٢٥، تَقَدّمَ العُـجْمُ على الشراقي منْ حَجَّة، ومنْ مَـسْوَر، جَمْعٌ كثـيرٌ ومدافعُ

كثيرٌ، وكـانتْ حربٌ عظيمةٌ، وقتلَةٌ جَسيـمةٌ في العُجمِ، وفي بغَالِهم إلى آخرِ اليومِ، انهـزمَ مَنْ في هَداد، والمجاهدونَ انْقَـسَمُوا (٢٢أ) نصْفَينَ، نَاصِفـةُ شَرْقٍ، ونَاصِفَةُ بني العـوامِ، والجامعُ لشَمْلِ الطائفتـينِ الشّيخُ ناصر مبخوت، بني العوام، وسيدي عبدالكريم بن محمد بن عبد الكريم عازمٌ على الخلفَة على حَجَّة، فأتى منْ وضْرَة[1]، وعَزَمَ نحوَ الشغادرة[2]، وتجمَّعَ العُـجْمُ من عَمْـران ومَسْور وحَـجّة، وتقدَّمـوا على مَنْ في بني عَـوَام، يومَ الثلاثاء سَلْـخَ شهْـرنَا ربيعٍ آخـر، سنة ٢٥. وكانتْ حـربٌ عظيمة انتهتْ الغلبةُ فيه للعُجم، وانتقلت المَجاهدونَ إلى بلاد العريف[3]، ونفذَ لهم زيادةٌ منْ طرف مَوْلاَنـا، حَفظَهُ اللهُ، عصابةٌ منتخـبةٌ من عِذَر والعُصَيْمَات، وحولَ عشرين منْ ذو محمد صحبة ابن جزيلان.

انتهت حوادثُ شهر ربيع الآخر سَنَة ٢٥.

نَعَمْ، وهذه بدايةُ مـا وَصَلَ خَبَرُهُ في شَـهْرنا جـمادى الأولى من السّنة المذكورة، وَصَلَ كتابُ سيدي العـلامة محمد بن يوسف الكبسي

---

(١) وَضْرَة: جبل من بلاد حَجَّة فيه عدة قلاع منها الخانق الأعلى والسقف وذراع السر والمنايفة والمعزاب والمطحنة والدغاثة وعذان والقنان وبيت دَعْقين، انظر، المقحفي، معجم، ٧٠٠؛ الحجري، مجموع، ٢/٧٧١.

(٢) الشَغَادرة: ناحية من أعمال حَجَّة في الجهة الجنوبية الغربية منها، سميت باسم قرية الشَغَادرة التي هو مركز الناحية، ومن توابعها عزلة قلعة حميد، وعزلة السوالمة وعزلة المسوح وعزلة المعطن وغيرها، وهي مُشرفة على بلاد بني قيس من تهامة وادي مَوْر، انظر، المقحفي، معجم، ٥٣٩؛ نزهة النظر، ٢٥٥.

(٣) بلاد العريف: جنوب شرق صنعاء، بطن من بطون قَيفة، انظر، الحجري، مجموع، ٢/٦٠٠، ١/١٣٢.

والشيخ نصير الدين علي بن المقداد أخْبرَ فيه أنَّ أهلَ قرية مَلاح[1] منْ بلاد رَدَاع[2] تقدَّمتْ إليهم رسائلُ المقادمة، فأصرّوا واستكبروا واعمّوا وصمّوا، وهُم رجالٌ واسعةٌ، أهلُ غنىً وسعةٌ نحوَ ست مئة رَجل، وعَضَدتهمُ القبائلُ، وعَزَموا على الملتَقَى، وأنَّ المواجهةَ بالحربِ اللقاءُ، وحالَ أنْ قربتْ منهم الأجْنَادُ المتوكليةُ، وظهرتْ عليهمُ طلائعُ أحياءِ الكتائبِ الخولانية والأرحبية والمطرية والبستانية، ركّزوا بيارقَ الحربِ، وأشْهَروا أنفُسَهم للطعنِ والضرب، ورَمَوا بالبنادقِ الرميَّ المحكم، وقَتَلوا الأنفسَ وأهْرَقوا الدَّمَ، فانْتَهرهُم المجاهدونَ، واحتوتْ عَليهمُ العساكرُ الموحدونَ عندَ غروبِ شمسِ يومِ الثلاثاء، وافْترسَتْهُم أجنادُ الحقِّ ليلاً، فَباتوا خائفينَ وأصْبَحوا نادمينَ، فلم تُشرقْ شمسُ يومِ الأربعاء إلاّ وقَدْ أصبحتْ قريةُ مَلاَح لأنصارِ الحقِّ ربعا، وقَعْ عنَادهم للحقِّ، ولَمْ يُراعُوا طاعةَ أهلِ السّبقِ، قُتل منْهم نحوَ الأربعينَ، وأُسرَ مثْلُها من الظالمينَ، وقُتل سبعةٌ من المجاهدينَ (٢٢ب) ونَحْو عشرة مكاوينَ، واسْتَولت الأجنادُ على ما فيها، قالَ في التحقيقِ: وهو شيءٌ لا يخطرُ على بالِ من النّفائسِ والقراشِ والفراشِ والأموالِ والحبوبِ الكثيرة، وكَانَتْ وقْعَةً شهيرةً، وصَارَ لها خَبَرٌ صائلٌ، ووَقْعٌ في تلكَ الأقطارِ هائلٌ.

---

(١) قرية مَلاح: شرق ذمار بمسافة ٥٥كم وهي من عرش رداع، تقوم على ربوة حولها حدائق العنب، انظر، الإكليل، ٧٨/٢؛ صفة جزيرة العرب، ١٨١؛ المقحفي، معجم، ٦٢٦.

(٢) رَدَاع: مدينة كبيرة شرقي ذمار بمسافة ٥٣كم، تعرف برداع العرش، انظر، اليمن الخضراء، ٨٠/١؛ صفة جزيرة العرب، ١٠١؛ نشر العرف، ١٨/١؛ قرة العيون، ٢٠١؛ الإكليل، ٢٠٤/١؛ اليمن الكبرى، ٤٨؛ فرجة الهموم، ٣٣؛ المقحفي، معجم، ٢٦٥.

قال فيه، وهمُ في حالِ جمعِ الأخماسِ مِنِ الغنائمِ، وجمعِ الجمالِ لحملِ الحبوبِ مَعْ كلِّ مُلاَيم.

ودَخَلتْ مشائخُ تلكَ البلادِ تحتَ واجبِ الطاعة، وسلَكُوا مَسلْكَ الحقِّ والجماعة، وبقيَ في المركزِ التي هي مدينةُ رداع ثلاثةُ مشايخَ : الطيريُ وجرعونُ والذهبُ، وهو راهنٌ في محروسِ شُهَارة، ومَا محيرٌ للأجنادِ من دخولِ المركزِ إلاّ اشتغالُ المقادمةِ بالغنائمِ والأخماسِ، وإنّهُ سبحانَهُ يُصلحُ النياتِ على خيرِ أساسٍ، ثمَّ إن المشايخَ المنحصرينَ في رَدَاع، استُلْحقوا من العُجمِ الذينَ في ذمارَ ويَريْم[1] والمجاهدونَ قَدْ نفذتْ عَليهم المونةُ. ودأبَ المجاهدونَ إذا نَفَذتْ عَليهمُ المونةُ في مركزٍ انْتَقَلوا إلى غَيرِه مُراوغةً لأعْداءِ اللهِ حتى تصلَ إليهم المونَاتُ منْ حضرةِ مَوْلانا، حَفظهُ اللهُ، فوجّهوا بلادَ قَعْطَبَة[2]، وانْتَقلوا إلى بلادِ عَمَّار[3]،

---

(١) يَريم: مدينة جنوب صنعاء، ويَرِيْم المقصودة هنا إلى الجنوب من ذَمار، تتبع محافظة إب، تبعد عن ذمار مسافة ٤٠كم في سفح جبل يصبح، انظر، صفحات مجهولة، ٢١؛ صفة جزيرة العرب، ١٣٢؛ طبق الحلوى، ٦٨؛ الإكليل، ١٩/٢؛ اليمن الكبرى، ٤٥؛ معالم الآثار، ٩٧؛ المقحفي، معجم، ٧١٠.

(٢) قَعْطَبَة: مدينة بالشرق الجنوبي من إب بمسافة ٦٢كم، عُمِّرت على أنقاض مدينة جَيشَان، انظر، أئمة اليمن، ٣٧٨/٢؛ المقحفي، معجم، ٥٢٠؛ طبق الحلوى، ٨٤؛ مذكرات المؤيد بالله محمد بن اسماعيل، ٢٠٠.

(٣) عَمَّار: مخلاف في ناحية النّادرة شمال شرق إب، من عُزله، أزال، البكرة، عجيب، شخب وغيرها، نتسب إلى عمار بن كنانة بن قيس، انظر، الحجري، مجموع، ٧٢٧/٢؛ المقحفي، معجم، ٤٦٢.

وغَزَوا الشيخَ ناجي بن صالح الكبش[1]، وقَتَلوا وَلَدهُ وأُصيبَ هو، وغَزَوا على البحم[2]، ومَنْ مَعَهُ من الضبطية وأَسَروهُ وضَبطوهُ وأوصلُوهُ إلى حضرة الإمام، وهَذا الشّيخُ المذكورُ أكْثَرَ الجرأةَ على الله بالمجاهرة، بالمعَاصي وظُلم الرَّعَايا[3]، وتعد لمكافأةَ العلماء، القاضي، العلامة، حسين بن عبدالله الإرياني[4]، ووصلتْ مَشَاكيَهُ وقَصَائدَهُ مستغيثاً بالإمام، وفيها يقولُ :

أُمْنيةَ نُفْسي هَلْ إليك وصولُ ... وهَلْ لي إلى نَيل اللقا سَبيلُ

وهَلْ زمانٌ قَدْ تقضّى بقُرْبكمُ ... رقيقَ الحواشي بالغوايرِ قفولُ

تَصرَّمت الأيامُ يا وَيحَ مُهْجتي ... ولمْ يَنتفعْ من لقائي عَليلُ

إمامَ الهدى كلّي إليكمُ تَشَوّقُ ... يُذيبُ كلَّ زفرة وعَويلُ

ما راقَني شيءٌ سواكمُ وليسَ لي ... إلى غَيركمُ حتّى الممات عُدولُ

جَرَى حُبّكُمُ مَجْرى دَمْي في مَفَاصلي ... وأصْبَحَ في أحناء الضلوعِ يجولُ

فَلمْ يَكُ شيءُ في الحبيبِ مُغرَمٌ ... كما لم يَكُنْ مثْلَ الإمامِ نَبيلُ

حمامٌ لهُ في كلِّ مشرقٍ ومَغْربٍ ... نجومٌ فخارٌ مالهنَّ أُفولُ

---

(١) ناجي بن صالح الكبش، من مشايخ بلاد الشعر من قضاء قَعْطَبة، كان من أعوان الترك، انظر، أئمة اليمن، ٢/٩٨.

(٢) البَحَم: هو الشيخ زيد البحم، كان مناصراً للأتراك، انظر، أئمة اليمن، ٩٧.

(٣) انظر الخبر في، أئمة اليمن، ٢/٩٧ (سيرة الإمام يحيى).

(٤) حسين بن عبدالله الإرياني: ت ١٣٤١هـ، عالم محقق، شاعر، أديب، تولى القضاء في خُبان والنادرة، هاجر مع أخيه علي إلى القفلة سنة ١٣١٦هـ، وله مشاركة في الحروب مع الإمام المتوكل على الله يحيى، انظر، نزهة النظر، ٢٦٢؛ هجر العلم، ٦٩.

بنوا فـــــي العَليا أرفـــعَ ذروة ... تنيفُ علـــى برجِ السّها وتطُـــولُ

لَهُ خلقٌ مثـــــلَ الرياضِ نضارةً ... ومَجـــــدٌ كما انْشقَّ الصَّباحُ أثيلُ

وطَبْعٌ كـــــما هبَّ النسيمُ لطافةً ... وذهـــنٌ كما لاحَ الشّـــهابُ صقيلُ

عمادَ الهُدى لا زِلتَ للدهـــــر زينةً ... مساعيـــــــكَ فيها عزّة وحجولُ

فَدُمْ يا أميرَ المؤمنـــــــينَ بنعمة ... وخيـــــرِ مَدَى الأيامِ لَيْسَ يُزُولُ

عَليكمُ صلاةُ الله ثـــــــمَّ سَلاَمَهُ ... مَدَى الدَّهْرِ ما دامَ ضحـىً وأصيلُ

تمـــــــت

(٢٣أ) ومنْ حوادث شَهْرنَا جَمادى الأُولى أنَّ أهلَ الخبت في بلاد المحـويت[١] ارتكَبُـوا الأهواءَ، ومَـالوا إلى العنَاد، وانْتـحَلوا المـغـالطةَ والمكاتبةَ إلى الإمام، حُفظهُ اللهُ، فَعَادتْ جواباتُ الإمامِ بالإسعاد، ورَفَعَ المنفرات التي شكُوها، رجاءً لحفظ البلاد، ولا زالوا على ذلك متربصينَ الخديعةَ، وجَعَلوا تلكَ المـواعيدَ ذريعةً، فَتَوسَّطَ سَيـدي يحيى بن حمود في المرواح، وسـيف الإسلام، محـمد بن المتوكـل، حَفظهُ اللهُ، للوثوب عليهمُ يتـرقبُ، ومنْ محلٍّ إلى محلٍّ يرتقبُ إلى طرف القطعـة، فلمّا رأى ما يَرومُـهُ أهلُ الخبت منْ استْتنجادهم بالسَّـفيه عبـدالله البوني[٢]، ودَنا بجنْدِه منْ بني قيس[٣]، وبني سـراع، ومن العُجم يريدونَ الخلفـةَ على

---

(١) المحـويت: مدينة بالشـمـال الغربي من صنعاء بمسـافة ١٠٠كم، انظر، اليمن الكبرى، ٦٠؛ المقحفي، معجم، ٥٦٨؛ طبق الحلوى، ١٢٩؛ صفة جزيرة العرب، ١١٢.

(٢) عبدالله البوني: هو عبدالله باشا البوني، كان من الموالين للأتراك، ملك ضياعاً كثيرة، انظر، العزب، فترة خروج، ٤٣.

(٣) بنو قيس: اسم مشترك بين جملة بلدان وقبائل، منهم بنو قيس، تُسيع من بني صُريم في =

سيدي يحيى حمود، ومن إليه إلى نُمَر[1] وجُبَع[2] فسبَقَهم سيفُ الإسلام إلى بني عُمارة، وتقدَّمَ البوني متجبراً راكناً على قومه، وبالعُجم متبختراً، فثَبَتْ لَهُ المجاهدونَ إلى أنْ دَنَا منْهم، وأصْدقوا في أعداء الله الرَّميَ الصَّادقَ.

وقُتلَ من أصحاب السَّفيه سَبْعَةٌ، ومنْ موافقيه منْ أهل البلاد ثلاثةٌ، واستولت المجاهدونَ على نُمَر وجُبَع، وغَنموا منها الغنائمَ، وفرَّ السَّفيهُ فراراً يُخْزيه ويخْزي قَبائلَهُ ومُصَاحبيه، وصَارَ يتوعدُ بني عُمارة بأقوال دنية وألفاظ غير مرضية، واسْتولى المقادمةُ على الخبت[3]، وفرَّ كثيرٌ من أهل الخبت إلى بلاد حُفَاش وغيرهَا.

وذلكَ في شَهْرنا جمادى الأولى سنة ٢٥.

وفي خلال ذَلكَ حَصلَ الرعبُ في أهل حُفاش، ووَصَلَ منْ ( )[4]

= حاشد ومنهم من أهالي تُلا، انظر، المقحفي، معجم، ٥٢٧؛ اليمن الكبرى، ١٠٩؛ مصادر الفكر الإسلامي، ٢٢٣. وبنو قيس، تسكن هذه القبيلة جزءاً من وادي مور الأسفل، إضافة إلى وادي لاعة، موطنها من أغنى بلاد تهامة، مركزها قرية الريفة عند السفوح الدنيا لتلال ناشر وملحان، وتشرف على وادي مور إلى سهل تهامة، انظر، ذيل نشر الثناء الحسن، ٦١.

(١) نُمَر: بلدة في جبل ملحان بالمحويت، انظر، الإكليل، ١٠/٦٠؛ المقحفي، معجم، ٦٦٥.

(٢) جُبَع: عُزلة من خَبْت المحويت، تتبعها عدة قرى منها، بيت النمري والدامغ والشراقية وبنو عوف وعِزَّان وسُبالة والمعتلص وبنو دعيس، انظر، المقحفي، معجم، ١٠٧.

(٣) الخبت: يقع في ناحية المحويت، وينقسم إلى عدة عُزل، منها بنو عمارة، وبنو جبع والظاهر وعنس وغيرها، يحده المحويت غرباً وملحان جنوباً ولاعة والطور شمالاً، انظر، حياة الأمير، ٦١٨.

(٤) رسمها طه رسم.

ابن دهمش منْ بني زياد[1] أهلُ ذُرى،[2] فكتَبَ لَهُمُ الإمامُ، حَفظهُ اللهُ، أمَاناً منْ المعره، وأمَرَ سيفَ الإسلامِ، حَفظهُ اللهُ، بتأمينهم من كلِّ مضرة، وأنهم لازالوا يُرَتّبونَ أطرافَ البلادِ ويوُهمونَ بالمراد، فأنْفَذَ لَهُمْ سيفَ الإسلامِ، حَفظهُ اللهُ، طليعة قبلَ الخندقِ، وخلفه معاً، فما سَمِعَ أولئكَ الأرتابُ طلقات أهلَ حُفاش واستمداد البنادقِ منْ ورائهم إلاّ وحصلتْ مَعَهم الفَشلةُ، وسَارَعَ كلٌّ إلى أهْله واستمداد الأمانِ، ودَخلَ سيفُ الإسلامِ الصَّفقين يومَ الأحد ١٩ شَهْرنا جمادى الأولى سنة ٢٥.

(٢٣ب) ومنْ حَوادث شَهْر جمادى الأولى :

اجتمعت العُجْم على الشّيخ ناصر مبخوت الأحمر، ومَنْ مَعَهُ إلى بني العَوامِ وبلادِ العريف، وكانَ مركزُ الحربِ السر[3] فقام وقع حرب حسن لكن القوم محشرة، ونَفَذَ المجاهدونَ بَعْدَ الحربِ نحوَ الشغادرة، فمدَّ بعضُ المجاهدينَ بعببه فصاحَ عليهِ الصّرافُ صاحبُ العبب، ثمَّ رمى ذلكَ المجاهدَ فَقَتَلهُ ونَفَذَ الشيخ ناصر ومن معه، واتفقوا بسيدي عبد الكريم عند خروجهم، ونفذ الجميع حتى أتوا إلى نواحي المعزبة[4]،

---

(١) بنو زياد: عُزلة في الحدا، انظر، صفحات مجهولة، ٨٢؛ المقحفي، معجم، ٢٩٤.

(٢) ذرى: جبل يتصل بجبال الأهنوم، تكثر فيه زراعة القات، انظر، المقحفي، معجم، ٢٥٠.

(٣) السُّر: واد مشهور بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٣كم، وهو من ناحية بني حشيش، ويطل على حصن ذي مرمر، وحصن ذَباب، وجبل صَرَع، كان يقال له سابقاً سر ابن الرويّة، انظر، اليمن الكبرى، ٧١؛ معالم الآثار، ١١٣؛ صفة جزيرة العرب، ١٧٦؛ نشر العرف، ٢/٩٥؛ المقحفي، معجم، ٣١٠.

(٤) المعزبة: من حجة.

وتلك العصابةُ التي كانَ أنفذَهمُ الإمامُ زيادةً للشيخ ناصر من عذَري وعُصَيْمي، اتفق بهم الشيخُ ناصر فبقَاهمُ، ووَصل إلى الإمامِ، حَفظهُ اللهُ، فأهبَّ الإمامُ، حَفظهُ اللهُ، زيادةً لتلك المحطة على مطابقة مراد الشيخِ ناصر، وأمروا بالكرِّ على تلكَ العنوة بني العوامِ ولاعة[1].

وفي خلال ذلكَ اليوم، الاثنين، منْ شَهْرنَا جَمادَى، وَقَع حربٌ في شرَس، وهو أنَّ العُجْمَ الذينَ في حَجَّة، أرادوا سوقَ أرزاقٍ نَحوْها للذينَ في عُفَّار، فرتّبوا ما يَحْتاجُ إلى تَرْتيب ونَزَلوا، وفي خلال اشتغال العُجمِ توارَدَ عَليهمُ المجاهدونَ القليل منْ طرف سيدي اسماعيل بن حسن والبدو وأهلِ بيت قُدمِ، ووقَعَ في العُجمِ هزيمة إلى عقبة سلامة، فوَقَعَ منْهمُ القدومُ إلى مُبْين محلِّ بيت الوشلي وأسَروا السَّيدَ عبدالله بن عبدالله الوشلي، وعمَّهُ السَّيد حسن بن ناصر الوشلي، وأرسَلوهُم المقامَ، وأخَذْت المجاهدونَ الغنائمَ، فَخَرجتْ عَليهمُ العُجْمُ، وكانَ هنالكَ حربٌ عظيمٌ، وقَعَ فيها مقاتيلُ وجرحىً منْ كثير، فاعتمدت العُجْمُ على المدافعِ حتى أضرّوا بالمحلِّ فَتَركَهُ المجاهدونَ، وانْتقلوا إلى بني العوامِ وبلادِ العريفُ، ونفذَ سيدي العماد يحيى بن ناصر شيبان[2]، إلى المحويت. ووقَعَ بَينَهُ وبَيْنَ العُجْمِ حربٌ، وكانَ قرارهُ بين المحطةِ في العريفِ وبني العوامِ.

---

(١) لاعة: بلدة معروفة من أعمال حجة في الجنوب منها، اشتهرت بخصبها وغزارة مياهها، انظر، قرة العيون، ١٨٣؛ المفيد، ٦١؛ الإكليل، ١٢/٢؛ صفة جزيرة العرب، ١٢٤؛ اليمن الكبرى، ١٠٤.

(٢) يحيى بن ناصر بن أحمد بن ناصر بن شيبان ت ١٣٤٤هـ، متولي بلاد حُفاش وملْحَان وما يلي تلك البلاد، قرأ بشُهارة الفقه والنحو، صاحب ديانة ورصانة، كان له تمرد على الإمام يحيى =

وأمّا سيفُ الإسلامِ محمد بن المتوكل، حَفظهُ اللهُ، فلمّا اسْتَقرَّ في حُفاش واجَـهَ الأقربين وفرَّ بعضُ المشـايخِ إلى ملْحان[1]، ونَفَذَ سيدي عباس بن عبدالله (٢٤أ) بن المؤيد مقـدمياً إلى عزلة قَيْـهَمة[2] منْ بلاد حُفاش، والآخـرونَ أظْهَروا الطاعةَ، وأمْضَـوا بعضَ الأوامرِ في الظاهر، وامتثلوا الفرق، بعض الحـقوق سياسة مَعْ إظهارِ الخديعـة، واستقرابِ حركـة العُجْم، وعَزَمـوا ظاهراً للتحصـيل، وباطناً مواعيـدَ أباطيلَ، قدرِ وعَدين، ثمَّ طَلَبـوا مخالصةً منْ لدى سـيفِ الإسلامِ اسْتدراجـاً بالعادة وتقليلاً لعَـسْكرِ سيفِ الإسلامِ. فلّما فَـرَّقوا المخالصةَ، وقـرَّبتِ العُجْمَ إلى الخبتِ والبوني، ومَنْ مَعَهُ من العرب، فثارَ أهلُ حُفاش بالحربِ على الصَّـفـقيـن، وعلى مَنْ لَدى سـيدي عـبـاس بن عـبـدالله، وثَاروا على المخالصـةِ المتفرقينَ، فـأخذَوهم وأخذوا أسلحتَـهم، وسيفُ الإسلامِ،

= سنة ١٣٣٩هـ، حيث طلبه الإمام للمحاسبة حين كلفه الإمام بتحصيل زكاة حَجّة وكُحلان والمحويت وبلاد كُوكبان، ومن ثم حبسه، فقام أخوه محسن بالاستيلاء على بعض حصون وقلاع حَجّة، واستمرت الفتنة حتى قضى عليها سيف الإسلام أحمد. ولد يحيى بن ناصر في ظفير حجة سنة ١٢٩٨، انظر، نزهة النظر، ٦٤٢؛ الدرر المنتقاة، ٤٠؛ هجر العلم، ١٣٣٥؛ كتيبة الحكمة، ١/١٦٠؛ أئمة اليمن، ٦٠ (سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين).

(١) مِلْحَان: ناحية من نواحي المحويت، جبل منيع، وحصنها رَيْشَان يشرف على المهجم من تهامة، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٢٤؛ فرجة الهموم، ٨٢؛ نشر العرف، ٥٥٢/١٢؛ الحجري، مجموع، ٧١٨/٢؛ البلدان اليمانية، ٢٧٣.

(٢) عُزلة قَيْهَمة: مركز ناحية بني سعد، تابعة إلى المحويت، جبالها على طريق صنعاء – الحُدَيْدَة، وفي أسافلها تظهر أعالي واد سُرُور، انظر، المقحفي، معجم، ٥٢٩؛ الحجري، مجموع، ٦٥٩/٢.

حَفظهُ اللهُ، لمّـا رأى عيبَ أهلِ البلاد وقلّةَ الأجـناد، وإنَّهُ لا يتمُ لَهُ المرادُ. منْ عَادَاته الثـباتُ في الحروب، ورأى أنَّ باجـتماعِ أهلِ حُفـاش والعُجْمِ والبوني. وبَعْدَ غارة الإمام، حَفظه اللهُ، منْ بلاد الشّامِ تنحَّى منْ حُفاش ووجَّه إلى بلادِ القطَّعة[1] والمحـويت. وكانَ سيـدي العلامة حـمود بن محمد شـرف الدين، افتسح من الإمام، حَفظهُ اللهُ، لمـرضٍ في بيته في خَيْوَان[2]، وموت أهله، ولَمْ يبقَ في المحـويت، إلاّ وَلَدَهُ سيدي يحيى بن حمود، ولمّا وَصَلَ سـيفُ الإسلامِ المحويتَ جَمَعَ أمرَ سـيدي يحيى بن حمود على العزمِ إلى أهْله سرًا، وانسلَّ عازماً، واسْـتَقرَّ سيفُ الإسلامِ، حَفظَهُ اللهُ، في بيتِ النقيب، أحـمد بن يحيى حبيش في نعـمان منْ بلادِ القطعة ثمَّ طَلَعَ المحويتَ، واسْتَقَرَّ في المصنعة في بيتِ الشاحذي فصَارت المكاتباتُ والإرهاباتُ بالبـسطات، وتَقَـدَّمَ الأتراكَ والبوني وبنـو قيس وأهلُ الخـبت الذينَ فَرّوا أولاً، يـومَ الأحد، فمـا شَعَـر سيفُ الإسلامِ إلاّ والـتركيُ في ضبـر المحويت، وفي غربيَ مـدينة المحويت، فَـثَبَتَ المجاهدونَ في الـمصنعة والمدينة، واستمرت الحربُ من ثاني ساعة مَنْ أوّلِ النهارِ إلى ثلث الليل، وخَليتْ عَليهمُ المونَةُ، وقُـتلَ واحدُ منْ المجاهدينَ، وفي العُـجْمِ قتلىً وجرحىً، وخَرجَ سيفُ الإسلام، حَفظهُ اللهُ، ومَنْ معهُ إلى بيتِ البشاري[3].

---

(١) القَطَّعه: من أهالي بني بهلول، شرقي صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ٥١٨.

(٢) خَيْوان: بلدة مشهورة في حوث إلى الجنوب من حرف سُفيان، وفي الشمال من صنعاء بمسافة ١٢٢كم، انظر، الإكليل، ٩١/١؛ معجم البلدان، ٤١٥/٢؛ نشر العرف، ٦٨٩/١؛ معالم الآثار، ٦٨؛ صفة جزيرة العرب، ١١٥؛ الحجري، مجموع، ٢١٥/٢، ٢٢٣.

(٣) بنو البِشاري: من أهالي حاشد من عِذَر، انظر، المقحفي، معجم، ٧٩.

(٢٤ب) ومنْ حوادث شَهْر جمادى الآخرة، أنّ سيدي أحمد بن قاسم حميد الدين[١]، أَنْفَذَ أَخَاهُ مِنْ ساقينَ مقدمياً إلى زبيد[٢] صحبة الشيخ علي بن صلاح الشويع.

وكانَ اسْتأذَن سيدي العلامة أحمد بن قاسم في نفوذ أخيه صحبة المذكور، فلّما نَفَذَ سيدي عبدالله بن قاسم، بيتَ الشويعَ[٣]، فجمَعَ أهلَ الخلاف مَعْ حسن عدلان[٤] ناظرة[٥] المشاقق السيد حسن بن يحيى القاسمي[٦] وأحاطوا بسيدي عبدالله بن قاسم، وتَعَسَّرَ وصولُ

---

(١) أحمد بن قاسم بن عبدالله حميد الدين، عالم، فقيه، مجتهد، ولد ومات بقرية القابل، تتلمذ على كبار علماء صنعاء، كان من كبار قادة الإمام المنصور ثم مع الإمام يحيى بن المنصور، ت سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، انظر، نزهة النظر، ١٢٠؛ الجرافي، المقتطف، ٥٢.

(٢) زبيد: وادي زبيد، مشهور يصب في تهامة ثم في البحر الأحمر، خصب، وأطلق اسم الوادي على المدينة التي كانت تُسمى الحُصيب، يقال أن محمد بن زياد هو الذي اختطها، انظر، الإكليل، ٣٠١/١؛ الحجري، مجموع، ٢٦٢/١؛ المقحفي، ١٧٦.

(٣) شويع: عُزلة الشويع من ناحية خُفاش وأعمال المحويت، انظر، الحجري، مجموع، ٤٥٩/٢، ٦٩٢، آل شُويع من الأشراف الحمزات.

(٤) حسن عدلان: حسن بن حسين بن قاسم بن حسين عدلان ت ١٣٢٩هـ، آزر الحسن بن يحيى الضحياني عند معارضته للإمام يحيى، وكان كالوزير للمعارض، وقاد جنوده، أسرته قوات الإمام يحيى التي قادها سيف الإسلام، محمد بن الهادي، الملقب بأبي نيب، وسجن في شُهارة حتى مات، انظر، نزهة النظر، ٢٢٢؛ هجر العلم، ١٦٣٧.

(٥) ناظَرة، بمعنى عامل وتسمى في مناطق صعدة ناظرة.

(٦) حسن بن يحيى القاسمي الضحياني ت ٥ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ، عارض الإمام يحيى، وقد عقدنا له فصلاً في كتابنا كتيبة الحكمة، انظر، نزهة النظر، ٢٤١؛ هجر العلم، ١٣١؛ كتيبة الحكمة، ٩٩-١٣٢.

الزيادة إليه والمحتاجاتُ، وسيدي العلامة الصفي، كثيرُ الدهاء والسياسة، فأعْمَلَ فكْرَهُ في الجَوَلان، وهو محتده ونبراسه وأعملُ الحيلةَ بالصلح، على أنْ أهلَ طاعة الإمام المتوكل يأتونَ بخمس رهائنَ مختارة، وذَلكَ من الجهوز[1] الذينَ منْهُم الشيخُ محمد بن علي بشر والكَرب والخوالد وبنو أسعد[2] نصْفَهمُ، والجهوزُ المنتمونَ إلى طاعة القاسمي يأتون بخمس رهائن، وهم ناصفة بني سعد[3]، والشرف[4] وعريمة[5] ومَّران[6] وولدُ عياش[7]، ويُودَعونَ عندَ بني سعد، وضَربُوا وَعْداً لاتفاق الإمام المتوكل وولده والقاسمي وولَدهُ مَعُ حضور رؤساء وأعيان بعلماءَ. ومَنْ اختلفَ دُفعت الرهائنُ إلى الآخر، وحيلة عَدلان ناظرة القاسمي ومَنْ إليه. قاطعونَ، أنَّ الإمامَ المتوكلَ مشتغلٌ بجهاد العُجْم، وإنَّهُ مايمكنُ دخُولَهُ إلى الشّام بنَفْسه، وإنّهم قد ظَفروا بمرامهم، وحيلة سيدي

---

(١) الجهوز: من قبائل خولان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، في بلاد صَعْدَة، انظر، المقحفي، معجم، ١٣٣؛ الحجري، مجموع، ١/١٣٣.

(٢) بنو أسعد: جبل شامخ بالشرق من بلدة أريان، انظر، المقحفي، معجم، ٢٩.

(٣) بنو سعد: ناحية تابعة إلى المحويت، انظر، المقحفي، معجم، ٥٢٩.

(٤) الشَرَف: هو شرف حجور، جبل واسع في الشمال الغربي من حجة ويشكل أحد قضواتها، انظر، الإكليل، ١٠/٨٦؛ صفة جزيرة العرب، ١٢٦؛ المفيد، ١٤٨؛ نشر العرف، ١/٦٧؛ نيل الوطر، ١/٥٨؛ المقحفي، معجم، ٣٥٢.

(٥) عريمة: بلدة في آل غنيم ثم للجبري من السُوَادية، انظر، المقحفي، معجم، ٤٤١.

(٦) مَرَان: بطن من خَوْلان قُضاعة صَعْدَة، لهم جبل يعرف باسمهم، انظر، اليمن الكبرى، ١٩٢؛ صفة جزيرة العرب، ١٢٩، ١٧٨؛ المقحفي، معجم، ٥٨١.

(٧) ولد عياش: تنسب إلى بطن حمير مخلافهم في حضور بالقرب من صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ٤٧٤.

العلامة الصفي إخْراجُ أخيه مِنْ زَبيد إلى أنْ أسْعَدَهُ الإمامُ المتوكلُ بالدخول، وإلاّ فَقَدْ أخْرجَ أخاه سيدي الصفي غشمشم، جريءٌ في الإقدام على الأمور، سيَّما فيما يَنَالَهُ من الضيق إذا صَارَ أخُوهُ في هيئة سَنور.

ووَصَلَ الإمَامُ، حَفِظَهُ اللهُ، وقد ضربوا هنالكَ أمَاناً وصُلْحاً، فَضَاقَ مَنْ يَنتَمي إلى الحقِّ، وسُرَّ المشاققونَ وامتُلؤا فرحاً. فَلَمّا عَلمَ الإمامُ بذَلكَ أخَذَتْهُ الغيرةُ على مَنْ هُنالكَ، واحْتَملوا لَهُ إنَّهُ ما يَقعُدُ إلاّ يَومين، فَجَهَّز بمعيّته أحدَ المدافع الكبار، وكَتَبَ إلى المجاورينَ من الأنصار، وَهُمُ عذري وعُصَيْمي أهل الوطا وسُفيان (٢٥ أ) أمَرهُم أنْ يحصلّوا مئتين، فأتَوا بنحو ثمان محبةً للإمام، حَفظهُ اللهُ، وخشيةً عَليه منْ هوائل أهل الشّام، فَعَزَمَ، حفظهُ اللهُ، يومَ الثلاثاء لعلَّهُ ثامن وعشرينَ شهر جمادى الأولى، وصَحبَته جَمْعٌ من العلماء منْ حُوْث[1] وذَمار والصفقين وصنعاء وخُبان[2]، فوَصَل إلى الصَّفرا[3]، ولمّا رأوا هيئتَهُ وسُرعَةَ نَهْضته وعَدَده وعدّته ومَدْفعه وطباشته وخزنته، سَقَطَ ما في أيْديهم، وحَصَلَ الوجلُ في حَاضرهم وبَاديهم، وحارَ فكرُ المشاقق، وضاقَ المنافقُ، واستظهرَ الصادقُ، فَرَجَعوا للمراوغة بالمواعيد،

---

(١) حُوْث: بلدة مشهورة في الظاهر الأعلى من بلاد حاشد، شمال صنعاء، انظر، أئمة اليمن، ٢/٧٠؛ المقحفي، معجم، ١٩٨.

(٢) خُبَان: ناحية واسعة بذي رُعين، شرقي ظفار وجنوبه، وهي ما تعرف اليوم باسم «السدّة»، انظر، نيل الوطر، ١/٤٢١؛ صفة جزيرة العرب، ٢٨١؛ تاريخ اليمن الثقافي، ١/١٠٤.

(٣) الصُّفْرَاء: مدينة بالجنوب الشرقي من صعدة بمسافة ٢٥كم، ترجع إلى قبيلة وادعة همدان، بها مركز قضاء همدان، انظر، المقحفي، معجم، ٣٨٢؛ حوليات يمانية، ٣٩١.

وتربَّصوا لأحداث فتنة يخرجونَ بها عَنْ تلكَ المحنة، وجَعَلوا ميعاداً إلى بلاد المهاذر[1] كُرْهاً. فلمّا عَلمَ أهلُ المهاذر ابْتَروا خشيةَ منْ أنْ تنجرَّ الفتنة في بلادهم. فرَجَع الميعادُ إلى رَحْبَان[2] وأهل العبديين كانَ ابتروا خشيةً كذلكَ. فلّما أمَرهم الإمامُ، حَفظَهُ اللهُ، امْتَثَلوا، والمشاققُ كانَ قَدْ أعْلنَ أنّهُ ما يقولُ بالعلماء، علماء اليمن مع المتوكل، وعلماء صَعْدَة وَضحْيان[3]، كلُّهمُ يمنيونَ، ولكنْ اضطرّهُ الجهوزُ للموافاة.

فَنزلَ الإمامُ، حَفظهُ اللهُ، من السّنارة[4]، ورتّبَ بلادَ العبديينَ رتبةً حصينةً، فطَلَبَ القاسميُّ والجهوزُ أماناً من الإمام، حَفظهُ اللهُ، وسيرةً من العبديينَ خمسةً وثلاثينَ نَفَراً لعدد معلوم، وذَلكَ ميتينٌ من الجهوز وبني سعد ودَعا الرهائنَ وهُم عشرونَ، والرهاينُ عَشر وخمسةٌ وثلاثونَ سيداً من سِحَار[5] فما أمْكت لأنه أخبرَهُ أصحابُهُ أنَّ المتوكلَ ما

---

(١) المهاذر: موضع جنوبي صعدة بنحو ٢٠كم، انظر، اليمن الكبرى، ١١٦.

(٢) رَحْبَان: وادٍ عظيم في الجنوب من صعدة بمسافة ٣كم، كان قائماً به سد الخانق، انظر، الإكليل، ١٨٦/٨؛ صفة جزيرة العرب، ٢٢٤؛ المقحفي، معجم، ٢٦٤.

(٣) ضَحْيان: شمال غرب مدينة صعدة بمسافة ٢٥كم، انظر، المقحفي، معجم، ٣٩٥؛ أئمة اليمن، ٨٥/١.

(٤) السِنّارة: في بلاد صعدة، بها حصن، شرع الإمام الهادي في عمارته سنة ١٣٠٢هـ، والسِنّارة، بلدة مشهورة من أعمال صعدة، فيها مركز ناحية سِحَار، انظر، سيرة الإمام الهادي، ٣٧؛ الحجري، مجموع، ٤٣٢/٢؛ المقحفي، معجم، ٣٢٦.

(٥) سِحار: ناحية في بلاد صعدة سميت باسم قبيلة سحار، ومن توابعها عُزلة ولد مسعود، وعُزلة الأبقور، وعُزلة الطلع، وعُزلة بني معاد، وعُزلة الأزقول وواد علاف وفروة، والمهاذر، وبني عوير، والعبيديين والحمزات، وغراز، انظر، المقحفي، معجم، ٣٠٥.

جاءَ إلاّ يأخذكَ أنتَ ومَنْ مَعَكَ بالحيلة، وإنّهُ قَدْ أخرجَ لكَ صَنْدوقاً يُدخِلُكَ فيه وشُهارة، وذَلكَ عُذراً من المناظرة وإلاّ فَقَدْ عَرَفوا أئمةَ الهدى كيفَ الأمانُ، وما فيه من الوعيد الشرعيِّ، وعَرفُوا سيرة سحار، وعَرَفُوا أمانَ الإمام المتوكل للعُجم، وشَدّوا (٢٥ ب) أرحَامَهم، والذهبُ والفضةُ والأثقالُ كالجبال، وظَهرتْ فضائلُ الإمام المتوكل، حفظهُ اللهُ، وإنصافُه المتناهي على الكمال للعلماء، بما طَلَبُوه من الوثاق حتى أنَّ المُشَاقِقَ بقيَ يعرضُ ولدَه، فطلبَ الإمامُ المتوكلُ ولدَه، أحمدَ بن المتوكل، حفظهما الله، من القَفْلَة، ووصلَ، حفظهُ اللهُ، من القَفْلَة والتقتهُ الأجنادُ المتوكليةُ بالعَرْضَة كالرعد القاصف، وضُربت المدافعُ، ووصلت السِّنارةَ على أبلغ هيئة، ورأى الأعداءُ، ما يزيدهمُ غَيْظاً مما هو للدُّر ضياءً، وذلك من كثرة كفايات الأجناد، والبسط عليهم في المصروف والزاد. وأكَّدَ ذلك لما كان بسببِ المشاقق، تَقْطَّعت أسبابُ أهل صَعْدة[1] لخوف الطرقات، وإدخال الحرب إليها، وكثرت تمهناتُ قبائل سحار لهم، فَضَعُفَ أهلُ مدينة صَعْدَةَ ضعفاً لَم يُعْرفْ، حتى أنهم كانوا يأتونَ في كل صباحٍ ورواحٍ فينا سائلون جماحا للسؤال من مثلهم لا يعتادُ ولا يدلفُ، فأوسعَ، حفظه اللهُ، عليهم الصدقات في كل مساء وصباح، والمُشَاقِقُ يريدُ تجربةَ قبائل سِحَار على دخولِ مدينة صَعْدة لتثوير

---

(١) صَعْدَة: تبعد عن صنعاء بمسافة ستة أيام سيراً، ٢٤٣كم، كانت تسمى في الجاهلية جماع، وهي كَوْرَة خولان، وفي وسط بلاد العَرض، انظر، صفة جزيرة العرب، ٥٣؛ نزهة النظر، ٢١/١؛ نشر العرف، ١٩٠/١؛ فرجة الهموم، ٣٦؛ قرة العيون، ١٥٤؛ معجم البلدان، ٤٠٦/٣؛ مراصد الاطلاع، ٨٥٤/٢.

الفتنة، وتكونُ الغرامـاتُ على أهلِ مدينة صَعْدة والمـحنةُ، فعرفَ الناسُ الفرقَ بين العَدل والإنصاف، والعناد والتهور في الباطل بالمَيْنِ والاعـتسافُ، وأقبلتْ القـبائلُ بالطاعـة، وتعهَّـدوا للإمام، حفظهُ اللهُ، ودخـلوا مسلكَ الجماعة.

ولما عَـرفَت العامةُ تمـردَ المشَاقق عن الرجـوع إلى العلماء، وأنه راكبٌ على مطّيه، أَطْلـقتْ رهائنُ الجهوز، الجـميعُ إلى الإمام، المـتوكل، حفظهُ اللهُ، إلى السِّنارة، ومع ذلك فمقادمةُ الجهاد وَهَنت، والعجمُ تَنَمَّرتْ، فسارعَ الإمامُ، حفظهُ اللهُ، بالإياب وردَّ أمـورَ خَوْلان على سيدي، أحمد ابن قاسم، وظَهـرت محاسنُ الإمام، حفظهُ الـلهُ، وفيها قيلتْ الـقصائدُ، منها، قصيدةُ السيد العلامة، عبدالوهاب بن أحمد الوريـث[1]، عافاه الله:

عَيْنُ السعَادة بالإقبـــال ناظرةٌ ... إليـــكَ فاقمعْ بعزمٍ كلَّ ذي دَغلِ

ولا تُنَاظرْ أصحابَ الشِّقَاف وَمَـنْ ... يُـــردْ بغياً بغيرِ السَّيف والأسـلِ

فأنتَ صاحبُ هذا الأمرِ قـد عُمِّرتْ ... بكمَ معالمُ دينِ الله عن كَمـــــلِ

أبوكَ ناشرُ رايات الجـــهاد زَمَنْ ... منهُ غدا كلُّ ذي بغيٍ لَفي وَجَـــلِ

وأنتَ أطيبُ فـــــرعٍ زانَه عملٌ ... بالعلمِ من دينٍ حُزْتم غايةَ الأمـلِ

(٢٦أ) أمّا لإحبابه في مراء فما بَرِحتْ ... آياتُها مثل شمسٍ عندَ ذي مقـــلِ

أضْحتْ بسطْـوَتكَ الأعداُ في تعبٍ ... قد عَمَّهم منكَ خوفٌ غيرُ متنـــقلِ

وجُرعوا كـأسَ هـــمٍ مُتْرعاً فلذا ... غَدوْا حَيارى كَمنْ يَرْعى مع الهَمَلِ

---

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الوريث الحسني الذماري ت ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، عالم، فقيه، قاض، شاعر، أديب، تولى قضاء يريم ١٣٣٠هـ حتى وفاته، كان مناصراً للإمام المتوكل على الله يحيى، انظر، نزهة النظر، ٤٠١.

لايهتـــدونَ إلى نهجِ الصوابِ فلا ... يشابهونَ سوى العَشـوا منِ الإبلِ

فرقـــتَ ما بينَ أجسامٍ وراحَتها ... كما رَمَيْتَ أســودَ الحربِ بالفشلِ

فليتَ ذي التاجِ أعْطى الأمرَ صَاحبَهُ ... وصانَ منصـبَهُ عَنْ وَصْمةِ الخللِ

فللإمامِ رُواقُ النصـــر منتشرٌ ... عنايتهُ سبَـــقَت منْ واحدٍ أزلي

فطبْ إمامَ الهُدى نفـــساً فإنكَ في ... عزٍّ وخصـــمُكَ عَنْهُ الذّلُ لم يملِ

أمَا ترى عذَراً تَـــاهتْ بمقْدمكم ... وأصبحتْ في ثياب الحُسْنِ والجذلِ

بكمْ تفاخرُ مصـــرٌ بل وجُلّقهُم ... ولو تُطَاولها بغـــدادُ لم تطلِ

قدمتَ خيرَ قـــدومٍ يا بنَ خيرَ أبٍ ... قدمتَ مرتفعاً قـــدراً على زُحَلِ

قدمتَ مـــنْ سفـرٍ جاءتكَ راغمةً ... فيه السعادةُ تأتيـــكمُ بلا مَهَلِ

لله مَنْ سفـــــرة شرّفَتْ بكمُ ... فيها الديارُ وكـــم أثْرى ذَوَو أمَلِ

وأصبحتْ صعدةٌ منْ نورِ طلعتكم ... تختالُ في حلّـــة من أفخرِ الحللِ

يقولُ يحى كيحيى في الصفاتِ فما ... أنكرتْ ما كـــانَ في أياميَ الأولِ

وهَاكها من أسيـــرِ الودِ واردةً ... إليكَ قَدْ لَبسـتْ ثوباً من الخجلِ

كَفَـــى لها شرفاً إذا أنْتَ ناظرُها ... فامننْ عَليها بسترٍ واعفُ عَنْ زلَلِ

وليتَ شعري أيحظى منْكَ ذو مقةٍ ... برويةٍ فيهـــا يُشْفى من العللِ

هناكَ ألثـــمُ كفاً ما أرى خُلقَت ... تلـــكَ اليمنَ لغيرِ السيفِ والقُبلِ

وانُظـــرَنَّ مـقامَ المجدِ مُجتلياً ... نورُ الخـلافةِ يُهدي أوضحَ السُبُلِ

(٢٦ب) وكتَابهُ أدنَاه ما لفْظُهُ :

تُقبلُ أعتـابَ السيادةِ، ونتمرغُ فـي محطِّ المجدِ ومركـزِ السعادةِ، تاجَ ملوكِ الأرضِ عن يدِ أميرِ المؤمنينَ أبي محمد، ربِّ المناقبِ والمفاخرِ،

وحميد الموارد والمصادر، ألبسهُ اللهُ جلابيبَ النصر والظفر، وثبّتَهُ فيما نَهى وفيما أمرَ، ويَالَها من فخرٍ تامٍ، وشرفٍ نامٍ، لبَستْ بَعْدَ الخجل ثيابَ البهاء بالورود، وتزينتْ بخلع الحسن إذ صارتْ من جملة الوفود، وإنّهُ بلغَ الحرمةَ الميمونةَ إلى جهاتٍ صَعْدةَ ثمَّ بلغَ الخبرُ المقرونُ بالفلاحِ إن شاءَ اللهُ، متطولاً تحقيقَ موجبات ذلك وإذا كان عن خصوص المشاقق فتحقيقُ ما آلَ إليه أمرُهُ وهو، إن شاءَ اللهُ، لم يف مكبوت بسيف أمير المؤمنينَ وبَسطْوته التي قَمعَتْ مَنْ هو أشدُّ منْهُ قوةً، ما ورثهُ خزياً متزايداً أيّ تزايد، ورَمَتهُ بسهامِ الشدائد، ومَا النّصرُ إلاّ منْ عند الله ...الخ

تَاريخُهُ سادسُ شهرِ رجبٍ سنة ٢٥.

نَعَمْ، وفي يومِ الأحد تاسع شهر رجب وصَلَ العازمونَ إلى السَّلطَنة صنعاءَ، أعلاهُم رتبةً وعقلاً وعلماً القاضيُّ العلاّمةُ، عليّ بن حسين المغربي[1]، ومنْهمُ السَّيدُ عبدالله بن عبدالقادر[2] والقاضي علي

---

(١) علي بن حسن بن حسين المغربي ت ٢٥ صفر ١٣٣٧هـ، علامة، محقق، رئيس العلماء المفتي، تولى القضاء في يريم وذَمار والطويلة وحجة وصنعاء، شغف بالتدريس، انتدب للسفر إلى إستنبول مع الوفد اليمني الذي أرسله فيضي باشا بناءً على دعوة السلطان عبد الحميد للبحث في مسألة اليمن، كفّ بصره في أواخر أيامه، ولد في الروضة سنة ١٢٦١هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٣٢؛ حياة الأمير، ٥٧٢.

(٢) عبدالله بن علي بن عبد الرحمن بن عبدالله بن إبراهيم بن عبد القادر ت ١٣٥١هـ، بلغ مرحلة عالية من العلم، تولى قضاء يريم ونظارة الوصايا، رافق وفد العلماء إلى إستنبول سنة ١٣٢٥هـ، بدعوة من السلطان عبد الحميد للتباحث في إصلاح أمور اليمن، ثم عمل حاكماً في عهد الإمام يحيى، انظر، أئمة اليمن، ٣٢٠، هجر العلم، ١٩٠٤؛ حياة الأمير، ٥٦٦.

ابن أحمد المجاهد[1] والسيد محمد بن المنصور والسيد حمود بن غالب، وعبدالله بن محمد السنيدار من التجار، والحاج حسين بن عبدالله الثور من التجار أيضاً، والسيد محمد بن حسين بن علي الكبسي والحاج حزام الصعر[2] من عمْرَان، وناصر مبخوت الغشمي[3] من غشم حاشد، ومِنْ كلِّ قضاء أفرادٌ من الزيدية والشافعية، أخبروا بعجائب ما رأوهُ في الممالك العثمانية، وحَكَوا أنْ السلطانَ عبد الحميد أبلغَ في حُسْنِ تلقّيهم والتواضعِ لهمُ مع الرفعِ من شأنهم بما لا يُعتادُ من الدولة العثمانية المجاهرةُ من الذات الشاهانية، والخطاب بلسانه من دون واسطة، وأوسعَ عليهم النفقات وأعْطَاهُم النيشانات، وطلبَ منهم تحقيقاً لما يُصلح اليمنَ فوضَعوا لائحةً في تعليمات متعددة فتلقّاها بالقبول، وبعثَ إليهم قرناه، أولاد السيد أبو الهدى[4] يسْألهُم عن القائم، وما يُصلحه ثمَّ شاكر باشا ثم الآخرونَ، فأجابوا بجوابات لا تضرّهُم،

(١) علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبدالله المجاهد ت ١٣٢٧هـ، عالم في الفقه، تولى في العهد العثماني إدارة أعمال ناحية بني بُهلول وبلاد الروُس وناحية هَمْدَان، وتولى كتابة الوقف الخارجي بصنعاء، وسكن إب فيما وتوفي في المخادر. انظر، أئمة اليمن، (سيرة الإمام يحيى) ١٦٣/١؛ هجر العلم، ١١٧٤/٣.

(٢) حزام بن عبدالله الصعر، كان مناصراً للأتراك، من عمران، انظر، كتيبة الحكمة، ١٦١؛ صفحات مجهولة، ١٠٠.

(٣) ناصر مبخوت الغشمي، من شيوخ حاشد، تُسيع من بني صُريم في حاشد.

(٤) أبو الهدى: المقصود، محمد أبو الهدى أفندي الصيادي هو محمد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الرفاعي الحسيني، ١٢٦٦هـ- ١٣٢٨هـ، أشهر علماء الدين في عصره، ولد في خان شيخون من أعمال المعرة، تعلم بحلب، وولي نقابة الأشراف، سكن الأستانة، واتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني العثماني، وحظي عنده، وبقي في خدمته أكثر من ٣٠ سنة، بعد =

فيسألهم هلْ يَصلُح أمْ لا، فأجابوه إذا تمّتْ شُروطَهُ، فسَيَصلُح، فقال: وما شُروطهُ، قالوا: لا نَعْلَمُها، ولكنَّها عندكَم محررةٌ في دفاتر الدولة، قالَ: وإذا تمّتْ يَصلُحُ، قالوا: يَصلُحُ.

وطَلَبوا خروجَ هيئة لإمضاء تلكَ الأمور، وتكونُ المراجعةُ بينَهم وبينَ الإمام، ولكونهم منْ اتباعِ العُجمِ لم يَحوموُا حولَ صلاحٍ ولا ما تَنْطَفي به لهبُ الجلادِ والكفاحِ، حتى أنَّ كثيراً من الداخلينَ لم يكنْ له غرضٌ في غيرِ الطوافِ ومعرفةِ الفرقِ بينَ الأهويةِ والاختلافِ، مَتَى يستقيمُ الفرعُ والأصلُ مختلٌ.!

ثمّ إنَّهُ قيلَ لَهُم بَعْدَ ذَلكَ: مَنْ لَهُ حاجةٌ خاصةٌ، عَرَضَها على الملك فحرَّرَ كلٌّ منْهمُ (٢٢أ) مُرادَه، ولا بدَّ عَنْ قريبٍ يُظْهرُ المضمرَ، ويُعْلِنُ كلٌّ بما أعلنَ وأسرَّ[1].

وفي يومِ سابعَ عشرَ منْ شهرِ رجبٍ وصلَ القاضيُّ الشرفيُّ

= خلع السلطان نفي إلى جزيرة الأمراء في رينكيبو، فمات فيها، له تصانيف عديدة، انظر، الاعلام، ٩٤/٦؛ أدباء حلب، ١٠٥؛ معجم الشيوخ، ١٤٤/٢-١٥٥؛ وانظر، أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر، قسطاكي الحمصي، طبع بحلب ١٩٢٥؛ معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، عبد الحفيظ الفاسي، جزآن، طبع في الرباط، ١٣٥٠هـ.

(١) يقصد المؤلف بذلك رحلة أعيان اليمن إلى استانبول في ربيع الأول سنة ١٣٢٥هـ، والتي أرسلها أحمد فيضي بناء على طلب السلطان عبد الحميد الثاني بشأن البحث في مسألة إصلاح اليمن، انظر، محمد ابن حسين بن علي غمضان الكبسي، رحلة أعيان اليمن إلى استانبول، مخطوط في مكتبة الباحث، والعلماء الذين ذكرت أسماؤهم مما شاركوا في الوفد وكانوا خمسين وهم:

- السيد محمد بن يحيى المنصور، أحد أعضاء مجلس إدارة الولاية من صنعاء. =

حسين بن أحمد العَـرَشي من بلادِ عُتُمة[1]، وأوضحَ ما وقعَ في قدومهِ من الوقائعِ:

= – السيد محمد بن حسين غمضان بن علي الكبسي، أحد أعضاء مجلس إدارة الولاية، وناظر الأوقاف الداخلية، من صنعاء.

– السيد عبدالله بن علي عبد القادر، أحد شهود الحكم، من صنعاء.

– الشريف حمود بن غالب، مدير بلاد الروس، ومعه نسيبه السيد علي.

– القاضي علي بن حسين المغربي، نائب قضاء كَوْكبان، وبمعيته ولده محمد.

– الفقيه علي بن محمد الجرافي.

– القاضي عبد الرحمن بن علي الحرازي، وعبدالله بن محمد السنيدار، والفقيه علي العمراني، والحاج حسين بن عبدالله الثور، وبمعيته أحمد بن إسماعيل الثور، والقاضي محمد بن يحيى الردمي، والشيخ حزام الصيعر (من قضاء عمران) وبمعيته كاتبه حسين الزيدي أفندي، والسيد محمد مرشد الأشموري، ومن حاشد الشيخ ناصر جبران الغشمي، ومن حراز الشيخ ناصر بن حسين الأحلسي (شيخ بني مقاتل) وبمعيته حسين نزار والقاضي محمد الأحلسي والسيد أحمد عبدالله أبو طالب والشيخ حسين حبيش، ومن قضاء حجة، السيد صالح المؤيدي والشيخ يحيى الشرعي والشريف أحمد من أشراف أبي عريش والقاضي محمد عاكش والشيخ منصور من مشايخ صبيا ومن قضاء ذمار، السيد حسين راوية والحاج عبدالله سلامة ومحمد يحيى منصور والسيد حسين السوسو، ومن يريم الشيخ محمد بن علي المجنحي، ومن رداع الشيخ صالح بن صالح الطيري ورفيقه عبدالله عيقان، ومن قضاء إب مفتي إب، القاضي عبد الرحمن الحداد والحاج عبدالله يونس والشيخ عبدالله عبد الواحد والشيخ مصلح الشُهاري، ومن تعز، السيد أحمد بن علي عبد الجبار، والقاضي علي بن عبد الكريم المجاهد، ومفتي قضاء العدين السيد حسين بن علي، ونائب ناحية ذي السفال القاضي محمد الجنيد، والشيخ أحمد نعمان، والشيخ محمد أمين من الحجرية، لكنه رجع، ومدرس الحجرية الحاج عمر ومحمد الهجراني والشيخ الجماعي، ومن الحديدة، أحمد المساوي والسيد يحيى بن عبدالله من زبيد، ويرفقتهما السيد أبو بكر بن عبدالله الأنباري، ونقيب الأشراف السيد أمين عبد القادر البحر من بيت الفقيه، وولده السيد علي والسيد هادي بن رزق من بيت الفقيه، والسيد أحمد حاتم من باجل، وأحمد بالبيد من الحديدة.

(١) عُتُمة: بلدة مشهورة بالغرب الجنوبي من ذَمار بمسافة ٦٣كم، انظر، طبق الحلوى، ٦٩؛ معالم الآثار، ٨١؛ الحجري، مجموع، ٥٧٦/٢؛ المقحفي، معجم، ٤٢٨.

أوّلُها في صُـنْعَة[1] ذمـارَ، ولا بدَّ منْ عـدد الوقائع في غـيـر هذا المـوضـع، ووَصَلتْ وريقـةٌ فـيهـا بالمطـبعـة تعـريبُ صـورة النطق الهمايونيِّ للداخلينَ من اليمن :

مَقْـصَدُنا منْ جلبكم من اليمن إلى هنا أخْـذُ تفصيـلات عن أحوال هُنالكَ، وبيانُ حُسن نيّاتنا الشاهـانيةُ لكمْ عَنْ قريب، وبهذه الوسيلة إنْ تَظهر لَهمْ التفَاتنَا بحقِّ تبعتنا الصادقة، فالبعضُ منْ أهل اليمن، كيفَ ما كانَ سَلكوا طريقَ الشـقاوة، ومنْ هذه الأخبـار التي تَاتي أتائر وأتكدّرُ. وفي الواقع الذاهبونَ بهذا الطريق حَـركتُـهم هي خروجٌ وعصـيانُ فتـأديبُهم يلزمُ على الوَجْهـين الشرعيِّ والقانونيِّ، غَيـرَ إنيِّ لا أحبُّ وقوعَ سَفك الدماء بينَ الإسلام أصلاً، لكن تمَسكُهـم بهذا الطريق غير المُرضي هو مناف لرضاء جناب البَاري ولرضاء جناب النّبـويِّ ومستلزمٌ للخسران في الدارين، ولذَا فـانّي آمُـركُم ببيـان حُـسن نيَّـتي للأهالي هناكَ في اليمن، وتبليغـهم السَّلامَ الشّاهانيَّ، وكون أخصُّ آماليَ حـصول تمام السعادة والرفاهيـة لتبَعتي جميـعاً، فتوفيقاً لهـذا الأساس صدرَ الأمرُ لهيـئة وكلائنا بتنظيم لائحـة إصْلاحيـة بهذه الصورة، فـاللائحةُ التي تنظمتْ هي طبقُ مامُـولي حاويةً لتـزيد أسبـابَ معـمورية اليمن، وترقـياته، ولجريان أمـور الشرعـية والعـدلية والماليـة والملكية والضـابطة على المـحور المطلوب، وفـيهـا زيادةُ اعتناء بحـفظ مال كـلِّ أحد وعـرضه ونَامـوسه، ولذلكَ صـدّقتُهـا، وأمرتُ بإجـرائها، وعـدا النياشـينَ التي

---

(١) صُنعة، قرية أسفل بلاد جَهْرَان، تشرف على وادي سربة، انظر، المقحفي، معجم، ٣٨٦.

اعطيتُ لكم، فكذلكَ لأجلِ التذكارِ عن سياحتكم، وعزيمتكم هذه، أعطيتُ لكلٍّ منكمْ مداليةَ اللياقةِ الفضيةِ، وكما كانَ لعزيمتكم فايضاً رُتَبَ وابورٌ مخصوصٌ لعَودتكم، وإنْ شاءَ اللهُ تصلونَ اليمنَ بالصحةِ والعافيةِ، وتكونُ التفهماتُ منكم حسْبَ أملنا، انتهى نقلُ النطقِ الهمايونيِّ.

ومنْ حوادثِ شهرِ جمادى الآخرِ من البالغةِ إلينا، في شهرِ كلِّ شهرِ رجبِ سنةِ ٢٥، إنَّهُ تقدّمَ يوسف حقي على الأهجرِ، صبحَ الخميسِ والمجاهدونَ من أهلِ الأهجرِ[١] في بابِ الأهجرِ، والمقدميُّ سيدي حسين ابن محمد، مجد الدين الحوثي الحسيني[٢] في قريةِ ظهار الأهجر، ومَعَهُ نَحوَ المئةِ في قريةِ الظهارِ[٣]، ونحوَ خمسينَ في العرةِ، فوقعَ التقدّمُ منْ أعداءِ اللهِ منْ جبلِ منْ مهد وبابِ القريتينِ واللجامِ إلى حدِّ جبلِ الحُمرورِ الذي فوقَ بيتِ القساسِ، ولم يظهرْ للقومِ منْ أينَ سيكونُ قدومُ أعداءِ اللهِ، حيثُ وهمُ بأبابِ الأهجرِ خلفتْ العُجمُ منْ جبلِ كوكبانِ، وبدأتِ الحربُ منْ جبلِ مطرِ وبابِ اللجامِ إلى جبلِ الحُمرورِ، والمُنَبّه لهم حمود ابن يحيى العراد وخبيره الفقيه محمد العَرَّاد، فَقُتِلَ السيد علي بن أحمد

---

(١) الأهجر: بلدة حميرية في عنس بالقرب من قرية وِرْقة، وبالشمال الشرقي من ذَمار، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٨٠؛ الإكليل، ٢/٩٩؛ اليمن الكبرى، ١٩٥؛ معالم الآثار، ٧٥؛ المقحفي، معجم، ٥٠، والأهجر عزلة من ناحية شبام قضاء الطويلة.

(٢) حسين بن محمد أمير الدين الحوثي، ينسب إلى حُوث، جده الأعلى حسين بن محمد الحوثي، وهو من علماء ضَحْيَان ت ١٣٢٩هـ، انظر، نزهة النظر، ١/٢٨٢؛ أئمة اليمن، ٣/٢١٥.

(٣) الظهار: من بني شداد في بلاد خَوْلان العالية، والظهار، حقل مدينة إب من جهة الغرب، انظر، المقحفي، معجم، ٤١٥.

طالب، بابَ الظهـار عند المـقدميِّ، وقُـتلَ أحمـد زيد معـيض منْ وادي غزوانَ في اللجامِ وقُتل **(٢٧ب)** السيد بن بدر الدين من هجرة الأهجر، وقُتلَ أحـمد ناجي، صـاحب عرة الأهجـر في اللجـام، وقتل ابن أحـمد الحداد في اللجامِ، وقُـتلَ راشد بن سعيد حـسن هقاس، صاحبُ الضلعِ في جبلِ الـحمرورِ، وقُـتل واحدٌ من بني عـبد في الحمـرور ومكاوين. وخلف على العجم السيد اسماعيل بن علي السراجي منْ جبلِ الحمرورِ، غربيِّ الأهجر، وهُزمَ العُجمُ منْ الرعنى وحَيْس ومنْ قريةِ العماد[1].

واستمـرَّ الحربُ عندَ سيـدي اسماعيل والعُـجْم إلى الليلِ، وكذلكَ يومَ الجمعةِ إلى الليلِ، ورَجَع القومَ عند سَيدي اسماعيل جبل الحمرور، وأهلُ الأهجرِ هَربَوا جميعاً بحشمـهم وقراشهم الفيوشَ، وأُحرقَ العُجْم في كثـيرٍ من المـحلات، وانجلـت المعركـةُ عَنْ نحو أربـعينَ قتـيلٍ من العُجمِ، وبقيَ العُجْمُ في الأهجرِ ثمانيةَ أيامٍ، وارتفعَ سيدي اسماعيل من جبل الحمرور إلى بيتِ قطنية[2]، وارتفع العُجمُ بَعَدَ سيدي اسماعيل بن علي إلى بيتِ قطنيةَ، ووقعَ الحربُ بينَهم يومَ الأحـد لعلَّهُ عشرَ في شهرِ جـمـادي الآخـرى سنة ٢٥، وانجلت الحـربُ في بيـتِ قطينةَ عَنْ قـدرِ ثلاثينَ قتـيلاً، وخمـسةٍ وعشـرينَ جريحاً، وارتفعَ سـيدي اسمـاعيل، خولان بني الخيـاط، وبيت القُطيبي، واللكمه، وما حَولهـا، وأغارَ سيدي الجمالي علي بن علي السراجي بمَنْ مَـعَهُ من المجاهدينَ منْ أهلِ البلادِ،

---

(١) بيت العماد: قرية في وصاب العالي، انظر، المقحفي، معجم، ٤٦١.

(٢) قطنية: من قبائل بني الخياط في بلاد الطويلة، انظر، المقحفي، معجم، ٥١٩.

ومنْ أصحاب الإمامِ، وغارت أولاً من لكمة[1] بني الخياط، ووقع في العجم قتلةٌ عظيمةٌ، وغنمت المجاهدونَ ثلاثَ بنادقٍ ورجعَ القومُ محلَ سافوق[2] وبيتَ القطيبي، واشتعلت الحربُ يومينِ وليلتين وعزمَ سيدي الجماليُّ علي بن علي ملجش من بلاد الشاحذية، والقتلُ في العُجْمِ لم ينحصرْ نحوَ ثلاثمائة، وأكثرُ هذا ما أخبرَ به الحاضرُ مصلحٌ بن علي الشوخي صاحبُ الأهجرِ، وبَعْدَ ذلكَ وصلَ القاضيُّ العلامةُ حسن بن علي العريض[3] بالرهائن التي كانتْ في محطةِ سيدي علي بن علي السراجي وأخبرَ بأنّهُ تعقّبَ تلكَ الوقائع،

وقعةٌ في التعبرة[4]، هَجَمَ عليهم العُجْمُ نصفُ ليلة السبت، واستمرَّ الحربُ إلى الليلة الثانية، ولم يبقَ بمعيّته من المجاهدينَ إلاّ نحو خمسينَ من أهل المشرق، ونحو ثلاثينَ من أهل البلاد، وخَرَجوا إلى منحية. والخَبرُ على أنّ الجَرحَى من العُجْمِ نحو الخمسينَ، والمقاتيلُ مثلُ ذَلكَ، وليسَ في ذلكَ من المجاهدينَ إلاّ أربعةٌ جَرْحَى إلى السَّلامة، فَطَلَب سيدي الجمالي علي، عَافاهُ اللهُ، أصْحابَهُ، وخَاطبهُم بالعزمِ الحَيْمة مَعْ شدةِ ما قدْ نالَ أهلِ البلادِ من الضيقِ، وأرادَ، عافاهُ اللهُ،

---

(١) لقمة (لكمة): جبل صغير.

(٢) سافوق: من عُزلة الجرادي بني حبش، ناحية وقضاء الطويلة.

(٣) حسن بن علي العريض: عالم، محقق للنحو والصرف والمعاني والبيان والحديث والفقه، شاعر، أديب، هاجر إلى القفلة، تولى للإمام المنصور القضاء في بلاد لاعة ثم للأمام يحيى حميد الدين في ذمار، توفي بالمدائن صفر سنة ١٣٢٦هـ، انظر، هجر العلم ومعاقله، ١٩٨٤/٤.

(٤) التعبرة: من عزلة بها بني مصعب، ناحية الرجم، قضاء الطويلة، انظر، العزب، فترة خروج، ٤٦.

التنفيسَ على أهل تلكَ البلاد بأنْ يتبعَهُ العُجْمُ إلى هنَالكَ، ثمَّ يعودُ كَمَا هي عَادَتهُ، فَمَعْ قِلَّتهم، وكَثْرة ما قدْ صَادروا منَ الجلاد (٢٢٨أ) في كلِّ نجد من تلك البلاد وواد، فمَعْ ذَلكَ ومَعَهُم ألفٌ من الرهائن ونحوهَا، أجَابُوا عليه، إنْ كُنْتَ عازماً مَعَنا وإلاَّ فنَحنُ عَازمونَ، فلمَ يَجدْ بُداً من الإسعاد لَهُم لعدم المصاحب لَهُ في البقاء، وتَوجَّهوا إلى بني الخيّاط ثمَّ الضلع ثمَّ وادي السيل ثم الجبل.

نَعَمْ، وأمّا الوقائعُ الحادثَةُ ونَحنُ في بلاد الشّام ما بينَ الشريف الماجد الهمام عبدالله بن محمد الضُمين، ومَنْ مَعَهُ من المجاهدينَ الأقل والملازمين مقامَ الإمام، حَفظهُ اللهُ، والجلُّ منْهُم منْ هَمْدان وأفرادٌ منْ أهل حوازات صنعاءَ.

فأولُ وقْعَةٌ بَينَهُم وبينَ يوسف الخبيث:

خَرَجَ بحمولة منْ عَمْران في نصف شهر جماد أُولَى سنة ٢٥، فدارت الحربُ بينَهمْ وقُتل نحوَ سبعة وأحدَ عَشَرَ جريحاً، وأُسرَ اثنان، وقُتلتْ ثلاثُ بغال، وجملان، ومقدميهم الميم باشا حمدي أفندي، وانهزمَ العُجْمُ إلى بني ميمون[1]، وأعَانَهُم بنو ميمون، وفي اليوم الثّاني، وَصَلَ يوسفُ الخبيث، ثمَّ دَخَلَ يوسفُ الخبيث والذينَ معهُ والأوّلونَ صنعاءَ. وقَتَلَ من المجاهدينَ قتيلاً منْ غيل هَمْدَان، وجريحاً من المجاهدينَ من جَرْبَان[2] هَمْدَان ثمَّ خَرَجَ يوسفُ الخبيث منْ صنعاءَ

---

(١) بنو ميمون: قرية في جبال عيال سريح، انظر، المقحفي، معجم، ٦٥٠.

(٢) جَرْبان: عزلة من ناحية وصاب السافل وأعمال ذمار، وجَربان: قرية من بلاد هَمْدان بالشمال =

بجمعٍ كثيرٍ، فوَقَعَ الحربُ يومَ الجمعةِ وكانت حرباً عظيمةً ما بينَ جَرْبان وضرَوان[1] ودفع الله.

وفي خلالِ ذلكَ دَخَلَ جماعةٌ من العُجْمِ سيره[2]، فالتَقَاهُم المجاهدونَ وأخذَهم المجاهدون، وغَنموا أسْلحَتُهُم نَحو تسعةَ عَشَر نفراً تابعينَ أثرَ يوسف الخبيث ثمَّ تتابعت الوقائع في بيت الحداد[3] ومنكل وجبل الحمرا[4] والحقة[5] والأحربي[6].

فأمّا وقعةُ بيتِ الحداد منْ بلادِ هَمْدانَ، فانَّهُ لمّا خَرَجَ الخبيثُ يوسفُ منْ عمْرانَ وكانَ الشريفُ عبدالله بنُ محمد الضُمين قادماً قبلهُ في حصنِ جَرْبان، فلّما رَاوا ما أُجلبَ به الخبيثُ من الجنود، وما بندَ من البنود، ورَاوا الحصنَ غيرَ حصينٍ، لملاقاةِ قوةِ العُجْمِ، والمدافعُ الماوزرُ والهاونُ، والشريفُ عبدُاللهِ بنُ محمدٍ من أهلِ التجاربِ للحروبِ، وتَدابيرُها للطالبِ والمطلوبِ، فخرَجَ منْ حصنِ جَرْبان لطلبِ منعةٍ من القُرى القريبةِ منْ طريقِ عَمْرانَ، ولم يشْعُرْ الخبيثُ يوسف

= من صنعاء بمسافة ١٨كم وهي المقصودة، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٢٤؛ الحجري، مجموع، ١٨٣/١؛ المقحفي، معجم، ١١٧.

(١) ضروان: بلدة وواد في ناحية همدان صنعاء، ثم من عزلة بني مكرم، انظر، المقحفي، معجم، ٣٩٦؛ العزب، فترة خروج، ٤٦.

(٢) سير: عُزلة من ناحية بعدان وأعمال إب، انظر، المدارس الإسلامية، ٢٣١.

(٣) بيت الحداد: من عزلة ربع وادعة، ناحية همدان، انظر، العزب، فترة خروج، ٤٦.

(٤) جبل الحمراء، من ربع وادعة، ناحية همدان.

(٥) الحقة، من ربع وادعة، ناحية همدان.

(٦) الأحربي: جبل في همدان، شمال صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ١٥.

بخروجهم من الحصن، فبادرَ في الصبحِ إليه، وفرّقَ البشائرَ، وضربَ على ذلكَ الحصنِ بالمدافعِ، فكانَ ضربُ المدافعِ جالباً للغاراتِ منِ المجاهدينَ منْ همْدان إلى بيتِ الحداد، فلمّا توجّهَ الخبيثُ بجيشه على بيتِ الحداد فرَّ الجبانُ، وبقيَ منْ رجالِ هَمْدان أهلُ الجدِّ والجلاد، وثباتُ الجنانِ عنَد الاختلاط مع ثبات (٢٨ب) الجنانِ عندَ الطعانِ، فأحاطتْ بشائرُ العُجْمِ على بيتِ الحدادِ، ومَنْ فيه من الرِّجالِ الأمجادِ، وكانتْ منِ الملاحم.

وَرَجعَ يوسفُ إلى المَعْمر[1] ومنهُ إلى الرَوْضَة، والمجاهدونَ باتوا في قريةِ الغيلِ بالقربِ من بيتِ الحَدَّاد.

وفي اليومِ الثاني من الحربِ، رَجعَ المجاهدونَ إلى بيتِ الحَدّاد، فوجَدوا الجيفَ المجيْفةَ قَدْ شَبعتْ منْها الوحوشُ، وظَهَر منْ قَتْلى العُجْمِ مدفونٌ ومنبوشٌ، وليسَ في المجاهدينَ إلا شهيدٌ منْ الحاوري[2] منْ وادعة هَمْدان ومجروحان.

وانتقلَ الشريفُ عبدُالله بخُلصِ المجاهدينَ الحمرا[3]، فعَلمَ يوسفُ فبادرَ بجحفله الجرار نحو الحمرا، والشريفُ عبدالله ثبتُ الرايِّ، وليسَ بالخرقِ المرقال، لكنّهُ خريت في الحربِ، يُطلبُ بموضعِ

---

(١) المَعْمر: من قرى همدان، إحدى نواحي صنعاء، انظر، الحجري، مجموع، ٢/٧١٤.

(٢) الحاوري: من قرى همدان التي تمتد مساكنها من شمال صنعاء حتى صعدة، انظر، أئمة اليمن، ٢/٥٠؛ سيرة المنصور بالله، ٥٠.

(٣) الحمراء: من قرى بلاد همدان صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ١٩١.

النزال ممكن الروغان، رحيب المجال، فنقلَ قريةَ الحَقَّة[1]، ومَعْ قرب عَدو الله خرجَ من الحَقَّة إلى الراقي ثمَّ إلى سواد الأحربي، ولم يَلحقْ بهم من المجاهدينَ إلاّ الشيخُ عونُ الدين، أحمد بن أحمد مساعد بعصابة نَحْوَ الثلاثينَ، لَيْسوا من المعروفينَ عندَ الصدام، ولا ممّنْ يَخشَى الملامَ، وأجمعَ الرأيُ على الخروج سواد الأحربي، وكلٌّ ذلكَ بتدبير الله وحسن رأيِّ الشريف عبدالله. وكانت الحربُ منْ شروق الشّمس إلى غروبها، واستُشهد الشيخُ حسن الباشه من أعيان المجاهدينَ منْ هَمْدان، ورجلٌ منْ أهل الحَقَّة، ووقعَ في العُجْم ما كانَ غيرَ مؤمل من القتْلىَ سيَّما في الضبطية والعرب، فهُم الذينَ أرادوا الإحاطةَ على المجاهدينَ، ففتكَ فيهمُ المجاهدونَ حتى داخلَهَم الرعبُ والفشلُ بما حطَّ في جبنائهم عندَ العُجْم ورَجَعَ الخبيثُ يوسف إلى الحمرا، ومنْها إلى الرَوْضَة، وانْتقل المجاهدونَ الراقي ومنْهُ إلى الحطاب[2]، فاتفقَوا أنَّ ثمانية عشرَ من عسكر العُجْم، دَخلوا منْ عَمْران يريدونَ اللحوق بيوسف الخبيث فالتَقَاهم المجاهدونَ وأمسكُوهم وأخَذوا أسْلحتهم، وباتُوا في الحمرا وظنوا بهم حافظاً فاشتدَّ بهمُ البردُ، والحافظُ مثلُ حاله، فَفرّوا ليلاً إلى صنعاءَ.

وبَلَغَ يوسف الخبيث أنّ المونةَ وأرزاقَ المجاهدينَ تذهبُ، فانفذَ

---

(١) الحَقَّة: قرية من همدان، تبعد عن صنعاء شمالاً بنحو ٢٢كم، وهي بحذاء ضروان من الجهة الجنوبية الغربية، انظر، الحجري، مجموع، ٢٧٨/١.

(٢) الحطاب: قرية شمالي صنعاء من أعمال هَمدان، انظر، صفحات مجهولة، ٩٧؛ المقحفي، معجم، ١٨١.

طابورين إلى الراقي فـواجَهُوهُم بـحرب خفـيف، وكانَ قَـدْ رُفعتْ منْ هُنالكَ مونةُ المـجاهدينَ وارزَاقُهم، فرَجعَ الـطابورانِ بخفيّ حنينٍ وقلّة الكفايات، فـانتقلَ الشـريفُ إلى حاز[1] وبيت غفـر في رجبٍ سنة ٢٥. ونَفَذَتْ.

فوقعَ الحثُّ من الشيخ راجح بن سعد صالح إلى يوسف، فجمَعوا طابورين إلى بني بشـير[2] وفـتحَ الحـربَ يومَ الربوع، حرباً عـظيمـاً والشريف وأصحابه في منكل، فَما سَمعوا إلا بوصول يوسف إلى حازَ ونظرَ الشـريفُ إلى أنّ منكل مركـزَ حرب، وحيَّـرَ اللهُ الخبـيث بالمطر، فانتقلَ المـجاهدونَ ضَرْوان، وبقيَ يوسفُ في حاز وبيت غفـر ثمانيةَ أيام، أذاقهُم مرارةَ المـسالمة لراجح بن سعد عـقوبه، فلّما أيسَ يوسفُ من الشريفْ وأصحابه رجعَ بالصلح لهـمَدْان يأمنوا الطريقَ ومَا عَليهم طلبٌ، وكانَ طالَ عَليهم الخناقُ وعنوا في الأهل، واستأذَنوا الإمامَ، فأذَن لهم الإمـامُ، حفظهُ الـلهُ، فلّما أذنَ لهمُ الإمـامُ، وصلَ الطلابُ من سـيف الإسـلامِ للشريـف ومنْ معـهُ، واخـتلفَ العجمُ عـن الشروطِ وحـبسِ العقال.

ثمَّ تَحددَ خروجُ العُجْمِ بلادَ أرحبَ وبَعْدَها حق بيت الحمودي كما ذَكرنَاهُ إلى أن طلبَ الإمامِ سيفَ الإسلام.

---

(١) حاز: قرية من ناحية همدان على طرف قاع المنقب، أثرية، انظر، الإكليل، ٤٥٦/٢؛ معالم الآثار، ٢٨؛ تاريخ اليمن الثقافي، ٥٤/١.

(٢) بنو بشير: من قرى ناحية ثُلا بالشمال الغربي من صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ٧٩-٨٠.

(٤٢٩أ) حوادثُ شهرِ شعبانَ سنة ٢٥.

لمّا رأى مَـولاَنا منْ عَجَبِ ضـعفِ العُجْمِ، وتَقـوي أطولُهم للقـتالِ باعاً، وهُم : الأرانيـطُ واللاند والأكرادُ وعَزَمـوا كرهاً على فـيضي ومنْ إليـه، ورأى معْ ذلكَ طلبَ عُقَّـالِ خولانَ ونهم وأرْحَبَ وخَـارف لتدبيـرِ تجديدِ الجهـادِ الثاني الذي تَركهُ المجاهدونَ عندَ ضَعْفِ الـعدوِّ، وقبولِ خيرِ البلادِ، وطـيّبَ أنفسَهم بمالٍ تأمنهُ المقادمـةُ منْ قوامِ الجَرْحى في الجهـادِ في جمـيعِ البلادِ، وكـذلكَ التعـازيُ المعـتادةُ للجـهادِ واطلاقُ المستغْنى عنْهُ من الرهائنِ الذينَ في شُـهارة، وتبديلٌ من تم الاستغناءِ عنْهُ، واهبهم للجـهادِ في عنو مرتبة وأمـور مُهيأة على الوجـه المرضـي والمنهجِ المرعيِّ، وأمرهم بإرجاعِ ما انتهـبوه من أموالِ الرعيةِ على غيرِ أمرٍ، وجَهلَ لبعضِ الـرّعَايا الطوعيِّ من مستقبلِ الواجـبات، وعَزَموا من الحـضرةِ الشـريفـةِ سامـعـينَ طائعينَ، ولِدَاعـي الجهـادِ في أيِّ وقتٍ مسارعينَ.

ومنْ حوادثِ شَهْرِنا شعبـانَ أنَّ هَمْدان جَنَّدوا وألجأوا في الجهادِ، وخُـربَ الكثيـرُ منْ ديارهم، ولم يَهنوا وصَـابَروا ورابطوا حتى انتـهى وانْطوى حبلُ الجـهادِ في جـميعِ البلادِ، ومَعْ قـربهم منْ مركـزِ العُجْمِ، ومسافاتِ العُجْمِ فلا زالت الوقائعُ، ولمْ تُجـبهم القبائلُ حتى قريةِ النمَرِ في بلادهم، وكـثُـرَ تشـريدُ نسـائهم وأولادهم ومـواشيَـهم، فـدارت الوساطةُ بيْنهم وبينَ العُجْمِ على هديةٍ كانَ أوّلُهـا التهدّدُ لهَمْدان والوعدُ والوعـيدُ الشـديدةُ، فَلَمْ يلنوا بـلْ صَاروا في الحـزمِ إلى مـزيد، فتَـركَ

فيضيُ ذلكَ التَّوعدَ، ورَجَعَ لتأمينِ الطريقِ فلمْ يرضَ همدانَ إلا بصلحٍ، وهديةٍ ثلاثةِ شهورٍ، شهرِ شعبانَ ورمضانَ وشوالٍ، على ما يَرْضَى بهِ الإمامُ، حفظهُ اللهُ، وذَلكَ أنَّ هَمْدان يكونُ فيهم تأمينِ الطرقِ المارةِ إلى صَنْعَاءَ وعَمْرَان وغيرهما وأن ليْسَ عَليهم طلبٌ ولا يَصل العُجْمُ ديَارَهُمُ إلاَّ من الطريقِ المارةِ، ولا يَصلُ عُقَّالُهم صنعاءَ وهُم الشيخُ علي بن مطلق بن داود شيخ ربع مكرم[1]، والشيخ فايد بن يحيى صاحبُ بيتِ نعم شيخ الربع، والشيخ هزاع بن عبدالله الخطابي ومشايخُ وادعة الشيخ، فعادَ صالح بن علي **(٢٩ب)** والشيخ ..... شيخ جُشم والشيخ ..... الذين من مشايخِ وادعة وإنَّ مَنْ أرادَ الجهادَ مع الإمامِ في غير بلادهم فلا حرجَ عليه، ولا عَليهم فيما صَدَرَ منْ أصحابِ الإمامِ المدّة المذكورة.

وفيها وَصلَتْ أبوابُ البيوت والطاقات ونحوْهَما بحارات بيوت المكارمة التي كانتْ في طِيْبَة[2] بَعدَ خَرابِ البيوتِ وحلولِ الذّلِ في دعاةِ الباطنيةِ والخبثة.

وفي النصف الآخر منْ شعبانَ سنة ٢٥، طَلَعَ مَولانَا، حفظه الله، شُهارةَ، المحروسةُ بالله، لطيافةِ المبانيِّ الحربيةِ، وللنَّظَرِ فيما يَلْزَمُ

---

(١) بنو مَكْرم: قبيل وعزلة من ناحية همدان وأعمال صنعاء، من قراها: ضَرَوَان، جَرْبان، الجائف، بنو مونس وغيرها، انظر، المقحفي، معجم، ٦٢٥.

(٢) طِيْبَة: حصن مشهور يطل على وادي ضهر، بالغرب من صنعاء بمسافة ٨كم، كان يعرف قديماً بدُرِم، اتخذها الباطنية مركزاً لهم، انظر، نيل الوطر، ٧٧؛ تاريخ اليمن الثقافي، ٢، ٩٥؛ المقحفي، معجم، ٤٠٨.

تَكميلَهُ، وللنظر فيما مَنَّ اللهُ به، عَلى مَولانا منْ ذَخائر العجم، التي أوصلها فيضي بنفسه إلى بابِ شُهارة، وولّى عَنْها وانهزم، وحلَّ به شَديدٌ بأسه، وذَلكَ بالمدافعِ التي فرَّ عَنْهمُ فيضيُ ويوسفُ. وحلَّ به الوهنُ، واشتهر تاسعهُ، وهو المدفعُ الهاونُ حيثُ الرّميُ فيه خلافُ العادة، وهو أنْ يَرمي به الرّامي منْ وراء جبلٍ إلى الجانبِ الآخرِ يذهبُ بزنزنته إلى الهواء، ثم تدنو وتَضعها على أيّ دارٍ يريدُ، من حيثُ لا يَرَى المرميُّ على الآخرِ المدفعَ الماوزرَ، وهوَ يَرْمي كما أَلزَمَ نَفْسَهُ بعض الطباشيةِ المعتبرين أن يخرب به الدور من شُهارة إلى حُبُور[1].

وكلا المدفعينِ هذين من المصائبِ الافرنجيةِ والصناعاتِ الفيلسوفية، وإنه فرَّ فيضيُ وأجنادَهُ عنها، ولم تحُوطُهما عينُ الاستنامِ بغمزه واعداده وَلَوْا عنها الإدبارُ ونَادَوا: الفرارَ، الفرارَ، فسبحانَ مَنْ لا يُغالبُهُ مغالبٌ، وأنَّ بندَ البنودِ، وقَتَّبَ المقاتبِ، أَخَذوا نحاماتِ المدفعينَ أعني السدادتينِ من أسفَلِهما حتى أن المدفعينِ بعبرهما لا معقب ولا مدفعين.

ومما منَّ اللهُ على مولانا من لحظاته الربانية، أنَّ بعضَ أسَارى العُجم في الجهاد السابق، اختاروا البقاءَ بحضرة مولانا، حفظه الله، فَمنْهمُ الطباشيةُ رئيسهُم أحمد أغا، ثمّ هاشم أحمد ثم عمر الذين أبْطَلَ

---

(١) حُبُور: من قرى شُهارة في بلاد حجة، انظر، المقحفي، معجم، ١٥٠، ٢١٨، وحبور، بلدة مشهورة من ناحية ظُليمة، وحُبُور أيضاً محلة في جبل حبر المطل على تعز، انظر، نشر العرف، ٢/٢٩، ٢٢٨.

رَمْيَهُم مدافعَ فيضيٍّ (٣٠أ) إلى كلِّ مرمى، قَتَلوا من طباشيةَ فيضيٍّ فوقَ المدافعِ، وأصابوا المدافعَ وأعجالَهَا، وهدَموا متارسَها، وأبْطَلوا نفعَ مدافعِ فيضيٍّ، ومن جُملتهم علي قامري، عَمل قامةَ الهاونِ طُب، وحسن تفقجي، صَنَعَ قامةَ الماوزرِ وأحسن صُنعها، فكان بحصول القامتين للمدفعين المذكورين غاية الشوق لمولانا، حفظه الله، والرغوب لرؤية ما هنالكَ، وتجربةُ الرَّميٍّ، فَطَلَع، حفظه الله، ولم يَصْطَحِبْ بمعيته إلا بعضاً من العلماء والكتّاب وعُقَّال خَوْلانَ وأرْحَبَ وخارفٍ وسُفيانَ، وبقيَ فيها أسبوعاً فَسرَّهُ جميعُ الأعمالِ.

وفي خلالِ ذلكَ عَزَمَ، حفظهُ اللهُ، على تجديد الفراشِ وتكميله وتربيعه بالشريفة ابنة السيد علي بن قاسم ابن الإمام[1] من سادات المَدَان[2]، وجاءَ وصُولُها محروسُ القفلة ليلةَ الإثنين ٢٢ شهر شعبانَ سنة ٢٥ وبنى بها يومَ الثلاثاء الثالث والعشرين من شهرْ شعبانَ، وهنأهُ القاضي حسين بن أحمد العرشي، فقال:

مَنْ أهنّي أأنتَ أمْ ذي المعَاني ... حينَ أدّتْ بَديعَها في البيانِ

رُكبتْ من مسرّةَ في قريضٍ ... فوقَ تبرٍ ومعدنٍ منْ تهانِ

والمُهنّى بها الإمامُ أخو المعـ ... ـروف لمّا بنى ببنتِ المَدَانِ

منْ بناتِ النبيٍّ لا منْ بَني الحا ... رث أهل العُلى وعبد المَدَانِ

---

(١) هي أم أنجاله سيف الإسلام عبدالله، وسيف الإسلام إبراهيم، وسيف الإسلام إسماعيل، وسيف الإسلام يحيى، انظرها في أئمة اليمن، ١٠٣ (سيرة الإمام المتوكل على الله يحيى).

(٢) المَدان: مدينة في جبل الأهنوم، بها مركز ناحية شُهارة، إحدى نواحي محافظة حجة، انظر، البلدان اليمانية، ٢٥٤؛ المقحفي، معجم، ٥٧٣.

ليلةَ الأربعا لخمـــــــس وعشر ... ينَ مـــــــن الشهرِ ليلةَ الاقترانِ
جمعَ اللهُ بيـــــــنَ بدرٍ وشمسٍ ... نَزَلا فوقَ سنـــدسٍ فـــي مكانِ
فهنـــــــيئاً إنَّ المـــــهنّى بهذَا ... يا ابنَ ودّي لخيـــر بعـــلٍ وبَاني
وبنـــــى اللهُ فيهـــما جسرَ وُدٍّ ... إنَّهُ خيرُ عامـــــرٍ، خـــــيرُ باني

(٣٠ب) نَعَمْ، ولمّـا تَوجَّـهَ سيـدي العـلامـةُ محـمـد بن يوسف الكبسي، حفظه اللـه، والشّيخَ نصير الدين من مَلاح كـما ذكرنَاه هُنَالكَ في أواخر شهـر ربيع الآخر سنة ٢٥، توجَّهوا بالأجناد المتـوكلية نَحْوَ بلاد قَعْطَبـةَ فوقَعُوا بمحلّ الأجلون، مـحل المشايخ بيت الفـرح، فَمَكَثوا هُنالكَ ثلاثةَ أيامٍ ثمّ طَلَعوا إلى جبل عمّار وحصن شخب[1] بسبب حادثة وقعتْ من العجم الذينَ كانوا في النَّادرة[2] على بعض المحبين في عُزلة عجيب من بلاد عَمّار، وهو صالح بن علي عباد بعمارةَ تَقدُم عليه العجم والشيخ صـالح سعد فرح، فَـقَتَل صالح بن علي من العجم ثلاثـة عشرَ رجلاً، وأخذَ هو ومن معه تسع بنادق مـاوزر، فَرَشَقَ بالمدفع إلى بيته فَقُـتلَ، فكتبَ سيدي محـمد بن يوسف إلى فرح في دخـوله في الطاعة، فَتَعلّل وهَرَبَ من بيته، فَوصلَت الأقوامُ بيـتَهُ، وأُخذَ ما فيه من حبٍّ نَحْوَ ألف قدحٍ وأُخْرِبَ بيتُهُ، ونَفَذَ بعضُ العسكر إلى قريةٍ خربة، قرب النّادرة

---

(١) شخب: حصن عالٍ في جبل عَمّار من ناحية النادرة، وعلى مقربة من مصنعة كهال، تنسب إليه عُزلة شخب، انظر، الحجري، مجموع، ٤٤٨/٢.

(٢) النّادرة: اسم قضاء وناحية من قضوات إب شرق شمال إب وتشمل ناحية النّادرة وخبان ودمت وقعطبة، جنوب صنعاء، في وادي بَنَا، انظر، المقحفي، معجم، ٦٥١؛ الحجري، مجموع، ٧٢٧/٢؛ حياة الأمير، ٦٣٢.

لتحصلَّ كفايات فوصلوا وهنالكَ بعضُ أعوانِ العجمِ من الزبطية، فَقَتَلوا واحداً منهم، فأغارت العجم من النّادرة، وأغارت الأجنادُ المتوكليّةُ منْ بيت فرح[1] فاحتربوا وامتدَّ الحربُ إلى فوق النّادرة من النقيل إلى حصن بيت الحَدّي الذي يُقَالُ لهُ حَنْوَل[2]، ولبثَ الحربُ ثلاثةَ أيامٍ ثمّ انتقلَ سيدي محمد والشيخ نصير الدين إلى بيت تاج الدين وكتبَا إلى بلاد العَوْد[3]، فأجابوا بالطاعة إلا حزام بن عبدالله الصيّادي، فرتّبَ أطرافَ العَوْدِ بالعجم، ومن أجابهُ من العرب، ثمّ نقل سيدي العزي والشيخ نصير الدين نحو قاعِ الحقلِ من بلادُ يريم، وقَعَتْ طريقُهم من جبالِ خُبَان[4]، وَلَبثوا في بيت الأشول[5] من عُزلة العرافة، وقعدوا خمسة أيامٍ، ونَفَذَ بعضُ الجند إلى بلاد الشعر[6]، فَوَصَلوا إلى قرية الأغبريِّ، وأغارت العجم من النّادرة، فَرَجَعَ العربُ منْ جبلِ الشعرِ إلى بيت الأشول، ثمّ عَزَموا إلى قاعِ الحقلِ[7]، فَوَقَعَ المَطرحُ في قريةِ رباط القاع،

---

(١) بنو الفرَح: من مشايخ عَمّار من ناحية النّادرة، انظر، المقحفي، معجم، ٤٩٣.

(٢) حَنْوَل: حصن مطل على النّادرة لبني الحَدّى من مشايخ عَمّار، يعرف قديماً باسم قُمْرَان، انظر، المقحفي، معجم، ١٩٦.

(٣) العَوْد: بلد في النّادرة بالشرق الشمالي من إب، انظر، معالم الآثار، ١١٠؛ الإكليل، ١٤٧/٢، ٣٦٧؛ صفة جزيرة العرب، ٢٠٠؛ المقحفي، معجم، ٤٧٣.

(٤) خُبان: ناحية واسعة بذي رُعين، شرقي ظفار وجنوبه، انظر، نيل الوطر، ٤٢١/١؛ صفة جزيرة العرب، ٢٨١؛ المقحفي، معجم، ٢١٠، وتسمى اليوم السَدّة.

(٥) بيت الأشول: قرية من بلاد خُبَان وأعمال يريم، منها المشايخ آل الأشول، انظر، الحجري، مجموع، ٨٢/١.

(٦) الشعر: ناحية تابعة لقضاء النّادرة، انظر، معالم الآثار، ٤٢؛ المقحفي، معجم، ٣٥٧.

(٧) قاع الحقل: هو المعروف بحقل قتاب في بلاد يريم.

وتحطّطت الأقوامُ في الحقل، وفي عُزلة عَراس[1]، محلِّ الباطنية (١٣١أ) فَتَجَمَّعَ العجمُ من صنعاءَ وذمارَ وإب[2] حتَّى وَصَلوا الحقلَ، وقَدْ كانَ بلغَ بعضُ أصحاب الإمام إلى أبواب مدينة يريم بالرماية، ثمَّ وقعَ الحربُ في ذي صارف[3] مَنْ عُزلة عَراس وذي شميران[4]، واحتارتْ قبائلُ نهم، وَهُم مائةٌ وعشرونَ رجلاً في ذي شميران وأحتَربوا هُم وغَارت العُجْمُ الذين منْ إب حتَّى أخَذَ بعضُ القرية مَع العُجْم، وبَعْضُها بقيَ فيها العربُ، فأغَارَ على المحتارينَ مَنْ نهم رجالُ بني شداد[5] وهُم مائةٌ وتسعونَ رجلاً فأخْرجَوا المحتارينَ ليلاً، وانجلتْ تلكَ الحربُ في ذي شميران عَنْ قَتْلَى من العُجْم كثير ونَحْوَ اثني عشَرَ من العرب.

ثمَّ تَوجَّه سيدي محمد بن يوسف والشيخ نصير الدين نَحْوَ بني مسلم[6] منْ بلاد يريم وبني سيف[7]، قَعَدوا في محلِّ القضاة بيتِ الإرياني

---

(١) عَراس: عُزلة من بلاد يريم.

(٢) إب: مدينة عامرة تبعد عن صنعاء ٢٠٠ كم جنوباً غرباً في رأس ربوة متصلة بجبال بَعْدَان، وعلى بعد ٦٥ كم من تعز، انظر، مراصد الاطلاع، ١٠/١؛ معجم البلدان، ٦٤/١؛ تاريخ مدينة صنعاء، ٦١٧؛ البلدان اليمانية، ١١٥؛ حياة الأمير، ٦٠٧.

(٣) ذي صارف: حصن في جبل عراس، انظر، المقحفي، معجم، ٣٧١.

(٤) ذي شميران: من قرى حقل قِتاب في بلاد يريم، انظر، المقحفي، معجم، ٣٦٣.

(٥) بنو شداد: من قبائل خولان العالية، انظر، المقحفي، معجم، ٣٤٨.

(٦) بنو مسلم: جبلهم في غربي يريم بمسافة ٢٠كم، وهو على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر، ومن قراه: سحمر وبيت الدعوس وغيرهما، انظر، المقحفي، معجم، ٥٩٣؛ اليمن الكبرى، ٤٣.

(٧) بنو سَيْف: عُزلتان من ناحية القفر وأعمال يريم، بنو سَيْف العالي وبنو سَيْف السافل، انظر، المقحفي، معجم، ٣٣٧.

ثمانية أيام، ونَفَذوا نَحْوَ ستِ مئةٍ من الجند، مَعَهم سيدي محمد بن علي الشامي[1] لغزو الحاجِ ناجي بن صالح الكبش إلى بلادِ الشعر، فَوَصلوا هُنالكَ وقَابَلهم الكبشُ بالحرب حتى قُتلَ، ابنهُ محمد بن ناجي، ونجا الأبُ هارباً جريحاً، فأخَذَ جميعَ ما مَعهُ مِنْ حبٍّ وقراشٍ وفرشٍ وأخذه، وبنادقَ.

وكانَ قدرُ الحَبِ ستةً وخمسينَ مائة قدحٍ من جميعِ الأنواعِ، فأغارت العجم عليهم من يريم، فنزلوا نحو قرية السدّة من بلاد خُبان، واحْتَربوا هُم والعجم في قرية مَقْوَلة[2] فوق السدّة. ثمّ لحقوا سيدي محمد والشيخ نصير الدين إلى وادي الجار[3] من بلاد ذمار، وكان مرامُ سيدي محمد والشيخ نصير الدين الرجوعَ نَحو الجهةِ العدنيةِ إلى مدينةِ دَمْت[4] ليفرقوا مطارحَ العجم، فوقع التعنتُ من بعضِ الجندِ من

---

(١) محمد بن علي بن أحمد عبدالله الشامي ت في الحدأ، ربيع الأول ١٣٤٦هـ، أديب كاتب وقائد محنك، كان من كتبة الإمام يحيى بالقَفْلة، ثم عينه عاملاً على الحدأ سنة ١٣٣٤هـ، وله حملة على رَيْمة والبيضاء، ولد بجحانة ٢٩٣هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٧؛ هجر العلم، ٣٢٤.

(٢) مَقْوَلة: من أطراف بلاد سنحان، على مسافة ٢٠كم من صنعاء، وقد مر التعريف بها.

(٣) وادي الجار، فيما بين أطراف بلاد آنس وبلاد الروس، انظر، أئمة اليمن، ٩٧ (سيرة المتوكل على الله يحيى)، وهو من ناحية بلاد الروس، إحدى نواحي صنعاء الجنوبية الشرقية، وقد يُعرف بحمام جارف، انظر أيضاً، اليمن الكبرى، ٧٦؛ الحجري، مجموع، ١/١٧١.

(٤) دَمْت: ناحية من قضاء النّادرة، بالشرق الشمالي من إب على مسافة ١٣١كم، انظر، معالم الآثار، ٩٣؛ اليمن الكبرى، ١٤٤؛ المدارس الإسلامية، ١٦٢؛ الحجري، مجموع، ١/٣٦٥؛ بها قلعة حصينة، وبالقرب منها حمام طبيعي يقصده الناس من جهات شتى للاستشفاء به من الأمراض، بجانب الحام وادي ثُرَيْد.

قبائل أرحبَ ونِهم في طلب الجوامكِ والمونةِ، ومدّوا أيديهم نَحو الضعفاء وأموالهم، فزَجَرهم سيدي محمد والشيخ نصير الدين، فلم يَنْعَملوا، فتراجع سيدي محمد والشيخ نصير الدين على أنّ الجندَ لا خيرَ فيهم، وقَدْ مدّوا أيديهم نحو الضعفاءِ وأموالهم، ولكنْ يكونُ عَزْمُ سيدي محمد نحو بلاد خَوْلان والشيخ نصير الدين **(٣١ب)** نحو آنس، فَافْتَرقَا، وقد تَذايَب الجندُ لا قوةَ إلا بالله، فَوَصلَ سيدي محمد بن يوسف إلى قاعِ جَهْرَان، وقَدْ كَمن لهُ في حيد أحمد وما حوله نحوَ ثمانِ مئة من العجم، فرموهم دفعة واحدةً، ونجّاهُ اللهُ هو ومن مَعَهُ، وَرَجَعوا نَحْوَ مخلاف ابن حاتم[١] من انس حتى خَرَجوا إلى الحقل بَينَ وادي أعشار[٢] والمخلاف، وخرجوا من تحت عافشِ[٣] إلى أن صَعَدوا ما بين الدار البيضاء، وتَوجه سيدي محمد بن يوسف إلى خَوْلان إلى سيدي أحمد بن يحيى بن قاسم، والقومُ كلٌّ أحد رجعَ بيتهُ تمت.

وأمّا القاضيُّ حسين بن أحمد العرشي، وَمَنْ مَعَهُ من خَولان والحدا، فلما وقعت بينهم وبين العجم الملحمة العظمى في قرية صُنْعَة[٤]

---

(١) مخلاف ابن حاتم، من مخاليف أنس الواقع جنوب غرب صنعاء، انظر، الحجري، مجموع، ٢٢/١.

(٢) وادي أعشار، وادٍ مشهور من ناحية بلاد الروس، من نواحي صنعاء، انظر، الحجري، مجموع، ٨٤/١.

(٣) عافش: بلد من ناحية بلاد الروس جنوب صنعاء، انظر، الحجري، مجموع، ٥٧٢/٢؛ المقحفي، معجم، ٤١٨؛ أئمة اليمن، ٢٥٦/٢.

(٤) صُنْعَة، قرية أسفل بلاد جَهْرَان، تشرف على وادي سربة على بعد ٧٠كم جنوب صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ٣٨٧؛ حوليات العلامة الجرافي، ١٦١.

اسبوعاً متوالياً، وتجمعت العجم والمدافع نحو أربعة حتى خرب الداير، ووقعت هجوماتٌ متعددةٌ حتى أصيب رؤساء العجم منهم، مصطفى باشا صَبري، وحسن حسني باشا، فخرجوا منْ قرية صُنْعَة، وتوجَّهوا إلى أطراف جهرانَ وكانتْ طريقُهم منْ هجر الدِّريهمي[1]، فالتقاهم أهلُ الهجرة للمجاهدينَ إلى الطريق منْ دون تعدٍّ من المجاهدينَ، فَوقَع بيْنهم وبينَ المجاهدينَ حربٌ حتَّى انهزمَ أهلُ الهجرة، وأخذها المجاهدونَ وعزموا منها بعْدَ أنْ وقع في المجاهدين قتيلٌ، وأخذَ المجاهدونَ منها بعضَ مواشيهم، وبعضَ حبِّ أهل المحلِّ وعزمَ، وكان طريقُ المجاهدينَ منْ وادي حزان، فلما وصلوا وادي حزان، فنفرت قبايلُ الحدا المجاهدونَ، ولَمْ يبقَ منهم إلاّ القليلُ، ثمَّ توجَّهت الأجنادُ أطرافَ مغرب عنس واستطرقوا أطرافَ بلاد أبو يابس منْ بلاد عنس، ومنها إلى بلاد يريم بعْدَ أنْ اتفقت المقادمةُ سيدي العلامة محمد بن يوسف الكبسي، حفظهُ اللهُ، والقاضي العلامة حسين بن أحمد العرشي والشيخ نصير الدين علي بن المقداد، وكانت المراجعةُ بينَ الثلاثة المقادمة، فلمْ يتفقْ رأيُهم، فتوجَّهَ سيدي العلامة محمد بن يوسف والشيخ نصير الدين بلادَ ذمار.

وتوجَّه القاضيُّ العلامةُ الشرفي بجنده جهةَ بلادِ يريم بعْدَ أنْ

---

(١) الدُّرَيْهمي: بلدة عامرة من قرى وادي رمال في بلاد الجَحْبا، جنوب مدينة الحُديدة على مسافة ٢٢كم وهي من أعمال بيت الفقية ابن عُجيل، انظر، اليمن الكبرى، ٨٩؛ الأمير علي الوزير، ٦٦١؛ هجر العلم، ٦٢٧/١.

قطنَ في القُفلِ منْ بلاد أبو يابس ثلاثةَ أيامٍ، ثمَّ انْتقلوا إلى حرف عبيدةَ منْ قضاء يريم (٣٢أ) كانَ وصولُ المقدميِّ القاضي حسين بن أحمد العرشي الحرف محلَّ القضاة بني الكامل وفرّقَ المجاهدينَ في قرية بلسان محلَّ سعيد ناصر العمري. وفي قريةِ الرباطِ ومعهم أخوهُ الفقيهُ عبدالله بن أحمد العرشي[1]، وكانَ العُجْم متوقعينَ للشيخ نصير الدين وسيدي العلامة محمد بن يوسف الكبسي. فلمّا توجَّها إلى بلادِ رَداع رَجَعَ العُجْمُ لقصد القاضيِّ المذكور، فَما كانَ ظهرُ اليومِ الثانيِّ منْ وصُولِهم إلاّ وَقَدْ قَصَدَتهم العُجْمُ بالحربِ، فانقلبت العسكرُ منْ المجاهدينَ المفرقينَ لجلب الأرزاق، من القرى المحيطة إلى المقدميِّ، والعجمُ قدْ تمكنتْ من الجبالِ والقربُ في هذه الثلاث القرى المذكورة.

وفي اليوم الثاني خرجَ بنو الصوفي[2] منْ بلسان[3]، فلزمُوا الجبالَ القبليةَ المحاذيةَ للحرفِ منْ جهةِ القبلة، ودَخَلت العجمُ بلسان، وهو القريبُ من الحرف، فقصدوا العجم حالاً، ونصبوا عليه ثلاثة مدافع، وطائفةٌ من العُجْمِ خلّفتْ على منْ في محلِّ الرباطِ ورجاله ثباتٌ،

---

(١) عبدالله بن أحمد بن صالح بن مصلح العَرشي ت ١٣٥٩هـ، عالم مشارك في الفقه والنحو والسياسة، تولى للإمام يحيى أعمال ناحية جُبَن، كان مفوض الإمام يحيى في عدن، وكان عامل الإمام على ميدي، وأسر من قبل السعوديين في حرب سنة ١٩٣٤م، انظر، ملوك العرب، ٨٣/١؛ هجر العلم، ١٨٠/٤؛ كتيبة الحكمة، ١٢٨، ٢٥٩، ٤٣٦.

(٢) بنو الصُوفي: من أعيان خَوْلان العلية، منهم طائفة في الجَرْشَة من بلاد ذمار، وفي حُبيش من أعمال إب وفي بلاد يريم، انظر، المقحفي، معجم، ٣٨٩؛ الأمير الوزير، ٤٨٤.

(٣) بلسان: قرية من عُزلة عبيدة، ناحية وقضاء يريم، انظر، المقحفي، معجم، ٨٤.

منهم؛ الشيخ أحمد فراس السهمي وأحمد بن حسين الغانمي الحسيني، ومنْ معهُم من السُّهمان[1]، مع من انضمَّ معهُم من المجاهدينَ، فقبَضوا أكمة بينَ القريةِ وبينَ محطةِ العُجْمِ، فردّوهم على الأعقابِ، فبعد ذلك تجمعت العجم على العربِ، ومعه النقيبُ عليّ بن مهدي شدبغا وبني ارويشان وأبو سايع والجهمي، وثبتَ لهم المجاهدونَ، فرجع العجم على أعقابهم بعد الهجومِ، ثمَّ استمر الحربُ بالمدافعِ والبنادقِ، واليومِ التالي إلى آخره، حتى هدّمت العجم، ما قابلها من الدايرِ والبيوت، ودارَ بينهم التواء إلى منْ في الجبل، ومنْ في الحرْف، ومنْ في محلِّ الرباطِ، وانتقلَ الجميعُ إلى الهجرِ، ثمَّ منها ليلاً إلى وادي الجارِ في ليلةٍ مظلمةٍ، والجواسيسُ أنبهت العُجْمَ، فَدخَلوا القريةَ في تلكَ الليلةِ، وتبعوا المجاهدينَ بالرميِّ إلى الفضاءِ منْ رؤوسِ الجبالِ لا يعرفونَ أين المجاهدون» **(٣٢ب)** ولمْ يقتلَ من المجاهدينَ أحدٌ إلا جريحاً من أهل الوادي أصابه سهم غريبٌ، فجرحه إلى الجبل، وهبطوا إلى مغرب عنس[2]، إلى محل وثن[3]، فلمَّا وصلتْ مقدمةُ الجيشِ إلى وَثَن فردّوهم بالحربِ، فتوجَّهت القومُ بأجمعها على المحلِّ، فتحصّنوا في الحصنِ ولهم حصنٌ مانعٌ، فدخل المقدميُّ والقومُ بقوا في المحلِّ المذكورِ ثلاثةَ أيامٍ، حتى نزلوا

---

(١) السُهْمَان: من قبائل خولان العالية ثم من بني سِحَام، انظر، الحجري، مجموع، ٤٣٧/٢؛ المقحفي، معجم، ٣٣٠.

(٢) مغرب بني عَنس: من أعمال ذمار بمسافة ٤١كم، انظر، معجم البلدان، ٤٣٨/٥؛ معجم ما استعجم، ١٣٩٦/٢؛ نيل الوطر، ٣٤٠/٢؛ المقحفي، معجم، ٤٦٩.

(٣) وثن، قرية من عُزلة مغرب عنس، انظر، العزب، فترة خروج، ٤٩.

إليه وأظهَروا الطاعةَ. فرحلوا على وادي الجور، ومنهُ إلى الشُعيبات التي فوق بلادِ الريميِّ منْ بلادِ عتُـمةَ ثمَّ قدمَ صنوهُ الفقيهُ عبدالله بن أحمد العرشي، فقبضوا على بلاد الريميِّ وتبعهُم المقدميُّ المذكورُ بقومه، فأظهر الريميُّ العنادَ، وتحصَّن في حصنه المسمّى الحمرا، وأدخل معَهُ ناصر الشريفي، وبني الشريفي، منْ عُتمة والتهام، وهُم أهلُ منعة، فراسلهم وراسلُوهُ ولم يلتئم بينهُم أمرٌ، فخرج الشريفي، فجمع قبائله، فأرادَ غزوا المقدميِّ من وطنه فبلغ الخبرُ إلى المقدميِّ، وكانت الحربُ انتشرْت فأعملَ المقدميُّ الخدعةَ بينَهُ، حفظه الله، وبينَ الجهمي على إظهار القوت ظاهراً، وعزم الجهمي كما ذكرَ مخالفاً فتبعه أخو المقدمي ليراجعَهُ، فكانَ ذلكَ حتّى وَصَلا محلَّ الفجرة[1] من أعمالِ التهام وهي منْ أكبرِ القُرى والقوة منْ بلاد الشريفي، والمقدمي في حصن سعدان[2]، فتبعَ أخَاهُ وتجرَّمَ من فعل الجهميِّ واتَّبع أخاهُ المذكورَ، وأمره بالرتبة للمحلِّ الذي يعزمون منْهُ لحفظ الطريق فوصل أخوه إلى الجهميِّ عشاءً وصبحوا الفجرةَ فقابلهم أهلها، وقتل منهم ثلاثةُ مقاتيلَ وهرَبوا القراشَ، وما أمكنَ رفعَهُ ثم هربوا، ودخلها المجاهدونَ، قالوا : وهؤلاء المقاتيلُ همُ الذينَ قتلوا السيد علي بن محمد بن اسماعيل الكبسي في الجهادِ الأوّلِ سنة ٢٣ فلّما عَلم الشريفيُّ بذلكَ فَرجَع بمنْ مَعَهُ، وتفرّقوا.

---

(١) الفَجْرة: عُزلة من مخلاف العَوْد وأعمال النّادرة، انظر، المقحفي، معجم، ٤٩١.

(٢) حصن سعدان: قي عُزلة المفتاح بمخلاف الشعِر، انظر، معالم الآثار، ٦٩، ١٠٩؛ المقحفي، معجم، ٣١٥، وسِعدان من بلاد الأهنوم.

وفي اليومِ الثاني، قَصَدوا الفَجْرة، وفيها رتبةٌ يسيرةٌ، فَهجموا على الرتبة واستُشهدَ القاضيُّ محمد بن أحمد العكام مقبّلاً، وأخذوا سلاحه، فأغارَ أخوهُ المقدميُّ المذكورُ في عصابةٍ من المجاهدينَ، فهزمَ منْ كانَ فيها من المعاندين، وبقيَ فيها إلى أن رفعه (٣٣أ) منْها أخوهُ فمضى بمنْ معه على أودية إحدى قرى الحوادث فاستضافوهم، فأبَوا ورموا المجاهدين وخَرجَوا عليهم، فكادَ المجاهدونَ أن يفشَلوُا، فأغارَ أخو المقدميِّ بأعيان من المجاهدين وقصدوا أهلَ هذه القرية، وقَتلُوا منها رجلاً، فانهزمَ أهلُ المحلِّ، وفَرُّوا بما معهم، من القَراش واستولى المجاهدونَ عليها وأحرقوها، ثم انقلبَ الأمرُ على الرَيْمي فأخرجَ أخاهُ عليّ مصلح ثم ما زالت الحربُ بينَ الشوافعِ والمجاهدينَ، ومع طول الحرب وخَوْلان كثيروا المعاش في بلاد عُتُمة وهذا صاحبٌ، وهذا حليفٌ، فكانت المداهنةُ، ولم يواجه للطاعة غيرَ أهل سمأة[1]، ومن عداهم بواسطة من أعيانِ خَوْلان، هذا يُهدي بعض كفاية، وهذا يُرسلُ بقليل دَرَاهمَ تَدْريجاً وتَربُّصاً لمن يؤولُ الأمرُ إليه، وشكوى المقدميِّ المذكور من خَوْلانَ أكثرُ من المخالفينَ.

وفي خلال ذلكَ، وهو يأمرُ خَوْلان بالغزو والقدوم على أهل القفر[2]، أناسى لاخلاق لهم من أهل الجهالة، ثمَّ اتفقَ وعَزَم، عليه العاملُ،

---

(١) سَمَأَة: (جبل سَمَأَة) جبل مطل على عتمة من جهة الشرق من قضاء آنس، يتصل من جهة الشرق بناحية مغرب عنس، انظر، أئمة اليمن (سيرة الهادي)، ١٠٩.

(٢) القَفْر: قفر حاشد، أرض واسعة تمتد من جبال يريم شرقاً حتى جبال وصاب العالي غرباً، ومن مغرب عنس شمالاً حتى المخادر جنوباً، وهو القفر الذي يسميه الهمداني، الوحش بلد =

فتوجهت الجندُ نَحوَ القَفْر، فالتقاهم سعيدُ أبو بكر وبنو نفيع[1]، ودارت الحربُ، فوقع في الشوافعِ قتلى نحو ثلاثة عشر قتيلاً، واستولى المجاهدونَ على بعض أسلحتهم وبعض القراشِ، فاستولت الشوافعُ على بعض المجاهدين في بعض البيوتِ فأمَّنوهم وقتلوهم بعدَ الأمان، ومن جملة من تمنَّع على المقدميُّ الشيخ علي مصلح الرَيمي، طرح في وجوه خَوْلان، فلما وصلَ المقدميُّ، فأظهر الريمي بخولان بأنَّ وجوههم بيضاءُ، فحرج لوجوههم، وإنه من المقدميِّ وإليه، وكانت غزوات كثيرةٌ إلى البداوة، وأخذ مواشيَ ونحوها. فلما وقعت هذه الموقعةُ المذكورةُ، وكلّ من القوم قد أخذَ لهُ من مواشيَ تلك البلاد، وتفاقم الأمرُ واضطربَ بين المقدميّ والأجنادِ فانسابوا أي انسياب، فلم يجد للبقاءِ سبيلاً، فارتفع والرَيْمي صحبته، وكان وصولهم المقام شهر رجب سنة ٢٥.

(٣٣ب) ومن حوادث شهر ذي القعدة الحرام سنة ٢٥

لمّا عزمَ حسين بن علي العبيدي للشيخِ حمود العماد من مشايخِ الأهجر، وكانَ هذا الشيخُ متمرداً عن الطاعة، وعنْ أمر المقدميِّ، بعثَ الإمامُ المتوكِّلُ، حفظهُ اللهُ، لجماعةِ منَ المذكورينَ أهلِ التمردِ عنِ الطاعةِ والجهادِ من مشايخِ أهلِ كَوْكبانَ.

= حاشد، وقد أصبح الآن ناحية مستقلة تتبع قضاء يَريم، ناحية القفر، مركزها قرون، انظر، اليمن الكبرى، ١٤٣؛ الإكليل، ١٩٤/٢؛ المقحفي، معجم، ٥٢١.

(١) بنو نفيع: عُزلة من ناحية السلّفية وأعمال رَيمة، وبنو نفيع أيضاً عُزلة من الجمفرية وأعمال ريمة، انظر، المقحفي، معجم، ٦٦٤.

وكانَ هذا الشيخُ حمودُ العماد من جملة المائلينَ إلى العناد، فضبطهم حسين بن علي العبيدي مأموراً، غيرَ متعد، فلمَّا وصلُوا إلى بعض الطريق، احتالَ هذا الشيخُ حمودُ العماد، وتسلَّلَ للفرار حال الإنفراد، وانسلخَ إلى العجم الأكراد، وصارَ معهمْ عماداً وأيُّ عماد. ولمَّا اجتمعَ الشيخُ حمودُ وبعضُ المشايخ الأشرار وزباطية بمخلصَ الأهجر بالأجْبَار. وكانوا في قصر الحجرْ، حصناً من الشواهق والقلال البواسق، فوثب عليهم العبيديُّ في جماعة من رجال الحرب المجربينَ، وأحَاطوا بهم، وأحرقُوا عليْهم الباب مُصبحينَ، فناداهُم ابنُ يحيى عمر، شيخ شبام : أينَ حسين العبيدي، ليخرجْ في وجهه. فأجابُهُ أحدُ الغازينَ، فقال : أنا ذلك، فرماهُ فأصابُهُ.

وكانَ العبيديُّ وضعَ أرْتَاباً في الجبل، فرمى ابنَ العمر منْ هنالكَ، فأصبحَ الهالكَ، وخرجَ الآخرونَ، جُلّهم جرحى، فمنْ كانَ منهمْ ضبطياً سلب، ومن كانَ من الرَّعية خليَّ سبيلُهْ، وضبط الشيخ حمودَ العماد، وأوصلَهُ تحتَ الاحتفاظ، وما نفعهُ التمردُ والانفضاضُ، وغنموا البنادقَ وأخذوا ما كانَ قدْ جمعُوهُ من الفلوس، وذَهَبوا في البلاء والبؤس.

فلمّا بلغَ ذلكَ إلى الباشا أحمد فيضي ضاقَ بذلكَ ذرْعاً، وتطلب بعضَ أصحاب الإمام فلمْ يظفُرْ، فرجعَ على بقية السادة العلماء، السيّدُ العلامةُ حسينُ بن علي محمد غمضان الكبسي، وأدخَلوهُ الحبسَ، وليسَ لهُ ذنبٌ يؤخذُ به، ولم يحصلْ حادثٌ بسببه.

(٣٤أ) وتكلّفَ فيضي بتوجيه العُرضي إلى بيت دُغَيْش[١]، مكثوا فيه أياماً حتى صلُحَت الأسرارُ بينَ العجم وبينَ بعض مشايخ أرْحَب على دخول العُجْم بيت مَرّان[٢] ليلاً، وجروهم ليلةَ الخميس السادس من شهر القعدة الحرام من غير الطريق المألوفة، وكانَ بينَ مشايخ الترك من أرْحَب وبينَ أرْحَب وعْدٌ إلى يوم السبت، فدخلَ في نفوس أرْحَب على المشايخ حيثُ جعلوا الوَعدَ، ودَرجَوا في خلاله.

ثم إنَّ بعضَ المجاهدينَ ناوشوا الحربَ إلى بيت مَرَّان ليلاً، ومنْ جملة منْ كانَ عازماً في ذلكَ الوقت على فتح الحرب إلى بيت مرَّان حسين بن علي العبيدي في عصابته. فلما أرادَ ذلكَ اعترضه بعضُ أهل محلة درب عُبيد[٣] فتنابزوا بالحديث، وأرادوا قتلَ حسين العبيدي، فأحاطَ به بعضُ عصابته ومنعوا منْ أرادَ أن يرميَهُ فأغارَ أخوهُ أحمد بن علي العبيدي فطعنوهُ طعنةً جائرةً، وهو طعنٌ آخرُ دونَ الطعنة التي فيه، واجتمعَ الناسُ منْ قبائلهم وقبضوهم في قول الإمام، والخبرُ أنّ ذلكَ

---

(١) بيت دُغَيْش: عُزلة سُدس بني جرموز بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٦كم، وبنو دُغَيْش من قبائل بني الحارث، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٧/١؛ المقحفي، معجم، ٢٣٦.

(٢) بيت مَرّان: عُزلة في أرحب همدان، ينسبونها إلى قبيلة بني مَرّان، أحد بطون ربيعة من عبد عَلْيان ابن أرحب بن الدّعام، انظر، الإكليل، ٣٢٥/١؛ اليمن الكبرى، ١٩٢؛ المقحفي، معجم، ٥٨١.

(٣) درب عُبيد: من قبائل العقارب في بلاد صعدة: وآل عبيد من قبائل ذو حسين، وهم آل عُبيد بن حَمَد، وآل عُبيد بن الشولان من ذو حسين ومساكنهم بَرَط، انظر، الحجري، مجموع، مادة عُبيد؛ المقحفي، معجم، ٤٢٦.

بأجرة محمولة من فيضي، فخيَّبَ اللهُ أملهم، وأمّا العجمُ فاغتنموا فرصةَ الفشْلَةِ عندَ الدخول وأنسلوا إلى الحيْفَة[1]، فأخربوا مكاناً في البيت الذي كانَ فيه سيفُ الإسلام، حفظهُ اللهُ، وقدْ كانَ انتقلَ محْصِم[2] ورجعوا بيت مرَّان، وقفوا فيها ولا زال أفرادُ المجاهدينَ غزاةَ إلى بيت مران، ثمَّ انتقلوا إلى محلِّ الجُرعان، محلِّ بيت سنان[3]، من زِنْدان[4]، والمجاهدونَ في تبعة سيدي العلامة محمد بن يوسف الكبسي بأمر سيف الإسلام باقونَ، بأطراف محطة العُجْم مترقبين الفرصَ لنكاية العجْم حتى انفتحت الحروبُ، وتتابعتْ وثبَّتَ اللهُ المجاهدينَ حتى أنَ أرْحب، انثالتْ إلى محطة المجاهدينَ، فلما عرفَ المجاهدون أنَّ إخوانَهم من أرْحب، منثالونَ إليهم، اشْتَاقوا إلى قطعِ المادّة على العُجْمِ المنساقة من صنعاءَ، وبلغت الأخبارُ بذلكَ أنَ الحربَ واقعةٌ بينَهُمْ في ذلك الطرف ومقدّميهم **(٣٤ب)** العازمُ معَهُم بقطعِ المادَّة الشريفُ الهمامُ المجاهدُ عبدالله بن محمد الضُمين، والإمامُ، حفظهُ اللهُ، شنَّ الغارةَ، وأنفذَ سيدي العلامةُ أحمد بن قاسم حميد الدين إلى بني صُريم وخَارِف، وأصحبه المونات ومكاتيبَ إلى سيدي علي بن علي السراجي، وإنفاذه بقوم إلى ذيْفَان.

---

(١) الحَيْفَة: قرية من خُمس زندان بأرحب، انظر، المقحفي، معجم، ٢٠٤.

(٢) مِحْصِم: بلد وواد من أرض أرحب، من سكانه بنو الأكوع الحوالي، انظر، المقحفي، معجم، ٥٦٦.

(٣) آل سِنان: من مشايخ أرحب، انظر، المقحفي، معجم، ٣٢٦.

(٤) زِنْدَان: من قبائل أرحب، والغولة قريتهم، انظر، اليمن الكبرى، ١٨٦؛ الحجري، مجموع، ٣٩٦/١.

وعزَم سيدي علي بن علي السراجي ذَيْفَان مترقباً فرصةً في نكاية العُجْمِ، وكذلكَ سيدي عباس بن عبدالله بن المؤيد، دخل إلى خَمر[1]، وجمعَ بني صُريم، وتعينَ المجاهدونَ من بين صُريم، وعزمَ سيدي الصفي أحمد بن قاسم إلى خَارِف، فوجدهم مجدينَ ومنجدينَ للجهاد، وأينما دَبَرهُم الامام ومقادمتُه، وسيفُ الإسلامِ، حفظهُ اللهُ، انتقلَ خربةَ بني على محل بيتِ رَدْمَان[2].

وفي يومِ الجمعة، الثاني والعشرينَ شهرِ القعدة الحرامِ، قدم الشريفُ عبدالله بنُ محمد الضُمين لمغزى الحمولة الخارجة للعجمِ منْ صنعاءَ، وتفرَّقُوا فيما بينَ حدود شاكر[3] وشَعْب[4] وبني جرموز[5] وبَوْسَان[6] في سواد بَوْسَان، وكانت الحربُ من شروقِ الشمسِ إلى

(١) خَمر: بلدة في حاشد، وهي مركز بني صُريم، وخَمر الحالية شرق المدينة القديمة، وهي شمال صنعاء، انظر، الإكليل، ١٦/٨؛ نشر العرف، ٧٨٠/٢؛ معالم الآثار، ٦٧؛ الحجري، مجموع، ٣١٠/١؛ المقحفي، معجم، ٢١٩.

(٢) بيت رَدْمَان: قرية شرقي رداع من ناحية السُوَّادية، من حصونها المِعْسَال ومن توابعها قرية قَرَن، انظر، المقحفي، معجم، ٢٦٦.

(٣) شاكر: من قبائل همدان ثم من بكيل من ولد شاكر بن نهم بن ربيعة وهما قسمان وايلة ودهمة، ومن لحام دُهمة، العمالسة وآل عمار وآل سالم وآل سليمان وذو غيلان أهل بَرَط والهاشمة وبنو نوف وآل الذوى، وبلاد شاكر ما بين مأرب ونجران، انظر، المقحفي، معجم، ٣٤٠.

(٤) شَعْب: قرية في أرحب، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٨٣؛ الحجري، مجموع، ٤٥٣/٢، بها مسجد عمّره الإمام يحيى.

(٥) بنو جرموز: مجموعة من قرى بني الحارث، شمال صنعاء بمسافة ٢٥كم، انظر، معالم الآثار، ٢٦؛ نشر العرف، ١١٧/٢؛ نيل الوطر، ١٦/١.

(٦) بَوْسَان: قرية من بلاد أرحب، وبَوْسَان في مخلاف العابسية من ناحية الحدا، انظر، الحجري، مجموع، ١٢٩/١.

وقت الظهيرة، وانحازَ العُجْمُ إلى حظيرة من حظائر الأعناب، وانثالتْ عليهم الغوائرُ من أرْحَب حتى كادوا أنْ يأخذوا العُجْمَ ويتغنّموهم، فما شَعَروا إلاّ بالمدافع والبنادق من وراء ظهورهم، وتلكَ غارةٌ ممن في إتْوَة[1] وبيت سنان، قيلَ طابوران ومدفعان وقيلَ فوقَ ذلكَ، ففرَّجُوا على منْ هنالكَ من العُجْم، وبلغَ التحقيقُ أنَّ في هذا اليومِ ثلاثةَ بوش قتلى، وأربعينَ مجروحاً، ودخلوا صنعاءَ.

وفي هذا الاسبوعِ، خرجَ من صنعاءَ ترس[2]، ومن عَمْرَان، وقدموا على سيدي علي بن علي بن السراجي إلى بيتِ الحموديِّ[3] من أطرافِ ذَيْفَان، وكانَ قدُومُهم عليه صبحَ الثلوث.

وكانَ نفذَ الأمرُ لمنْ في بيتِ سنانَ وفي أتْوَة بالخروج من بلاد أرْحُب، فلمّا عزَموا على الخروج من بلاد أرْحب، فشُنت عليهمُ الغاراتُ والحربُ فيهم حتى نفذُوا من بلاد أرْحُب. ولما وصَلُوْا إلى أطرافِ بلادِ أرْحب سارعوا إلى الاجتماعِ بالمتقدمين من العُجْمِ على بيت الحمودي المذكور، فكانَ وصولُهم صبحَ الربوعِ، وتجمعت المدافعُ على بيت الحموديِّ، وأجناد العجم، حتى أنَّ المدافعَ أثخنت المحلَّ خراباً **(٣٥أ)** إلى الليل، وأرادَ العجمُ الهجومَ والاستيصالَ بالمجاهدينَ وأرادَ المجاهدونَ الخلاصَ، وأرادَ المقادمةُ الآخرون انقاذَ المنحصرين في بيت الحموديِّ،

---

(١) إتْوَة: جبل وقرية في أرحب، شمالي صنعاء، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٩؛ الإكليل، ٦٧/١٠؛ معالم الآثار، ٥٨.

(٢) ترس: عصابة مسحلة وقوية.

(٣) بيت الحمودي: جهات عَمْرَان شمال صنعاء، انظر، أئمة اليمن، ٧٣.

والتفريج عليهم، سيديْ العلامة محمد بن يوسف الكبسي، حفظهُ اللهُ، منْ جهة، والشريف عبدالله الضُمين، عافاهُ اللهُ، من جهة، والشيخُ أحمد ابن مساعد من جهة، حتى أن أمكنَ خروجُ المنحصرينَ، فلما خرَجوا وقع فيهُمْ القتلى والجرحَى نحواً من عشرة مقاتيلَ والمجاريحُ كثيرونَ، وذلكَ الخروجُ لكثرة الاحتياطات.

وكانَ منْ جملة منْ وقعَ فيه الرَّضَاتُ والدَّكاتُ من الأحجارِ وخرابِ المدافع، المقدميُّ سيدي الهمامُ المقامُ علي بن علي السراجي، عافاهُ اللهُ، فكانَ خلاصُهم أولاً إلى ذَيْفَان ثم إلى وعلة[1] ثم الصَّيَد، والعجْم دخلوا بيتَ الحمودي، انتهبوا ما فيه من الحبوب والعلف، وحرقوا ما بقيَ في البيوت وانتقلُوا إلى ذَيْفَان، ثم تقدَّمتْ طائفةٌ إلى بيت القُطيبيِّ وطائفةٌ على عَرقة[2] القُدَيْميِّ، وطائفةٌ أطرافَ كانط[3]، وكانتْ مُناطَشَةٌ حربٍ بيْنَ مَنْ في عَرقَة القُدَيْميِّ وبين العُجْم، وسيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي، كانَ رجعَ منْ خربة بني علي إلى المشَامينَ[4]، فلَما توجَّه العُجم منِ الجهةِ الغربيةِ، انثنى سيفُ الإسلامِ، حفظهُ اللهُ، غرباً إلى

---

(١) وعلة: قرية من عزلة ذَيْفَان، ناحية رَيْدَة، انظر، المقحفي، معجم، ٧٠١.

(٢) عَرِقة: قرية في ناحية قُطَابر من عُزلة حاشد بمحافظة صعدة، انظر، الإكليل، ٣٦٩/٢؛ صفة جزيرة العرب، ١٧٢، ٣٠٢؛ المقحفي، معجم، ٤٤٠؛ أئمة اليمن، ٢٠٣/٢ (سيرة الإمام يحيى).

(٣) كانط: قرية من خارف حاشد، على بعد ٨٠كم من صنعاء شمالاً، انظر، الإكليل، ٥٩/٢؛ صفة جزيرة العرب، ١٥٩، معالم الآثار، ٦٥.

(٤) المشَامين: بلد وواد في أرحب، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٩.

سوق عيال عبدالله[1]، سوق الخميس[2]، وبقيَ في بيت رمضانَ، فلما رأى العُجْم في أطراف كانط ارتفعَ بنو علي وسيدي علي بن علي بن السراجي ارتفعَ في أهْله لتوضَّع شأنهم، ونَظَر مقر لهم، ليتمَّ له مع ذلكَ تجرده، عافاهُ اللهُ، للجهاد، وذلكَ بعد نقل عصابة المجاهدين إلى ذيبينَ، وأما سيدي العلامة الصفي، أحمد بن قاسم حميد الدين، فلازالَ في مراجعة التدبير ببيت زبون، سيفَ الإسلام فيما يحسنُ من الأعمال المنْكيِّة للعُجْم المفرقة لهم متمين به الرميَ، منْ مولاَنَا، حفظهُ اللهُ، وصارَ قرارُ رأي الإمام، حفظهُ اللهُ، على الحزم للأطراف والنظر لما يتيحُ من أعمال العُجْم بعد رجوعهمْ من أطراف الصَّيَد من حاشد إلى ذَيْفَان وبعد يكون مقابلةُ العجم كلَّ مقصد بما يدْفَعَهُ.

انتهى ما ذكرنَاهُ منْ حوادث شهرِّ القعدة الحرام

وهذا مبدأ حوادث شهرِّ الحجة الحرام سنة ٢٥.

فأوّلُها رجوعُ العجْم صنعاءَ للإرهاب، عراضةً يوم عيد الأضحى، وتوقعاً منهم ما ينتجُ من أعمال موْلانا، حفظهُ اللهُ، لما عَرَفُوا من تبقيته، حفظهُ اللهُ، للمقادمة إلى ذلك الطرف.

(٣٥ب) وفي خلال ذلكَ كتبَ مَولاَنا، حفظهُ اللهُ، لسيدي العلامة الصفيِّ، أحمد بن قاسم حميد الدين، لوصوله للمراجعة فيما يحسنُ

---

(١) عيال عبدالله: من قبائل أرحب، انظر الحجري، مجموع، ٥٧٣/٢.

(٢) سوق الخُمَيْس: أي سوق الخميس، ويرجح أنه خميس بني سعد، وهو السوق الشهير الذي يقع حالياً على الطريق الموصوف بين صنعاء والحديدة، وهو يتبع قضاء حراز التابع للواء صنعاء، انظر، اليمن الكبرى، ٢-٦. والمقصود هنا الخميس من بلاد أرحب ثم من بني زُهير.

إقداماً وإحجاماً، فكانَ وصولُهُ للعيدِ في المقامِ الشريف، أعزهُ الله تَعالى، ولا زالتِ المراجعةُ في أيامِ العيدِ بينَهُ وبينَ الإمامِ، حفظهُ اللهُ، في عملِ اليمنِ والشّامِ، ونفذَتِ الطلباتُ من الإمام، حفظهُ اللهُ، لقومٍ منْ أرْحَبَ للعزمِ بلادَ الشامِ، وكذلكَ الحاج مصلح داحي[1] العبدي، جَمَعَ له عصابةً نافعةً، وَوَصَلَ بعضُ المطلوبينَ من أرْحب والحاج مصلح داحي قوم، إنْ شاء اللهُ، يكونُ فيهم الخيرُ والوافرُ كما سنذكرُهُ في حوادث سنة ٢٦ إن شاء الله في بحث مستقلٍّ، وسكنت الحركات الجمعيةُ من الطرفيْن، وما اصطادَهُ المجاهدونَ من العجمِ وأعوانهم الذينَ أنكاهُم وأخافَهمُ في جميعِ البلادِ، وسنذكرُ كلَّ حادثةٍ في تاريخها، إن شاءَ اللهُ.

ولنذكرْ بعضاً ممّا وردَ منَ الأشعارِ المشعرة بمجدِ مولانا، حفظهُ اللهُ، وصفاته وعلمه وفتكاته وحزمه.

منها ما حررَهُ السيدُ العلامةُ محمد بن عبدالله الخزان حاكمُ المحابشة[2]، ولله درّهُ، منْ شاعرٍ مبدعٍ، وفصيحٍ مصقعٍ، وهي قولُهُ مفتتحاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

أكَمَا عَلمتْ ليْلَى كحلِ مُلايمِ ... أسيرُ وادٍ للعهادِ مُلازم

سقيمُ غرامٍ مستهاماً متيماً ... وبالشوق مضنىً للهوَى غير كاتمِ

---

(١) مصلح بن ناجي داحي العبدي، انظره في الدر المنثور، ٢/٥٨، ٢٢٧، ٢٢٩.

(٢) المحَابشة: بلدة مشهورة في وسط قضاء الشرفين، وهي مركز القضاء، تبعد عن حجة بنحو ٧٠كم شمالاً، وعن عبس بنحو ٣٥كم في الجهة الجنوبية الشرقية، انظر، نشر العرف، ١/٢٠؛ المقحفي، معجم، ٥٦١.

يهيمُ بها وَجْداً لفـــقد وصَالها ... وتحســـبُ صباً ليسَ عنها بهايمِ
ويالقلبِ نارِ الحبِّ أضْـرَمَها الجوى ... وأشْعَلَها حتى سـرتْ في العَلاَقيمِ
إذا ما مشـــتْ في دلِّها وتأوَّدت ... وماستْ كغُصْـنٍ طيبِ النبتِ ناعمِ
وإنْ برزتْ في ليـــلة مدْلَهِمَّة ... أضـــاءت كبدرٍ للدُّجُنَّة حاسمِ
وزانتْ بحليتها وحُســن بُرودها ... وفاقتْ على الغيدِ الحسانِ النواعمِ
سناءُ الوَجْـهِ أزْرَى بالرعابيب أوْجُهاً ... ذواتُ اللِّـما مُستَعلساتُ المباسمِ
ولاحَ كضوءِ البـــرقِ نورُ جَبينها ... بفرعٍ أنيـــثٍ ظلَّ كالليلِ فاحمِ
ويزْهَو بها الخـــدُّ الأسيلُ بحُمرةٍ ... كوردٍ زَهَـــا عن فتحه بالكمايمِ
(٣٦أ) بانف جميلٍ قدْ سمَتْ في جَمالها ... وطرفٍ كحـيلٍ سامرِ اللحظِ واسمِ
وعنْ عينِ معيانٍ وشـــر حواسدٍ ... مُعَوَّذةٍ محـــــفوظةٍ بالتمائمِ
جذلةٌ هركـــولةٌ عَوْهَجـــيَّةٌ ... عَديـــمةُ مثلٍ في الغواني الكرايمِ
لذلكَ مولى العشـقِ ما انفكَّ مغرماً ... وباحَ به لم يخـــشَ من لومِ لايمِ
وفي حُبِّها أمْسَى المُتيمَّ ساهـــراً ... وباتَ رقيباً للنجـــــومِ العَوَاتمِ
وأسقَمهُ مَا في الفؤادِ منَ الضُّـنا ... ومنْ دائه في ليـــلة غيرِ نايمِ
ورامَ خروجاً عندَ جَوْرِ سقـــامه ... دواءٌ لَهُ يخـــتارُ خيرَ المراهمِ
ولايشتفى إلاّ إذا جـــدَّ عازماً ... لنيلِ المـعالي وانتفاءِ المآثـــمِ
يودُّ الرضا من أهـــلِ بيتِ محمدٍ ... ولبِّ لبابِ الأكرمينَ الأكـــارمِ
وذاكَ أميرُ المؤمنـــين وأمَنَهم ... إمامُ الهدى المحيي لكلِ المـكارمِ
هوَ القائمُ المتوكلُ الخيرُ في الورَى ... هوَ المرْتضىْ والمتقىْ في الفواطمِ
فلهوَ المصطفى في الأيامَ مفضَّلاً ... ولهْوَ بآلِ المصطفىْ خيرُ قـــايمِ

فمنذُ نشأ لازالَ يصعدُ في العُـــلاَ ... إلى أنْ علاْ فوقَ السُّهَى والنعـــايمِ

بفخرٍ ومجدٍ كامـــلٍ بعـــزيمةٍ ... مُقابلْ عصْرٍ، مسفرَ الوجهِ باسمِ[1]

وقامَ بأمـــرِ اللهِ للـدينِ ناصراً ... وأقدمَ إقداماً بحدِّ العـــــزايمِ

وجهّزَ أقواماً إلى كـــــلِّ بلدةٍ ... جَهاداً لفتحِ المغلـــقاتِ العظايمِ

وشَمَّرَ للهيـــجاءِ بحزمٍ مُـدبراً ... مجـــداً على الأعداءِ غيرَ مسالمِ

وســـارَعَ ذا بأسٍ شـديدٍ بهمةٍ ... بهتـــكِ أعاديْ الدِّينِ أهلِ الجرايمِ

وشـــبَّ بنارِ الحربِ في كلِّ جانبٍ ... على المعـــتدينَ الظالمينَ الأعاجمِ

وقـــدَّم عُمالاً ســـــــراةً أعزةً ... إذاَ قَدَمُـــوا مثلَ الليوثِ الضراغمِ

يَقُـــودنَ أنصاراً كمـــاةً كتائباً ... جحـــافلَ مثلَ العارضِ المتراكمِ

فمكَّـــــــنَهُ اللهُ العزيزُ بنصرهِ ... سَقَىْ الترْكَ تَجْريعاً بكأسِ العلاقمِ

(٣٦ب) وذوَّقَهم طعمَ المنونِ مُدَمِّراً ... لدولتهـــم بالجانحاتِ القواصمِ

فيالكَ منْ رامٍ وطعـــنِ حناجرٍ ... تجمعَ ضَرْبَ أعـناقٍ وفَلْقَ جماجمِ

فكَمْ أسرُ مأســـورٍ، وأخذُ مدافعٍ ... وسَلْبُ نَفـــيسٍ واغتنامُ غنايمِ

وكمْ نيلُ محـــزونٍ ونهبُ بنادقٍ ... ولقـــودِ الآتِ، وغنمُ مغـــانمِ

وكم كانَ منْ قتلي تولّوا إلى الرَّدى ... طعامَ الضَّواري والنسورِ القَشَاعمِ

وما انفكَّ عنْهم في البـــلادِ مُوَّجهاً ... عَساكـــرَهُ كالزاخـــرِ المتلاطمِ

وألبسَ مولىَ الظُّلمِ ثوبَ مـــــذلةٍ ... مع الرُّعَـــبِ في أنجادِها والتهايمِ

وقُهقرَ عنهُ كلُّ باغٍ معـــــارضٍ ... ودانَ لَـــــهُ في الناسِ كلُّ مُنَاقمِ

بسطـــــوتهِ عاد الأسودُ تعالياً ... فليسَ لَهُ في عَصرهِ مـــنْ مُقَادمِ

---

(١) خلل عروضي.

وأدْنَى عُلَـوجَ الروم عن رتبةٍ لهمُ ... وأنْزلَهم من عالياتِ العـواصمِ

ووالدهُ المنـصورُ منْ قبلُ والياً ... وقدْ كانَ محيى الدينِ مفتي المظالمِ

وجاهدَ لله المضـلينَ كـم مَضَتْ ... لَهُ منْ وقوعاتٍ بِهِمْ وهـزايمِ

وصَبَّ على الترك العـلوجِ مصائباً ... سَرَىَ ضُرُها فيهم كسُـمِ العلاقمِ

وزلزلَ أركانَ الضلالِ وهـدّها ... في غيرِ طاغوتِ العُصَاةِ الغواشـمِ

وأمضى على أهلِ الفجـورِ دواهياً ... بامضاءِ سيوفِ الانتقامِ الصوارمِ

وحافظُ أحكامِ الشـريعةِ بعدما ... أقامَ اعوجاجَ المـايلِ المُتَقَادِمِ

وفي صدره بحـرٌ من العلمِ زاخرٌ ... تطاولَ مدىَ الاغتـرافِ الاوادمِ

وأسْدىَ إليه اللهُ كـلَّ فضيلةٍ ... بجـودٍ له أزرى به جودَ حاتمِ

وصارَ ملاذَ المؤمنيـنَ وكَهْفَهم ... مجيراً لهم منْ جـورِ أهـلِ الظلايمِ

إلى أنْ أتاهُ المـوتُ في أجَلٍ دَنَا ... مـن اللهَ فهو أحكمُ حاكمِ

ولمّا توفَّـاهُ المليكُ ورُوحُهُ ... تحـوَّلَ للرضوانِ بينَ النَّعايمِ

(٣٧أ) تَقَمَّصَ ما قدْ خطَ هذا موانسةً[1] ... أحـقُ الهوادي سامياً والقواسمِ

لحلِ وعَقْـدٍ بعدَ حملِ خلافةٍ ... فـوآهاً لهُ حلى على كلَ قادمِ

ونافَ على الأسـلافِ ليسَ كمثله ... مُبـيدُ الأعاديَ بالخُطوبِ الصوارمِ

ومنْ يرتفعْ فـي نَصْبِه بعداوةٍ ... متخفُضُهُ فـي حذْفِه بالجـوازمِ

لهُ إنقادت المستصعبـاتُ جميعُها ... مُذللـةً قـدْ زمَّها بالشَّكايـمِ

وأضحى ارتفاعُ النّعتِ بالمدحِ شاهراً ... بكلِّ بلادٍ في جمـوعِ المواسمِ

وفي اليمنِ الميمـونِ ديناً وحكمةً ... وقائعهُ تلْحيمها في الملاحـمِ

---

(١) كلمة غير مقروءة في الأصل وتقديرها مُوَانَسَةً.

وأقومَ بنياناً من المجـــد عالياً ... وأسسهُ بنياناً قـــويَّ الدَّعائمِ
وجدَّدَ مدروساً وسيَّـــد مذهـباً ... لجدِّه يحيى بن الحسينِ بنِ قاسمِ
وأصبحَ دينُ الحـــقِّ لله ظاهراً ... على رغمِ أنف المكُفهِّرِ المخـاصمِ
وأكملَ في كلِّ العـــلومِ فُنونَها ... وفاحَ أريجُ الذكرِ بينَ العـــوالمِ
مَعْ كَرَمٍ يزدادُ بالجـــودِ سامياً ... على مَنْ تولَّى منْ كرامِ الهـواشمِ
فَنَرْجو به حفظَ المفـاخرِ سَرْمداً ... بتمكينه منْ كلِّ هَاجٍ وظـــالمِ
ويحمي حمى الدين الحنيف من العدا ... ويصلحُ أمرَ الحـادثِ المتـفَاقمِ
ويَبْقَى على الأرضِ المقـيمُ خليفةً ... يُجدِّدُ فيها دارساتِ المـــعالمِ
مع الخيـــرِ والأنعامِ يهْطلُ نازلاً ... يُوَلّيـــه في عزٍ مع النصرِ دائمِ

تَمْتَ، ولله دَرّهُ منْ شاعر، فَقَدْ جَمَعَ فيـها كثيراً منْ صفاتِ مَوْلانا الإمامِ المتوكلِّ على الله، مَكَنَ اللهُ بالحقِ دَوْلَتَهُ، وأبدَّ بالعدلِ سيرَتَهُ.

ويتْلُوهَا القصيدةُ الرائقةُ لناظمها محمد بن محمد البكير.

(٣٧ب) شَمَلَتْ شَمائلُك المكارمَ والنُّدا ... وبهـا عـلا أعـــلا عُلاكَ الفَرْقَدَا
زَفَّتْ لكَ العلـياءُ عـروساً بَعْدمَا ... أمْهَـــرتَها سُمرَ القنا ومُهنَّدا
وبنيت مجداً للـــورى وسكَنْتَهُ ... ورَفَعْـــتَهُ رَفْـــعَ السَّليمِ المُتَبَدَّا
ونَصَبْتَ حَالاً فاضْحـــى مَصْدَراً ... وَنَزعْتَ عامـــلَ خَفْضه متشـــيِّدا
وبه يكونُ إليكَ الأمرُ فعـلاً ماضياً ... وإلى يمينَكَ قَـدْ أضيفَ وأُسْنِـدا
وَغَرَسْتَ منْ فعلِ الجمـيلِ غرايباً ... وَسَقَيْتَها منْ فيضِ كفَّيكَ النَّـــدَا
أنْتَ الإمامُ الأوحدُ الحـــبرُ الذي ... حَلَفَ الزمانُ بمثْله لَنْ يوجَـــدا
بدرُ الدُّجَى المتوكِّلُ ابنُ محـــمدٍ ... يحيى الَّـــذي يَحْيا به دينُ الهُدَا

غـــــوثُ البرية للأنام وصـايةٌ ... ولَقَدْ جَـــــلاَ بمكارمَ عَنَّا الصَّدَا

مَنْ قَـــدْ أعَـادَ لَنَا الفَخَارَ وكُلَّمَا ... بُلِيَتْ ثيابُ العـزِّ يَوْمـــاً جَدَّدَا

أزْكَى الورَى نُبْـــلاً وأعْلَى رُتْبَةً ... وأَمَدَّهُـــــم بَذْلاً وأطْـوَلَهُم يَدَا

وأجلهم علماً وأفصـــــحُ ناطقاً ... وأشَدَّهُم بأساً وأوفَـــى مَوْعِدا

ذو همة عَلِيَا وعزمٍ صَـــــادقٍ ... مَنْ عنْ أزالَ، أزالَ أفعـــالَ الرَّدا

مَنْ قَدْ أَبَادَ الأعجمـــينَ بسيفه ... وأذَاقَهـــم سُمَّ النقيعِ الأسْوَدَا

وتزلزَلَ اسطنبـــولُ من حَرَكاته ... والـــرُّومُ خَافَتْ والعراقُ تمهَّدا

ولذلكَ السُّلْطَـــانِ أمـسى حَائراً ... متفـــــكِّراً في أمْرِه متردِّدا

فمـــن القـــرانات استمدَّ بنصرة ... ومنْ النصارىَ بالرديف استنجَدَا

وأعدَّ لليـــــمنِ الجيوشَ وَعَدَّها ... مـــائتين ألف مقاتلٍ وأزْيَـــدا

وَدَعا إلى فيضـــيٍّ يجرُ جيوشَهُ ... ويظنُ أنَّ النَّصرَ فـي يـد أحْمـدا

حتى أتى صنـــــعاً ورامَ بأنَّهُ ... يَذَرُ القريبَ ويستـــعيضُ الأبْعَدا

وبَدا لَهُ أنْ يستغـــــنيَ بجيشه ... نَحْـــوَ الذي نَصـــرَ الإلهُ وأيَّدا

وأعَدَّ ممّا يستطـــــــيعُ بقوة ... ليفـــــيَ بمـا قَدْ كانَ فيه تعهَّدا

(١٣٨أ) فَتَرى الجيوشَ على الجبال كأنَّها ... حشـــــراتُ بحرٍ أو جَرادٍ عُمَّدَا

فَرقَى جبـــــالَ شُهارة وتُرابَها ... مَلـــــكٌ لسلب نفوسهم مُتَعمِّدا

والطُوبُ[1] منْ كـلِّ الجهاتِ كصيِّبٍ ... قَدْ أبْـــــرَقَ البراقُ منْهُ وأرْعَدا

وطنينُ في الجوِّ الرصـــاصِ كأنَّها ... نَحْلٌ على أبكَـــــارِها تتَردَّدا

فَلَكَمْ طـــريحاً بالسّيوفِ مُجَدلاً ... ولكَمْ قتيلاً بالرصـــاصِ مُسنَّدا

---

(١) أي: المدافع.

ولكَمْ أسيـــــــراً أجدُ منهمُ وكمْ مطروحَ نفسٍ مـــنْ شَواهقها عَدَا

وكثيرُهم يرْمـــي السّلاحَ بنفسه حتوفاً ليسلَـــمَهُ فَلَمْ يُتْرُكْ سُدَا

حتّى رأىَ فيضيُّ السَـلاَّمةَ مَغْنَماً ودَرى يَقيـناً أنْ لَيـــــسَ لَه يَدَا

فأُعيدَ منهـــــزماً ولـــــولا أنَّهُ بسلاحِه المســـلوبِ والمـا افْتدا

كصبـــــيةٍ لحقـــتْ بثارِ وليِّها فتروَّحـــتْ حُبْلَى مُضَيَّعت الرَّدَا

أو مثـــــلِ صيَّـادٍ أرادَ تَصَيُّدا فاصْطِـــيدَ بَغْتاً قَبْلَ أنْ يتصيَّدا

والآنَ يا مَـــولايَّ بُشْـرَىَ إنَّها شَجـرَتْ قناةَ الدينِ في هامِ العدا

تَمْشي عَليهم كـــلَّ يَـوْمٍ رُكَّعاً وصَـــوَارماً تضحي عليهمِ سُجَّدا

بأكفِ قَوْمٍ بَاذليـــنَ نفوسَـهُم طَـــــوْعاً لمرضاةِ الإلهِ تعبُّدا

قَدْ أضْـرَمُوا نَارَ الوَغَى مِـنْ بَعْدِمَا خَمـــــدتْ فَصَارتْ دائماً تتوقَّدا

انتهتْ كَما وُجدتْ، ولله درّهُ، ما أعذبَ شعْرَهُ، وأطيبَ بِشْرَهُ

(٣٩ب) بسم الله الرحمن الرحيم، ولنبدأ بتقييد حوادث عامنَا هذا سنة ٢٦ فأولُّ ما قيلَ في تاريخه لسيدي العلامة، فخر الآل، عبدالله بن ابراهيم بن أحمد ابن الإمام وهي هذه.

يا اللهُ ألبسْ هذا المخشلب[1] حلَّةَ القبول، واستُر عُيوبَهُ بجاهِ الرّسول.

تأبَى الغـــــــزاةُ لنافرٍ متعطلٍ حَمْدَ السُّرَى عندَ الصباحِ يحقُّ لي

---

(١) المخشلب: أي الضعيف، ومن المعادن المغشوش، قال المتنبي:

بياض وجه يريك الشمس حالكة ودر لفظ يريك الدر مخشلبا

انظر، صفحات مجهولة، ٨٦.

ادركتْ ثاري مِنْ كحـــيلٍ طالما ... مِنْ مقلـتيه رَمَى الـذي قد رامَ لي

وبعنـــــقه تَخطىً حَـــرْدَ حليةٍ ... قَـــدْ حَلَّ في قلبـــيَ خيرُ تحـلّلِ

غَصْباً أقامَ وما استَـــفى ولا وفَّى ... أينَ الوَفـا مِنْ غاصـــــبٍ متسلّلِ

عيْنـــــي دَعَتْهُ فما استَجابَ وإنَّمَا ... سَلَـــبَ الكَرىَ إنسَانُها بتَمَـــثُّلِ

ما زالَ فيـــــها قائماً وتريدُ أن ... تهْديَ بهِ يا أمَّ موســـــى فاقْبلي

فَعَساكِ أنْ تَجـــــديهِ في تابوته ... قالتْ فإنَّ البحـــــرَ دونَ مؤمَّلي

قالـــتْ فإنَّ النارَ تشعلُ في الحَشَا ... وعَسَاهُ آنَسَـــــها في اليصْطلي

قالـــــتْ معي ملكُ الهُدى وبهنَّ ... حمرُ الغَضَا مَـــنْ صدَّ ذاتِ مَدلّلِ

فالصَّـــبرُ أحسنُ ما لَقيتُ علاجَ مَا ... تجدينَهُ يا عيـــــنُ منهُ وماتلي

والصـــبرُ مرٌّ كلُّهُ عَـــــنْ مثْله ... مَنْ ذا يطـيقُ مِـنَ الجوى متحمِّلِ

فَصَبَبْتُ بحـــرَ محاجرٍ حَتَّى إذا ... مَا جَفَّ القَـاهُ بغـــــيرِ تَحَمُّلِ

في ساحـــل العينينِ فابتدرَ الغزا ... ةُ مـن اللحـاظِ لنَيْلِ خطٍّ خطَّ لي

برحَ الخَفَـــــا ولقد برحَ الخفا ... ما في الغـزالِ ولا الحسانِ تغَزُّلي

إنّي أراك إمـــــامنا ذُخْرَ الورَىَ ... خيـــــرَ الأنامِ الزاهد المتبتلِ

آياتُ نصـــــرٍ منْ مفاخرِ جَدِّه ... تركتْ لتطـــــهرَ مَجدَهُ بتهلّلِ

اللهُ ناصـــــرُ عبْدِه المتوكّلِ ... كـــأبي تُرابٍ أصـلُه المتفضل

(٤٠أ) يحيى أمير المؤمنين إمامنا ... مَنْ خُصَّ بالتمـــكينِ غيرَ مُبدّلِ

والنصـــرُ والفتح المبينُ تحالفا ... بعنـــــايةِ اللهِ المعينِ الأوّلِ

أن ينفـــــــذا ما قاله أنّى أراد ... متـــى يريدُ نكايةَ المتَوَّغـــــلِ

ولقـــــدْ أراهُ اللهُ كـــلَّ عجيبةٍ ... وكَفَـــــى برعبٍ للعدوِّ ومذلـلِ

إنْ قُلـــــتُ أمدَحُهُ فكلُّ جميلةٍ ... مهما غَلَـــــتْ لثنائه لَمْ تشملِ

لم يَبْـــقَ إلاّ بالدّعا ببقـــائه ... وينصـــــرُهُ متَقَـــربي وتبتُلِ

فلهُ مقامُ المـــصطفى وعلـــومُهُ ... وبه إلى اللهِ الكـــريمِ توسُّـلي

لا زالَ ملحـــوظاً بعيـــنِ عنايةٍ ... مِنْ ربّه في العُـــسْرِ لا تمحوّلِ

يا سنةً قَـــدْ ودَّعَـــتْ أصْحَابهَا ... مـــنْ عامنا الأيامِ قَصْـــدَ ترحّلِ

وأتاكَ عامٌ بالبشـــــــارةِ مُقْبلٌ ... فيه الهنا لإمامِـــنا المتفـــضّلِ

والبشـــرُ فقـــدَ أرّخ صادقٌ فاله ... اللهُ ناصـــــرُ عبده المتوكّل[1]

٣١١ ٦٦ ٣٤١ ٨١ ٥٢٧

سنة ١٣٢٦

وبعد ذلكَ وصلتْ قصيدةٌ من سيدي العلاّمةِ عبدالوهاب بن أحمد الوريث، وهو مهاجر في بلاد العدا، لما في محلهم، مدينة ذمار، وسائر الأمصار من المنكرات ما تحير عنه الأفكار وهي هذه :

أتحســـــبُ إن تبـني بحورَ معالمٍ ... وهـــذا إمامُ الحقِّ بالسيفِ قايمُ

محالٌ يَرى أهلَ الجرايـــمِ راحةً ... وَقَـد أخبرتهم بالخطوبِ الملاحمُ

(١٤١أ)أبى اللهُ إلاّ أنْ يُرى الحقُّ ظاهراً ... ويعلو فيـــــنا رُكْنَهُ والدعائمُ

بيحيى حياةُ الدِّينِ إذْ قامَ مُعْـــلناً ... يُنابذُ أعـداءَ الهُـــدَى ويُصادِمُ

---

(١) حسابُ الجُمَّلِ.

ونادَى جهاراً أيُّهـــا الناسُ إنّني ... إلى الحقِّ أدعوكُم وللـــحقِّ نَاظِمُ

لأنْ لم نَذقْ منّي العُلُـــوجُ مرارةً ... وإنْ لم تَحُم فوقَ العُـلُوجِ الحوايمُ

فَلاَ لا نَصَبتْ منّا لحـــربِ كتائبٍ ... ولاَ حردَتْ منّا لضَـــرْبِ صوارمُ

ولا نشرتْ لي في الفَخَـارِ ملابسَ ... ولاَ ثَبتـــتْ لي يومَ مجدٍ مَعَالمُ

وشادَ قصورَ الدّينِ وهـي دوارسُ ... وأطْفى رسومَ البغيِّ وهي نَواجِمُ

وألبسَ مَنْ ناواه أثوابَ ذلـــــةٍ ... فما بَرُحَـتْ تخْشَاهُ أسْدٌ ضَراغِمُ

ألمْ ترَ ما قَدْ كانَ منْ فتـــــكاتِه ... لَقَدْ خَضَعَتْ منْ هَـولِهُنَّ الأعاجِمُ

ولاَ عَجَبٌ إنْ فَاقَ عَزْماً وسَطْـــوَةً ... فوالِدُهُ ليثُ المعارك قَـــاسِمُ

إمامَ الهُدى لازِلْتَ فينا مـــؤيَّداً ... يحفّكَ إسعـــادٌ وخَصْمُكَ واجمُ

اغثْ أهلَ هذا القـــطرِ طرّاً بصوابِه ... تُصيبُ بها أهـــلَ العنادِ مآتِمُ

وسلَّ سُيـــوفَ الانتقامِ بهمةٍ ... تُرى دُونها في الارتفـاعِ النعايمُ

ولاَ تدعِ الأقوامَ تمـــشي رِجَالهُم ... بأوديةِ الإفسادِ وهـــي سوايمُ

إذا لم تنلْ منْكَ الشَّـــريعةُ نصرةً ... يزولُ بها خطـبُ العـدا المتعاظِمُ

فمنْ يا بنَ خيرِ المرسلينَ يصُونُها ... ومـــنْ ذا به يوْماً تشدُّ الشكايمُ

ودُمْ في نعيـــمٍ لا يزالُ مُجدّداً ... ويَغْشـــاكَ إكرامٌ مِن اللهِ دايمُ

وَيَليها الجوابُ على لسانِ مولانا، حفظهُ اللهُ،

(٤١ب) حرّرَهُ القاضيُّ العلاّمةُ حسينُ بن أحمدَ العرشيُّ، وهُوَ هذا

بَدَتْ وهي للعهـــدِ القديمِ تلازمُ ... مهاةٌ لَها مِـــنها عليها تمايمُ

مقلدةٌ عقداً مـــــــن النظمِ زَانَهُ سَنَـــاهُ ويالله ثوباكَ ناظـــــمُ

يثـــاغرُها الألحانُ ترجـــيعَ مَعْبدٍ وفي طَرْفها سهْمٌ حَمَاهَا وصارمُ

ويُطمـــــــعني منها الدّلالُ لبغيةٍ ودونَ الذي أبغيـــــه سدٌّ ورادمُ

وزارةٌ ومـــــا في الليلِ إلاّ نفيسةٌ نُهاهَا البَقـــا سرحَانُها والعلايمُ

وحيَّتْ فاحْيَتْ فيهِ الروحَ وهـــي أنْ عَرفَـت التي عنْها ستُبنى المكارمُ

أنتَ منْ خدّي الفضلِ والمجدِ والنّهى وجيـــهِ المعالي فخرها والمعالمُ

تذكّرنا ما بيْننا منْ تواصـــــــلٍ وماذا اجتـــــناهُ الشيوخُ الأكارمُ

وما قطُّ حربٌ أطلعَ النقـــــعُ جوَّهُ ظـــلاماً وما أخفى لهُ السرُّ كاتمُ

وشوقُنَا أنْ تحملَ الخيـــــلُ فتيةً تُصَـــــادُ أبناءُ العدى وتُصَارِمُ

من الهاشميينَ الأجلّـــــينَ رتبةً صقورٌ لها الأسباعُ فيها القوادمُ

إذا وثبتْ يومَ الوَغَى خلْـتَ بُرقَها صـــدوقاً فمنْهم هاربٌ ومُسَالمُ

وتخضرُّ منْها ما قَط بَعْدَما قَـــط فَتُعْشِبُ فيها للجـــــلالِ المغانمُ

وسوفَ تَراها أو يَراهَا مـــن منكرٍ بعينينِ لا يَخْفَى علَيـــها التّصادُمُ

تُعيدُ الهُدَى أمْثَالَ ما كـــــانَ أولاً وتَفنَـــى بها بينَ الأنامِ الجرايمُ

أيا ابنَ الهُدى لا كنتُ إنْ لمْ أكنْ لَـــهُ نصرت ولي في الحظِّ عَرف مُساهمُ

وما ضيَّعَ المعروفَ إلاّ أخو الضَّوا ومـــنْ لم يخفْ إنْ لامهُ بَعْدُ لايمُ

رويداً قليلاً بَعَدَ حيـــــنٍ يسرّكم وتبـــــدو لكُم مني عيكُم مراحمُ

وما نسألَ الرّحمنَ إلاّ رعـــــايةً وأعمـــــالُ خيرٍ للختامِ خَواتِمُ

(٤٢أ) وَفي يومِ الخميس، شهْرنا محرمِ الحرامِ سنة ٢٦، وَصَل مَوْلانَا سيفُ الإسلامِ، سيدي العَلاَّمةُ محمد بن الإمام الهادي، حفظهُ اللهُ، منْ بلادِ أرْحَب بطلابِ منْ مَوْلانَا الإمامِ، حفظهُ اللهُ، للمراجعةِ فيما يلْزمُ المراجعةُ فيهِ من الأمورِ. وكانَ منْ يومِ عزْمه ١٤ شهرِ صفرٍ سنة ٢٥، إلى يومِ الخميسِ ١٨ شهرِ محرم الحرامِ سنة ٢٦، فكانَ مدةُ بقَائه في بلادِ أرْحَب من يومِ عزمه إلى إيابه أحدَ عشرَ شهراً وأربعةَ أيامٍ.

ومنْ حوادثِ هذا الشهرِ، إنَّهُ خَرَجَ ثلاثةُ عسكرٍ منْ عسكرِ العُجْمِ منْ عِرّ الحَيْمَة، فالتقاهم بعضُ عسكرِ الإمامِ فَقَتلوهُم، وأخذوا عليهما بُنْدَقين.

ومنْ حوادثه أيضاً، إنَّهُ بَلَغَ أنَّ أربعةَ عسكرٍ منْ عكسرِ العجمِ ظفرَ بهم الشيخُ أحمدُ بنُ حسينِ السلاميِّ في طريقِ مَنَاخة، ثم ثلاثة، ثم اثني عشرَ، بهذا وصَلت الأخبارُ إلى مَوْلانَا، حفظه الله، وقدْ تَحزَّبَ عسْكرُ الإمامُ منْ أهْلِ الحَيْمَة فيها، وذلكَ شاقٌ بالعُجْمِ لمّا كانَ الفرقُ منْ هنالكَ، ولا تزالُ الحوادثُ متجدِّدةً.

نَعَمْ، ومنْ تلكَ الحوادثِ في هذا الشَّهرِ، إنَّ العُجمَ بَعَدْ طُلُوعهم منْ عُتُمة، وانعزالِ محمد البلْيلي منْ ولايةِ ضَوْرانَ، وإبداله بأبوراس منْ ذو محمد، وتجمّعت العُجمُ إلى جُمعة أنس مع ترتيبِ بيتِ العميسي منْ بني خالدِ العلو[1]، فكانَ بيْنهم حربٌ فيما بينَ ذلكَ، قيلَ في نظراتٍ، وتجمعّت

---

(١) بنو خالد: عُزلة من ناحية وقضاء آنس، انظر ملحق البدر الطالع، ٤٣.

إلى قـرية منْ عـزلة السُّلَف[1]، ونزلتْ غـارةٌ منْ صَنْـعَـا، فـالتـقـاهُم المـجاهدونَ فـتـأنَّوا في الطريق حتـى رجعَ العربُ، ودَخَلوا ضَـوْران، والذي في الجُمعة أحاطتْ بهم العُـربُ، رئيسهم الشيخُ غالبُ بنُ عليٍّ بن أحمـدَ بن راجح ابن عمِّ الشيخ نصـير الدّين عليٍّ بن المـقداد بن أحـمدَ، وبَعْدَ ذلـكَ تجمّعـت العجم على الشـيخ نصيـر الدين، ووقع بينه وبين العُجْم، خارج ضَوْرَان وقـعات، فانتقلَ إلى حمام علي فتـبعه العجم إلى هنالك، فـاتفق الجـمعـان في الحـمام منْ دون اعـتداد، فـكانَتْ ملحمـةٌ عظيمـةٌ، ووقع في العُجم قتلى كـثيرٌ وجرحىً، وذلكَ يومَ الخـميس ٢٥ شهر مـحرم، وأمّا أبو راس، فانتـقلَ منْ جُمعة بنـي قَشيب[2] إلى محلٍّ دمام من جبل الشرْق، وتزوجَ بنت الفيـشاني والعجم في تنقل وحيرة، وأمَّا الشيخُ نصـير الدّين فانتقلَ إلى أطراف الفَيْش بجنْده لقَـصْد إتعاب العُجْم، وشغلتهمُ عـن التفرغ للبلاد، كما هي عادَتُهُ بعـدَ وقعات عديدة، وربَّما يرجعُ الجهة الغربيةَ، واللهُ ناصرُ دينه ومُعزُّ أوليائه

(٤٢ب) وفي النصف الآخـر منْ هذا الشَّـهر، خَـرَجَ جـماعـةٌ من العُجْم إلى عَمْرَانَ، وخَـرجُوا إلى الأشمور بمشورة الحـاج حزام الصعر لمّا خَرَجَ منْ اسطنبولَ، وفعلوا لهُ رُتبةَ باشويةً فتشدَّدَ في طلب التَّقرب

---

(١) السُّلف: عُزلة في ضَوْران آنس، من قراها، برقة وبيت الصبيحي ونجد الملاحي، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٤٢؛ تاريخ اليمن الثقافي، ١/١٠١.

(٢) بنو قَشيب: عُزلة في أنس، انظر، اليمن الكبرى،١٨٨؛ المقحفي، معجم، ٥١٦.

من العُجْم، وأخـذَ ثلاثةً منْ أعيانِ عَـمْرَانَ، منهم الحاجُ، علي الصـعر منْ بني عم الحاج حزامٍ، ومنْ بيتِ حِرَابُ اثنين ومـقهوي، وأدخَلهم صنعاءَ تحتَ الحفظ، وأظهرَ القطاعَ في أصـحابِ الإمامِ، وفي أهلِ جبلِ عـيالِ يزيدَ وفي عيـالِ سُرَيحٍ، فبـذَلكَ تكلَّفُ راجحٌ بنُ سعدٍ صـالح، شيخ عيـال سُرَيحٍ بعمـارةِ سوقٍ، كـانَ مؤسَسـاً منْ أيامِ بيتِ الضلعي، فيـه السَّمـسرةُ[1] العظيمةُ والمـسجدُ والبركُ، فرغبَ الناسُ إليه لتـوسُّطه، وعدمِ التعرّضِ للوارد، وأظْهرَ القطاعَ في أهلِ عَمْرَانَ.

ولمَّا وصلَ الصعـرُ، ومنْ معَهُ من العُجْمِ تقدَّمـوا رُتباً في القُرى، ونزلَ منهمُ جماعـةٌ رتَّبوا في القرى، حتى نفـذَ منهم جماعةٌ متـوجهينَ كُحْلان، فتبـعهُ جماعةٌ من المجاهدينَ إلى قطعِ الأشمورِ، ووَقعَ فيهم القتلَ لرئيـسهم الملازمِ، وقُطِـعَ رأسُهُ، وأخذتْ بغلةٌ مـنْ حقِّ المدافعِ غنيـمةً ودراهمَ ، وتفرَّقَ العُـجْمُ رُتباً في بلادِ الأشـمورِ منْ قـاعةٍ[2] إلى القريةِ والعرِ وقصبةِ عَيْشَان[3] وكُحْلان، وكانَ الأشمورُ شدّوا من القُرى.

---

(١) السمسرة: عمارات ضخمة، تكون وسط الأسواق، ترد إليها بضائع التجار، وهي معروفة في اليمن.

(٢) قاعة: حصن وبلدة غربي عَمْران، تشرع منها الطريق إلى حَجَّة، وعُزلة قاعة من ناحية العشة بقضاء خَمِر، انظر، قرة العيون، ١/٢٣٢؛ المقحفي، معجم، ٥٠٤.

(٣) قصبة عَيْشَان: جبل وبلدة بالشمال الشرقي من شهارة، وعلى بعد ٣١كم من مدينة حوث شرقاً، وعَيْشَان أيضاً في أسفل جهران بالشمال الغربي من ظفار، انظر، صفة جزيرة العرب، ٢٣٩؛ قرة العيون، ٤٠١.

وفي اليـومِ الثـاني، طَلعَ العُـجم من كُحْـلان، فـتَـغاوَرت العـربُ والعَنَّايةُ من الأشـمـورِ وكانَ الحـربُ بينهم شنّـا، انجدَ فـيـها رجـالُ الأشمورِ، وكانَ الاتفاق في قطعِ عَزّان، ما بينَ بيت الولي وحَلَمْلَمْ الأعلا حذا الكُبـرِ، فاسـتدارت الحربُ منْ شـرقةِ شمسِ يوم الاثنـينِ إلى بعْدِ المغربِ، وحـميَ الوطيسُ حتى استولَى المجـاهدونَ على المدفعِ، ومَعْ عدمِ اخـتبارِ العـربِ، وعدمِ اعـتيادهم لأعـمالِ المدفعِ لم يحـصلْ منْهم السرعةُ بإزاحةِ المدفَعِ، فانـثنى العُجْمُ على المدفعِ، واختلطوا، وقُتلَ من المجاهدينَ ثلاثةُ شهـداءِ وستةُ مكاوينَ، وأمَّا العُجْمُ فبعضُ المـحققينَ حققَ أنَّ القَتْلَ في العُـجْمِ في هذا الموضعِ ثلاثينَ، وفي غيره كـثيرونَ، وانتزعَ العُجْمُ المـدفعَ، وانحصَر الصعـرُ والمأمورُ في بيتِ الولي محاصرين، والذي في الكُبـر وبني النكفي والصَّافـية[1] تحتَ بيتِ الولي منْ عَـربِ محـاصرون الجمـيعَ وإنْ شاءَ اللهُ لابدَّ يصدقَ الـلهُ وعْدَهُ، ويؤيدَ جُنْدَهُ والعنايةَ **(١٤٣أ)** التـامةَ من الشّـيخِ سنان بن سنان العزيِّ منْ الـشيـعةِ الأفرادِ، والمـشايخِ الأمجـادِ، فنعْمَ المناصرُ، هو قـبائلُهُ الأشمـورُ، لقَد أنْجـدوا نجدةَ قـبائلِه الأشـمورِ، نعمْ، فـبلَغَ أنَّ الطفيحَ صـاحبَ قـصرِ

---

(١) الصافية: الصافية في اليمن كثير، منها صافية صنعاء، الجزء الجنوبي من صنعاء الصافية العدنية ومنها صافية دمت وجبى، الجيشية، رداع، وشحة، ثلا، ذمار، سهام، عتمة، صعدة، مَقْبَنة، الطور، الجوف، انظر، المقحفي، معجم، ٣٧٢؛ تاريخ مدينة صنعاء، ٥٦٦؛ رياض الرياحين، ٦٩؛ مذكرات المؤيد بالله، ٣٦.

الجنات، لحقَ الشيخَ حزامَ الصعر بالفرس، فالتَقَاهُم المجاهدونَ، فأسَروا الطفيحَ والفرسُ أُصيبتْ وفرَّتْ، وكلُّ ذلكَ الدَّبورِ عائدٌ على الصَعْري جميعِ أفعاله، وبالاً عليه عنْدَ قَبائله وقرابته، وعندَ الله سبحانَهُ، وهكذا كلّما كانَ مشوباً بالكبر، وتجدَّدتْ لهمُ غارةٌ منْ صنعاءَ إلى عَمْرَانَ ثمَّ طلعوا الأشمورَ، ووَقعَ الحربُ في قاعة واتَّصلوا بالأوليـنَ، والإمامِ، حفظهُ اللهُ، حثَّ مقادمتَهُ وأهلَ البلاد، أهلَ الجدِّ والنجدة والاجتهاد منْ أهل البلاد والمقادمة الأمجاد، وتَرادفوا منْ كلِّ بلادِ الشيخِ ناصرِ بن مبخوتٍ منْ أسفلِ بلادِ عفَار وبني موهب وبني عشب[1]، وسيدي العلامة العماد يحيى بن ناصر شيبان، ولا زالَ الإمامُ، حفظهُ اللهُ، في زيادَتهم بالمونات والرجال.

وفي شهْرنا هَذا، صَفَر، منْ أوَّله اشتَّدَ الحربُ بعدَ وصولِ غارةِ العُجْمِ واستمرَ الحربُ سبعةَ أيامٍ، وإلى التاريخِ والحربُ قائمةٌ، والذي قَضَتْ مكاتيبُ المحطتينَ، المحطةَ الغربيةَ منْ سيدي يحيى بن ناصر شيبان والشيخ منصر حقَّقا إنَّهُ لمَّا خرَجَ منْ في كُحْلان، أعْني الرُتبةَ، الذينَ تأخَّروا في الحصنِ، والقومُ التقَت المجاهدينَ من بني عكاب[2]،

---

(١) بنو عَشَب: عزلة من ناحية كحلان تاج الدين بالشرق من حجة، كانت تعرف باسم أعشب، انظر، الإكليل، ٢/٨٥؛ المقحفي، معجم، ٤٤٦.

(٢) بنو عُكاب: من قبائل بلاد حجة بغرب مبين، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٥؛ الحجري، مجموع، ٢/٦٠٧.

ومن شرق حجّة وبيت قُدَم ومَسْوَر وبني حَوَر[1]، والدُقيْمَات[2]، وأهل قَيْدان[3]، وعفَّار، وبني عَشَب، وبني موْهب، وعزّان، وأهل كُحْلان.

واشتدَّت الحربُ حتى كادت المجاهدونَ أنْ يُستأصَلوا بالمدفعِ الكبيرِ والمكينة، فأغَارَ عَليهم صادقُ أفندي بطابورٍ، وأُعطلَ المجاهدونَ من المؤنة، فغطَّى عَليْهم الغَيْمُ حفظاً من الله لجملة المجاهدينَ، وإغاثةٌ أخرى وصولُ غارة المجاهدينَ المتقدم ذكرُهُم، واستُشْهِدَ من الأسفلينَ أربعةُ أنفارٍ وخمسةَ عشرَ جريحاً، وأمّا العُجْمُ فَنَقلت المكاتيبُ بتحاقيقها، أنَّ القتلَ من العُجْمِ فوقَ مئةٍ وخمسينَ والغنائمَ معَ المجاهدينَ بنادقُ ومؤنةُ ومدافعُ، ومنْ جملة ما حَكَتْهُ التحاقيقُ إنّهُ قَدْ مَنَّ اللهُ عَليهم بالعوضِ في غليبة العامِ الماضي التي في حَلَمْلَمِ التي أصيبَ **(٤٣ب)** فيها سيدي الرئيسُ الخطيرُ عبدالله بن يحيى أبو منصر كما قَدَّمْنَا.

ومنْ جملة ما فصَّلَتهُ التحاقيقُ أنَّ الشيخَ حزامَ الصعرِ تكَّوَن في أرنبته، وأنَّ وَلَد أخيهِ مقتولٌ، وإنّهُ قتلَ منْ طباشية[4] المدفعِ أربعةً

---

(١) بنو حَوَر: عُزلة من ناحية مَسْوَر المنتاب، انظر، المقحفي، معجم، ١٩٩.

(٢) الدُقَيْمات: من قبائل حاشد ثم من العُصَيمات، انظر، المقحفي، معجم، ٢٣٨.

(٣) قَيْدَان: قرية من عزلة بني السافل وناحية القفر، وقيدان المقصودة هنا بلدة في جبل كحلان عفار، انظر، تاريخ اليمن الحديث، ٤٠؛ المقحفي، معجم، ٥٢٦.

(٤) طباشية: أي طبجية المدافع أي ضارب المدفع.

وضابطاً، وانْحَسَرَ العُـجْمُ إلى العرّة، وحَلَـمْلَم ودُروب الصفا والـكُبر، ورَفَعوا المدفعَ الكبيـرَ إلى عَمْرَانَ، وَرَجَعَ الذينَ أدخَلوهُ عَمْرَانَ، وأدْخَلوا الجَـرحَى من العُجْم، قـالوا : نحـو متـين مُكَّوْن، وزَادُوا مَعَـهم، وَرَدَّوا، وسيـدي عبدالله أبو منصـر، زَحَفَ بنفسه للقـرب إلى بني طلق، ورتَّبَ إلى الضمريِّ، وصَارَ العُجْمُ بين طائفتي المـجاهدينَ، سيدي عبدالله بن يحيى، أبو منصـر وجنده، وَمِنْ شرقٍ وقـبلةٍ وسيدي يحـيى بن ناصر شيبان، والشـيخ ناصر بن مبخوت الأحمر من جـهة غربِ يمنٍ، وأعداءُ الله العُجْمُ في الوسط والحربُ مستـمرةٌ، وهَذه إمارةُ نصرِ الله لمَوْلاَنَا، حفظهُ اللهُ، حيثَ تَجْتَمعُ كلمةُ أهلِ البلادِ عَلى العُـجْمِ قَضَّهم بقضيضـهم، وضـايَقُوا العـجمَ، وَهُم زهاءَ ألفـينِ بمدافـع وآلاتٍ ومونات سلطانيـة كالجبالِ ولم يبقَ منْ مـرعبٍ والمعيَّنَة لها عشر عشـر، ما كانَ في ابتداءِ وصولِ العُجْمِ أرضَ اليمن، كانَ بُلكاً من العُـجْمِ يتخلصُ أرضاً وسيعةً، والبُلكُ عبارةٌ عنْ ثـمانينَ، وفي التاريخِ ألفانِ من العُـجْمِ على خوفٍ ليلاً ونهاراً، ومَنْ أطْرَفَ منْهم قُتل أورُبط، وأعوانُ العُجْمِ كذلكَ فسبحان اللهَ، مالكَ الملك، يُعزُّ منْ يشاءُ، ويذلُّ منْ يشاءُ.

وكـانَ في الشهـرِ المـاضيِّ عزمَ طائفـةٌ من العُـجْمِ إلى بلادِ نهم للمخلصِ والتحـصيلِ بسعايةِ بعضِ مشايخِ نهم المتـوظفينَ مَع العُجْمِ والمديرِ.

وشَرَعُوا في ذَلكَ، وانفتحَ عملُ الأشمورِ، والإمامُ، حفظهُ اللهُ، أمرَ المجاهدينَ منْ بني حشَيْشٍ ومنْ أرْحَب، وسيدي العلامة، محمد بن يوسف الكبسي، وأرادَ الإمامُ، حُفظهُ اللهُ، الإحاطةَ بمنْ في نِهم، وعَزَّم حسين العبيدي بتحصيلِ جماعة منْ أرْحَب، ومكْنَة منْ أرْحَب من المؤنة والمصاريف، ولعلَّ معْ فيضيٍّ منْ ينْقلْ لَهُ الأسرارَ، فرُفَعَ منْ في نِهم إلى بني الحارث ثمَّ إلى صنعاءَ، وَبَلغَ خبرٌ إنَّهُ قدْ خرَجَ منْهمُ طائفةٌ إلى عَمْرَان غارةً، على منْ في الأشمورِ، وما تنفعُ الغاراتُ عنْدَ حلولِ الدبور ﴿إنْ يَنْصرُكُم اللهُ فلا غالبَ لكم وإنْ يخذلكُم فمن ذا الذي يَنْصُركم من دونه﴾، مع أن الإمامَ، حفظه الله، يبحثُ لغوامضِ الأخبارِ، إلا هذه فلمْ يلتفتْ إليها ﴿ليقضيَ اللهُ أمراً كانَ مَفْعُولاً﴾.

(٤٤أ) وفي نهارِ سادسِ شهرِ صفرٍ سنة ٢٦، وَصلَتْ المكاتيبُ بوصولِ الغارةِ منْ صنعاءَ بصحبةِ يوسف بردقان الذي تقدَّمَ ذكرهُ في الدارِ البيضاءِ وفي الطَويلة، وتكاثرت الأخبارُ بموته، وكانَ وصولَهُ عَمْرَانَ يومَ السبتِ، رابعِ شَهرِ صفرٍ، غارةً على منْ في الأشمورِ، ومقللاً أو مكثراً على الثمانمائة، ثمَّ لَحقوا بمنْ في الأشمورِ والتقَاهُم المجاهدونَ إلى درب العُصيُفريِّ[1]، ووقعَ الحربُ بينهم وبينَ العجمِ، فكُسرَ العجمُ، وعندَ ذلكَ وصلَ سيدي عليٌّ بنُ علي السراجي إلى بيتِ الحارثيِّ ثمَّ إلى

---

(١) درب العصيفري: في بلاد الأشمور، انظر، المقحفي، معجم، ٢٣٣.

نُغَاش[1]. ولمَّا عَلِمَ، مَوْلانا، حفظهُ اللهُ، بالغارات، أسرعَ، حفظهُ اللهُ، بالمونات الواسعة إلى سيدي يحيى بن ناصر شيبان، والشيخ ناصر ابن مبخوت كونَ الجميع منْ جهَتهما أكثرَ، فَلاَ حَولَ ولاَ قوةَ غيرُ حولِ الله ومقْدرته، يرفعُ منْ يُريدُ، ويضعُ منْ يُريدُ وأفعَالهُ منُوطةٌ بالحكمة الربانيَّة، وكذلكَ بعثَ بمونات كثيرة إلى سيدي الفخري عبدالله أبو منصر، وسيدي علي بن علي السراجي، وأوسعَ في ذلكَ، حفظهُ اللهُ، ثمَّ وَصَلَ الخبرُ بعزمِ قومٍ منْ بني صُرَيم حاشد العلو، معونةً للإمامِ، والحربُ مستمرةٌ معْ تجدّد الخبر برجوعِ حزامِ الصعرِ بيتَه عَمْرَان، وبَلَغَ أيضاً رُجوعُ العُجْمِ منْ بني قُطَيل[2] الأشمورَ.

وَمنْ حوادث شهْرِ صفرٍ، أنَّ بعضَ عسكرِ الإمامِ المجاهدينَ في الحَيْمَة وبلادِ البُستانِ، وَثَبوا على ثلاثة أفند[3] على خَراجِهم من بَوْعَان، فَقَتَلوا الثلاثةَ الضبّاطَ، ولمْ يتمكَّنوا من الأخْذ للغنمية، البغالِ ونَحْوَهَا لكثرة الغوائرِ من العُجْمِ، الذينَ كَانوا مَعَهم، وأهلُ القرى، قَالوا لَهمُ: إنَّهم لمْ يأخذوا إلاّ ناظوراً وقرشينِ زلطٍ.

---

(١) نُغَاش: بلدة في جبال عيال يزيد من بلاد الأشمور شمالي عَمْرَان، انظر، المقحفي، معجم، ٦٦٤.

(٢) بنو قُطيل: قرية من قرى قبائل بكيل من عيال يزيد في ناحية عَمْرَان، انظر، الحجري، مجموع، ٦٥٦/٢.

(٣) أفند: أي جمع أفندي، لغة في اليمن، أفندية.

نَعَمْ، وَلمَّا وَصَلَ يوسفُ بردقان بالغارة مِنْ صنعاءَ، يومَ السبت، ٤ شهر صفر سنة ٢٦، تَقدَّمَ يوسفُ بردقان بمنْ مَعَهُ على جبل المنَارة[١]، ودربِ العُصَيْفري وجبلِ القُلَّة[٢]، واستمرَّ الحربُ يومين، حتى نَفذَت المونةُ عَلى المجاهدينَ.

وَيَومُ الاثنين، وَقعَ الحربُ بينَ العُجْمِ وبينَ الرُتب في الجبال إلى ظهر، وَنَفذتْ علىَ المجاهدينَ المونةُ، واستمدَّ العُجْمِ على بني القُطيل، واتَّصَلوا بثلاثة مدافنَ، مِنْ حقِّ بيت المال، أطْلَعهم عَلَيها واحدٌ من الأشْمُور هاربٌ عندَ العُجْمِ منْ قبل هَذا، وَرَموا بالمدافع إلى الكيَّال، ونزلَ الأتراكُ بدحَ[٣] والزَيْلَة وبيت الزريب يومَ الثلوث شَهْرِ صَفرٍ سنة ٢٦ ثمَّ ارتفعَ العُجْمُ إلى العرَّة وحَلمْلم من بلدانِ الأشمور.

ويومَ الخميس توجَّهت العُجْمُ جهةَ كُحْلان والجَنَدْ حيثُ دَهَم البلادَ مَعْ توجّه **(٤٤ب)** العُجْمِ نحْوَ بلادهم، تَفرَّقوا لمْ يبقَ إلاَّ النازح، ووقعَ الحربُ بالمدافع إلى كُحْلان، وعادةُ المدنِ الميلُ إلى صيانة البيوت، فدَخَل العُجْمِ كُحلانَ، وسيدي العلامة محمد بن ناصر شيبان

---

(١) جبل المنارة: المقصود منار ريمة، وفي اليمن عدة جبال تحمل اسم المنار، مثل منار بعدان ومنار آنس، انظر، الحجري، مجموع، ٧١٩/٢.

(٢) القُلَّة: قرية من عُزلة جبل الدار من بلاد عَنْس وأعمال ذمار، انظر، المقحفي، معجم، ٥٢٢.

(٣) بَدَح: عزلة من بلاد ريمة من قراها القطن والبرحة والقَضَّة والشرف وبَدْح، وعزلة من ناحية مِلْحَان وأعمال المحويت، انظر، الحجري، مجموع، ١٠٥/١.

والشيخ ناصر مبخوت ومنْ معهمُ تحيَّزوا جانباً مرتقبينَ الفرصةَ، والشُّهداءُ من المجاهدينَ سبعةٌ والمجاريحُ أكثرُ، وأمَّا العُجْمُ فالأخبارُ قاضيةٌ بكثرةِ القَتْلَى، وذلكَ حيثُ العُجْمُ القاصدونَ وثباتِ العربِ لَهمُ، وأمَّا سيدي علي بن علي السراجي، ومعظمُ المجاهدينَ مَعَهُ، فَمَطَرحُهم في نُغاش وما إليه، وغاراتُ حاشد صُرَيْمي وخَارفي إليهِ متواردينَ إليه كَونَهُ المشرَّقَ جهةً منْ وراءِ العُجْمِ، ولم يُلْتَفَتْ على سيدي الجمالي، عليِّ بن علي السراجي، بَل توجَّهُوا غَرْباً لجمعِ الطعامِ وما سَهُلَ من المخلصِ، والشيخ ناصر مبخوت انتزحَ الزَيْلةَ، وسيدي يحيي بن ناصر شيبان في مغربة الهريس، والعجمُ بعدَ رجوعِ الحاجِ حزام الصَعْر عَمْرَانَ، ثمَّ صنعاءَ، قيل إنهُ مطلوبٌ لمسئولية، وقيلَ لم تتفقِ الطبائعُ بينَ رؤساءِ العُجْمِ وبينَ الحاجِ حزامِ، فَطَلَبُوا الشيخَ راجَ بنَ سعد صالح، شيخَ عيال سُريح، فسعى في تسكينِ أهلِ تلكَ الجهةِ وتأمينِهم، وَلَهُ بصيرةٌ في مراعاةِ جنابِ الطرفينِ تمَّتْ.

نَعَمْ، وكانَ من الحوادثِ في الجهاتِ الأنسيةِ أنَّ أبو راس[1] تخلص دراهم، وَعَزمَ على طلوعه ضوْرانَ، وقيلَ إنَّهُ معزولٌ، فقدَّمَ لهُم الشيخُ نصيرُ الدِّينِ والدَ أخيهِ الشيخِ محمد بنِ أحمدَ بنِ المقدادِ وصحبته مئة

---

(١) المقصود ناجي بن قايد أبو راس البرطي البكيلي الغيلاني، عامل الأتراك على بلاد آنس، انظر، أئمة اليمن، ١٢٠، (سيرة الإمام يحيى).

وخسمينَ منهم، عبدالله بن سعيد الحاج الجبري، والنقيب حميد الخياري، وكانَ تعزيمهم من محطة العُفر، ولفظُ كتاب الشيخ نصير الدّين إنّهُ وَقَع تعزيمُ منْ ذكرناهُ، ولفظه، «صدُورهَا من محطة الجهاد مبشرةٌ بما مَنَّ اللهُ به بسعادة الإمام من النصر المقرون بالسلامة والاغتنام، وإنّهُ لمَّا بَلَغَ إلينا شدّادُ، عدو الله، أبو راس لطلوعه من الجُمعة معزولاً كمَا قيلَ، توسَّلنا إلى الله، بإرسال الولد الشبل محمد بن أحمدَ المقداد منْ مَحطة العُفر، وصحبتهُ النقيبُ عبدُالله بنُ سعيد الحاج والنقيب حميد الخياري ونحوْ المئة والخمسينَ من المجاهدينَ، كثَّر اللهُ سوادَهم، لإلتقاء أعداء الله في قارعة الطريق في الخنق والرزوة بالقرب منْ ضَوْران، فتوجَّه عدو الله بقدر مئتين منْ عربٍ وعُجْم. وقدَّمَ الحمولةَ نحوْ عشرينَ رأساً من البغال والخيل وأربعة جمال، وغير ذلكَ من الحمير، كلَّها محملة دَراهَم، ومحاسنَ ما قدْ جَمَعَهُ معْ ما كانَ منْ فراش ونحاس وآلات، وكانَ ظهورُ المجاهدينَ عليهم بغتةً، فَصَاحوا في الحمولة، ومنْ معها بُلكَ من العُجْم ونحوهُ عشرةٌ من العرب، فَقتلوهم شرَّ قتلة، لم ينجُ من الموت سوَى نفرين من العُجم أسيرين، وبعْدَ الاستيلاء على الحمولة لم يفتْ منها شيءٌ (٤٥أ) هجموا على عدوِّ الله، وبقية العُجْم الذينَ معَهُ، ففرّوا فرارَ الشاة من الذئاب، وتحصَّنوا في محلٍّ جبل الجموح، وقدْ بَلَغت القلوبُ الحناجرَ، وقيلَ أنَّ عدوَّ الله

مرصَّصُ، وبـقاهُ في الحـياة بعدمـا وقعَ أشدُّ علـيه، وأغصُّ عبـرةً لمن اعتبرَ، وتذكرةً لمن طَغَى وتكبَّـر، وكلُّ هذا بحول الله، وما النَّصرُ إلاَّ منْ عند الله، وكلُّها عنايةُ الله في خـليفته، الذي أجْرى اللهُ لنَـا خيرَ الدارين على يَديه والولدُ الشـيخُ العزيُّ، والمجـاهدونَ متوجِّهـونَ إلينَا بالغنائم والروس، وعَجْلنا هَذه عُـجالةً للبُشْرى ولاسـتمداد المونة عـاجلاً، فإنَّ هذه الوقـعةَ، مفـتاحُ الأعـمال النافـعة، إنْ شـاءَ اللهُ، ومجـلابُ الرجال الواسعة، فالحثُ منْ مولانَا، حـفظهُ اللهُ، أيَّدهُ اللهُ، لأنَّ أكثرَ المرسَل أولاً اسـتغـرقَ تعـويضاً للفـايت في الحـروب الأولَى، هَذا ومن نصـر الله، سلامةُ المجاهدينَ من السلامة التَّامَة، فلَمْ يُصبْ أحداً منهم شوكةٌ، فلله الحمدُ عَلى كلِّ حال، تاريخُ الوقعة هَذه، يومُ الأحد، ١٢ صفر سنة ٢٦».

وفي يومِ الخـميس، ١٦ صفر سنة ٢٦، ارتفعَ العُجْمُ مـنْ كُحْلان مقهقرينَ نحْوَ الأشمور، يتضحْ غايةُ مقصودهم بالرجوعِ إلى عَمْرَان أمْ المتـقرب، فلمَّا كـانَ يومُ السَّبت، تقـدَّمت العجْمُ على الضـمريِّ وتكَوْن زينةُ الأقـرع، ومـا قَرُبَ منْهـا، ودارت الحـربُ بالبنادق والمـدافع إلى الغروب، وكانَ سيدي علي بن علي السـراجي قدْ حصلَ لهُ أنْ كانَ سببُ انتقَاله إلى سيدي عبدالله بن يحيى أبو منصر.

وفي يومِ السَّـبت، ١٨ شهر صـفر، تقـدَّمت العُجْمُ على مـحطات المجاهدينَ في الجـبل، وَقَدْ تكَاثرت العُجْمُ إلى نحو أربعة آلاف، فـتفرَّق

المجاهدونَ، وكلٌ فَعَلَ مقدورَهُ، وانحصر الحربُ على خَارِفَ في محلٍّ نَعْوةَ، وكانت الحربُ منْ بعْدِ شروقِ الشَّمسِ إلى الليلِ، وتكرَّرتْ هجوماتُ العُجْمَ على خَارِف، وَثبتَ رجالُ خَارِف لكل هجومٍ، وكُلّما هَجَمت العُجْمُ دَفَعهُم خارف بالقتلِ الفظيعِ إلى الليلِ، وكلٌ من المجاهدينَ يحربُ بمستطاعه، ولم يمكن الفكُ لخارفَ للخروجِ إلاَّ أغارَ الشيخ المجاهد ناصر مبخوت، وسيدي العلامة «يحيى بن ناصر شيبان» من وراءِ العُجْم حتى دَنَوا من العُجْمِ، فتأخَّرَ العُجْمُ مما نَالَهمُ من خَارِف المنحصرينَ، ومنْ غارة سيدي العَلاَّمة محمد بن ناصر، والشيخِ ناصر مبخوت، وخَرَجَ المجاهدونَ **(٤٥ب)** منْ خَارِف من قرية نَعْوة بعدَ جماله في عزٍ وسلامة، ومَنْ جدَّ أنْجدَ، ومَنْ صبرَ وَثبتَ وَصَابرَ فازَ بالأجرِ في الآخرة، واستحقَ المدحَ والثنا.

وتفرَّقَتْ عساكرُ العُجْمِ والعربِ فمَّا كان من العُجْمِ، فتفرَّقُوا في قرى الجبلِ في الربعِ الشرقيِّ منْ جبالِ عيال يزيدَ، وسيدي علي بن علي السراجي، انتقلَ منْ بيت سيان إلى مكتبِ الغولة[1]، وحَمدة[2]، ولمَّا وصَلَ العُجْمُ إلى قُرى الجبلِ، وجَدَوا الأغلبَ على قُراها الخَلا منْ أهْلها،

---

(١) الغولة: قرية في أرحب وأخرى في بني الحارث، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٨٣/٢؛ المقحفي، معجم، ٤٨٦.

(٢) حَمدَة: مدينة بناحية عيال سُريح في الغرب من عمران، انظر، صفحات مجهولة، ٩٧؛ تاريخ اليمن الثقافي، ٨٣/٢؛ المقحفي، معجم، ٤٨٦.

ومقادمةَ الإمامِ متأهبينَ للحربِ، فأعملوا الفكرَ في تدريجِ أعمالِهم، وانتقالِهم على سياسةٍ، أنْ يتوسَّطَ الشيخُ راجحُ بنُ سعدٍ صالحٍ، شيخُ عيالِ سُريحٍ، علَى أنْ يكونَ منْ أهلِ حَمدةَ رأسان وستونَ قَدَحاً، وترتحلُ عساكرُ العُجْمِ، فلمّا رضَوْا ذلكَ، واطَّلعَ أهلُ حَمدةَ ذلكَ المعينِ إلى ظهْرِ الجبلِ، فما وَصلوا ظهْرَ الجبلِ إلاّ وَقَدْ شدَّت العُجْمُ من هنالكَ، فَرجَع أهلُ حَمدة، وسيدي علي بن علي السراجي قدْ حَصلَ بينَهُ وبينَ أهلِ حَمدة والغولةِ تنافرٌ أوَّلَهُ من أيامِ الجهادِ السابقِ مَعَهُ في بلادِ الطَويلةِ، وفي بَلَدِهم، كذلَك لمَّا أرسلَ سيدي علي بن علي، عليهم عسكراً إلى البيوتِ لعددِ النفوسِ والأغنامِ تجدَّدت الضغائنُ، وأرادَ الوصولَ إلى الغولةِ، فافتتحَ الحربُ بينَهُم، وانضمَّ أهلُ حَمدة إلى أهلِ الغولةِ، وانضمَّ بنوعبدِ ولامٍ، أهلُ الجبلِ إلى سيدي علي بن علي، ووقَعتْ جراحات في الطرفينِ، فانتقلَ العُجْمُ إلى رَيْدة اغتناماً للفرصةِ، ومعْ حُسْنِ سريرةِ مَوْلانا الإمامِ، حفظهُ اللهُ، وَقعتْ في خلالِ ذلكَ الفتكةُ العجيبة والحالةُ الغريبةُ، وذلكَ أنَّ الشيخَ نصيرَ الدِّينِ عليَّ بن المقداد، لمَّا وَقعتْ لأهل محطته الغنيمةُ الأولَى منْ أثقالِ ناجي بن قايد أبوراس في محلِّ هَداد، والخنقِ، وَرَجعوا بالغنائمِ الباهرةِ وتشوَّقُوا للأخرى، ونفذت العيونُ من طرفِ الشيخِ نصيرِ الدِّينِ إلى الفرقِ الغربيِّ، وذلكَ في المحيام[1]،

---

(١) المحيام: موضع بأقصى بلاد الحيمة الخارجية فيما بين أطراف ريمة وبرع ووادي سهام، انظر، المقحفي، معجم، ٥٦٩؛ أئمة اليمن، ١٢٢/٣.

فأنْفذَ المحطةَ ورؤساءها الشيخُ الشبلُ محمدُ بنُ أحمدَ بنُ المقداد بنُ راجح، والشيخُ غالب بن علي بن أحمد بن راجح، فوافوهم في غُرَّة الليلِ، فَوَثَبوا عَلى تلكَ المحطتينِ، وثوبَ رجلٍ واحدٍ، وفتكةٌ محمودةُ وغنائمُ مفقودةُ، واستأصَلُوا بذينكَ المحطتينِ، ولم يبقَ من العُجمْ إلاَّ منْ فاتَ بالهربِ، كما يوضِّحهُ نقلُ الكتابِ الواصلِ وتاريخه، وتقريظِ الواقعةِ وجوابِها كمَا تَرى تحرَّرَ ذلكَ متَّصلاً بهذَا الحديثِ، وَهُو ما لفْظهُ:

(١٤٦أ) بسم الله الرحمن الرحيم[1]

بُشْرىَ لنَا معْشَر الأنصارِ أنَّ لنَا ... منَ العنايةِ ركناً غيرَ منهدمِ

هو الإمامُ الذيَ دَامَتْ سَعَادتُهُ ... فأسعَدتْ كلَّ باغي الخيرِ مُعتَصَمِ

شعارُهُ النصرُ والفتحُ المبينُ لَهُ ... وجُنْدُهُ في ذُرى المجدِ الشميمِ سَمي

فكلُّ منقبةٍ منْ فضلِ نجدته ... به افتخارُ جميعُ العُربِ في الأممِ

ومفخرُ الجبلِ السَّامي على أُحُدٍ ... والفرشُ يزْهوُ على الأمصارِ والقممِ

أعْني هداداً به صالتْ أسودٌ شرىً ... على أبو راسٍ أعني رأسَ كلِّ عمي

أشعرُ بها صولةٌ ألقتْ عساكرهُ ... قتلىً وأموالهُ غنماً لمغتَنَمِ

لكنَّها هَوَنَت عنْهُ مصيبتَهُ ... ما كانَ منْ بَعْدِ المحيامِ في العُجْمِ

فَيَالها غزوةٌ كانتْ مسافتُها ... يومينِ تَتْلو لَياليها فَلمْ تنمِ

---

(١) انظر: عمدة القارئ، ٩٦؛ وانظر، أئمة اليمن، ٢/١٢٠.

وكانت العُجْـــمُ الأغلاف غافلةً ... منها السَّكَارَى ومِنْهم مسدلُ اللُّثَمِ

فصاحَ فيهم جنودُ الحـــقِّ قاطبةً ... مِنْ يُمنَـــــةٍ وشَمَالٍ ثمَّ مِنْ أمَمِ

وجردوا البيضَ من أصرافها وعَـدَوْا ... عَلَى مَنَاحِـــرهم يَروونَ كلَّ ظمـي

فأصْدروا البيضَ حُمراً بَعْدما وَرَدتْ ... والأرضُ قدْ صُبِغتْ أدامُـــها بدمِ

فأصبْحت ضخمةَ الأجساد خاويةً ... أعجازُ نخلٍ أتَاهَا زاحفُ العِـــرمِ

وأصـــــبحَ القومُ ورّاثاً خَزائنهم ... بنادقاً وعجاباً صُنعةَ العُجـــــمِ

هَذي سَعَـــادةُ مَـــولاَنا وَدَعوتُهُ ... لازال كفاه تجرى أعيـــن النعـمِ

والحمـــدُلله مَوْلانا ونَاصِـــرُنا ... نِعْمَ الوليُّ النصـــيرُ واسع الكرمِ

ثمَّ الصلاةُ عَلى طَـــه وعِتْـــرَته ... هُمُ النّجـــــومُ لمنجَانَا من الظُلمِ

مِنْهُم مولانا أميرُ المؤمنين، المتوكلُ على الله، ربِّ العالمينَ، حفظهُ اللهُ، آمينَ، والسَّلامُ عليه ورحمةُ الله في كلِّ حين، آمين :

صدورُ القاصـرة، مُقَبلةٌ لبواطنِ الأقدامِ، بعْـدَ التَّشرف بلثمِ ترابِ أشرف مقامٍ، مـبشرةٌ بما منَّ اللهُ سبحانَهُ، ولَهُ الحـمدُ، بالنصرِ العظيمِ في الغزوةِ المباركةِ إلى المحيـامِ بَعْدَ إرسالِ الجواسيسِ لطيافةِ مطارحِ العُجْمِ هناكَ، وتـوكّلنا على الله أجمعـين، ومِنْ قَفْـرِ بني أسعدَ، قـسَّمنَا القومَ عنوتين علـى المطَّرحينَ الأعْلَى **(٤٦ب)** والأسفل، فـالولدُ الشيخُ الشبلُ محمدُ بنُ أحمدَ بنُ المقـدادِ والنقيبُ حميد الخياري ونصفُ القومِ على الأعلىْ، والشـيخُ الهـمامُ، غـالبُ بنُ علي أحـمد، والنـقيبُ النجـيبُ

عبدالله بنُ سعيدٍ الجبري والآخرون على الأسفل، وكانَ الأعلونَ أشدَّ ملاحمةً وقتالاً والأسفلونَ أكثرَ غنيمةً واتصالاً، ولم ينجُ من العُجمِ إلاّ مَنْ فرَّ وخيمة أعلاقه عالية. والمأخوذُ خمسةٌ وعشرونَ خيمةً من دونِ العروشِ المشروعةِ، وأكثرُ القتلِ في العجمِ طعناً، واستولى المجاهدونَ على المطّرحينَ، وأخذوا مَن القيد ما قدرُوا على حملهِ منَ بنادقَ ومونة وفراشٍ ونحاسٍ وآلاتٍ، وجمعُوْا الخيامَ وبقيةَ الأرزاقِ وأحرقُوْهَا مَعَ العروشِ حتى أضاءَ الخبتَ المتصلَ بتهامةَ، وكانتْ صولةً اهتزَّتْ بها أرجاءُ الأعجامِ والشوافعِ، واهتزَّ منها القريبُ والشاسعُ. وهذا منْ فضلِ اللهِ، وما النصرُ إلاّ منْ عندِ اللهِ. ولم يكنْ منَ المجاهدينَ سوى شهيدْين، حسينُ بنُ راجحٍ مطر منْ جَهْرَانَ، والسمانُ منْ أصحابِ النقيبِ عبدالله ابنِ سعيدٍ الجبري، وصبر مجروح من أصحابهِ، وأحمدُ ابنُ يحيى جعفر من دمامَ والآخرونَ في سلامةٍ وغنيمةٍ، والحال قد قبضنا أخماسَ البنادقِ، اثنى عشرة بندقيةً ما وزر، خمسُ ما قَدْ ظَهَرَ، وأكثرُ القيدِ مَعِ الأفرادِ أهلِ الحيرةِ منِ البلادِ الذينَ لم يَدخُلوا تحتَ عرايفَ، وأمّا المأخوذُ فشيءٌ كثيرٌ، وفيما قَدْ قبضْنَا رايَكُمْ من إرسالٍ، أو قبضهِ والانتظارِ لوصولِ المونةِ الواسعةِ فإنَّ أعداءَ اللهِ يتأبطونَ لنَا معظمَ شُرورِهم، ويجمعونَ أكثرَ جُموعَهم بعدَ هذهِ الوقْعَاتِ، واللهُ يخيّبُ آمالَهم، ويبطلُ أعْمالَهم، والثقةُ باللهِ الذي يَشدُ الحولَ والقوةَ، والامامُ

ظهرُنا بعـدَ الله، وحَاضـرُها النقيبُ النجـيبُ عبدُالله بنُ سـعيـد الحاج يُبلغْكُم جزيلَ السَّلامِ، ومستـمدَّ الدعاء، ولَهُ في هَذه الأعمالِ العزمُ الذي لايُثنيـهُ الحمامُ، زادَ اللهُ في الـرِّجالِ منْ أمْثـاله، وكذلكَ النقـيبُ حمـيدُ الخياري، والدعاءُ مستمدٌ للجميعِ على كلِّ حالٍ

والسَّلامُ عليكمُ ورحمةُ الله وبركاتُهُ

ختمَ ٢٤ شهرِ صفرِ سنةِ ٢٦

والغزوةُ ليلةَ الاثنينِ ٢٠ شهرِ صفرِ سنةِ ٢٦، ومن الله النصرُ والظفرُ، عبيدكم المملوكُ عليُ بنُ المقدادِ[1]

انتهى الكتابُ ويتلوهُ الجوابُ، مالفظهُ[2]:

لمثلِ ما كانَ في المحيامِ في العُجْمِ ... يحتالُ يختالُ أهلُ المجدِ والهممِ

شقَّتْ ظلامَ ليالٍ للّذي قصَـــدتْ ... بما شفَتْ كلَّ داءٍ أمَّةُ الشيـــــمِ

وصوتُ رعدٍ سَمِعْناهُ وقدْ هتنَـتْ ... سحابةٌ فوقَ هامِ العُجْمِ والقمـــمِ

في ليلةٍ منْ شهـورِ العامِ مُظلمـةً ... قَدْ أقمـرتْ بوجوهِ البيضِ والخذمِ

في مُعْرِكٍ فيهِ نقطُ[3] الطعنِ ظاهرةٌ ... قدْ ميّـزتْ بينَ عربِ القومِ والعُجْمِ

---

(١) علي بن المقداد بن راجح الأنسي، ت ١٣٣٩هـ، من أشهر شيوخ منطقة أنس، حارب الأتراك إلى جانب الإمام المنصور محمد بن يحيى ثم ابنه يحيى، نشأ بوطنه من جبل الشرق، انظر: لامية النبلاء، ص ٧٩؛ نزهة النظر، ص ٤٥٧؛ الواسعي، تاريخ اليمن، ص ١٥٣؛ وثائق يمنية، ص ٣٦١.

(٢) وردت بعض الأبيات في أئمة اليمن، ١/١٢١ (سيرة الإمام يحيى).

(٣) في أئمة اليمن، تقع.

حتى كأنّ صريرَ الطعنِ يأخـذُهُمْ ... حولَ الخيامِ صريرَ اللوحِ والقلـمِ

(٤٧أ) وناطقُ الطعنِ يقرُّ إنكمُ بشرٌ ... أهلَ الضّلالِ وإنّي غيرُ متّهـمِ

وهَكذا يفعلُ الحامونَ حوزَتَهـم ... ومَنْ يميت بحبلِ العزِ والكـرمِ

وقايلٌ قالَ والأيامُ شاهـدةٌ ... والحربُ تنهلُ مِنْ أوكَارِهَا بـدمِ

أينَ الجلالُ وأينَ المجـدُ قلتُ لَـهُ ... في حيٍّ كندةَ لاَ عَـادٍ ولاَ إرَمِ

سما به شبلُ[1] الماجدينَ بَني المقدادِ ... بعدَ نصيرِ الدِّينِ في الأمَـمِ

وغالبٌ غالبَ المجدَ الصَّميمَ بـه ... مَنْ كانَ قَاوَمهُ مِنْ ضيغمٍ قـرمِ

وفتيةٌ عـنْ ذرى قحطـان واردةٌ ... ذاكَ الورودُ فلَمْ ترقدْ ولَم تنـمِ

أولئكَ القومُ دعني مِنْ ذوي خَطَـرٍ ... تَقُولوُهُ وهُم فيه ذَوو نَـدَمِ

فيا خيامَ الأعاديَّ حيثما ثبتـتْ ... تَقَوَّضي أو فَقَدْ أودنْتِ بالعـدمِ

وأنتم أيها الأرومُ أرشدُكُـم ... هَـذاَ كانَ أمْ لابدَّ مِنْ نُقمِ[2]

كأنّني بِكُم إذْ ذَاكَ مَهْبِطُكُـم ... في أرضِ صنفورَ بينَ السدرِ والسلمِ

مثل النعام إذا ولَّتْ مهرولـةً ... والعربُ كالذئبِ قَدْ أشْفَى على غنم

فهاربٌ مِنْ جمـوعِ العُجْـمِ أسقَطَهُ ... حَرُّ الحـريقِ وباقٍ باتَ وهوَ عَمـي

ما بَينَ أروَاحِهـم في تلكَ حَالتهم ... وبينَ أشْبَاحِهم ردمٌ وذو عـلمِ

إيهِ وإيهِ بني المقدادِ ثانيـةً ... شُبّوا لظَاهَا بمشبوبٍ ومنصـرْمِ

---

(١) في أئمة اليمن، شبل آل

(٢) انظر الثاني من البيت في أئمة اليمن، ١٢١، «فالنصح من شيمتي، لابد من نقم، والشطر الأول «وأنتم أيها الأروام أرشدكم».

واحْمُوا العُلاَ ثمَّ قُولُوا غيرَ واحدةٍ زدْ أيّها المجدُ ثمَّ ارحلْ بِها ودمِ

انتهى جوابُ النَّظمِ على النَّظمِ[1]، وعِنْدَ تناهيِّ المجدِ ينظمُ البليغُ المطابقَ ما يلحقُ الآخرَ بالسابقِ، والسابقُ سيِّدي العلامةُ ضياءُ الآلِ، المجاهدُ المقامُ، اسماعيلُ بنُ اسماعيلِ ناصر الدين المروني[2]، عَافَاهُ اللهُ، والمجيبُ على لسانِ مَوْلاَنا القاضيِّ العلامةِ المنشيءِ، القاضيِّ العلامةِ حسينِ بنِ أحمدَ العرشيِّ، أبْقَاهُ اللهُ.

نَعمْ، وأمَّا العُجْمُ، فَوَصَلوا إلى رَيْدَة، وامتدّوا منْها إلى الحدودِ، كمَا نفصِّلُهُ، وسيديّ المولى، حَفظَهُ اللهُ، أنفذَ سيِّدي العلامةَ الصفيَّ، أحمدَ بنَ قاسمِ حميد الدين، في هيئةٍ ناظرةٍ في الظاهرِ بينَ أهلِ الغولةِ[3] وحَمدة وبين **(٤٧ب)** سيدي علي بن علي السراجي في الظاهرِ، وفي الباطنِ ناظرة عام لحيث، وسيدي العلامة الصفي أحمد بن قاسم حميدالدين هوَ السيفُ القاطعُ والكوكبُ الساطعُ، أهلٌ لكلِّ مهمٍ، وكفوٌّ لكلِّ مُلمٍ.

---

(١) في أئمة اليمن، جواب النظم، كاتبه حسين بن أحمد العرشي.

(٢) اسماعيل بن اسماعيل بن يحيى بن قاسم المروني ت بالعر، مركز ناحية الحَيْمَة الداخلية ١٤ محرم سنة ١٣٦٦هـ، عالم في الفقه والفرائض، كان من أعيان دولة الإمام يحيى، وقبل ذلك والده، حارب العثمانيين، ولي أعمال الحَيْمَة ثم عضواً في محكمة الاستئناف وتنتقل في وظائف كثيرة، ولد سنة ١٢٩٣هـ، انظر : نزهة النظر، ص ١٧٨؛ نيل الحسنيين، ص ١٨٤؛ نشر العرف، ١٣٤٧/١، هجر العلم، ص ٢٠٢٦.

(٣) الغولة : قرية في أرحب، وأخرى في بني الحارث، انظر، اليمن الكبرى، ص ١٨٦؛ المقحفي، معجم، ص ٤٨٦.

وأرسلَ سيديْ حسينُ بنُ محمد مجدالدين المعروفُ بجبالة ومَعَهُ الحمّالونَ بالمونة جواباً على رجالِ خَارفُ، وكان وصولُه إلى مجمعِ خارف. وكانت العجمُ قد رجعُوا شرقاً ثمَّ وصلُوا رَيْدة وهجُموا على شَيْبَرَة[1]، أخذَوْا منْها حبوباً كثيرةً، وخرَّبُوا رَيْدة وبيتَ والمنجدةَ، وما وصلَ سيديْ الشرفي، واجتمعَ من أثلاثِ خَارف قوم، وغزُوا العجمَ إلى رَيْدَة.

ثمَّ وقعتِ المشاورةُ بينَ المقادمةِ والمشايخِ على ارتفاعِ العجمِ على وراء نهم، وصيانة حدود عيال سُريح، ورجعَت العجمُ إلى الخَدرة[2] وما حولُها، ثمَّ تَقدَّمُوا على السود، وفيه سيديْ الفخري عبدالله أبو منصر، ورمُوْا بمدافعهمْ على السُّود، وافتتحت الحربُ فجرَ يومِ الربوعِ إلى العصرِ، وخرجَ المجاهدونَ إلى حولِ الطَلَيْلي[3]، والغوايرِ، وصلَتْ منَ المجاهدينَ ودارتِ العربُ عليهمْ، فانبرَمُوا إلى رأسِ جبل ظَلْمة[4]، وما أمسَوْا إلى الخدرةِ، وانجلَتْ المعركةُ على نحوِ خمسةِ مجاريحَ منَ المجاهدينَ. ثمَّ رجعتِ العجمُ إلى عَمْرانَ، وتفَّرقُوا فرقاً نحو الحَيْمَة

---

(١) شيبرة : قرية في بلاد حاشد من الصَيَد، انظر : المقحفي، معجم، ص ٣٦٩.

(٢) الخَدرة : من أكبر قرى جبال عيال يزيد، شمال غرب مدينة عَمْرَان، انظر : الأمير علي الوزير، ص ٦٦٠؛ المقحفي، معجم، ص ٢١٢.

(٣) الطليْلي : عُزلة من بلاد رَيمْة من أعمال كُسْمة. انظر : المقحفي، معجم، ص ٢٨٢، ص ٤٠٤.

(٤) ظَلْمَة : قرية من ناحية حُبيش وأعمال إب، بها مركز الناحية. انظر : صفة جزيرة، ص ١٢٥؛ المقحفي، معجم، ص ٤١٤؛ الحجري، مجموع، ٥٦٨/٢.

ونحوَ آنس. وبعدَ أيَّامٍ أخرجُوا المخلصَ إلى طرفِ مكتبِ ذَيْفَان، وبعثَ الإمامُ، حفظَهُ اللهُ، عصابةً من المجاهدينَ، وأتبعَهُم سيِّديْ حسين بن محمد نجم الدين، فلمْ يلبَثِ العجمُ إلاَّ أياماً قلائلَ بصناعةِ الشيخِ راجح ابن سعد، شيخُ عيالِ سُريح أردَ الضيافةَ لبلادِه عيال سُريح، ومُجاملةً منهُ للطرفين، وسكنتِ الحركاتُ الجمعيةُ، ولم يبقَ إلاَّ أفرادَ المجاهدينَ في جميعِ الجهاتِ مترقِّبينَ لمَنْ صادوهُ منَ العَجَمْ وأعوانهم، فوقَع في خلالِ ذلكَ في الحَيْمة أولاً في قتلِ اثنين ضباط ثم، ضبطي في سوقِ الربوعِ، ثمْ أتانا عسكر عجم خارج العرّ وغير ذلك.

وفي الجهاتِ الحارثيةِ، قدمَ جماعةٌ من أصحابِ حسين العبيدي لمديرِ العجمِ الشيخِ عليٍّ بن حزامِ دغيش على حينِ خروجِهِ منَ البيتِ **(١٤٨أ)** حق القاضي العلامة محمد بن محمد العراسي[1] بحارةِ الصافية قبْلي الجامع المقدس حق الرَّوْضَة، فعشرُوا فيهِ رمياً، ولم يصبهُ شيءٌ منْ رميهِمْ، وفرُّوا، فلمْ ينفَعْهُم الفرارُ، وقُتلَ منهُمْ اثنانِ هما مَن المجاهدينَ الملازمينَ للعبيديِّ، ومنْ هُنَا صارَ الشيخُ علي حزام دغيش في حَيْص بَيْص، ولازالَ يتوسطُ بأناسٍ من أرْحَب يريدُ الأمانَ منَ

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن محي الدين العرَّاسي، ولد بصنعاء ١٢٤١هـ/١٨٢٥م، ونشأ بها ودرس على علمائها ودرس على الإمام المنصور بالله، مفتي صنعاء، ت ٢٥ صفر ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، وقبره بوادي ظهر بمقبرة برقان، كان إماماً في الفقه. انظر: أئمة اليمن، سيرة المنصور، ٢٦٤-٢٦٩؛ نزهة النظر، ص ٥٠٣.

الإمامِ، ويرسلُ بعَقير ويوكلُ للشريعةِ وغيرَ ذلكَ، وكانَ مؤمناً فلمْ يتوقفْ على شرطِ الأمانِ السابقِ، ومنَ الجملةِ أنَّ علي بن محمد البليلي[1] مؤمَّناً فسعَىْ في مبارك بن هادي العبيدي وهو ابن حسين العبيدي، وجدَّ بأماني ليعتنَي في قتلِ حسين بن علي العبيدي، فلما ظهرَ ذلكَ لحسين العبيدي ما صارَ منَ البليلي في جَذبِ ابنِ عمِّه وأغراهُ عليْه، عزمَ في جماعةِ ليلاً أخربَ في مجاري غيلِ البليلي خراباً واسعاً، فأصبحَ نادماً، وكذلكَ يريدُ أنْ يتأمَّنَ منَ الإمامِ، حفظَهُ اللهُ.

ومن جملةِ الحوادثِ أنَّ بعضَ المجاهدينَ عزموا لضَبْط الشيخِ عبدالله بن أحمد عبده بن أحمد السياغي الملقبِ اليازجي، فلمْ يظفروا به، فأظهُروا العَدُوَ علَيه، وغارت الغوايرُ، وتكوَّنَ واحدٌ منَ المجاهدينَ، فضاقتِ الحالُ بالشيخِ المذكورِ، فتوسَّط بجماعةٍ منْ أهلِ الحَيْمةِ إلى الإمامِ، وتابَ وتعهَّدَ وضمنَ وتأمَّنَ، فلمَّا أنْ ظنَّ الفرصةَ في بعضِ المجاهدينَ استدرجَهمْ حتّى وصلُوا إليه، وجمَعَ عليهمْ وضبَطَهُمْ وأخَرجهُمْ ليُدخلَهُمْ العرَّ عندَ مديرِ العجمِ الخبيثِ علي بن عبدالله الأكوع[2]، فلمَّا وصلَ بهمْ إلى بعضِ الطريقِ اعترضَ لَهُ أخو الرجلينَ

---

(١) علي بن محمد البليلي الصنعاني. انظره: في أئمة اليمن، ٤٣/٢.

(٢) علي بن عبدالله الأكوع : كان عاملاً للأتراك على يَرِيْم، وهو الذي وفد بمشايخ اليمن الأسفل إلى مقام الإمام في صنعاء لاظهار التأييد والموالاة، وعيَّنهُ الإمام عاملاً على حراز سنة ١٣٣٧هـ، وكان سياسياً قديراً. انظر : حياة الأمير، ٥٧٤.

المضبوطَيْنِ بالرمي، فرجعَ الشيخُ المذكورُ عليهما، فرمْاهُما هوَ وأخوهُ فقَتلَهُما، وانسلَّ إلى العرِّ، وصـارَ حالُ هذا الشيخِ أبلغُ ممَّنْ ذكرْنَا قَبْلَهُ، ويتوسَّط إلى مولانا أنَّهُ يريدُ الوصولَ، وأنَّـهُ بَاذلٌ للشريعةِ، وهكذا فعلُ الشيطانِ لايزالُ مـضلِّلاً للإنسانِ حتـى يوقعَهُ في الخـسرانِ، ثمَّ يجلبَ عليهِ الندمَ، ويصبَّ عليه عظائمَ الأحـزانِ، نسألُ اللهَ أنْ ينجينَا من مكرِهِ، ويسـهِّلَ علينا الطافَـهُ ورحـمَتَـهُ، إنَّهُ كـريمٌ مَّنانٌ، أهلٌ للجـودِ **(٤٨ب)** والامتنانِ.

ومنها أنَّ عائضَ بنَ محمد الجَدري انسلخَ إلى جانبِ الحقِ، وأحبَّ الجهادَ، فلازَمَ هوَ وأخوهَ، حسين بن علي العبيدي.

وفي بعضِ الأيامِ اتفقُ بضـبطي من الجـايف[1]، فـقتلَهُ، وكـادتِ الفتنةُ تثورُ بينَ أهلِ جَدر[2] وهَمْدان، ولمْ يجدْ فيضي لأمانِ عسكرِهِ من سبيلٍ أعجمياً أو عربياً.

وكثيرٌ من هذهِ الحـوادثِ العجيبةِ والرُعَبِ الغريبـةِ، حتى أنَّ السيدَ العلامةَ المجاهدَ يحيى بن الذاري[3] من جهاتِ بلادِ يَرِيْم خطبَ ابنةَ عمِّهِ

---

(١) الجايف : قرية في جبل عيال سُريح، جنوب عَمْرَان. انظر : المقحفي، معجم، ١٠٥.

(٢) جَدِر : من قرى بني الحارث، شمـال شرق صنعاء، وهي جَدِر أعلا وجَدِر أسفل. انظر : صفحات مجهولة، ص ٤٠؛ المقحفي، معجم، ص ١١٣.

(٣) يحيى بن علي بن أحمد الذاري، ت ١٠ ربيع الأولى ١٣٦٤هـ، عالم محقق في الفقه والأصول، شاعر مجيد، خطيب، قاد حملة لمحاربة الأتراك والأدريسي، أقام طرف الامام في القَفْلة، تولى القضاء في خبان، له قصائد تَحث على وحدة المسلمين، أنشأها سنة ١٣٤٠هـ، ونشرت في =

سعد بن محمد الفرح بعدَ موت أُختها، وكانَتْ تحتَ السيدِ المذكورِ، وكَمَّلَ هوَ وعمُهُ، فأتَى عزة من رؤوساءِ العجمِ، فخطبَ وأملكُوْا قهراً على الأبِ والمذكورةُ غيرُ راضيةٍ بالعجميِّ، فوصلَ السيدُ يحيى بن علي إلى الإمامِ شاكياً، فكتبَ الإمامُ، حفظَهُ اللهُ، على الشيخِ عبدالله بن حسين بن أحمد صلاح، قارون بلاد يَريْم ودستورها وإلى غيره، فتراجَعَتِ الجواباتُ مُمْرِضَةً، فأرسلَ الإمامُ، حفظَهُ اللهُ، عصابةً يسيرةً من العسكرِ، ووصلوا إلى بيتِ الفرحِ، وأطلعُوا المذكورة ووالدَها، وكانَ وصولُهما جَوْب[1]، وكانَ الإبطالُ لعقدِ ذلكَ العجميِّ بوجوهٍ حيةٍ شرعيةٍ، وعقدُ نكاحِها للسيدِ المذكورِ.

وهذا منْ العجائبِ حيثُ تنفَّذُ الأوامرُ في تلكَ الجهاتِ في الأمورِ الخاصةِ والعامةِ وغيرُ ممكنٍ مخالفةُ أمرُ الإمامِ معْ علمِ العجمِ بذلكَ، وكلُّ مظلومٍ من جميعِ ماتحتَ ولايةِ العجمِ، يرفعُ شكواهُ إلى الإمامِ، وتنفعُ شكواهُ، وأمّا الشريعةُ فلمْ يبقَ إلاَّ مقامُ الإمامِ، حفظَهُ اللهُ، ابتداءً وانتهاءً، وذلكَ من العجائبِ العجابِ ولولا المشاهدةُ لأقولُ أنَّ هذا الراويَ كذابٌ.

= القبلة من مؤلفاته، القول الصريح في الرد على مدعي الإسلام الصحيح لمحمد بن اسحاق النشاشيبي، ولد في جمادي الآخرة ١٢٩٠هـ. انظر : نزهة النظر، ٦٢٣؛ هجر العلم، ص ٦٦٢.

(١) جَوْب : هي جوْب غيْمان، قرية من ناحية بني بهلول بالشرق الجنوبي من صنعاء بمسافة ١٧كم. انظر : المقحفي، معجم، ص ١٣٤؛ رياض الرياحين، ص ١١٣.

(٤٩أ) ومن لحظة مولانا أمير المؤمنينَ، المتوكل على الله، أنهُ لما كانَ السلطانُ عبدالحميد الثاني مستبداً بالأمر والسلطنة، واختصَّ أعواناً وقرناءً، وأهملَ كثيراً من قواعد العجم القانونية، وفي توظيف أهل الوظائف العثمانية، وتمكَّنَ في ذلكَ، وكثُرَتْ عيونُهُ الخفيَّةُ حتى رُوىَ أنَّهُ انتهتْ معاشاتُ العيونِ الخفية نحوَ مئة وخمسينَ ألف ريلةً[1]، وغرَّب وزراءَ كثيراً، ووقف كثيراً، قيل وقتل كثيراً، حتى تمَّ لَهُ الاستبدادُ بالأمر، ولازال السلطانُ مهتماً بجهاده للإمام، وأهل اليمن ممداً لفيضي بكلِّ مطلوبٍ منَ العدد والعُدد وآلات المهمَّة ملتفتاً على اليمن كليةَ الالتفات، حتىْ بلغَ أنَّهُ أرسلَ منَ الجنُد بوابيرَ، فَبَعضُها رَجَعَت من الطريق، وبَعضَهُمْ قيلَ : إنَهمْ قَتلوْا أميرَهُمْ، وفي كلِّ حالٍ يبعثُ المفتشينَ إلى اليمن، وتارةً يطلبُ أعْياناً من اليمنِ كما قدْمنَاه، وبلغ أنْ قد كانَ جَهَّزَ سبعةَ آلاف إلى اليمن.

فلما كان أولُ يومٍ في شهرِ رجبَ سابعِ اغستوس نتجتْ عليه نتائج الاستبداد واجتمعَ من الرؤساء النصابُ حتى أنَّ الغلبة صارتْ لهُمْ على القوانين ووضعوا مجالساً موظفةً، ووقفوْا كثيراً من خاصته وقرناه، وأقرُّوا الأمرَ على مجلس الانتخاب، أخبرت الجرائدُ الصنعانيةُ عن الجرايد الاسطنبولية، أنَّهمْ رجعوْا إلى القانونِ الأساسيِّ وألغوْا

---

(١) ريلة، ليرة.

الخَفيةَ، ونادوْا بالحريَّةِ الشخصيةِ، ورَكَّبُوا مجلسِ الترقي.

ومما حكتِ الأخبـارُ من أهلِ هذا المجلسِ، انهمْ أخذُوْا **(٤٩ب)** ما فيْ البنكِ من أموالِ المأمورين، وهذا البنكُ كأنَّهُ مـجتمعُ، جلبِ البضائعِ، وإنَّ أهلَ الفلوسِ عندَهُمْ إذا لم تدخلِ الفلـوسُ كلَّ يومٍ مكسبـاً، فإنَّ ذلكَ نقصٌ، وأنهم يتعاملونَ في البنكِ بالتـجارةِ وبالربْا. وكأنهمْ بنوْا أنَّ تلكَ الأموالَ إنَّمـا هيَ منَ الظلمِ والاختلاسِ، حـتى أنهُ بلغَ أنَّ لفيـضي أموالاً في البنكِ، وهذا يسـتحي العاقل ذكـرَ ذلكَ القدر، وأنَّ فيـضي ما أرسلَ ولدَهُ، وهو قريب عهدٍ بالوصولِ من هنالك إلاَّ لما نَالَهُ منَ الغَمِّ لذلكَ.

ومما حكَتْـهُ جرايدُ صنعـاءَ، أنَّهمْ قرأوا جـرايدَ اسطنبول، وأنَّـهْا حكَتْ ما لفظهُ «قرأنا في جرايدِ دارِ السعادةِ، أنَّ كاتبَ مابينَ[1] هما يونيٍّ الثانيِّ العربيِّ عزت وناظرِ الأورمان[2] والمعادنِ، صاحبِ بيروتَ سليم ملحمةَ، قَدْ فرا إلى أوروبا، ومفتشُ العـسكريةِ، رئيسُ الخفيةِ، اسماعيلُ باشـا، وأخو زوجـةِ مديرِ مكتبِ الطـبيـةِ أسعـد بك صارَ عـزلُهُمـا من مأموريتـهما، وصاحبُ اللحـيةِ الكبرى، من الخـفيةِ[3]، الشنعاءِ مـحمد جركس، وفَرَّ الإداري كنعانِ باشا إلى كوتاهيه وغاز.

وثمة بعض أشـخاصِ رزيلةٍ سـيصيـرُ مجازاتُهم، درجـةً درجةً

---

(١) المابين : البلاط الملكي.

(٢) الأورمان، الغابات، تركية.

(٣) الخفية : أي الأمن السري (المخابرات).

بالصورِ المناسبةِ، توقيفُ الخائنينَ، سرُّ عسكرِ السابقِ رضا باشا مشيرِ الطوبخانةِ السابقِ، زكي باشا، ناظرِ الداخليةِ السابقِ، ممدوحِ باشا، باشكاتب السابقِ تحسينِ باشا من القرناءِ راغبِ باشا، شهر الحيني السابق، رشيد باشا، ناظرِ البحريةِ السابقِ، رامي باشا، ابريتي دار السعادةِ، كامل بك، أبو الهدى، وولده حسن بك (٥٠أ) وتوفيق خادم الخائن عزت.

عُلِمَ من أوراقِ حوادثِ دارِ السعادةِ، أنَّ المرقومةَ أسماءُهم أعلاهُ قدْ ضُبطُوا، قسماً منهمُ تحتَ نظارةِ الضابطةِ، وقسماً في دائرةِ قومندان المركز، وصارَ حبسهُم كلَّ واحدٍ في مكانٍ لوحده، وجملتُهم ممنوعون منَ الاختلاطِ، وجارٍ باليدِ إيفاءِ المعاملةِ اللازمةِ بحقِّهمْ.

وفي جريدةٍ أخرى، إلغاءُ الخفيةِ والإدارةِ، والمناداةُ بالحريةِ الشخصيةِ، وفي ظهرِ هذه الجرائدِ موادٌ كثيرةٌ في تفصيلِ القانونِ الأساسيِّ، والافتخارِ بأنَّ هذا الدورَ الجديدَ غيرُ مسبوقٍ، وأنه صارَ من غيرِ وقوعِ المحذورِ بشيءٍ، وأطنبَ في هذا الوصفِ، وذكرَ في أثنائه موادا :

* المادةُ الأولى : في القانونِ الأساسيِّ في ممالكِ الدولةِ العثمانية : هيَ أنْ تحتويَ على الممالكِ والقطعِ الحاضرةِ، وعلى الايالاتِ الممتازةِ وجميعُها جسمٌ واحدٌ، لا يمكنُ تفريقُهُ أو تجزئتُهُ بوقتٍ منَ الأوقاتِ أو لسببٍ من الأسْبابِ.

* **المادةُ الثانيةُ** :إنَّ مدينةَ استنبول هي عاصمةُ الدولةِ العثمانيةِ ومقرُّها وهذه المدينةُ غيرُ معفاةٍ أو ممتازةٍ عمَّا سواها من جميعِ البلادِ العثمانيةِ.

* **المادةُ الثالثةُ** : إنَّ السلطنةَ السنيةَ السلطانيةَ الحائزةَ على الخلافةِ الكبرى الإسلاميةِ تكونُ لأكبرِ أولادِ سلالةِ آل عثمانَ بحسبِ الأُصولِ القديمةِ.

* **المادةُ الرابعةُ** : إنَّ السلطانِ حسبَ الخلافةِ، هوَ الحاميَ لدينِ الإسلامِ، وهوَ ملكُ جميعِ التبعةِ العثمانيةِ وسلطانُها.

* **المادةُ الخامسةُ** : إنَّ نفسَ ذاتِ الحضرةِ السلطانيةِ هيَ مقدسةٌ وغيرُ مسؤولةٍ.

* **المادةُ السادسةُ** : إنَّ حقوقَ حريةِ آلِ عثمانَ وأقوالُهم الذاتيةَ، وتخصّصَاتِهم **(٥٠ب)** الماليةَ، مادام الحياةُ جميعُها تحتَ الكافلِ العموميِّ.

* **المادةُ السابعةُ** : إنَّ عزلَ الوكلاءِ ونصبَهُمْ وتوجيهَ المناصبِ والرُّتَبِ وإعطاءَ النياشينَ، وتوجيهاتِ الأيالاتِ الممتازةِ، توفيقاً لشروطِ امتيازهمْ، وضربَ المسكوكاتِ، وذكرَ اسمهِ في الخطبِ، وعقدَ المعاهداتِ معَ الدولِ الأجنبيةِ وإعلانَ الحربِ والصلحِ والترؤسَ على القوةِ البحريَّةِ والبريَّةِ، وإجراءُ الحركاتِ العسكريةِ والأحكامَ

الشرعيَّةِ والقـانونيَّةِ، وتنظيمَ النظاماتِ المتفقـةِ بمعاملاتِ دوائرِ الإدارةِ، وتخفيفَ المجازاتِ القانونيةِ، والعفوَ عنْها، وعقدَ المجلسِ العموميِّ، أو فضَّهُ وتعطيلَهُ، وفسخَ هيئةِ المبعوثانِ لدى الإقتضاءِ على الشـرطِ انتخابِ الأعـضاءِ مجـدداً، وذلكَ جمـيعُهُ مـن جملةِ حقوقِ الحضرةِ السلطانيةِ المقدسةِ إلى انتهاءِ عشرينَ مادةً، بعدَ هذهِ السابعـة[1].

ولا زالتْ أخبـارُ اسطنبول تضطربُ، ولابدَّ إن شاءَ اللهُ أن تتـحققَ الأخبارُ من الجهاتِ المحققةِ.

نعمْ، وبلغ خبرٌ إلى مـولانا أنَّ عبدَالله باشا مشيـرَ اليمنِ السابقِ، خـرجَ إلى الحجـازِ، وأنَّهُ رُميَ، وأنَّهـا وقعتِ التـهـمةُ في شـريفِ مكةَ الشريفِ علي بن عون[2]، ومشيرِ مكة، راتب باشـا، وأنهُ خرجَ بهما آلاي خَيَّالة، اثنانِ وثلاثونَ، مـئة خيالٌ، أرسلوهما تحتَ الحـفظِ، وأخذُوا مالَ راتبِ باشا، مالاً جزيلاً.

ومنَ الحوادثِ الحربيةِ في شهرنا شعبانَ :

وصلَ الخبرُ أنَ يوسفَ المكرمي رُميَ ليـلاً إلى طاقتهِ في صنعاءَ.

---

(١) نصوص القانون الأساسي العثماني، المشروطية الأولى، سنة ١٨٧٦م.

(٢) علي بن عون : هو ابن أمير مكة المكرمة عبدالله باشا، ت : ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، عُين أميراً لمكة بعد عون الرفيق في شعبان ١٢٣٢هـ/أيلول ١٠٩٥م، بقي في الامارة ثلاث سنوات حتى عُزل سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. انظر : أمراء مكة، ص ١٨١.

وفي ليلة الثانيْ قُتلَ أخوهُ بقدُّوم في الشارع الذي شرقي سوق الزبيب، وصارَ لذلكَ موقعاً عظيماً، لأن مولْانا، حفظهُ اللهُ، أخذَ أملاكَ المكارمة، دعاة الباطنية، وهذا يوسفُ وكيلُ داعيهم الحادث، عليِّ بن هبةَ، الذي استقامَ بدعوة الباطنية بعدَهُ، عبدُالله بنُ عليٍّ، محمد المكرمي الذيْ أسرَ من صنعاءَ (١٥أ) بعدَ أخذ طيْبَة[١] وفَراره إلى جبل فده[٢]، وانحصاره إلى فده، ثم فَراره إلى العُجْم إلى صنعاءَ، وغارة عبدالله بن أحمدَ المكرمي منْ نجْرانَ بعصابة منتخبة منْ رجال يام[٣] نَحو سبع مئة ومَضَوْا بلادَ تُهامة واتصلوا برديف العجم، الخارج بالسِّلاح الماوزَر، بندق، ومدافع وسلاح، فاقَ السِّلاحَ العُجْميَّ الأوّلَ، حتى صَارت الشّاشخان[٤] بريالين، وكانت تناهتْ أثمانُها إلى مئتي ريال، وصارَ ثمنُ المرتين إلى اثني عَشَرَ ريالاً، وكانت نافتْ أثمانُ المرتين

---

(١) طِيْبَة: حصن مشهور يطل على وادي ضهر، غرب صنعاء بمسافة ٨كم، كان يعرف قديماً باسم دُورم، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٩٥/٢؛ نيل الوطر، ٧٧؛ الحجري، مجموع، ٥٦٠/٢.

(٢) فِده: حصن في الطرف الجنوبي من وادي ضهر، غرب صنعاء بمسافة ٧كم، يرتفع عن سطح البحر بحوالي ٢٤٠٠م، وعر المسالك، صعب المرتقى، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٩٤/٢؛ معالم الآثار، ٣٠.

(٣) يام: جبل يطل على الجوف من الجهة الغربية، كان سكن قبيلة يام قبل انتقالها إلى نجران وهي أحد فروع همدان، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٤؛ اليمن الكبرى، ٧٢؛ اليمن عبر التاريخ، ٢٠٨؛ العقود اللؤلؤية، ٢٥٩/١؛ تاريخ اليمن الثقافي، ٥٧/١.

(٤) الشاشخان: نوع من البنادق التركية.

على ثلاث مئة ريال، وكانت يامُ حينئذٍ سبعَ مئة، والعجمُ عشرةَ الآف مئةَ، والإمامُ، حفظَهُ اللهُ، حينئذٍ في حصن كَوْكَبانَ، ووقعَ أولُ اغتنامِ هذا الجيشِ من مخلاف مَذْيور[1] شيئاً فشيئاً حتى وصلَ يازلَ[2]، فانحصرَ عبدُالله بنُ أحمدَ المكرمي، في يازلَ من مخلاف بني سُوار[3]، وبعضٌ يسيرٌ منْ يام، نَفَذوا مَع العُجْمِ إلى صنعاءَ والاغتنامُ والانتهابُ فيهم حتى استأصلَ المجاهدونَ بأكثرِ العُجْمِ، وانتهابِ جَميعِ ما أجْلَبُوا به إلى اليَسيرِ حَتى تغنّمت النسوةُ البنادقَ، وحملنَها كحزمِ الحَطَبِ.

فأنواعُ الغنائمِ، والذهبِ غَنمَهُ مَنْ لا يَعْرفهُ، ودخلَ مَنْ بقيَ من العُجْمِ بلا زادٍ، فَكَانوا سبباً في استلامِ مَنْ في صنعاءَ، حتى إنّي رأيتُ تركياً، ضخمَ الذاتِ، أولَ شيبٍ، وصلَ إلى شِبَامَ[4] مجرَّداً عَنِ الثيابِ، فَعَرفَهُ بعضُ الفارينَ منْ صنعاءَ من العُجْمِ. قالَ ذلكَ باشا من الكبارِ، فأمرَ الإمامُ، حَفظَهُ اللهُ، بما يسترُ عَوْرَاتهم، وذلكَ الباشا من الجُملةِ،

---

(١) مخلاف مذيور: عُزلة من الحَيْمَة الخارجية تعرف بمخلاف مذيور، انظر، نشر العرف، ٩٥/٢؛ المقحفي، معجم، ٥٧٢.

(٢) يازل: قرية في بني مطر ناحية بلاد البستان، من عُزلة بني سوار، على الطريق الغربية لصنعاء، انظر، صفحات مجهولة، ٥٤؛ الإكليل، ٨٧/٢؛ المقحفي، معجم، ٧٠٥.

(٣) بنو سُوار: حي كبير من حضور، في الغرب الشمالي من صنعاء، انظر، المقحفي، معجم، ٣٣١.

(٤) شِبَام: المقصود شِبام كَوْكَبان، الواقعة غرب شمال صنعاء بمسافة ٣٤كم، انظر، الحجري، مجموع، ٤٤١/٢؛ المقحفي، معجم، ٣٤٢.

حتى خَرجَ المتوسِّطونَ للتّسليمِ.

ومِنْ جُمْلتِهم دَفْتَردارِ رجبٍ، وأركانُ حربٍ، واستأذَنُوا في ذلكَ الباشا يأخُذونَهُ مَعَهم، فأخرَجُوا لَهُ مِنْ صنعاءَ كسوةَ باشا، ومركوباً، ودَخَلَ مَعَهم للتّسليمِ، وأمّا عبدُالله بنُ أحمدَ المكرمي، ويامُ الذينَ انحصَرُوا في يازلَ، ومَعَهم نَحوَ سبعين من باطنيةِ حراز، بني مُقاتل[1] واليَعَابرُ[2]، فَخَرجُوا مِنْ يازلَ عَلى حكمِ الإمامِ، حَفظَهُ اللهُ، وَوَصَلوا شِبامَ، وأخذوا وَلَديَّ عبدِالله بنِ أحمدَ المكرمي، مُكَوَّناً ثمَّ أخذَ الإمامُ، حَفظَهُ اللهُ، **(٥١ ب)** ما مَعَهُم من سلاحِ العُجْمِ.

وبقيَ عبدُالله بنِ أحمدَ، وكبارُ يامٍ، وباطنيةُ حُرَازٍ في الحبسِ في كَوْكَبانَ، ويريدونَ الشفاعةَ لعبدِالله بنِ عليٍّ وتأمينه، وَهو الذي ما خَرجَوا مِنْ نجْرانَ إلاّ غارةً عَليهِ، ومَعْ تمكينِ الله سُبحانَهُ، ما وَصَلوا إلاّ للأسرِ والقتلِ والانتهابِ، بَعْدَ أخذِ طِيْبَةَ وخرابِها أيِّ خرابٍ، فَسُبحانَ ناكسِ المتكبرينَ، وقاصمِ الجبّارينَ، فكَمْ تاهَتِ العُجْمُ بقوّتهم عَدَداً وعُدَداً. وكَمْ تَاهتِ الباطنيةُ مَعْ سعةٍ في المالِ، وكثرةٍ في الرِّجالِ، حتى أنّهُ لَمْ يبقَ ممنْ حُبِسَ في كَوْكَبانَ إلا عَاقِلاَنِ، وهما: سلطانُ بنُ حسنٍ

---

(١) من قبائل حَرَاز، وهم أهل الشّرقي، انظر، الأمثال اليمانية، ٥٨٨/١؛ المقحفي، معجم، ٦١٩.

(٢) عُزلة من ناحية المناخة، تسكنها اليَعَابُر، في شِبام حراز، باطنية، انظر، الحجري، مجموع، ٧٨٣/٢؛ المقحفي، معجم، ٧١٣.

ابنُ منيف[1]، وأحمدُ بنُ حسين بنُ مانع[2]، ثمَّ عَاهَدوا الإمامَ على الطاعة، والسُّلوك مَسْلَكَ الجماعة، وَوثَّقَا الإمامَ برهينتين وَلديهما، ولم يظهر منهما وفاءٌ في شيء، وصارَ الباطنيةُ في بلادِ هَمْدانَ وفي حَراز أذلَ من اليهود، فسبحانَ اللهُ، كم رأيتُ عَياناً عِنَادَهم أولاً للإمامِ المنصورِ بالله أحمدَ بنِ هاشم[3] رضوانُ الله عَليه، وقَاتَلنَاهُم مَعَهُ، ثمّ عِنَادُهُم بَعْدَه للإمامِ، المنصورِ بالله، محمدِ بنِ عبدالله بنِ الوزير[4]، رَحِمَهُ اللهُ، وقَاتَلنَاهُم مَعَهُ، ثمَّ عِنادُهُم للإمامِ المتوكِّلِ على الله، المحسنِ ابنِ أحمدَ، وَقَاتَلنَاهُم مَعَهُ، رضوانُ الله عليه، ثمَّ خُذلوُا أدْنَى خَذيلة، وعُرِفوُا عِندَ العامةِ بالكفرِ، وصارَ مَنْ أرادَ أنْ يتَأمَّن أسلمَ، وتأمَّن، حتى لقد رأيتُ

---

(١) سلطان بن حسن بن منيف: من عُقَّال جشم، فرع من قبيلة يام، باطنية، انظر، البرق المتألق، ٦٤ «تحت الطبع».

(٢) أحمد بن حسين بن مانع: من عُقَّال وأعيان آل فاطمة، فرع من قبيلة يَام، باطنية، انظر، البرق المتألق، ٦٤ «تحت الطبع».

(٣) المنصور بالله، أحمد بن هاشم بن محسن ت ١٢٦٩هـ/١٨٥٠م، بويع بالإمامة سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م، بمدينة صَعْدَة، وخرج منها إلى ناحية الطلح وحُوث وخَمِر وعَمْرَان سنة ١٢٦٦هـ، وانتقل إلى بيت ردم ونواحيها، وحاصر صنعاء فدخلها، ثم خرج إلى قرية دار من بلاد أرحب، وتوفي هناك، انظر، نيل الوطر، ١/٢٣٥؛ المقتطف من تاريخ اليمن، ٢٠١؛ فرجة الهموم، ٢٣٥.

(٤) المنصور بالله، محمد بن عبدالله الوزير: ت ١٣٠٧هـ، دعا لنفسه سنة ١٢٦٩هـ بعد وفاة المنصور أحمد بن هاشم، حارب في حصون الحَيْمَة، عالم كبير، بلغ في العلم درجة الاجتهاد، وتوفي في قريته بوادي السر، انظر، بلوغ المرام، ١٣٢؛ شرح ذيل أجود المسلسلات، ٥٢؛ فرجة الهموم، ٢٤٢؛ المقتطف من تاريخ اليمن، ٢٠٤.

أبوابَ بيوتِ طيْبَةَ وَطَاقَاتِها، وَصلتْ إلى القَفْلَةِ وبُوِّبَ بِها. والحمدُلله، وَقَدْ انبسطَ الكلامُ في غيرِ موضعه، لكنَّ الحديثَ ذو شجونٍ.

وفي شَهْرِنَا هَذَا، شعبان سنة ٢٦، صَعَدَ مَولاَنَا شُهارةَ المحروسةَ، لطيافة ما بُنِيَ مِنْ مَتارسِ الحربِ التي لا تضرُها مدافعُ العُجْمِ، ولا هاون طبٍ، ومَنَاهلُها، والنظرُ في القامةِ حقَّ هاونُ طبٍّ. لأنَّ فيضي لمّا انهزمَ بجحفَله مِنْ بابِ شُهارةَ بَعْدَ الكبرِ العظيمِ، والتّيهِ الجسيمِ، فرَّ وتركَ المدافعَ الكبارَ الماوزرَ، وهاونَ طبٍ، وسَلَبَ القامتينِ حقَّهُمَا يَعْني السدايدَ حَقّهُما لظنّه، (٥٢أ) أنَّ العَرَبَ لا يحسنونَ تعويضَ ذلكَ، وهو ظَنٌّ قويٌّ، ولكنْ كما أرادَ اللهُ الاقبالَ لشخصٍ تَيسَّرَ لهُ ما لَمْ يؤمِّلْهُ، فتعارضَ اثنانِ مِن العُجْمِ الأسارى علي قامزي، وهي مِهْنَتُهُ وحسن تفقجي، فصنعَ علي قامزي قامَةً لِهَاونَ طُبٍّ، وصَنَع حَسن تفقجي قامةً للماوزرِ، فنظرَ الإمامُ، حَفِظَهُ اللهُ، إلى قامةِ الماوزرِ، صَنْعةِ حَسَنْ تفقجي، وإذا ثمّةُ صنعةٍ عجيبةٍ، وحكمةٍ غريبةٍ، حتى يَظنُ الرَّائي أنَّهُ لَو كانَ صانعُ ذلكَ المدفعِ، ربّما وما أحْكَمَها كذلكَ، فالزمَ حسنَ تفقجي بصنعةِ قامةٍ أخْرَى، فَصَنَعَهَا، وطَلَعَ الإمامُ لمعرفةِ ذلكَ، ولتكريرِ الفكرِ والخيرةِ في فتحِ الجهادِ، اغتناماً لفرصةِ اختلافِ العُجْمِ في أصلِ دَولَتهم، وتلكَ فرصةٌ جسيمةٌ، وكرامةٌ لمولاَنَا عظيمةٌ حيثُ يشغلُ اللهُ عدوَه بنَفْسِه، ويعودُ أمَلُهُ عَليه بعكسِه، ﴿اللهمَّ مالكُ الملكِ، تُؤتي الملكَ مَنْ

تشاءُ، وتنزعُ الملكَ ممنْ تَشاءُ، وتعزُّ مَنْ تشاءُ، وتذلُّ مَنْ تشاءُ﴾ ... الآيةُ[1].

ولاَ زالَتْ أخبارُ الاضطرابِ تَنْمو، وكلمةُ الجمعيةِ تَنْمو، وصَارَ في كلِّ بلدةٍ، مِنْ مراكزِ العُجْمِ مجلسُ جمعيةٍ، فَلَما انتصبَ مجلسُ الجمعيةِ في مركزِ الحُـدَيْدةِ، كَتَبوا إلى مَولاَنَا، حَـفِظَهُ اللهُ، كتاباً عجـيباً، بتلطفٍ قـريبٍ، وتأدبٍ غـريبٍ، تضـمَّنَ إقـرارَهـم الصـرِّيحَ، بأنْ قَـدْ ظَهَـرَ أنَّ حُكُومَتَهم الأولى الظالمةَ هي الباغيةُ، ونَرْجُو من الإمامِ، حَفِظَهُ اللهُ، في تخليةِ مسـاجينَ باسمِ الأسرِ من رؤساءِ العُجْمِ وإفرادَهم، فـأسْعَدَهم، الإمـامُ، حَـفِظَهُ اللهُ، وكَـتَبَ إليـهم أنْ يُرسلوا مـحـافظينَ للقـائهم إلى الحُصَـيبِ مِنْ محكمِ حجَّةٍ، فلَمـا وَصَلَ إليهم الرَّسولُ بالإسعـادِ إلى ما طَلَبـوهُ، أظهَروا البشـرَ والسُّرورَ، وأكـرَمُوا ذلكَ الرَّسـولَ إكراماً تَامًا. والإمامُ، حَفِظَهُ اللهُ، أهب جلَّ الأسْرى وكَسَاهُم سيَّما الضبَّاطُ وأعطَاهُم السَّـيـوفَ، وَدَفَعَ إليـهم المـصروفَ، وأركبَ الـضبَّـاطَ على البـغـالِ، وأصْحَـبَهم الرفقاءَ إلى الحُـصَيب والتَقَـاهُم عَسْكَرٌ **(٥٢ب)** مِنْ مركزِ جمعـيةِ الحُدَيْدَةِ، فلما وَصَلوا هنالكَ إذْ برجب وَمَـعَهُ طابورٌ ومدفعٌ مِنْ جهـةِ أحمدَ فـيضي، وَصَلَ يطلبُ مَنْ مع الأسْـرَى من رؤسَاءِ الرفـقاءِ، وكَأنَّهُ يريدُ التشويشَ أو يَفْـتَح بابَ الحربِ، ليكونَ لَهُ عذرٌ في بَقَائِه في اليمنِ، ويَسْلَمَ عقوبةَ الاستبـدادِ، فَلَمْ يتمْ لَهُ مرامٌ، ونَفَذَ الأسْرَى وعَبْدَانِ

---

(١) سورة آل عمران، آية، ٢٦.

مِنْ طَرَف الإمامِ صحبةِ أولئكَ الأسْـرىَ، فلمّا دَنَوْا من الحُدَيْدة خَرَجَ مَنْ في الحُدَيْدَة قضّهُم بقَـضيضِهم للقاءِ أولئكَ الأسْرىَ، وأكـرَمُوا العبدينِ بأنواعِ الاكراماتِ والضيافاتِ والكسواتِ والعَطَايَا.

وفي خلالِ ذلكَ، وصلَ الخبرُ بوصولِ سـيدي الفخري عبدالله بن حسين المتوكل أحمد بن المنصـور علي بن المهدي عباس بن المنصور حسين بن الـمتوكل قاسم بن حسـين بن المهدي أحمـد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد[1]، رضوان الله عليه، وسيدي مـحمد بن عبدالله الجريب الشرفي، الملقب المزيقر[2]، ومَعَهما كتابٌ من الصدارة المطلقة من حضـرة كامل باشـا، الصّدر الأعظم، تضمّنَ طلابَ نـفرين أو ثلاثة مؤتمنينَ منْ طرف الإمام، ولَهُما الأمـانُ ذهَاباً وإياباً، والاعتمادُ عَلى ما يُوضح الصّادرانِ حَسْبَما ينقلُ ذلكَ الكتابُ في بحث المكاتبات.

وهنا بقيَ الإمامُ، حَفظَهُ اللهُ، يكررُ الحيـرةَ، ويتابعُ أخْذَ المشورة، وكانَ حَـفظَهُ اللهُ، يتربّصُ لاتّصـالِ المكاتباتِ إلى جـهةِ السلطانِ عـبد

---

(١) عبدالله بن أحمد بن المتوكل الحسني، الملقب بالذعرور: كان أحمد فيضي قد سجنه ١٣١٠هـ ونفاه مع غيره من أعيان اليمن إلى أزمير ورودس، انظر، أئمة اليمن، ١٠٢ (سيرة الإمام المنصور)؛ أئمة اليمن، ١٢٦ (سيرة الإمام يحيى).

(٢) محمد بن عبدالله الشرفي (المزيقر): كان معاوناً للأتراك، ولكن أحمد فيضي باشا اتهمه بمعالأة الإمام ، فسجنه ونفاه إلى أزمير ومن ثم إلى استانبول، انظر، أئمة اليمن، ١٠٢، (سيرة الإمام المنصور)؛ أئمة اليمن، ١٢٦ (سيرة الإمام يحيى).

الحميد لما عُرِفَ مِنْ كِبْرِه وقوّته وكَرَمِه، رجاءُ أنْ يلينَ باتصالِ الخطابِ، ولينُ الجانبِ مِنْ بابِ تعليمِ السّنةِ والكتابِ في خطابِ موسى وهارونَ بقوله تَعالى ﴿إذهبا إلى فرعون، إنه طغى، فقولا قولاً ليناً، لعله يتذكر او يخشى﴾[1]، اولاً مِنْ جهاتِ فيضي، ثمَّ مِنْ جهاتِ السَّيد يحيى ابن أحمد الهَجوه[2]، وولده السيد أحمد بن يحيى[3] من طريقِ مصرَ فأفرطَ السَّيدُ أحمد بن يحيى الهجوة في طلبِ التّوكيلِ، ولم يطمئنِ الإمامُ لتوكيله، فَلمّا بَلَغْنَا إلى الإسكندريةِ فأُخبِرنا إنّهُ صُنِعَ لَهُ توكيلٌ، فَصَدَقَتْ فراسةُ مَولانا، حَفِظَهُ اللهُ، في عدمِ الوثوقِ به، وكذلكَ مِنْ طريقةِ السّيدِ علوي السقاف[4]، وهو بحضرةِ السُّلطانِ فضلِ

---

(١) سورة طه، آية، ٤٣.

(٢) يحيى بن أحمد بن يحيى بن أحمد الهجوة الكبسي: كان له دورٌ معروف في عهد الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين، وقاد عدة معارك في عهده، ناصر الإمام يحيى ولقي عنتاً واضطهاداً من الأتراك أثناء سجنه، بواسطته أرسل الإمام يحيى عدة رسائل إلى السلطان، انظره في الدر المنثور، حوادث سنة ١٣٠٨هـ.

(٣) أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى الهجوة الكبسي: ت بصنعاء في ٧ ذي الحجة ١٣٤٥، سياسي، إداري، تولى أعمالاً كثيرة، كان عضواً في مجلس المبعوثان، ثم تولى للإمام يحيى أعمال خَولان ثم بلاد الروس وبني بهلول، كلف بمقابلة أمين الريحاني ومحادثته حول ما جاء من أجله، ولد سنة ١٢٩٠هـ، انظر، ملوك العرب، ١/١٧٣؛ أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى)، ٢/ ١٩٣؛ هجر العلم، ١٧٩٩.

(٤) علوي بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف ت ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م، نقيب السادة العلويين بمكة، وأحد علماء مكة، هاجر بعائلته إلى لحج سنة ١٣١١هـ بدعوة من أميرها الفضل بن علي، =

العبدلي[1]، سلطانِ لحج[2] بواسطة الشريف حسين بن عون[3]، منْ أشرافِ مكةَ، فلمّا وَصَلَ السَّيدانِ قَفْلَةَ (٥٣أ) ووقعت المشاورةُ عامةً وخاصةً، فَقَالَ حَفِظَهُ اللهُ: كلُّ مَنْ لَمحْنَا لَهُ سهر المنامِ وضاقت به الحالُ، كأنّهُ يُسَاقُ إلى الحمامِ. فقلتُ: يا مولاي، مَملُوككُم مريضٌ نَحْوَ أربعةِ شهورٍ، كَمَا تَرونَ، مَال مَعْ كبرِ السِّنِ، وإنّي قَدْ دَنَوتُ من الثَّمانينَ، ولكنْ إذا قَدْ عُدِمَ مَنْ يَعزِمُ فأنا أعزِمُ، وانْظُروا مَعْي مَنْ رَضِيَ، لأجلِ الهيئةِ المجملةِ.

= فأقام إلى سنة ١٣٢٧هـ، ثم عاد إلى مكة وتوفي بها، انظر، هدية الزمن، ١٨٨؛ الاعلام، ٢٩٤/٤.

(١) أحمد فضل محسن العبدلي ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، من أكبر سلاطين العبادلة همة ودراية في السياسة، كانت لحج في أيامه ملتقى العاملين لخدمة قضية الإسلام والعرب، داهية، ناوأ الترك والإنجليز في الحرب العالمية الأولى، ناصر الدولة العثمانية، انظر، ملوك العرب للريحاني، ٣٥٩/١؛ هدية الزمن، ٢٠٠.

(٢) لحج: مخلاف ومدينة، في نهايته من الجنوب عدن، تبعد عن عدن بمسافة ٤٠كم، ومركزها الحوطة كثيرة الخيرات، وفيرة المياه، انظر، البلدان اليمانية؛ ٢٤٥، اليمن الكبرى، ١٦٠؛ طبق الحلوى، ١٤٠؛ الحجري، معجم، ٦٧٧/٢.

(٣) الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون، من أحفاد أبي نُمي ابن بركات الحسني الهاشمي ت ١٣٥٠هـ في عمان، ودفن في القدس، آخر من حكم مكة من الهاشميين ونادى باستقلال العرب والانفصال عن الدولة العثمانية، حارب الأتراك، وقاد الثورة العربية الكبرى، خدعه الإنجليز وأفشلوا آماله في وحدة العرب، انظر، ملوك العرب، ٢٣/١؛ وما رأيت وما سمعت، ١٠٩؛ قلب جزيرة العرب، ٣١٦؛ الاعلام، ٢٤٩/٢.

فلمّا أسعد سيدي العلامة الفخري عبدالله بن إبراهيم[1]، وهُوَ نِعْمَ الرَّجلُ سيَّما اللسانُ التّركيِّ والقلمُ التّركيُّ والنّسبُ والحَسَبُ والسِّياسَةُ، فَلَمْ يَمْتَثِلْ إلاّ حَيَاءً وحَيْثُ قَدْ رَكِنَ بِمُصَاحَبَتي، وأسعدَ أيضاً سيدي العلامة محمد بن أحمد بن هاشم الشرفي[2]، عاملُ شُهارةَ، والإمامُ، حَفِظَهُ اللهُ، واثقٌ به، فلمَّا امْتَثَلَ السَّيّدانِ، قُلْتُ للإمامِ: يا سيّدي ويا مولايَ، قَدْ بذلتُ نَفْسي عِنْدَ العدمِ، فارحَمُوا ضَعْفي، فَلَمْ يَقْبَلْ منّي، حَفِظَهُ اللهُ، ذلكَ العُذْرِ لوثوقه، ولئلاّ يَتَراخى السَّيّدانِ، فأوضَحتُ لمولاَنَا ما تحتاجُ المسافةُ، وحرسةٌ نافعةٌ[3]، فقلتُ لهُ، حَفِظَهُ اللهُ: يُعطى كلٌّ واحدٍ مئةُ ليرةٍ لمؤنِ الطّريقِ، وعشرونَ ليرةً لكلِّ واحدٍ لفَضَلاته، ومِئتا ليرةٍ حرسةً إذَا حدثَ حادثٌ بينَ السُّلطانِ وبينَ الجمعيةِ، واشتغلوا بأنفسهم، وأهملنَا هُنالكَ، فأسعدَ، حَفِظَهُ اللهُ، لذلكَ، فامْتنعَ سيّدي العلامةُ الفخريُّ إلاّ بواحدٍ يَعْرِفُ لمحتاجيّاتنَا، فسلَّمَ مَوْلانَا، حَفِظَهُ اللهُ، إلى سيّدي العلاّمة محمدِ بنِ أحمد الشاميِّ ثلاث مئة جنيه ونحواً منْ خمسين ريالاً[4]،

---

(١) عبدالله بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم من نسل الإمام القاسم بن محمد ت ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م (سبق التعريف به في الدراسة)، انظر، نزهة النظر، ٢٦٧.

(٢) محمد بن أحمد هاشم الشرفي الشامي الحسني ت ١٣٢٩هـ، (سبق التعريف به في الدراسة)، وانظر، نزهة النظر، ٥١٧؛ هجر العلم ومعاقله، ١١٠١؛ أئمة اليمن، ٢١٧ (سيرة الإمام يحيى).

(٣) المقصود بحرسة نافعة (أي حرزة) ما يحتاج إليه في السفر من نفقات واحتياط أموال.

(٤) ريال: اسم شائع في بلاد المشرق، أول من أجراه في التجارة والسوق الإسبانيون، وهو أنواع كثيرة، منها: ريال أبو طاقة، وأبو مدفع، والمجيدي، والريال العثماني، وفي اليمن كان الريال =

وأحالَ بحملَين صافي من العيالِ تشدُّ قَبْلَنَا إلى الزيديّة[1] بِنَظرِ عبدالله بوني باشا، وسلَّمَ لَنَا في الفضلة الخاصّة عَشْرَ عَشْرَ جنيهات لكلٍّ واحد منّا جملةُ الخاصة ثلاثونَ ليرةً، وسلَّمَ مئتي ليرة حرسةً، لِمَ أن يكادَ أنْ يحدثَ كَما حدثَ بَعدُ عِنْدَ خَلْعِ عبد الحميد، ونَحْنُ هُنَاكَ، وكانَ تسليمهُ الحرسةَ إلى سيدي العلامة، الفخريِّ، عبدالله بنِ إبراهيمَ، وكانَ العهدُ بينَهُما المَوْكَل[2]، وتوكَّلنا على الله يومَ سادس وعشرينَ شهرِ الحجة الحرامِ، والسَّيدانِ المذكورانِ أوّلاً، وبمعية كلٍّ واحد منّا اثنانِ، فالّذي بمعيَّتي الحاجُ أحمدُ بنُ أحمدَ عبيد، ومحمدُ الدرحاني، **(٥٣ب)** وبمعيّة سَيِّدي العلاّمة الفخري علي بن قشاشة وناصر الحبشي، وبمعيّة سيدي العلاّمة العزي، محمدُ بنُ أحمدَ الشاميِّ، ابنُ أخيه، سيّدي عبدالله بنِ عليٍّ بنِ أحمد الشاميِّ، والحاجُ عبدُالله عجيليٍّ، ولما توكَّلنَا عَلى الله، وادعنا الإمام، حَفظَهُ اللهُ، وأولادَهُ وأهلَ المقام إلى القربِ من ذي صولانَ، وقَعَدَ وقَعَدَ أولادُهُ، سيِّدي الصَّفيُّ أحمدُ بنُ المتوكّل،

= النمساوي المعروف بأبي شوشة أو ماريا تريزا، وهناك الريال الإمامي، ويسك في صنعاء، انظر، النقود العربية وعلم النميات، ١٧٥.

(١) الزَيْديَّة: مدينة في بطن تهامة، بالقرب من وادي سُرْدد، وفي الجهة الشمالية الشرقية من الحُدَيْدة بمسافة ٦٢ كم، وهي مركز قضاء الزَيْديَّة، انظر، اليمن الكبرى، ٩٦؛ الحجري، مجموع، ٣٩٧/١.

(٢) المَوْكَل: بلدة في رَداع العرش، بالشرق الجنوبي من ذمار بمسافة ٤٣ كم، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٦٣/٢؛ الإكليل، ١٥٣/٨؛ معالم الآثار، ٨٣.

وسيِّدي العزيِّ محمدُ بنُ المتوكّل، ووادعنا الامام وزوّدنَا بالدّعَاء، وَنعْمَ الزّادُ بالدعُاء المستجاب، وَهْوَ المطْلوبُ والمرادُ. وَعَزَمْنَا إلى الخرطوم[1] في وداعة الحيِّ القـيّومِ فوَصلَنَا الخرطومَ والجـمالُ متأخرةٌ بـاثقالِهَا، فتلقَّانَا الـشّيخُ الهمامُ معـيضُ بنُ شايعِ مغربة، وأسْـرَعَ بالقهوةِ وذَبَح كبشاً قبلَ أن تصلَ الجمالُ بأحْمـالِهَا، فَشَرِبْنَا القهوةَ، ووصلت الجمالُ، فتعـشّيْنَا وعَزَمْنَا في آخر اليومِ، وصلّينَا في طرفِ وعار قَـصْراً وجماعةً، وتوكّلنَا علَى اللّه، فما وَصلتُ إلاّ الثُّلوثَ إلاّ وَقَدْ أجهْدَني التعب مستبشراً بوصولِ المـحطّة لما قَدْ نَالَنـي من الجهدِ الجـهيدِ الّذي لا يعـقلهُ القويُّ الشّديدُ، وإذَا بجماعَتنَا قَدْ عَزَمَوا، قَالوا المسارحَة، وَلَمَ أعلمْ بِها، فظننتُ أن المقصدَ قَـدْ تعشّيْنَا في الخرطومِ وليست الحـاجةُ إلاّ إلى القهوةِ في رأس غاربِ الثلوثِ لاستـقرابِ القدومِ، فلمّا صَعَدَ البَـغَلُ القويُّ أثر معي بوثبـه، كلُّ وثبةٍ كـالطّعنةِ في مـراقيَّ حتىَّ بطُلتْ قّـوتي عَن الإمسَـاكِ لنَفْسي، فخـشيتُ السّقوطَ في تلكَ الحيـودِ، فنزلتُ علَى أشدِّ حالٍ، ومَنْ مَعْي لا يعـقلونَ إلى مشكاة، ولا يسمـعونَ منْ مَقَالٍ، حَـتّى قَالوا العنادَ الخلقيَّ، وربّي يَعْلمُ مَـا عنْدي، وَولَدي محمـد بن سعد وعـسكره معي، فَرَجَع منْهمُ سيّدي العـلامةُ عبدُ اللّه بنُ إبراهيمَ، وسّيدي العـزي محمدُ

---

(١) الخرطوم: قرية من عـزلة البطنة في ناحية القُفلة وقـضاء خَمِر، انظر، المقـحفي، معجم، ٢١٣.

ابنُ عبدِ اللّه الشرفيّ[1]، وَبتْنَا في سقيف حسن، هُوَ عنْدي في تلكَ الحالِ أحسنُ منْ غُرْفَة من الغُرَف، ولا خطوةٌ تُخطىَ (١٥٤أ) إلاّ الزّرابي والتّحف، فلمّا سكَنْتُ قليلاً تراجعَ فيَّ الرّوحُ والنَّفسُ، وأخَذوا لَنَا المصباحَ والقبسَ، وَبتْنَا في راحة بعدَ شدّة التّعَب وزالَ الوَهَنُ، وَذَهَبَ النَّصَبُ إلى الصُّبحِ، وصلّينَا، ومنْ هنالكَ ارتحلنَا إلى أسفلِ العقبة، فَشَرِبْنَا من الغيلِ واسقَيْنَا بَغَالنَا ومواشيَنا، ركِبْنَا ومَشيْنَا حتَّى وَصلنَا سوق شيب فأقلَّنَا، وعَلَى المَواشي روَّحنَا.

وكانَ الغدا هنالكَ، ثمَّ العزمُ حين أبردَ اليومُ، وهنالكَ السَّفَرُ من أطيبِ المسالك، وَمَررنَا بالجُمَيمة وواد السُّود إلى رأسِ وادي عُشَار[2]، وَقَدْ دَنَا الليلُ، وكادتْ تنجمُ القَوةُ، وأرادوا أنْ يقتحموا العقبةَ، فمنعتُ عَلى نَفْسي، وَدنَوتُ من عَلَى بَغْلي، وَحَضَرَ المحشُ، صاحبُ القصبة،

---

(١) محمد بن سعد بن محمد بن عبد الله بن قاسم محمد الشّرْقي ت حجور سنة، ١٣٥٢هـ، عالم محقق، نزيه، رحل مع والده إلى القَفْلَة سنة ١٣٠٨هـ عند الامام المنصور بالله، تولى أعمال حجور الشام سنة ١٣١٩هـ، وظل حتى توفي بها، كلفه الإمام يحيى بأعمال أخرى خلال توليه لحجور الشام، قبل موته أوصى بكل ما معه لبيت المال، كما برّأ ذمة أهل حجور من أية واجبات، انظر نزهة النظر، ٥٣١، أئمة اليمن (سيرة الامام يحيى)؛ هجر العلم، ٢٢٢، (وفيه يقول القاضي اسماعيل بن علي الكوع، عرفته سنة ١٣٤٨هـ، في إب عندما جاء مرافقاً سيف الاسلام الحسن، لتقرير زكاة إب، وكان على جانب عظيم من الزهد والورع وحسن الأخلاف .

(٢) وادي عُشار: عُشار وأعشار، قرية جنوب شرق صنعاء، من ذي جرة سنحان انظر، المقحفي، معجم، ٤٤٦

التي رأس العقبة، وَهْي قصبةٌ ضيقةٌ، ومساكنُ بناءٍ غيرُ لائقةٍ، وتلكَ البقعةُ منْ مجاري السّيولِ الّتي لا يَبْقَى فيها دِمْنٌ ولا غيولٌ، فجمعوا الحطبَ وأشْعَلوا هنالكَ النيرانَ، وبالماءَ أسرَعَتِ النّسوانُ، وَبِتْنَا بحمدِ اللّه في سمرةِ النشوانِ، ونمنا نومة الوسنان، وحمدوا عاقبة مبيت ذلك المكان، والصبح إرتحلنا وبوادي عُشَار شَرْعنَا، وَمنْ تَحْت الرّاحة مَررنَا، حَتّى الى وادي مور انْتَهَينَا، ومَضيْنَا فيه، وصلّينَا حَتّى انْتهَى بِنَا السَّيرُ إلى هيجةً في جانبِ الوَادي، سيّما بطنُ حيدِ النوبةِ، وَبِتْنَا هنالكَ في أنعم حالٍ مع أكرمِ بالٍ.

وَفي الصّبحِ صلّيْنَا، وَمنْهُ عَزَمْنَا حتّى صَعَدْنَا الصّدرَ، العقبةَ التي بينَ حدّي حجرٍ، وجبلَ حرامٍ، محلّ بنِ بدرٍ، مجمعِ الطريقين إلى المحابشة[1] ووادي الريح، وَمَررنَا فيه، وفيمَا يَليهِ إلى راسِ حَيْبَان، وأقلْنَا فيه السّاعةَ الرّابعةَ.

وذلكَ محطاتُ بني ساري[2]، وَقَدْ خَرَجَ في لُقَانَا ضبّاطُ العُجْم من العَسْكر، ومن الجبَالِ والأوديةِ من السّادات والعشائر، والسّاداتُ أوّلُ مَنْ وَرَدَ عَلينَا، أهلُ الجانبِ اليمانيِّ بُطبُولهم وإنْشَادهم الأشْعَارَ علَى اختلافِ الهيئاتِ، علَى قواعدِ العربِ المختلفاتِ **(٥٤ب)** وَلَهُم فيهَا هيئاتٌ

---

(١) المحابشة: بلدة في وسط قضاء الشرفين، وهي مركز القضاء، تبعد عن حَجّة بنحو ٧٠كم، انظر، المقحفي، معجم، ٥٦١

(٢) بنو ساري: قرية من قرى يريم، انظر المقحفي، معجم، ٢٩٨

مختلفةُ التركيبات، ثمَّ ساداتُ الشّاميّ، وهذرهم بيرقُ أمِ إمامٍ وأمِ[1] سلطان سيرة، ودقات كثيرة عَلَى مودة أهل الشّاهل الجميع للإمام، حَفِظَهُ اللّهُ، وَوَصَلَ مَعَهمُ بورزانُ من العساكر الشّاهَانية، وأخْبَرونَا أنَّ البيكَ باشَ المأمورَ بمُصَاحَبَتِنَا أحمد شوقي أفندي، وَمَعَهُ الضّباطُ قَدْ وَصَلوا إلى بَعْضِ العَقَبة، وَقَطَعوا أكثر الجبل، فأمَرَنَا البورزانُ بتَبْلِغهم السَّلامَ بالبوريّ، وَكَتَبْنَا عَليهم إنَّهُ لاَ بدَّ لَنَا من الاستراحة مَعْ عدمِ القدرة عَلَى الصُّعود في تلكَ الحال، فَسَارَعُوا بالنزول إلَيْنَا إلى أسفل الجبل وَهُوَ ممّا لاَ يُمكنُهم الوصولُ إليه، وَحَضَرَ الغَداء فمنْهمُ مَنْ أسْعدَ وأكلَ، وَمِنْهمُ مَنْ اعتذرَ والنَّاسُ من كلِّ شعب يردّونَ، وَمن كلِّ حدبٍ يَنْسلونَ متزينينَ مسرورينَ مَعْ إنَّهُ يومُ الغَدير[2] الذي هُوَ عِنْدهَمُ بالتّعظيم جَديرُ.

وكَانَ بلوك[3] الموسيقَى، وبلوكٌ من العَساكر ينتظرونَ وصُولنَا عِنْد خراب قرية الفصيح[4] وَصَعَدنا الجبلَ ساعةً سبعٍ ونصف فمَضَينا حَتَّى بَلَغَ الوقتُ ثماني ساعات وثلث، وإذا بالسّيد الماجد عليٍّ بنِ حسينٍ حريز مِنْ السَّادة الأمجاد بني الجرب قَدْ أهبَّ طعاماً كثيراً، ولم

---

(١) أم، لغة في تهامة معناها الإ، ام إمام، الامام.

(٢) يوم الغدير: الاحتفال بيوم غديرخُم.

(٣) بلوك: كلمة تركية معناها فرقة من الجند.

(٤) قرية الفصيح: من قرى الشاهل، من قضاء الشرفين وأعمال حجة، انظر المدارس الاسلامية،١٠٥، الدر المنثور، ٢٩، ٣٠

نجدْ بُداً منْ قبولِ كرامَته، فأكلنا وأكلَ مَنْ مَعَنَا خَلقٌ كثيرٌ، قَدْ أوسَعَ الطّعامَ واللحمَ ما يَكفي ذلكَ الجمعُ عربياً وعجمياً .

ثمَّ ارتَقينَا إلى قريةِ الفصيحِ التي أخْرَبْتَها الوقائعُ بينَ الإمامِ المنصورِ والعُجْمِ، فَصلْينَا والمنتظرونَ لَنَا عَرَبٌ، وعُجْمٌ نَحْوَ الفٍ، معلنينَ بالإكرامِ، مبالغينَ في الاحترام، وعِنْدَ خروجِنَا من المسجدِ مَشَوْا مَعَنا قليلاً، ثمَّ ضُربتِ الموسيقَى واصطَفّتِ العساكرُ للسَّلامِ، فحييْنَاهُم وَصَعَدْنَا العقَبةَ والناسُ يتزايدُ واردُهُم حَتَّى وَصلَنَا قَربَ قشلة[1] العَساكرِ، فَتَلقّانَا القومندانُ بهجتُ بيك أفندي (٥٥أ) وَمَنْ بَقيَ مَعَهُ من الضَّباطِ مَسَافةً، وَرَأيْنَا من القومندانِ الغايةَ من البشاشِ، وَدَعَانَا إلى مكانٍ بالقشلة، أقَلَّنَا بُرهةً، وَشَربْنَا القهوةَ، وانتَقلنَا إلى البيت الّذي قَدْ تَعيَّنَ بقاءُ السَّيدُ محمدٌ بنُ عبدِ اللّه، مزيقر، وأهْلُهُ فيهِ والمُوسيقى لا تزالُ تصدح بمغانيها، وترجيعِ مَعَانيها، وذَلكَ مِنْ غايةِ الإكرامِ عنْدَهُم والتّعظيمِ، ومَعَنَا البكباش أحمد شوقي أفندي، والملازمُ علي بن أحمد بن الحاج محمد الجحدري الصنعاني، وَقَامَا بما يَلزَمُ لَنا من الحاجات .

وَفي الليلِ وَرَدَ المجَابرونَ من المشايخِ والسَّادات، منْهُم، الشَّيخُ عليٌّ بنُ أحمدَ مناوش، وَهُوَ شيخٌ من مشايخِ حجور[2] وسُكُونهُ في وادٍ

---

(١) قشلة: ثكنة عسكرية (قشلاق).

(٢) حجور: حول حجُور وتقسيماتها وبلدانها وقبائلها، انظر، المقحفي، معجم، ١٥٦-١٥٧ تاريخ =

ماخـرٍ[1] وبمـعيـته ولَـدَهُ عليٌّ بنُ عليٍّ صغـيـر، ودارت السَّهـرةُ عَلَى مُذَاكـرات ومشاورات ونصـائح للمشَـايخ والسَّادات بإحيـاء المدارس والمسَاجـد والتَّذكير بأسْلافـهم، والتَّحَري عَلَى جمـيع أركان الإسْلاَم، وأخَذْنَا الشّـوَرَ في الطَّريق، فاتّفَقَت الأشوارُ على وادي مـاخر، وَهُنَالكَ اشتدَّ بولدي العلاَّمة محمد بن سَـعْد الحال، وَضَاقَ حَتَّى اشتدَّ عليه من الدّم الاحتـراقُ، وَنَبَتْ إحدى عـينيه لـضيقـه من الفراق، ولمّـا رَأى منْ تَناهي ضَعْف والده، فَحَـضَرَ الحُكَمَا وأبْلَغُوا في اخـتيار الأدوية، وإنّي لمّا رأيتُ ذَلكَ أبلغتُ لَهُ في التصلية حَتَّى شَفَاهُ اللّهُ، ولمْ يكتف بمسيره، هُوَ ومَنْ مَعَهُ منْ عَسْـكره وَخَدَمه، بَلْ يُريدُ العَزْمَ مَعْنَا، فَمَنَعْـتُهُ، أسْعَدَهُ اللّهُ، عَن الزّيادة مَع الـخوف عَلَـيه، حَـيْثُ وَهُوَ ركنٌ منْ أركـان أعـوان الإمـام، حَـفظَهُ اللّهُ، في تلكَ الجـهـات، وله تأثيـر عند العـرب والعَـجَم وأوصيته، عافاه اللّه، في أولاده وأرحـامه فطابت نفسه، عَافَاهُ اللّهُ، باراً تقياً، محمودَ الأقوال والأفعال، وأنّ القومندانَ أرادَ الرّجُوعَ مستقرَّهُ بني مُدَّيْخَة[2] فَابْلَغْنَـاهُ سَلامُ الإمام، وأنَّا نُريدُ أنْ تكونَ بُسطـتُنا إلى الإمام،

= اليمن الثقافي، ١/٥٥، اليمن الكبرى، ١٦٦، مصادر الفكر الاسلامي ٤١٠، الصليحيون، ١٩٣؛ أعلام الاسماعيلية، ٢٨٠.

(١) وادي ماخر في بلاد حجور.

(٢) بني مُدَّيْخَة: من قبائل بلاد الشرق وأعمال حجور البشرى، انظر، المقحفي، معجم، ٥٧٥.

وبُسطةُ[1] الإمـام إلينا (٥٥ب) بعنايتـه إلَيْـنَا، فـأسْـرَعَ إلْينا بنَفْسـه، فابْلَغْنَاهُ سلامَ الإمامِ وأعْلَمَناهُ بالمـرامِ، فسرَّ بذلكَ واثنَى وأوعَد بإبْلاغِ ما وَصلَ إليـه واستـمداد الدّعـاء ثمَّ دَعَانَا للضـيافة عِنْدَهُ، يـومَ عَزَمْنَا فأسْعَـدنَاهُ إلى ذَلكَ، وخَبَّرنَا أنَّهـا وَصلَتْ كتبٌ في البوسطة الرّسـمّية، أخْبَرتْ بوصول الواليّ الجديد[2] وَمَعَهُ رِفْعَتْ باشَا الفريق، قائداً للفرقة الثالثـة عشرةَ مَـحلَّ يوسف باشا ورجب أفندي معـاونِ الوالي الجديد، وَبَعْدَ إقَامتهمْ في الحُدَيْدَة خمـسةَ أيامٍ عَزَمَ نَحْو صَنْعَاءَ، وَأخْبرَنَا أنّ لَهُ بِه مَـعْرِفةً في حـربِ اليونانِ، وإنّـهُ من الأحرارِ المـعروفينَ بـالأخلاقِ الحميدة.

وبتنَا لَيْلَتَنَا في راحة ونعمة، ورَأيْنَا منْ سيّـدي محمد بن عبد اللّه مزيقـر والضّباط كَمـالَ الرِّعاية والحشْـمة، وَمَا أصْبحَ الصُّـبْحُ إلاّ وَقَدْ هَرَعُوا للسَّلامِ، وَفَـيهم القَولُ أغاسـي محـمد أفندي المكي، رأيْنَاهُ رَجُلاً فصيحاً أديباً كاملاً.

وفي هذه الليلة كـان وَلَدي البارُّ التّـقيُ محمـدٌ بنٌ سعـد الشرقي يَشْكُو وَجـعاً في رأسه، وأشَـدُّهُ في عينه، فَـوَصَل حكيمُ المركـزِ القولُ أغاسي أفندي لزيارَته ومُدَاواته، وَهُوَ طَبيبٌ حاذقٌ أديبٌ كاملٌ، وكانَ قَدْ

---

(١) بسطة (بوسطة) اي بريد.

(٢) الوالي الجديد: هو حسن تحسين باشا، وصف بكمال عقله ولين عريكته، تغاضى عن إتصال بعض أهل صنعاء بالامام، انظر، أئمة اليمن، ١٤٠، (سيرة الامام يحيى).

أورَمَتْ عينُ وَلَدي، وَنَبَتْ نَبْواً فاجعاً، فأسرعَ بالفصدِ وأتوا لَهُ بأدويةٍ وذلكَ ثورة حرارة من وَلَدي لَما رآهُ من ضَعْفِ والده، وبُعد السَّفَر، فَعَرفْتُ ذلكَ فانْفَردتُ به، وهوّنتُ عليه، وسّهلتُ لهُ الأمورَ حَتَّى استقرَّ خَاطِرهُ، وأوصيتهُ في خَواته وأرحَامه، وَهْوَ بحمد اللّه، فوقَ ما أريدُ وزوَّدتُهُ الدّعاء، فَما أصبحَ بحمدِ اللّه إلاّ كاملَ الصَّحة، وكانَ لَقَيَنا السَّيدُ مُحْسنُ بنُ حَسنٍ أشول في راسِ حيبانَ، فشكّكتُ لما عندهُ من القتل ليحيى بن يحيى شيخ الشّاهل[1]، فأخْبَرونَا إنَّهُ عُقدَ بَيْنَهُم صلحٌ لمدة ستَّة أشهرٍ، عَقَدَهُ السَّيدان محمدُ مزيقر، وسيدي عبدُ اللّه بنُ حسينِ المتوكل.

فلمّا وَصلْنَا تَوجَّهْنَا عَلى السَّيد يحيى بن يحيى والد القتيل، وَولدَهُ صنْوَ القتيلِ في تمام الصُّلحِ إلى سنة، فتمّما ذلكَ وأكداهُ بضمانٍ، عندَ ذلكَ وَصلَ بلوكُ (٥٦أ) الموُسيقى مَع الضّباط يَصْدَحُ بالسَّلام عِنْدَ بابِ الدارِ التي نَزَلنَا بِهَا، وما زَالَ يَخدمُ إلى السَّاعة السَّابعة، فاعطى بعض ما يلزم عادة، واذن له بالانصراف، وَوَصَل الشّيخُ محمدُ شعيب أحدُ مشايخِ حجور اليمنِ للمزاورة والمعرفة، ولَقَد اهتمَّ البيكباشي والقومندانُ في تعيين البغالِ وتحصيل الجِمالِ بعنايةِ الشّيخِ علي

---

(١) الشاهل: جبل وناحية من قضاء الشرفين وأعمال حجة، في الشمال الغربي منها، بمسافة ٣٧كم يتبعها عُزْلة بنو مديخة، والأمرور وعُزلة جانب اليمن وعزلة جانب الشام، انظر المدارس الاسلامية،١٠٥، المقحفي، معجم، ٣٤١.

مناوش وفي صُبْحِ يوم الثّلاثاء، عَزَمُ وَلَدي وقرَّةُ عيني محمد بن سعد ابن الشرقي آيباً بَعْدَ أنْ استطيبُ منْهُ الخاطرَ، لما رأيتُ ما حلَّ بهِ من المشاقِّ في جسده من الفراق حَتى اسْوَدَّ لَونُهُ لشدّة حرْصه عَلَى والده بافراط الحنو والإشفاق، وهُوَ بحمد اللّه الولدُ البارُّ التّقيُ بالاتفاق، ومتّعتُهُ بمقبول الدعاء بلا شك، ولا شقاق، وأيضاً امتّعَهُ بدعَائي في كلّ وقت اذْكرهُ وَندائي فأقولُ، اللهمَّ يا أولَ الأولينَ، ويا آخرَ الآخرينَ، احْفَظَ وَلَدي بحفْظكَ الحريز وارفعْ دَرَجَتهُ عنّي يا عزيزُ، اللهمَّ أمّنهُ منْ كلِّ مهمة، واكْفه كلَّ ملمة، ويسِّرْ أمرَهُ واطلَ في طَاعَتكَ عُمْرهُ، اللهمّ وأمّنهُ منْ وَحشَة القبر والحشر والنشر، اللهمَّ حَرّمْ جسْمَهُ علَى النّار، وأسْكنْهُ جنات تَجْري منْ تَحْتها الأنهارُ، اللهمَّ وأصلحْ أولاَدَهُ، وانبتْهُم نباتَ الأخيار، الأتقياء الابرار، اللهمَّ واكْفهم الجميعَ شَرَّ الأشرار وكيدَ الفّجار، وشرَّ طوارق الليل والنهار، بحقِ نبيكَ المختار، وآله الأطهار وصلَّ على محمدٍ وآله الأطهار، آناءَ الليلِ، وأطرافَ النهارِ، يا عزيزُ يا غفّارُ.

فَعزمَ بحمد اللّه بعسكره وخدمه آيباً متوجهاً نَحْوَ المحابشة ثمَّ إلى أهْله إلى حجور الشّام، أوَدَعَهُ اللّهُ السَّلامةَ والكرامَةَ.

وسارَ مَنْ مَعَنَا من العَسْكَر، وَمَعَهُم البغَالُ والجمالُ مصحوبينَ كُتُبَنَا إلى الإمامِ، حَفظَهُ اللّهُ، ولم يزلْ يَرِدُ إلينَا للسَّلامِ مشايخُ البلادِ،

ووجـوهُ أهل تلكَ الأوديةِ والأنجـادِ والسـادات الكرامِ الأمـجـاد، منْهمُ السّيدان الأكرمـانِ، سيدي العَلاَّمة الجماليِّ عليِّ بنِ عـبدِ اللّه الشُّهاري، وشقيقه سيدي هشامِ بنِ عبدِ اللّه (٥٦ب) للسَّلام عليِّ وللوداعِ وَصَلاَ منْ جبلِ حرامٍ وَلَمْ يقـترفا من العُجمِ والناسُ أفواجٌ من كلِّ ناحـيةٍ حَتَّى وَصلْنَا بَنْي مُدَّيْخَةَ، فَتَلقَتنَا الطوابيرُ إلى تحت العقبة، وكذلكَ الشيخُ عبدُ اللّه هارب، شيخَ شَـمر الأسفل صِنْو الشـيخ علي هارب، فَلمّا دَنَونَا من المركزِ واجَهْنَا القومندانُ علي بهجت بك بالقربِ من المركزِ والموُسيقى بالقربِ من البـابِ، فَرحّبُوا، وأمّا البـيكباشي أحمد شـوقي فَلا زالَ في محافلةٍ وعنايةٍ وانتبـاه كاملٍ على الحقير العاجز خـصُوصاً، جَعَلهُ اللّهُ خلفـاً لوَلدي في كلِّ حـالٍ لا يبعـدُ عَنّي حَـتى إنّه كـانَ يتولّى ركُـوبي ونُزوليَ .

وَدَخَلْنَا المكانَ المـخصَّصَ لنُزولـنَا فيـه وَقَدْ فُـرشَ وأُعدت فـيه الكراسيُّ، وَوَرَدَ عَلينَا الشّـيخُ عليٌّ هارب والشّيخُ هادي بن أحمد الطلحي وَوَلَدُهُ هَادي صغيـر وشيخُ بني مُدَّيْخَة، يحـيى بن علي هيج، وكانَ كلُّ المشايخِ ومعيّـتنا ومعَيتُهم في ضيافة القـومندانِ وَهُمْ قريبُ مئة نفرٍ، وكانت الضيافةُ مكلمةً في الغايةِ أطْباقاً .

ولا زَالَ المأمـورونَ في تفقّـد أحْوَالنَا إلى مقـدارِ ثُلث الليلِ، وبْتَنا في ليلةٍ حَـسَنَةٍ وحَالةٍ مـستـحسنةٍ، ولمّـا أصْبَـحْنَا أتينَا بالقهـوةِ، ثمَّ

بالطّعامِ المـألوفِ في البلادِ، والزيتونِ والجـبنِ، وَبَعْدَهُ استَـرحْنَا حَتَّى قُطّبتِ الأثقالُ وشدّت البغَالُ، وتأهّبَ النّاسُ للانتقالِ فَوَادَعنا القومندانُ، وتقـدّمتُ للنزولِ لما يحـصلُ معي مِن المـشاقِ في المـراقِ حَتَّى ظـهرَ بسببِ ذلكَ أثرُ الخـرقِ، فَتَقـدْمت للنزولِ، ولاَزَمَ سَيْري سـيدي محـمد مزيقر والبيكباشي أحـمد شوقي، والسَّيد المعتقـدِ في تلكَ الجهةِ السَّيد مـحمـد القـردوع، كُنْتُ أعرفُ وَصْـفَـهُ، ولم أعرفُ شـخْـصَهُ، وتبْـعنَا الأصـحابَ، وكلمـا وَصلوا إلى قريةٍ خَـرَجَ أهْلُهَـا مع الأولينَ وأكْثَـرهُمُ **(٥٧أ)** رَافَقُونَا إلى الوَادي، وأتَتْ الـطائفةُ المعَيّنُونَ للمحـافظةِ مَعَنَا مِن النظامِ نَحـو ثلاثينَ إلى هُنـالكَ، وأتَى الشّـيخُ علي مناوس بطائفـة من أصحابه للقـائنَا يرَمونَ بالبَنادقِ عَلى قاعدةِ عرضةِ العـربِ ومغَاردِهم، فتـوكّلنَا عَلى اللّه وادي مـاخر، وكـان ذلكَ يومَ سُوقِـهم، فخَـرجُوا من السّوقِ للقَائنَا ثـمَّ دَعَانا الشّيخُ عَلَى مناوس للضيافـةِ لديه، فَلَمْ نَجِدْ بُداً من إسْعَاده، فَبِتْنَا في سعَةٍ وكَـرامة إلى الفَجْرِ، وَقَعَ الشّدادُ وتقدّمْنَا إلى الغيل للصّلاة، وعَـزَمْنَا مِنْ بلادِ السُّكابةِ ينتسبـونَ إلى السُّكَيْبَات[1] مِنْ حاشـد، وَهُم أهلُ بَسَالةٍ ونجابةٍ ومـودةٍ للإمامِ، وهناكَ انتَهتِ الجـبالُ الوعرةُ.

ومِنْ هَذهِ الأوديةِ عـوارضُ إلى المـحفـاةِ مَـحلّ الشيـخ عبـد اللّه

---

(١) السُكَيْبَات: من قرى حاشد ثم من بلاد عِذَر، انظر الحجري، مجموع ٤٢٩/٢

المنتصر، فَـتَلقَّانَا إخْواتهُ وأضَافُونَا الغداءَ، وقـلْنَا عِنْدَهُم قَليلاً، وَعَزَمْنَا يَسيراً وَبَدا عَليـنَا وادي مور الّذي فَارَقْنَاهُ، فَصلّينا فـيه وتوكّلْنَا، وكَانَ رَفقتنَا الشَّيخُ عبـدُ اللّه بنُ محمد مهدي المنتصر وخـمسةٌ من أصْحَابه، والسَّيدُ يحيى بنُ يحيى شيخُ الشّـاهل، وواحدٌ منْ أصحابه وافْهمُونَا أنَّ أهلَ الناحية لا يحتـرمونَ السَّفَرَ ولا ينضبطونَ طَوْعاً ولا قَـهْراً، فَعزَمْنَا الطريقَ مع التّـثبت مـن العرب والنّظام حَـتَّى غَـشَيْنَا الظلامَ، ولم نَجـدْ بحمـد اللّه ما يُكدِّرنَا من السَّفـر، ولاَ منْ أهل تلكَ الناحية حَـتَّى أشْرَفْنَا عَلَى الريغة[1] محلِّ الشـيخ عبد اللّه بوني بَاشَـا، وبِتْنَا في السّوق، وفي بيت البوني، محمد عبد اللّه يخافُ من الخروج ليلاً، فَلمْ نَرَهُ، وَلم يَصلْنَا، فَاحْتَملنَا لَهُ الاحتمـالات، وَبِتْنا إلى الصَّباح، وَوَصَل الينا الشّيخُ عبدُ اللّه مهدي المنتصـر راجعاً من الزيدية[2] قد الحملين الصّـافي إلى عند عبد اللّه بوني باشا، فَسلَّمَـهُ إليه، وأوصَلَ ورقةً **(٥٧ب)** باستلامه وحفَظَهُ وَشَكَرْنَا للشّيخ الفخري هَمتهُ وعنَايتَهُ، وكَتَبْنَا لَهُ كتباً إلى الإمام، حفظَهُ اللّهُ، ثمَّ وادَعنَا، وَقَدْ اسْـتنَابَ عَنهُ لمرافَـقتنَا الشّيخَ عـبدَ اللّه بنَ محـمد

---

(١) الريغة: قرية تشرف على وادي مور الى سهل تهامة، وهي مركز قبيلة بني قيس، انظر، نشر الثناء الحسن، ٦١، المقحفي، معجم، ٢٨١

(٢) الزَيْديَّة: مدينة من الجهة الشمالية الشرقية من الحُديدَة بمسافة ٦٢كم، وهي مركز قضاء الزَّيديَّة، ومن نواحيها، القناوص والضحى والمغلاف والمنيرة، انظر، اليمن الكبرى، ٩٦؛ اليمن الخضراء، ١/٩٠؛ المقحفي، معجم، ٢٩٦؛ الحجري، مجموع، ١/٣٩٧-٤٠٠

المنتصر وَمَنْ مَعَهُ، وَاودَعَنا السَّيدُ عَبْده والشّيخُ عبدُ اللّه مهدي وَمَنْ مَعَهُما، وسِرْنَا متوجّهينَ القَنَاوص[1] وَمِنْ هُنَا عَلينَا مغالاةُ الاكريات[2]، لأنَّ الشّيخَ عليَ بنَ أحمدَ مناوس كانَ قدْ ثقلَ الأثقالَ بلا أجْرَة، ومَنْ كانَ الكرا للحملِ علَى نصف المرحلة ريالين وكسور، فَوَصَلْنَا إلى القَنَاوص الساعةَ التاسعةَ وتلقَّانَا جماعةٌ منْ اهْلها بالبشر، وَرَأيْنَا فيها مَسْجداً حَسَناً، وبُيوتاً من القشاش والخشب مليحةً، وأهلُها فيهم مَنْ يشتغلُ بالبيعِ والشّراء، وَلَهُم ثيابٌ نظيفةٌ، والأسفُ كلُّ الأسف أنّا لم نَسْمعْ آذاناً في هذه البلاد كلِّها، وإنْ كانَ أهلُ القَنَاوص قَدْ رأيْنَا فيهم مَنْ يُصلّي في المسجد، كَما رَأيْنَا بعضَ مَنْ مرَّيْنَا بهم من القبائل .

وقبلَ الفجرِ ارْتَحلنَا منها، وسَمعْنَا آذانَ الفجرِ في الطّريق، وصَلَّيْنَا الفجرَ في اثناء الطريق، وما وصلنا قرب الزَّيْديّة على مسافة ثلاث ساعات حتى أشرفت الخيلِ والرِجْل، في مقدّمتَهم الشّيخُ عبدُ القادرِ بك عَلى حصانٍ أدْهَم، والشّيخُ محمدُ بك على فرسٍ بيضاءَ، وهُما ابْنَا الشّيخِ عبد اللّه باشا، عَليهما ملابسُ حَسنة، والنّاسُ يُحيطونَ بهمَا، ويظهَرونَ آثارَ السّرور، ويدقونَ الطبول، وينشدونَ الأبيات، ويرمونَ

---

(١) القَنَاوص: مدينة بالشمال من الزيدية بمسافة٢١كم، على طريق حَرَض-حجة، بها مركز ناحية القناوص التابعة لمحافظة الحديدة من اعمالها عُزلة كشارب والقوزي وبني مهدي والميهادلة انظر اليمن الكبرى، ٩٦، نشر الثناء الحسن، ٣٧.

(٢) الاكريات: أي كرى أو الأجرة.

بالبنادق، ويلعبونَ ملاعبُ عجيبة الأمثال، ويتسابقونَ بالخيل بينَ أشجارٍ ورمال، ثمَّ وَصلَ الباشا عبدُ اللّه والقائمقام في عربةٍ يجرُّهَا بغلٌ كبيرٌ والسَّاداتُ والعلماءُ والأعيانُ، وكافةَ مَنْ في محلِّ الزَّيْديَّةِ (٥٨أ) منْ الرِّجَالِ والصبيان، وكانَ يَوماً جَامعاً للسّرور، ظاهرٌ فيه عَلى الجميعِ الحبورُ، ونَزَلْنَا للضّيافة في بيت الباشا عبد الله بوني، فأضَافَنَا ضيافةً مشكورةً مرحباً بالوافدينَ مَعْ كلِّ مَنْ لديه، وقرَّبَ الأطعمةَ والمفروشات، واتْحفَنَا بمَا لاَ مَزيدَ عَليه، وَقَامَ هُوَ والقَائمقام في الخدمة، وهَرعَ النّاسُ للسَّلام، وَهُم يَعْرفُونُا بهم واحداً واحداً بالإجلالِ والتكرِّم، ثمَّ انتَقَلْنَا منْ المكانِ الّذي به نَزَلْنَا إلى مكانه الخاصِّ وبه أقلّنَا بقيَةَ يَوْمنَا على القاتِ والماءِ وفيه خزانهُ كتبٍ جامعة كثيرة، قَدّرَ بعضُ الأصحابِ إنّها تزيدُ على خمسِ مئة مجلد، وأرانَا تآليفينِ لَهُ، أحَدهَما، شرح علىَ الآجروميةِ في النّحو، والثّاني في إعرابِ القرآنِ وتفسيرِ معانيه، قَدْ بَلغَ فيه إلى آيةِ الكرسيِّ في نحو أربعينَ كراساً، وَذَكَرَ لَنَا إنَّهُ قَدْ جَمعَ لديه كتبَ التّفاسيرِ كلَّها، وَهُوَ يَجْمعهُ منْها، وهنالكَ في الزَّيْديةِ السَّيدُ محمدٌ بنُ يحيى رجلٌ قَدْ ضَعُفَ في السِّنِ، إلى ما فَوقِ السَّبعينَ سنةً، وأُصيبَ بوجعٍ عينيه ألزَمَهُ دَارَهُ ثماني سنواتٍ والكلُّ يعتقدونُ أن سَبَبهُ ثماني سنوات قضَاهَا في خدمةِ نيابةِ القضاءِ ثمَّ تَباعَد عَنْها، وَعَزَمَ عَلى العَوْدِ فتداوىَ، وَقَدْ عَادَ عليه بعضُ

بَصره، وَهُوَ مشغولٌ بتدريس علم الحديث وعنْدهُ طلبةٌ كثيرونَ، وزَارُه سيدي الفخريُّ عبد الله بنُ إبراهيمَ فوَجَدهُ حقيقاً بالثّناء حَسنَ العقيدة، سالكاً مَسْلَكَ سنّيـة اليمن أرسلَ لهُ الإمامُ بمؤلفات الأمير[1] والوزير[2] والمقبلي[3] والشوكاني[4]، ومَشايخه بنو المزجاجي[5]، وكبار بني الأهدل[6]، وَهَوَ يَدعُو للإمامِ بكلّ خيرٍ، ويشكرُ مساعي الإمام في الحثّ على نصرة الشّريعة الأحمديّة.

وممَّا أخْبرَنَا به الباشا عبدُ اللّه البوني إنّهُ كانَ عنَدهُم نائبٌ السيد عبد اللّه بن علي شرعان، لا يَدَعُ ما يدنّسُ الشّريعةَ، منْ جملة أفْعَاله إنّه اغْتصبَ جارية لبعضَ النّاس واسْتخدَمَها مدةً ولا يُبْعَدُ (٥٨ب) أنْ يكونَ منْها لخلوَة بهَا، فأمَر عَشرةَ عسكر يُوصلُونَهُ الحديدةَ، وأخَذَ الجاريةَ منْ يده، وأرسلَهَا إلى الْحَديْدة، ورأيْنَا منه في صدرِ النّهارِ مَع

---

(١) المقصود محمد بن اسماعيل بن صلاح الامير ت ١١٨٢، انظر نشر العرف، ٥٠٩/٢ البدر الطالع، ١٣٣/٢

(٢) الوزير، المقصود محمد بن ابراهيم بن علي بن المرتضى بن الوزير ت ٨٤٠هـ، انظر، البدر الطالع ٨١/٢

(٣) المقبلي، المقصود صالح بن مهدي المقبلي ت١١٠٨هـ

(٤) الشوكاني: المقصود محمد بن علي الشوكاني، المشهور والمعروف

(٥) بنو المزجاجي: صوفية يسنبون الى مزْجاجة القرية القريبة من زبيد، لهم باع في الأدب والفقه والعلوم الأخرى، انظر، الفضل المزيد على بغية المستفيد، ١٩٥، النور السافر، ٦٨،

(٦) بنو الأهدل: من علماء تُهامة، أول من لقب بهذا الاسم الصوفي علي بن عمر الأهدل ت بعد ٦٠٠هـ، في المراوعة من قرى سهام، انظر، الحجري، مجموع١/٩٤؛ المقحفي، معجم، ٥١٠.

البشرِ بقُدومنَا نَوعَ افتخارٍ في الجاريات السَّابقة، ثمَّ منْ بَعْدِ الظّهرِ تبدَّلَ الكَلامُ بالثّناءِ التّامِ، وأفْصَحَ إنّهُ يأبَى ما يخالفُ الشّريعةَ حَدّاً أو قَصَاصاً وغيرهما، وَيَسوقُ ما للدّولة العَليّة ما عَلى البلادِ منْ أعشارٍ وغَيرِهَا.

وأمّا نَفْسُ بلدة الزَيْديةِ فَهْيَ وسيعَةٌ، اكْثَرُهَا العُشوشُ المبنيّةُ بالقشاشِ، وأعظمُ بناءٍ فيهَا ما بَنَاهُ هَذَا الباشا سعةً وانتظاماً، وَقَدْ بَنَى بالقربِ منْها مَسْجداً ومَدرسةً وَحَفَر بئراً للمسْجدِ، والشّربُ فيهَا ماءٌ لَذيذٌ حلوٌ من أحسنِ ماءٍ يُوجَدُ في تهامةَ، ومنْ مبانيها العَظيمة قَصْرٌ جَسيمٌ قَدْ أشْرفَ سورهُ عَلى الانهدامِ، ويُقالُ إنّهُ قَدْ حَاوَلَ إصْلاَحَهُ وعمارَتَهُ، ولَمْ يتمْ لَهُ ذَلكَ.

وَقَدْ بتنَا لَيْلَتَنا في دار البَاشَا عَلى أحسنِ حالٍ، وزَارَنا فيهاَ المُفْتي السَّيد محمدٌ بنُ يَحيْىَ، المعروفُ بصائم الدَّهْرِ وَغَيره.

وَقَبْلَ الفَجْرِ حَضَرَ وَلَدُهُ الشّيخُ عبدُ القادرِ بك، والقَائمقَامِ عزي فتوح أفندي، وَغَيرهمَا للوَداعِ والتشييعِ، وسَارُوا مَعْنَا حَتّى خَرَجُوا من البَلدِ الَّذي مَسَاكنُهم فيه وعَادُوا وَمَضينَا لسَبيلنَا، وَبَعْدَ طلوعِ الفجرِ صَلَّينَا وَمَشيْنَا إلَى وقتِ الشّروقِ وانْتهيْنَا إلَى قريةِ الحشابرة[1]، وَهْي قريةٌ عَظيمةٌ، فَتَلقّانَا الشّيخُ عليٌّ الحشيبري وصنْوُهُ الشّيخُ اسْمَاعيلُ إلى الطّريقِ، وَدَعُونَا للصَّبوح والقَهْوةِ، وألحّوا عَلَيْنا غايةَ ما يكونُ من

(١) الحشابرة: من قبائل تهامة في بلاد قضاء الزَيْديّه، انظر، المقحفي، معجم، ١٧٤، الحجري، مجموع، ١/٢٦٠.

الإلحاح حَتّى لمْ نَجدْ بُدّاً من إسْعَادهم، وَكُلُّ ذلكَ بسعادة الإمامِ، وبَركة دعَائه، حَفَظهُ اللهُ، لَمْ نَجدْ في سَفَرنَا ما يُكَدّرُ إلاّ التبجيلَ والتعظيمَ والإكرامَ من الخاصِّ والعَامِّ، وأنْ نُجيبَ دَعْوتهم، ولَهُم عَريشٌ بسيماء المنزلة مُعَدٌّ للضيفان فَنَزلْنَا به (٥٩أ) وَأَمَامَهُ ميدانٌ واسعٌ وسطَ المحلِّ إلى جانب الشّرق، فأقبلَ أهلُ المحلِّ صغاراً وكباراً للسَّلام، واسْتَمدّوا الدعاءَ وَمَعَهمُ القهوةَ والطَّعامَ مَع السَّمن واللّبن، فأكَلْنَا واسْتَرَحْنَا وأكَلتْ دَوابُّنَا، وشَكَوا ما بهِم من الظّلم والحال مع أهل الاسْتبداد، وحَاصلُ شَكْواهُم أنّ الارزاقَ تقطّعتْ بسبب ما يقعُ منْ معاملة البوني باشا والمأمورينَ في أخْذ الكُرى ومضاعفة مَطَالب الأموال، وانّهمَ قَدّ أزمَعُوا إلى الرَّحيل إلى الأمام لشكْوَى الحال. ولّما ارْتَحلْنَا منْ عنْدَهُم سَارُوا مَعْنَا مسافةَ ساعة ونصف ساعة وَهُمْ يَشكُونَ ويَضجّونَ ما بهم، ووادعونا وانصرفوا كلهم الا الشيخ اسماعيل، فسار معنا على ظهر فرسه الى البلد المسمى المحل حيثُ يُؤخَذُ المُجبّىَ عَلى الجمال، وكرَّر الشّكْوى وأطالَ المقالَ، واخْتَصصتْ به وسيالته عَنْ الشّكاية: هَلْ هي لأهل القرية خَاصةٌ أمْ هيَ عَامّةٌ، فأجَابَ إنّها عَامّةٌ لأربع قبائلَ، قبيلَتُهم الجربحيةُ والجرابح[1] والخضاريةُ وصليلُ[2] وأكْثَرُ، فَقُلتْ لَهُ: إنَّ

---

(١) الجرابح: قبيلة من تُهامة، مواطنهم في الضحى، شمالي الزيدية، انظر نشر الثناء الحسن، ٣٣؛ المقحفي، معجم، ١١٤.

(٢) صليل: من قبائل عك في تهامة، مساكنهم في الزَّيْديّة انظر، المقحفي، معجم، ٣٨٥ .

الإمَامَ لا يثقُ إلاّ برهائنَ وأمورٍ موثوق بها، فَقَالَ : كلُّ ذلكَ يكونُ.

ثمَّ انْصَرفْنَا منْهُ آخرَ النّهارِ حَتّى انْتَهيْنَا إلى قرية القَحْمَة[1] إلى جَانبٍ من الليلِ، ثمَّ ارْتحلنَا إلى المُرَبَّعة[2] لَيْلاً، وَصلْنَاهُ في أوّلِ الليلِ وَبتْنَا فيهِ إلى الفَجرِ، وَصلْنَاهُ السّاعةَ الرّابعة، ثمَّ رَكبنَا وَصلَّيْنَا في الطَّريقِ، وانْتَهَى بِنَا السَّيْرُ إلى شروقِ الشّمسِ منْ مطْلعَها، فالتَفَتْنَا وإذَا بالبحرِ عَنْ يمينِنا على أطْرافه أشجارٌ غَيْرُ مثمرة والسَّنَابيكُ تَدورُ في لجّهِ وأطْرافه، يَلْتَقطُ أصْحَابُها الحوتَ ويتفَّرجونَ في ساحته، والطّيورُ تقعُ عليه، فَتَلْتَقطُ رزْقَها، وَنَظرْنَا أمَامَنَا وإذ الحُدَيْدَةُ قَدْ ظهَرتْ مَبَانيها وأشْرَفَتْ أعَاليَها، فَقَالَ بَعْضُ الأصْحَاب: هَهُنَا نَتَوقفُ بَيْنَما يَصلُ النَّاسُ لمُلاَقَاتنَا، فَأجَبْنَا عَليه: نتقدمُ إلى أمَامنَا، فَأصرّوا عَلَيْنَا في البقَاءَ، ثمَّ أجْمَع الرّأيَ عَلَى أنْ نَمْشي الهُوَيْنَا، فمَا تمَّ كَلاَمُنَا حتى طلع أول السواد من أهلها لابسين بيض الثياب ركاباً ومُشَاةً، وعنْدَ ذلكَ أظَلّتْنَا بحمد اللّه السَّحَابُ، وفي مقدّمَتهم رسولُ السَّيّد أحمد الشراعي باشا وابني أحمد عبيد الحرازي وَمَعَهُم **(٥٩ب)** نَحوَ مَتينٍ وفوقَ، وبهمْ اتَّصلَ النَّاسُ منْ ذَلكَ المكانِ، اتَّصلَ النَّاسُ إلى الحُدَيْدَة مسافةَ ثلاثِ

---

(١) القَحْمَة: قرية على وادي ذؤال، شمال شرق زبيد بين بيت الفقية والمنصورية، قرب جبل القحمة، قرية تهامية، انظر المدارس الاسلامية، ٧٢؛ المفيد، ٧٢؛ الحجري، مجموع، ٦٤٧/٢، قرة العيون ٢٣٢ .

(٢) المُرَبّعة: عُزلة في ناحية بني مُسْلِم في وصاب العالي، انظر، المقحفي، معجم، ٥٨٢ .

ساعات، ما يجاوزُ عشرونَ الفاً بكثير، كُلُّهم يحيونَ ويُرحِّبونَ بِنَا وسِرْنَا نَحْوَ ساعة وإذَا بالسَّيد أحمد الشراعي باشا ورؤساء المأمُورينَ، ورؤساءُ السَّادات والعَساكرُ وأعيانُ البلد والعُلَماءُ والتُّجارُ، وَمَعَهُم الطُّبُولُ والنَّوبةُ وعَرَبتان يَسرُونَ كالسَّحاب وخيلاً ورجلاً وبنادقاً يرمون بها، ولمْ يَكُنْ مِنْ عَاداتهم الرَّمْي بالبنادق في الاحتفالات، ومنهم من ينشد الأشعار، ومنهم المداح المعروفين بالدَّواشينَ ومِنْهم ومِنْهم ومِنْهم، وأظْهَروا من الجَفْلَةَ والارتياح مالاَمَزيدُ عليه ما يَعْجُزُ عَنْ وَصْفه اللّسانُ، فَركبْنَا في العربة الأولى، وبَعْضُ الأصحاب والباشا في الثانية، وسِرْنَا سَيراً خفيفاً لكثرة الازدحام، والنَّاسُ عَنْ يمين وشمال وخلف وأمام وقَدْ أظَلتْنَا بحمد اللّه السَّحابُ، وتَطَاوَلتْ لرؤيَتنَا الرُّقَابُ حَتّى قَرُبنا من الحُدَيْدَة مِنْ محلِّ العَساكر الطوبجية على صفة البحَر، وإذَا بالعَساكر السُّلطانيةُ قَدْ اصْطفّتْ للسَّلام والموُسقى تضْدَحَ بنغمة الاحترام، وَعَمَّ السُّرورُ البَلدةَ وأهْلَهَا بأسْرهَا حَتَّى لَقَدْ بَرَزَ كثيرٌ من المُخدَّرات مِنْ خُدورهُنَّ، وَكُلَّمَا مَرَرْنَا بدكان أو كركون أو داق[1] عُثْمانيةٍ أو أجنبيْةٍ خَرَجَ مَنْ بقيَ فيها إلى الأبْواب لإلقاء السَّلام، وإظهار السّرور والاحترام، وَمَررنَا بالمرسْىَ وَفيه السَّنَابيكُ كباراً وصغاراً، والبضائعُ التّجاريةُ تجمعُ إليه ليلاً ونهاراً، ثمَّ وصَلْنَا بابَ الحكومة

---

(١) داغ أو داق، أي علم، وهو دليل رتبة عسكرية .

المشرف علَى البحَرِ وَخَرَجَ الفريقُ عارفُ حكمة باشا[1]، قائدُ الفرقة الرابعةَ عشرةَ، وأميرُ اللواء رشدي باشا، رئيسُ لوازمِ العَسْكرِ السُّلطانيِّ الذي كانَ وَصَلَ قَبْلَ ثلاثة أيّامٍ منْ دارِ السَّعَادة، وَمَنْ بَقيَ منْ الأمَراء والأركانِ العَسكريّة ونائبِ الولايةِ عبدِ الرَّحمنِ أفندي ونائبِ الحَدْيدَة ورئيسِ محكمة البداية، ورئيسِ محكمة التِّجارة ووكيلِ محاسبه جي الحُديَدْة، وكَاتبِ تحريرات اللواء والعَساكرُ مصطفّونَ للَسَّلامِ بمقامِ الاحترامِ، فرَقيْنَا إلى الطّبقة الثانية ولَقانَا متصرفُ اللواء إلى رأسِ الدرجِ نجيب باشا عَليه البهجةُ حَتَّى دَخَلْنَا جَميعاً إلى مَقامه ثمَّ جَلَسَ وأكْرَمَنَا وَرحَّبَ بنَا، ولمّا أخَذْنَا راحتنَا عنْدَهُ وَشَربْنَا القهوةَ أرَدْنَا الانصرافَ، قَامَ مَعَنَا إلى خارجِ البابِ ومَعَهُ جميعُ مَنْ ذكَرْنَاهُ **(٦٠أ)** منْ رجالِ الحكومة، وعندَ نُزولنا أخْبَرَهُ سيدي الفَخريُّ أنَّ حضرةَ السيدَّ أحمدَ باشا الشراعي قد طلبَ نزولنَا في دارِه، وأولادُ أحمدُ عبيد الحرازي، دعونا إلى دارِهم، وكلٌّ يقولُ قد أهبُ مُحْتاجنَا، ولا نرى أنْ نكدرَ بالَ أحد، ولا نخالفَ ما تستحسنُه الحكومةُ، فأجابَ بغاية التلطُّف أنها قد دارت المذاكرةُ قبلَ يومٍ، في هذا الشأنِ، وكلٌّ يقولُ، ينزلُ عندَهُ، وهو يريدُ أنْ نكونَ أضيافاً عندَه، والفريقُ يريدُ أنْ نكونَ أضيافاً عندَهُ، والشراعي باشا كذلك، يقولُ : هو رئيسُ البلدِ، والأحقُّ بالضيافة،

---

(١) عارف حكمة باشا: كان برتبة فريق بحري، تربى في كنف السلطان عبد الحميد الثاني، انظر، مصطفى طوران، اسرار الانقلاب العثماني، ٨٩ .

وأولادُ عُبَيد[1] يريدونَ الضيافةَ عندهم، واستَصوَبُوا أنَّ السيدَ أحمدَ باشا يخلي لنا بيتاً من بيوته نكونُ فيه. وفي ضيافته باسمِ الحكومةِ يومَنا، فكانَ ذلكَ هو الرأيَ السديدَ، وخرجنَا مَنْ الباب، وإذا بالعسكرِ مصطفونَ للسَّلامِ والموسيقى تصطحُ (تصدح)، والناسُ في إزدحامٍ، فسلّمَنَا علَى الجميعِ، وركبنا العرباتِ إلى البيتِ المخصُّوصِ ومعنَا السيّدُ أحمد باشا وخلقٌ كثير، ووصلْنا، البيتَ مفْروشاً بالفرشِ الحريريةِ والكراسي، وكلما تُزَينُ به الأماكنُ الدوليةُ، وأعدَّ مكاناً آخرَ للمنامِ بكلِّ ما يُحتاجُ إليه، وأماكنَ أخرى لمنْ معنَا منْ الأصحابِ والعساكرِ والخدّامِ، وما جلسَنا حتى أُتينا بالقهوةِ ثمَّ الطَّعامِ، وأخبرَنا أنه معدٌ للصَبوحِ، والغذاءُ سيأتي، فأكلَ كلٌ منَّا بقدرِ حاجته، وَعُدْنَا إلى محلِ الجلوسِ، وأقبلَ حضرةُ المتصَّرفِ والقُومنْدانِ، ومنْ أسلفَنا ذكراهم منْ الرؤساءِ والأعيانِ، للتهئنةِ بالوصولِ في سلامةٍ، ولإظهارِ الوُدِّ والسُّرورِ وإعزازِ مقامِ الإمامِ، وكلُّهمُ فرحونَ مُستبْشرونَ، وهذا المتصرفُ كانَ وردَ إلى اليمنَ في باش كاتبية ديوان التمييز، ثم القائمقاميات، وهوَ من الأرانيطِ، صَاحبُ عَفةٍ ومحاسنِ أخلاقٍ، وأخبرَنا أنَّ الواليَ الجديدَ تحسينَ باشا من الأرانيط، وأهلِ العفةِ والاستقامةِ، وهكذا نائبُ صنعاءَ الجديدُ، وما زلنا بقيةَ يومنا نستقبلُ الوفودَ للسَّلامِ. وفي

---

(١) آل عبيد : من قبائل ذو حسين وهم آل عبيد بن حَمد، وآل عبيد بن الشولان من ذو حسين ومساكنهم بَرط. انظر : الحجري، مجموع، ٢/٥٧٥؛ المقحفي، معجم، ص ٤٢٦.

المساء جاءَ أهلُ الموسيقى يبرعونَ بألحانهم عندَ البابِ، وهكذا كلَّ ليلةٍ، مدةَ لُبثِنا في الحُدَيْدَةِ، وقد بتْنَا ليلتَنَا في أنعْمِ حالٍ على فرشٍ وكراسي وسكونِ بالٍ، وأكْرَمنا ربُّنا في يومِ وصولِنا بمطرٍ (٦٠ب) سكنَ به الحرُّ، وغيمٍ ارتاحَ به كلُّ ذي روحٍ، وعدَّ ذلك من النعمِ غيرِ المترقبةِ ومن الدلالاتِ على حسنِ العاقبةِ، وكان السيدُ أحمد باشا قد أعدَّ لنا الخدمَ والأعوانَ وأمرهم بتحصيلِ كلِّ ما يلزمُ بلا استئذانٍ، حتى الماءُ الحارُّ والصابونُ، فاغتسلنا، وأزلنا ما كان علينا من درنِ الأسفارِ في يومِ وصولِنا.

وفي ثانيه، وأُتينا بأنواعِ الأطيابِ وأنواعِ البخوراتِ، وأنواعِ الزهورِ في أوانٍ من الصينِ المنقوشِ، يفوحُ منها الروائحُ الطيبات.

وفي يومِ الثلاثاء، وهو اليومُ الثاني من وصولِنا، دعا السيدُ أحمد باشا المتصرفَ والقُومنْدانَ ورئيسَ اللوازمِ والنائبين وغيرَهم للضيافةِ، ومهّد مائدة فيها أنواعُ المآكلِ، حافلةً بما يُشتهى ويُرامُ.

وبعْد الطعامِ جلسنَا للمذاكرةِ معهم، ومجاذبةِ أطرافِ الكلامِ، وذكرِ فوائدِ حقنِ الدماءِ بينَ أهلِ الإسلام، وأُشيرَ إلى المتصرفِ عن كيفية تعاطي بيننا وبين الإمام، فأجابَ من دون توقفٍ ولا تردد: يكونُ ذلك بواسطته، فما كانَ ظاهراً رسميًا ظهرَ ومَا كانَ سرًّا غير مراد إظهارُه، جُعِلَ في ظرفٍ مختومٍ، وأرسلَ به إليه، وهو يرسلُ به مختوماً

إلى الجانبين ومن الجانبين إلى أنه يحسنُ أمرٌ من الصدارة العظمى إليه بذلك، ثم قبيلَ عزمِهم، سألونا عن سببِ عدمِ وصولِنا إليهم لردِّ السلامِ عليهم، فأجبْنا عليهم أن مدةَ السفرِ اثنا عشرَ يوماً اتعبنا، وإنما أخّرنا ذلك لذلك، وإنّا إليهم عقيبَ الصلاة، نمرُّ عليهم ووادعونا بعدَ ذلك، وساروا إلى مقاماتهم ومحلاتِ مأموريّاتهم، ونحنُ صلّينا العصرَ، ووفدَ علينا جماعةٌ للزيارة، منهم الشيخ جابر رزق الشاعر، المشهورُ له أشعارٌ حكميةٌ موزونةٌ وحمينيةٌ غيرُ موزونةٍ تجاوزُ ثلاثةَ آلاف قصيدة وامتدحَنَا بقصيدةٍ في غايةٍ من البلاغةِ والفصاحة، ومعلمُ المكتبِ الابتدائي في الحُدَيْدة أيضاً، قدّمَ إلينا قصيدةً، وآخرُ أيضاً قدَّمَ قصيدةً، أما الأولى فأملاها شفاهاً، وأما الثانيةُ والثالثةُ فأُرسلتا إلى شريفِ المقامِ المتوكلي عيْناً، ثمَّ بعدَ العصرِ توجهنا مع السيدِ أحمد باشا الشراعي لزيارةِ القُومندانِ ثم المتصرفِ راكبين عربتين، فما أتمْمنا (٦١أ) الزيارةَ لها إلا وقدْ غابت الشمسُ، وعُدنا إلى البيتِ مَعَه، وصلينا العشائين وطعمنا وشربنا معه قليلاً، ثم سارَ إلى داره، وبعدَ قليلٍ، أخذنا مراقدَ، فنمنا في راحةٍ على الكراسي والفرشِ المعدّة، لنا.

وفي صبحِ الأربعاء، وصلَ السيدُ أحمد باشا، وقد كُنَّا أعلمْنَاه، وأعلَمَنا المتصرفَ بأننا سننتقلُ للضيافةِ عندَ الحاجِ مرجان الحرازي لتطييبِ نفسه، فجلسَ الباشا قليلاً معنا، وأحضرَ العربتين على حسبِ

العادةِ في اليومين الماضيين، وخرجنا معه، فسارَ بنا أولاً : إلى محل المكينتين، اللتين تعملُ أحدُاهما تجميدَ الماءِ بالنار، والثانية تزيلُ ملوحةَ ماءِ البحرِ، وتصيّرُه حُلْواً. ولهما آلاتٌ عجيبةٌ، وصناعاتٌ غريبةٌ، يوقَدُ عليهما بالفحمِ الحجري، ويستجران الماءَ من البحرِ، بأنابيبَ ويعتصرانه، وحاصلُ عملِ المكاناتِ والطواحين والبوابير تدفعُ البابورَ إلى قدامه، وكانتا واقفتين عن العملِ، وإنما أمرَ الباشا بالعملِ ليُرينا ويعرِّفَنا، ثم خرجْنا في الساعةِ الرابعةِ إلى مقامِ نائبِ الحديْدةِ وصنوه نائبِ صنعاءَ الجديدِ، فجلسنا في المحكمةِ الشرعيةِ، وهو بيتٌ كبيرٌ وسطَ الحُدَيْدةِ، وكان جلوسُنا عندهما قليلاً، وهما يتكلفان الكلامَ بالعربيةِ ليُعْرَفَ علمُهما بها، واقتدارُهما على التكلّمِ، وما زالا يظهرانِ سوءَ حالِ الدورِ الأول، والادارةِ السابقةِ، ويذكران ما تصيرُ إليه الأحوالُ بعدَ التبديلاتِ اللاحقةِ، وكان نائبُ الحديدةِ يصفُ ما هو الذي تصلحُ به أحوالُ اليمنِ، ويقول : إنه لا يُحْسِنُ الكلامَ عن غيرِ سوءِ أعمالِ المأمورين، وطلبَ مأمورين من أهلِ العفةِ المجرَّبين، وبعدَ وقتٍ، خرجنا من عندهم، ومرينا بمحكمةِ البدايةِ، وهي في الطبقةِ الثانيةِ من الدارِ المذكورة، والرئيس نفسُه من أبناءِ العربِ ذو فصاحةٍ وطلاقةٍ وإلمامٍ، لابسُ ملابسَ الملكيةِ طربوشاً وجوخاً أسود، وبقينا عنده برهةً، ثم سرنا ومعنا الباشا إلى محكمةِ التجاريةِ، فتلقى الرئيسَ

والأعضاءَ والكتابَ تلقيا حسناً، وهو في بيتٍ في الجانبِ اليماني عالٍ مشرفٍ على السوقِ، وغيرِ منتظمٍ بالنسبةِ إلى ما قبله، وهو رجلٌ ظريفٌ أديبٌ، لكنه يصعبُ عليه التكلُّمُ بالعربيةِ، وإن فهم معناه من المتكلمين به (٦١ب) وظهرَ من كلامه أن له وصلةً بمحرري الجرائدِ، وأنه من المخبرين، وهكذا رئيسُ محكمةِ البدايةِ، ولما أتممنا إعادةَ زيارتهم على الوجهِ المألوفِ عندهم، وقد آنَ وقتُ الظهرِ، ووصلَ رسولُ الحاجِ مرجان الحرازي يستدعينا، سرْنا إليه، وفارقَنا الباشا عازماً إلى الحكومةِ، ومرينا من طرفِ السوقِ الموصلِ إلى بيتِ الحرازي، وتلقنا هو وكثيرٌ من التجارِ إلى نصفِ الطريق الذي فيه الدار مرحبين يتقدمُهم أحمد الكبير وأحمد الصغير ابنا أحمد عبيد الحرازي، ودخلنا وإذا بدارٍ عظميةٍ مبنيةٍ على قاعدةِ بناءِ دورِ الأمراءِ في بلادنا، فائقةٍ في الانتظامِ، مفروشةٍ بأنواعِ الفَرشِ الحريريةِ والكراسي النفائسِ الثمينةِ، ثم مدَّ مائدةَ الطعامِ في حجرةٍ واسعةٍ، حولَها الكراسيُّ الهنديةُ، وهي لكلِ نوعٍ من الأطعمةِ جامعةٌ، وكثيرٌ من التجارِ قائمونَ في الخدمةِ مع ابنيْ أحمد عبيد ومرجان، ويقدمون الأطعمةَ مع العبيد، وقد عمَّت الزينةُ المكانَ. ثم بعدَ الطعامِ عُدْنا إلى المحلِّ الأولِ، وشرْبنا القهوةَ فيه، ثم قمنا للصلاةِ، وفُرشت السجاجيدُ، وأُحْضِرت المياهُ، وقُدِّمتْ الأباريقُ والقباقبُ النعالات.

وبعدَ الصلاةِ فرَّقَ علينا أطيبَ ما يوجد من القاتِ، وطيَّبَنا بأطيبِ المشمومات، وبقينا عنده إلى الغروبِ، وخرجنا شاكرين، ولحسنِ صنيعهم ذاكرينَ، وأودعناه بعضَ ما استغنيا عنه من ملبوسنا، وكانَ قد وصلَ في صُبحِ يومِ الثلاثاء بابوران أحدُهما يسمّى القهوجي، والثاني بوسطة خديوي.

وفي نهارِ هذا اليومِ أُخْبِرنا من الحكومةِ بأنَّ البابورين اللذين وصلا يومَ الثلاثاءِ قد أزمعَا على المسير: القهوجي إلى عَدْن، والمصري إلى السويس، وأن المصارفَ المحمولةَ لنا من الحكومةِ قد أُحضرتْ وأُرسلتْ إلينا سنداتُها؛ نختمُها وشرينا ما نحتاجُ إليه من ملابسِ البحرِ والثلجِ، لنا ولأصحابنا، وسألنا: أيُّ البابورين أصلحُ فأجمعَ الرأيُ على اختيارِ القهوجي إلى عَدْن[1]، ومن عَدْن سيوجدُ بابورٌ إلى السويس أو إلى الاسكندريةِ أو إلى الآستانة[2]، فكرهتُ الوصولَ إلى عدن خشيةَ عدمِ وجودِ بابورٍ حاصلٍ، فيؤدي إلى بقائنا في عدن مدةً، فاقتضى

---

(١) عَدْن: مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن في الجنوب، مرفأ المراكب القادمة من الهند والحجاز والحبشة، يحميها جبل شمسان وبها قلعة حصينة. انظر: صفة جزيرة العرب، ٥٣؛ معجم البلدان، ٨٩/٤؛ مراصد الاطلاع، ٩٢٣/٢؛ الحجري، مجموع، ٥٨٢/٢؛ طبق الحلوى، ٧٣.

(٢) الاستانة: عاصمة الدولة العثمانية، تربط آسيا بأوروبا، معروفة ومشهورة من أسمائها، القسطنطينية، بيزنطه، استانبول.

العزمُ على الركوبِ (٦٢أ) في بابورِ البوسطةِ الخديوي، بعدَ أن اكْتُشِفَ أنَّ البابورَ القهوجي لا يجاوزُ من الركابِ زيادةً على اثني عشر، ووصلَ الإعلامُ من المتصرفِ أنَّ الأوامرَ من الصدارةِ تتابعتْ بالاستعجالِ فوصلَ أحمد شوقي البيكباشَ الموكلُ بالمحافظةِ علينا، ووكيلُ الاشتراكيةِ إلى حضرةِ المتصرفِ، وحضر معهم الشراعي باشا، وتراجعوا في شأنِ النوال[1]، فكانَ نوالُنا في القمرةِ الثانيةِ على كلِّ واحد، ثمان ذهبات وكسور بثمانين ريالاً وكسور إلى السويس، ومنْ في ظَهْرِ البابورِ خمسُ ذهبات، كذلك إلى السويسِ، فصحَّ جملةُ نوال التسعةَ عشر بالعسكرِ الخمسة المحافظينَ مع أحمد شوقي إلى السويسِ مئةُ ليرة، وأربعَ عشرَ ليرة وكسورُ عثمانية، تسلمتْ من حضرةِ المتصرفِ إلى وكيل اشتراكية البوابين، ثم قدروا محتاجاتنا ومصروفاتنا إلى الآستانة، وسلموها إلى الأصحابِ، لم أعلمْ كم هي قبضَها سيدي العلامةُ العزي محمدُ بنُ أحمد الشامي، وتولى الخرجَ سيدي العلامةُ الفخري عبدُالله بنُ ابراهيمَ، وسلّموا لنا قالوا : عشرون ليرةً لكلِّ واحدٍ من الخمسة السادة والحقير، وأما المعيةُ فلم يذكروهم، واشتروا جميعَ المحتاجات، والسيدُ أحمد باشا الشراعي حصلَ مايحتاجُ إليه من القاتِ ونحوه، وأصلحَ الصافي بالغربالِ وفرَّقَه في

---

(١) أجرة السفر بالبابور.

أكياسِ مختلفة، هذا وقد أوسعتُ الإطنابَ في سفرِ البرِّ، ومانلناه من الإكرامِ، وما رأيناه من الشقاتِ الخاصِّ والعامِ إلى مولانا الإمامِ مع اختلافِ المذاهبِ والملل، وكلُّ ذلك من جهةِ اللهِ عز وجل، ومن هنا توجَّهْنا لركوبِ البحرِ، متوكلين على علاَّمِ الغيوبِ، فخرجنا من بيتِ السيدِ أحمد شراعي، وقد خرجَ المأمورونَ والمتصرفُ والقُومندانُ والعساكرُ وكثيرٌ من الخاصةِ والعامةِ للوداَع، ولولا دفعُ العسكرِ للعامةِ عن السلامِ لذهبَ النهارُ، ثم ركبّنا القطيرةَ حقَّ الشراعي، وضربنا السلامَ منها، وتوكلنا قائلين :

بسم الله مجراها ومرساها، صباحَ يومِ الخميسِ ثمان عشرين خلتْ من شهرِ الحجةِ الحرام سنة ٢٦، وسهَّل اللهُ العبورَ إلى ذلك البابورِ في نحوِ ساعةٍ ونصف، وصرف اللهُ عنا التعبَ بسكونِ الريحِ أزيب، ودخلنَا البابورَ سالمين، شاكرينَ لربِّ العالمين، وأما دوخةُ البحرِ الاستفراغيةُ والتغييراتُ الصفراويةُ، فلم ينجُ منها في تلك الليلةِ واليوم **(٦٢ب)** إلا الحقيرُ العاجزُ، بتفضّلِ الملكِ القديرِ، كما في سفرنا في البحرِ للحجِّ ذهاباً وإياباً. مع تفاوتِ الدايخين، ومرَّ بنا البابورُ مرَّ السحابِ، قطعِ المسافةَ من الحديدةِ إلى مصوّع[1] في ثمانٍ وعشرين

---

(١) مصَوْع : جزيرة في البحر الأحمر، يربطها بالبر جسر طوله ١٨٠٠م، وعرضه ١٠م، ميناء ارتيريا، وهي مركز محافظة مصوع، قربها جزيرة دَهلك. انظر : تاريخ السودان القديم وجغرافيته، نعوم شقير، ١٩٠٣، ص ١٠٦.

ساعةً من أوّلِ الخامسة، يومَ الخميسِ الثامنَ والعشرين من شهرِ الحجةِ الحرامِ، سنة ٢٧ إلى ثامنةِ نهار الجمعةِ التاسعِ والعشرين، وفيه مررنا بجزائر صغيرة عن يميننا وجبالٍ عن شمالنا، أخبرنا إنها بَرٌّ عجمٍ، وأما التي عن اليمين، فهي جزائر دهْلَك[1]، وأُرينا أبنيةٍ كأشكالِ المناراتِ وسَطَ البحرِ، فيها فوانيسُ للبوابيرِ تمرُّ عليها لئلا تضلَّ عن الطريقِ.

ولما وصلْنا إلى مصوع، ورأينا مرساه، وإذا به ظهرَ لنا ضعفَ اسكلةِ الحُدَيْدة وبناها مع ما بلغَ من كثرةِ المصاريفِ في بناءِ مرسى الحديدةِ والحوض، وأنه بلغَ أنَّ الحكومةَ قد صرفت خمسة عشر ألفَ ليرةٍ ذهباً لسلامةِ الركابِ من استنشاقِ روائحِ أباطٍ على ظهورهم إلى السنابيكِ عندَ دخولهم، ومنها إلى الجمروك عندَ خروجهم، وإن كانَ ذلكَ الحوضُ مما لا يناسبُ نسبته إلى أعمالِ الحكومةِ، وكان ينبغي أن ينسبَ إلى فردٍ من أفرادِ المأمورين الذين سلبوا أموالَ عبادِ اللهِ، وأمرُهم إلى الله.

هذا، ولقدْ أخبرَنا منْ في البابورِ الذي ركبْنا فيه، وهو المسمّى مصر، ومكتوبٌ فيه بالقلمِ الفرنساوي اسمه ميسير من المأمورين والعمالِ، أنهم لم يسافروا في البحرِ الأحمرِ مثلَ هذه السفن، فإنه كثيرٌ

---

(١) دَهْلَك: جزيرة قريبة من الحبشة، في البحر الأحمر، شوقي ميناء مصوع بمسافة ٤٣كم في مواجهة جزيرة فرسان، على الساحل الغربي. انظر: تقويم البلدان، ٣٧١؛ الروض المعطار، ٢٤٤؛ إطلالة على البحر الأحمر، ٤٨.

مـا يكونَ به من العـوثِ واللوثِ، ولايكادُ يسلمُ أهلُه من العـبثِ ولا المـأمـورون أنفسُهم من الدوخةِ واللوثِ.

نعم، وبعد استقرارِه، وردَ قربَ السنابيكِ منَ العمْران، وإن أبعدَها لايبعـدُ عن مرسى البـابورِ قدرَ أكـثرَ من دقيـقتـين، خرج البـيكباش، وبعضُ الأصحابِ لشراءِ ما يحـتاجون إليه، وتأملنا المحلَّ وإذا هو على شبهِ قـوسٍ. وفي الجانبِ اليماني منه دكـاكينُ وقهاوٍ مـبنيةٌ على نسقٍ واحدٍ، وفوقهـا أماكنُ، وخلفها مبانٍ جـسيمةٌ ومسجدٌ فـيه منارةٌ، تقامُ فيه الجـمعةُ للمسلمـين، ويخطبُ فيه لسلطانِ الإسـلام، وفيه نزالُ والٍ لدولةِ إيتاليـا، وحاكمٍ شرعيٍ يحكمُ بين المـسلمين بمذهبِ أبي حنيـفة النعمانِ واسمُـه حسين كان أبوه قاضياً قـبله، فلما مات أبوه، وكان هذا قد هاجرَ إلى زَبيد[1] وحصلَ العلومَ من (٦٣أ) من مشايخِ زبيد نُصِّبَ مقامَ والدِه، وقـام بالوظيفةِ وإليه مرجعُ جـميعِ حكّامِ الولايةِ، وله كلمةٌ مـقبـولةٌ، ونفوذٌ تامٌّ عندهم، وأمـا المـحاكـمةُ الدوليـةُ، فالحكمُ فـيهـا للمسيـحي على المسلمِ مطلقاً، وللمـسلمِ الغنيِّ على الفقيـرِ غالباً، ومن الجـانبِ الغربيِّ إلـى الجانبِ الشـرقيِّ طريقٌ على قناطرَ تـقطعُ البحـرَ

---

(١) زُبيد : وادي زبيد، مشهور يصب في تهامة ثم في البحر الأحمر، خصب وأطلق اسم الوادي على المدينة التي كانت تسمى الحُصيب، يقال أن محمد بن زياد هو الذي اختطها. انظر : الإكليل، ٣٠١/١؛ الفضل المزيد، المقدمة؛ الأكوع، البلدان اليمانية، ٨٩؛ الحجري، مجموع، ٢٦٢/١؛ المقحفي، معجم، ١٧٦.

وتخرجُ إلى البرِّ، يبلغُ طولُها فوقَ ألف ذراعٍ، تمرُّ فوقَها العرباتُ والجمالُ بأثقالِها، ورأينا قافلةً تحملُ أثقالاً قيلَ إن كلَّها حنطةٌ وقدُرها نحوُ مئةِ جملٍ وفي هذا البحرِ قبةٌ مرتفعةٌ وأسفلُها في الجانبِ المواجهِ لجهتنا بنايةٌ خارجٌ عنها، متصلٌ بها كأنه من جملةِ بناها له سبعةُ عقودٍ وأوسطُها فيه البابُ وثلاثةٌ عن يمينه وثلاثةٌ عن شماله وفوقه سقفٌ له رواقان، وفوقه أيضاً سقفٌ مثلُه، والقبةُ مشرفةٌ فوقَ ذلك كلِّه، أُخْبِرْنا أن هذه القبةَ من مآثرِ محمد علي باشا، أميرِ مصرَ الأسبقِ، قد كانتْ خاربةً فأصلحتْها الدولةُ الإيتالية، وأبقتها على حالِها وحولَها بساتينُ ومفارجُ. وفي الجانبِ الشامي أيضاً يفصل بينَها وبينَ ما قبلَها البحرُ، وحوضُ المرسى، مبانٍ عظيمةٌ عكسريةٌ وفابريقاتُ يطلعُ منها دخانُ الفحمِ الحجري، وتخرج منها رجالٌ لم نقفْ على خبرِها، والسنابيكُ تختلفُ ليلاً ونهاراً، وبتنا ليلتَنا فيه وأقمْنا به يومَ السبتِ غرةَ شهرِ محرم، سنة ٢٧، ويومَ الأحدِ إلى الساعةِ السابعة نهاراً، وقتَ الظهيرةِ، والبابورُ يُخْرِج البضائعَ للبندرِ، ويدخلُ منه بضايعَ، ونحن نتفرجُ ونرى الفوانيسَ البحريةَ والجبالَ على بعدِها عنَّا.

ثم شمّر البابورُ، وسرنا فيه متوجهين جهةَ الشامِ، تقطعُ البحرَ، والحوتُ تلعبُ فيه الصغارُ والكبارُ، والفناراتُ المبنيةُ محلاتُها من القرارِ، ومررْنا بجزائرَ صغارٍ منها جزيرةُ دفين، وكان سيرُ البابورِ

أحسنَ مما قبلَه في اليومين، حتى وصلْنا سواكن[1] يومَ الإثنين الساعةَ العاشرةِ، وحالَ وصولِنا انتقلْنا منه إلى بابور برنس عباس، بابورِ البُسطةِ الخديويةِ، ونقلت السنابيكُ الرجالَ منا والأثقالَ إلى البابورِ المذكورِ وتأملْنا مرساه فإذا هو أحسنُ من مرسى مصوع، وأقربُ إلى المحلِّ، فالبوابيرُ ترتبطُ إلى مرابطَ مقررةٍ **(٦٣ب)** لها مبنيةٍ في البحرِ، لا تبعدُ عن العمرانِ أكثرَ من عشرين ذراعاً، والسنابيكُ تلتصقُ بالعمرانِ. ولا بأسَ بأنْ نذكرَ صفةَ البابورِ من قبلِ أنْ نذكرَ صفةَ البندرِ. أما البابورُ الأولُ، فطولُه مئتان وأربعون قدماً، وعرضُه خمسةٌ وعشرون قدماً أو ثلاثون قدماً، وفيه طبقاتُ مخازينَ محاذيةٌ للماء، وفيها البضائعُ التجاريةُ، أخرج منها ما أخرجَ في مصوْع وردَّ غيرُه، وفي الثانيةِ، القمرةُ الثانيةُ، وهي عبارةٌ عن حجرٍ فيها سبعةُ أماكنَ صغيرةٍ، في كلِّ مكانِ فرشان أو أربعةٌ على قدْرِ سعتِها، ومحلُّ الفرشِ عبارةٌ عن صفين من خشب في عرضِ جدارِ البابورِ يشبه مذودَ العلف، يتْسع اضطجاعَ شخصٍ معتدلِ القامةِ وجلوسَه، بحيثُ يكونُ حالةُ جلوسِه لاصقاً بالفرشِ الذي فوقه مثله للفراشِ الثاني، وفي وسطِ الحجرِ ماصة[2] من الخشبِ حولها كراسي يجلسُ عليها منْ يريدُ الأكلَ

---

(١) سواكن : مدينة سواكن على الجانب الغربي من ساحل البحر الأحمر، على بعد ٢٧٠ ميلاً من السويس، و ٢٠٠ ميل من جدّة. انظر : محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن البحر الأحمر، ٢٣.

(٢) ماصة Masa مفرد ماصات، كلمة تركية ومعناها طاولة أو مائدة.

على ظهرِ الماصةِ، وهي تحتُّة، وخارجَ هذه الحجر مكانٌ لأحدِ المأمورين، ويليه بيتُ الخلاء، وإلى هذا البيت قصبةٌ يخرجُ منها الماءُ، لعلّهُ وقت سيرِ البابورِ واشتغالِ المكاين، فإذا سكنَ البابورُ سكنَ الماءُ في وسطِ طابقٍ يفتح وينزلُ منه إلى المخازينِ السفلية، وخلفَه خزانةُ الماء الحلو، ويستطلعُ منها بأنابيبَ ومصاصة تُحرَّكُ باليد، وخلفها بيتُ النارِ الذي يوقَّد فيه لحركةِ البابورِ ولجرّ الأثقالِ، وخلَفه أماكنُ للطبخِ ونحوه وخلَفها طابقٌ مثلُ الأولِ، وخلفَه مكانُ الطبيبِ وبعضُ المأمورين ومحلٌّ العلامات، ومن خلفها الآلاتُ التي يعادَلُ بها سيرُ البابور، وفي جانبي هذه الأماكنِ بضائعُ تجاريةٌ وقصباتٌ من الحديدِ، طويلةٌ لها ليٌّ في أعاليها، يُرْبط بعضُها ببعضٍ أو يرُبطُ شيءٌ آخرُ غيرُها من دونِ لحامٍ، وتأملتُها، وإذا طرفي القصبةِ أحدُهما أدقُّ من الآخرِ، الدقيقُ في خارجه لولابٌ، والجاسرُ في جوفه لولابٌ، تلوبُ كلٌّ واحدة في الأخرى، وأُخبرْنا أولاً إنها يُوصلُ بعضُها إلى بعضٍ، وتجرُّ الماءَ إلى سواكنِ، وبعد، تبينَ أنها أعمدةٌ لخطِ التلغراف، وأن عددها ثلاثةُ آلافٍ وستةَ عشرَ عموداً.

وهي مما أخرج في مصوع مع الأموالِ التجارية. والطبقةُ الرابعةُ فيها سطحُ البابورِ، يصعدُ إليه من موضعين، وكلٌّ منهما سلَمٌ خشبٌ فيه درجٌ فيه صفايحُ من النحاسِ، وفي هذا السطحِ مخزان مكتوبٌ عليه

أنه محلٌّ معالجِ الأمراضِ، وهو فوقَ الطبقةِ الثانيةِ، وتجلسُ عليه امرأةٌ من زُنجبار (٦٤أ) تريدُ الحجَّ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ، وستجاورُ البيتَ إلى السنةِ الآتيةِ ومعها عبدٌ اسمُه مرجان وجاريةٌ، لا يبلغُ عمرُ العبدِ العشرين له أدبٌ كاملٌ يخدمانها وعليهما سجيةُ العفةِ والصلاحِ، وتؤدي الصلواتِ الخمس على أوقاتها، وفوقَ الطابقِ الأولِ طابقٌ مثلُه يتّصلُ به عمودُ الدقلِ الذي يُنصبُ فيه أحدُ البيارقِ وهي الصُّغرَى، علامةُ الكرانتينة، وفيه عمودٌ عرضي له عَجلاتٌ، تحرِّكُها سلسلةٌ متصلةٌ بعجلاتٍ تحرَّكُ بالبخارِ، وحبالٍ بأيدي الملاحين تميلُه يميناً وشمالاً، وبواسطةِ هذه السلاسلِ تأخذُ هذا الأثقالَ من البطنِ إلى الهوا، ثم تجدبُ بالحبلِ من الهوا إلى خارجِ البابور، ومن السكّان[1] إلى الهوى إلى داخلِ البابورِ أيضاً على إشارةٍ من المأمورين مخصوصةٍ، وهو يعلقُ في المرةِ الواحدةِ ثمانيةَ أكياسٍ من الأرزاقِ ونحوِ تسعةِ صناديقَ من القازِ ونحوِه، ومن خلفِ بيتٌ للنارِ له طاقاتٌ تفتحُ وتنصبُ لها أعمدةٌ، فتكونُ مستويةً يجلسُ عليها، وقد قعدنا عليها ونحن ثمانيةٌ نأكلُ ونتفرجُ. وعند الحاجةِ تطبقُ فلا يبقى إلا ظهرُها في عرضِ نصفِ ذراعٍ، وهي أبعدُ أطباقِها تكونُ في شكلِ مسنمٍ كظهرِ الدواب، وخلفها قصبةٌ الدخانِ كبيرةٌ لا يكادُ يلوي عليها اثنان أيديهما، ومن خلفِها سقفُ

---

(١) السّكان : المقود.

الطابقِ الثاني كالأولِ، وخلفَهُ العمودُ الذي للدقلِ وجرِ الأثقالِ مثلُ الذي قبله، ومن خلفه القمرةُ الأولى أحسنُ من أماكنِ القمرةِ الثانيةِ في زينتها وخلفَها مقدمُ البابورِ محلُّ البروصي[1] الذي يرسلُ إلى قعرِ البحر عند اسكانِ البابور والدولابُ الذي يقومُ عنده البابورُ بموازنةِ السيرِ، بيده عجلةٌ من خشبٍ يديرُهَا يميناً وشمالاً، وبين يديه طاسةٌ مثلُ ساعةٍ من الساعاتِ التي تكونُ في دوائر التلغرافِ. وفي أماكنِ البيوتِ موضوعٌ على كرسي من النُحاسِ، وفيها أرقامٌ وأعدادٌ كأعدادِ الساعاتِ بشكلٍ آخر على خطوطِ الهندسةِ، وهي تحتركُ لحركةِ ميزانِ القبلةِ الذي يدورُ إلى جهةِ القطبِ، ولم يزلْ ناظراً فيها، وعليها يحركُ العجلَ ويديرُ البابورَ يميناً وشمالاً كما يديرُ الفارسُ الرسنَ للفرسِ، وأما عظمُ سلاسلِ البروصي وكبرُه وسايرُ الحبالِ والسلاسلِ فهو ماقد عُرفَ في جهاتنا بالوصفِ ممن قد عرفَ، من بالمشاهدةِ، لبعضها، حاصلُها أن ميزانَ الحلقةِ الواحدةِ **(٦٤ب)** من حَلْقِ السلسلةِ يجاوزُ وزنها خمسةَ أو ستةَ أرطال وفيه سنابيكُ[2] مربوطةٌ، وفي كلِّ مكانٍ من القمراتِ أكياسٌ داخلَها أوراقٌ تشبهُ الكيرَ الذي تشبُّ نيرانُ الحدادين ولعلّها معدةٌ للطيرانِ عليها، إن حدثَ حادثٌ على البابورِ ما يوجبُ الفرارَ منه، ويسيرُ هذا البابورُ في الساعةِ من ستةِ أميالٍ إلى ثمانية.

---

(١) البروصي : المرساة.

(٢) السنبوك : قارب صغير، معروف في اليمن.

وأما البابورُ الثاني، فطولُه يزيدُ على الأولِ، بمثلِ نصفه وعرضُه كذلك ومخازينه تحتَ الماءِ وكالأول، والطبقةُ الثالثةُ فيه، فيها القمرةُ الثانيةُ، مسقوفةٌ مبيضةٌ حيطانُها، وسقفُها لاترى فيها أحمرَ إلا الشرشرة في الأبواب، وبين كلِّ بابين عمودٌ عرضي في حلقتي نحاسٍ أصفر من يمينٍ وشمالٍ متصلين بنحاسٍ يدار في أطرافِ الأعمدة، لها ألوانُ الذهب. وهذه الأعمدةُ جُعلتْ على شكلِ المنطقةِ في الحيطان، يستمسكُ بها من أرادَ الاعتمادَ على الجدارِ حتى لاتقعَ يدُه على الجدارِ فتؤثر فيه.

وفي النصفِ المؤخرِ منها، وهو الذي نزلنَا به أربعةَ عشرَ مكاناً ذاتُ أبوابٍ مُقْفَلَةٍ، ومجلسٌ على شكلِ قوسٍ في منتهى الأماكن، وهو آخرُ البابور. في مجموعة هذه الأماكنِ أربعون فراشاً كالتي في الأولِ، باعتبار ركونِ المواضعِ واحداً فوق واحد، غيرَ أنَّ هذه قد جعلَ حائطَ البابورِ فيها مُسَنَّماً، فالفراشُ الأسفلِ خارجٌ إلى وسْعة، وفي المكانِ والذي فوقَه داخلُ فيتمكنُ الجالسُ من رفعِ رأسه هذا فيما هو لفرشين.

وأما ما فيه أربعةٌ فالجلوسُ في الأسفلِ كالأول. وفي كلِّ مكانٍ طاقةٌ لها بلورةٌ مطوقةٌ غليظةٌ تزنُ نحوَ عشرةِ أرطالٍ على أنها في الحجم تماثلُ حجمَ زجاجةِ أوسطِ ساعةٍ من ساعاتِ حيطانِ الأماكنِ.

وفيها أحجارُ المرمرِ منصوبةٌ ارتفاعُها قدرَ ذراعٍ ونصفٍ من قاعدةِ المكانِ، أعلاها محفورٌ لصبِّ الماءِ كالحوضِ الصغيرِ، وفي وسطه خرقٌ له مسدةٌ مخصوصةٌ تجرُّها بسلسلةٍ، فإذا امتلأ من ماءِ الغسالاتِ أزال المسدّةَ فيخرجَ الماءُ إلى خزانةٍ تحته في نفسِ الحجرِ. وفي هذه الخزانةِ حديدٌ مصبوغٌ بالحمرةِ معمولٌ على قدرِها يسعُ ما في الحوضِ من ماءٍ (٦٥أ) فيأتي خادُم الحجرةِ ويأخذُ ما فيها في كلِّ صبحٍ، ويسكبُ ما اجتمعَ فيها من الغسالاتِ ونحوِها. وتحتَ هذه الخزانةِ خزانةٌ في نفسِ الحجرِ أيضاً أصغرُ منها، فيها إناءان من حديدٍ مطليٌّ بصبغٍ أحمرَ يملآن ماءً للغسلِ والوضوءِ، وكلَّما دخلَ غريبٌ لا يعرفُ العادةَ أتى صاحبُ خدمةِ هذه الحجرةِ، وأعلمه بكلِّ مايحتاجُ إليه، وما هو الممنوعُ عندهم، وفي أسفلِ الحيطانِ وأعلاها أخشابٌ مبيضةٌ محزمةٌ على نسقٍ واحدٍ، ونقشٌ فيه تخريمٌ يزيدُ في انتظامِ البابورِ ولاختلافِ الهوا فيه داخلاً وخارجاً يساعدُ، وبعد هذه الأماكنِ دكانٌ للأجزاءِ الطبيةِ، ومخزانَات للخدمِ خاصةٌ لهذه الغرفِ المحكيةِ ومن بعدِها حمامٌ فيه حوضٌ من المرمرِ كبيرٌ، ينصبُّ إليه الماءُ من قصبتين حاراً وبارداً بأنابيبَ ودواليبَ على حسبِ الحاجةِ، وبعده مكانٌ للوضوءِ، وفيه ما ينبغي من آلاتِ المغطسِ على أحسنِ الأساليبِ، وبعدَه محلُّ الخلاءِ، وفيه قصبةٌ لغسلِه كالتي في البابورِ الأول، إلاّ أنّ موضعَ الاستبراءِ منحوتٌ من

المرمرِ محفورةٌ وسطُه لئلا يتلوثَ من يريدُ قضاءَ الحاجةِ في أثناء البرازِ، ولا عندَ أن يتحولَ، وكلُّ محلٍ بابُه مستقلٌّ وفرشُ هذه الأماكنِ وأدفيتُها مستحسنةٌ نظيفةٌ لكلِّ نازلٍ فيها، وفي حجرتها ثلاثُ ماصاتٍ للطعامِ مغطاةٌ بالجوخِ الأحمر، وعندَ الاستعمالِ يوضعُ عليها غطاءٌ من البُزِّ الأبيضَ، وفيه قناديلُ الكهرباءِ في كلِّ مكانٍ ومخزان، ومطهارٌ واحداً واحداً. وفي الحجرةِ ثلاثةَ عشرَ وثلاثُ لامباتٍ كبارٍ ومرآةٌ لطولُها ذراعان، وعرضها ذراعٌ ونصفُ الذراع، وبها صوبةٌ توقدُ فيها النارُ عندَ اشتدادِ البرد، وعمودٌ كبيرٌ من الحديدِ مطليٌّ بالحمرةِ والبياضِ، وعند كلِّ تختةٍ من تخت الطعامِ كرسيان بطولها من الجانبين، يجلسُ على الواحدِ أربعةٌ للطعامِ أو للكتابةِ أو القراءة. والطبقةُ الرابعةُ، سطحُ البابورِ، فيه سقفُ الطابقين الموصلين إلى المخازينِ وأعمدةِ البيارقِ والسكَّانِ وقَصبةِ الدُخانِ وسقف بيتِ النارِ كلُّ شيءٍ منها يزيدُ على ما في البابورِ الأولِ بدرجاتٍ **(٦٥ب)** في القوةِ والعظمِ على نسبةِ البابورِ وانتظامه، وفيه مع زيادةِ القوةِ وحسنِ الصناعةِ زيادةُ عمودٍ ثانٍ مع العمودِ الذي يتصلُ بالماكنةِ المحركةِ لجميعِ آلاتِ البابورِ التي منها تقسيمُ حركاتِ العجلات، وهي أولُ مايضربُه بخارُ الماءِ المحركُ للآلات، فإنّ الماءَ يضربُ في خروجِه فيضيقُها حتى ترتفعَ قامةٌ وفوقَها عمودٌ حديدٌ في صبةٍ كالأنبوبةِ، فيصعدُ فيها

مرتفعاً ولعظمه وثقله وعدم خروجه من فم الأنبوبة تجذبُه آلةٌ من الحديد أقوى منه فينجذبُ إلى تحت بقرعة مجاوزة يرد الصفيحةَ التي أصعدَتْه إلى محلّها. وفي صعودها وهبوطها تضربُ العجلات فتديرُها وهلمَّ جرا من عجلة إلى أخرى. وهذا البابورُ فيه زيادةُ عمودٍ ثانٍ مثل هذا ليس في الأول، وهو بحركته يحركُ عجلات فتزيدُ قوةَ سيرِ البابورِ بقوة كثرة الآلات وقوتها. وفي هذا السطحِ متنزهاتٌ منها ما هو لأهل القمرة الثانية التي مرَّ ذكرُها ولابأسَ به، ومنها ماهو منتزةٌ للمأمورين في البابور والحكام ونحوهم. وهي أماكنُ مخصوصةٌ كثيرةٌ أبوابُها إلى جانبي البابورِ، ومنها ما هو للقمرة الأولى وهو مثلُ القهاوي فيه الفرشُ الحريريةُ والكراسي على أنواعها والزينةُ، وخلفَ ذلك الظهرِ الذي يجلسُ فيه عمالُ البابور، ومن لم يرغب الجلوسَ في القمرات أو يعجزْ عن أجرتها، وفيه أيضاً أماكنُ ومستراحٌ وفوقَ منتزه القمرة الأولى أماكنُ ومنتزهاتٌ ومجلسُ القبطان، وأماكنُ القمرة الأولى، وفي قُدَّام البابورِ فوقَ الأماكنِ محلٌّ البروصي الثقَّال الذي يسكنُ ومحلُّ السَّكانِ وماكنةٌ لإنزالُ البروصي وإطلاعه وإطلاقِ حبالِ الربطِ وطيها.

وهذا يسرجُ بضوء الكهربا إلى نصف الليلِ إن كان مقيماً وإن سافرَ استمرَّ النورُ فيه إلى طلوعِ الشمس، ويقطعُ في الساعة من عشرة

أميالٍ إلى أربعةَ عشرَ ميلاً، وفي البوابيرِ كلَّها علاماتٌ بينهم، منها الرايةُ على الحكومةِ التي ينستبُ إليها البابورُ، وبها يحيي بعضُها بعضا، ومنها راياتٌ تنصبُ لدخولِ الطبيبِ عندَ وصولِها لنظرِ شيءٍ، في البابور إنْ لزمَ عليهم قرانتينة، ومنها سودٌ وفيها بياضٌ، وهي الإشارةُ على العزمِ على السفر، ومنها رايةُ إمارةٍ فيها بيانُ ما وُضعَ له (٦٦أ) من بوسطةٍ أو نحوِها، أعني بذلك اسمَ الشركةِ التي هو لها ماحصلَ في الخاطرِ، ما رأيناه في صفتِهما، وعندَ نقلِ النظرِ إلى البابورِ سقطتْ عِدْلَةٌ منْ البرِّ في البحرِ فقام سيدي محمدُ بنُ عبدالله المزيقر والبيكباش إلى الملاحين حتى أطلعوها وصاروا مع الحاج عبدِالله مجلي، عافاهُ اللهُ، يفتحون الأكياسَ، ويمدونَ الفرشَ على ظهرِ البابور، ويفتحون الصافيَّ مراراً في أيامٍ ليزولَ مابه من مُلوحةِ البحر وحرارتِه بعد أنْ غسلوه بماءٍ حلوٍ مراراً.

وأما سواكنُ، فهي بلدةٌ أوسعُ من مصوع، فيها محلٌ كبيرٌ للقرانتينة، فيها خيامٌ وبناءٌ صغيرٌ جداً كأنه للحراسة، وعليه فوانيسٌ تسرجُ بالكهرباءِ، وفيه رايةُ الحكومةِ ورايةُ القرانتينة وعَلاَمةُ حكومته، وفيه بابورٌ صغيرٌ حربيٌّ للحراسةِ وبوابيرُ راسيةٌ، وماكناتٌ تحملُ الأثقالَ، وبه يتصلُ خطُّ سكةِ الحديدِ إلى بورت السودان وغيرِها، وفيه مباني الانكليزيةِ وأعمالُه مشتركةٌ بين مصرَ والانكليز وأكثرُ العمالِ

فيه، وفي مَصْوَع من اليمنِ الفارين من جورِ حكومةِ العصملي[1]، ومما أخبرونا أن دولةَ ايتاليا، استعملتْ جماعةً نحوَ أربعِ مئةِ رجلٍ باسمِ أنها تستخدمُهم في أعمالِ المراكبِ، فلما توسطوا في البلادِ كتبهم عسكراً للقتالِ معها، فمنهم من فرَّ، ومنهم من حُبِسَ، ومنهم من قُتِل كُرْهاً، وفيه من المكاينِ النارةُ والتي تجرُّ الأثقالَ من المراكبِ البوابيرِ وشكلُها كشكلِ التي في دقلِ البابورِ، تحركُ العجلاتِ، فيها بالفحمِ الحجري فتصعدُه وتصنعُه لأخذِ الأثقالِ من البحرِ إلى البرِّ والعكس.

وبقينا في هذا البابورِ إلى بعدِ ظهرِ الثلاثاء، وقد سمعنا وقتَ الظهرِ اطلاقَ مدفعٍ ريثما أخرجَ بضاعةٌ وادخلَ غيرُهما، وفيهَ أرادَ السيدُ محمد مزيقرقلعَ ضرسه وقد اشتدَّ وجُعه، فخرجَ إلى البلدةِ، وقصدَ الحكيمَ فبعدَ نَصَبٍ، وجدَ الحكيمَ في محلِّه، وبعدَ جُهدٍ رضي يواجهه، وبعد شرحٍ طويل أقنعه بنصفِ ذهبيةٍ انكليزية، أجرةَ قلعِ الضرسِ، فأجلسه على كرسي وغسلَ اللحمَ المتصلَ بالضرسِ بماءٍ حارٍ حتى أماتَه، ثم قطعهُ بسكينٍ ثم أخرجَ الضرسَ، فسبحان الله الحكيمُ الحليمُ الكريمُ، إنَّ الواحدَ منا ليقلعُ ضرسَه في ذلك، ولا يقبلُ منه غير دعوةٍ، وإن كان من الحلاقين، أهلِ الصناعة، فلا تزيدُ أجرتُهُ من الغني على ثمنِ ريالٍ أو ربعِ ريال مع حسنِ القبولِ والدعاءِ بالبركةِ ولا يجدُ

---

(١) العصلمي لغة في العثماني.

الوجيعُ عُشْرَ ما أصابَ هذا السيدَ من ألمِ القلعِ، ونُصبَ الطلبُ للحكيم المشيخةَ واسترضاه، وكان البابورُ الذي خرجنا منه رأسياً يخرجُ بضاعةً ويدخلُ أخرى، ورأينا كيفَ تدخلُ الحيواناتُ إليه وإذا بها تُربطُ يداها وتحرَّكُ بتلك العفريتة (٦٦ب) إلى البابورِ ثم توضعُ في الطبقةِ الثالثة أو التي تحتَها تنزلُ من فمِ الطابقِ الذي تنزل منه البضائعُ، ثم تصيحُ وتسمعُ الرُغَاءَ إلى عندنا، وشمر البابورُ الأولُ قبلَنا بساعة ونصف، ثم شمَّر بنا البرنسُ عباس الساعةَ الثامنةَ بعدَ الظهرِ، فما تمت الساعةُ الحاديةَ عشرَ إلا وهو في بورت السودان حتى أخرجَ ما أخرجَ إلى بورت السودان، وسار نحو جَدَّة[1] وبرنس عباس، أقامَ من الساعةِ العاشرةِ ليلاً إلى عصرِ الأربعاء، وكان السيدُ محمد بن عبدالله قد خرجَ مع البيكباش لبعضِ محتاجاتٍ من بورت السودان، فلما أحسَّ بهم منْ هنالك من العمال وعاقلهم علي بن يحيى بن أحمد المسمى الهمداني، وهو من أهل الحمرا من مخلاف عُيَّاش من بلاد البستان وبني الراعي[2]، وقد كان في الحَيْمَة مجاهداً في الجهاد الأول مع سيدي

---

(١) جُدَّة : تقع على ساحل البحر الأحمر، ميناء تجاري للسفن القادمة من الهند وعدن واليمن وعيذاب وسواكن ودهلك، معروفة بالحجاز. انظر : الروض المعطار، ١٥٧؛ الحضراوي، الجواهر المعدة، ١١، السلاح والعدة لابن فرج، ٣٦.

(٢) بنو الراعي : عُزلة من ناحية بني مطر (ناحية البستان). انظر : البدر الطالع، ٣١؛ المقحفي، معجم البدان، ٢٥٩.

العلامة محمد بن أحمد الشامي[1] أيامِ جهادِ الإمامِ المنصور، رضي الله عنه، ولديه معرفة تامة، أقبلوا إلينا من كلِّ جانبٍ إلى البابور، وجعلوا إيماناً على أنْ نخرجَ إليهم للضيافة لديهم ليزيدَ شرفُهم، ويُعلَمَ قدرهم، فإنَّ الأعداءَ يشيعون أنّا دخلنا محبوسين مضبوطين، وأن الإمامَ معنا إلى غير ذلك، ونحن نصارفُهم بأنواعِ الأعذار. في المساءِ بعدَ صلاةِ العشائين، جاءوا للسَّمْرَةِ عندنا وسَمرنا مَعَهم وقتاً من الليلِ في محادثةٍ وأخبارٍ، وأكدوا لنا ما بلغَ من خبرِ الذين أخذتهم دولةُ ايتاليا من أهلِ اليمنِ بالحيلة، وقالوا: إنهم فوقَ ألفٍ وخمسِ مئةِ نفر، وقد هربَ منهم جماعةٌ، وكثيرٌ منهم حُبسوا، ولم يسرْ في عسكرِه إلا القليلُ، وصبحَ يومِ الأربعاء خرجَ سيدي الفخري عبدُالله بن حسين بن المتوكل وسيدي العزي محمد بن عبدالله المزيقر، والبيكباش لشراءِ بعضِ المحتاجاتِ حيث كانَ وصولُنا ليلاً، ولم تتيسر المحتاجاتُ، فأمسكهم العمالُ والشيخُ علي، ودخل سيدي العزي مع الأصحابِ منهم إلى البابورِ مُلحيّن في خروجنا، وكثّروا في الأيمانِ فتشاورَ الأصحابُ في إجابةِ دعوتهم كما وردت بذلك السُّنةُ، ولما فيها من حسنِ العاقبةِ، وبينَ لزومِ محلِّنا واقناعهم، ترجح بقاءُ الحقيرِ العاجزِ وتحقّقَ العذرُ،

---

(١) حول قيادة محمد بن أحمد الشامي للمعارك أيام الإمام المنصور محمد بن يحيي حميد الدين، انظر: الدر المنثور، ١/٣١٣، ٣٢٣، ٣٣٤، ٣٩٤، ٣٩٥.

وخرج سيدي العلامةُ الفخري عبدُالله بنُ ابراهيمَ، وسيدي العلامةُ محمدُ بنُ أحمد الشامي بشرطٍ اقترحوه عليهم إسلامي، وهو أنه إذا يسَّرَ اللهُ المأمولَ من زوالِ الظلمِ من المأمورين في اليمنِ واتحدت الأحوالُ أنْ لا يبقى منهم أحدٌ تحتَ رايةٍ مسيحيةٍ، وأن يعودوا معنا إلى أوطانهم، فقبلوا هذا الشرطَ وخرجوا معهم وإذا هم (٦٧أ) عصابةٌ تقربُ من مئةِ نفرٍ قد امتازوا بأنفسهم في ثلاثةِ بيوتٍ متصلةٍ وسيعةٍ مبنيةٍ بالأخشابِ، ولها مرافقُ، وقد بنوا لهم محلاتٍ كالتنانيرِ لطبخِ مأكولاتهم فيضعون الطعامَ والحِلْبَةَ على عادةِ اليمنِ ويطبخون اللحمَ كذلك، وما كأنهم إلا في بلدهم، ولهم محلاتٌ بقربِ البيوتِ للوضوءِ والصلاةِ، وما كأنهم إلا أولادُ رجلٍ واحدٍ. والشيخُ عليٌ هو الرئيسُ عليهم جميعاً لا يُخالفونه، وقد أقامَ في عدنٍ وفي غيرِها أعواماً ودارَ بلداناً عديدةً، وتقلَّبَ في تجارةٍ وأعمالٍ من قبيلِ ما هو فيه، وتزوَّج من السودانِ بثلاثٍ فارقهن كلَّهن، فواجهوا الخارجين إلى المرسى، وهو متصلٌ بالبابورِ لايحتاجُ إلى سنبوكٍ لحسنِ صناعةِ الدكةِ، وحفر الفرنجيُّ للبحرِ، وتلقَّوْا الخارجين متتابعين، غيرَ من بقيَ عندَ البيوتِ ورحَّبوا وأكرموا وقاموا بحقِّ الضيافةِ ثم بعدَ الطعامِ، ساروا معهم لاراتهم القبةَ المبنية بالقربِ من بيوتهم المذكورةِ على مسافةِ عشرِ دقائق، وحولَها أكوامٌ كالآكامِ من الآجرِ المصنوع بصناعةٍ عجيبةٍ،

مختلفة الأشكال ومن الحديد المصنوع وأنابيبُ للماء مختلفةٌ الضخامة والطول والقصر فمنها ما هو كأكبر قصبة في البابور لإخراج الدخان، ومنها دونَ ذلك وآنيةٌ عديدةٌ من الزيت الكبريتي الذي يلهبُ بمجرد خروجه من الأنابيب ويلتهبُ بينَ الماء، ويلهبُ بملامسة التراب، وقد مدتْ جداولُ تحتَ الأرض خارجَ هذه القبة فيها قصباتٌ من الحديد تجدبُ الماءَ من البحر إلى هذه القبة، ومن مسافة خمس ساعات من البرِّ من الماء الحالي، وآخرُ لإخراج الماء المستعمل، وخطوطٌ سلكيةٌ بها يشعلُ جميعُ مصابيح المرسى بالنور الكهربائي، وأمَّا بناؤها فهي من خارجها مبنيةٌ بأحجار بيض أتقنَ بناء وأحسنَه، ولها فسحةٌ خارُجها متصلةٌ بها، فيها مكاينُ عديدةٌ وكماكنات البوابير والطواحين، وغيرها كثيرةٌ متصلةٌ بعضُها ببعض وهذه الفسحةُ على قدْر فسحة قبة البكيرية، جامع الوزير حسن بصنعاء وسقفُها أرفعُ من سقف البكيرية[1]، بنحو عشرة أذرع بالذراع الحديد في جهاتنا وقاعةُ القبة والفسحة مفروشة بطين كالنَّوْرة معمول على قدر الآجر يحكي المرمرَ بلا فرق لوناً وملبساً وحسناً، وأما داخلها فمبنيٌّ بالآجر من هذا الجنس قد صُقلَ حتى كأنه زجاجةٌ لا يكادُ يفرق الرائي بينه وبينَ

---

(١) البكيرية : في ميدان قصر صنعاء، بناها الوزير حسن باشا سنة ١٠٠٥هـ، وسميت بالبكيرية نسبة إلى بكيربك مولى الوزير حسن، المدفون شرقي المدرسة، وعمر على قبره قبة، جددت بأمر السلطان عبدالحميد سنة ١٢٩٨هـ. انظر : المدارس الإسلامية، ٢٨٢.

الزجاجِ، وقد صبغَ منها بالصبغِ الأزرقِ والأحمرِ وغيرِهما قدرَ أربعةِ أذرعِ حديد من الأرضِ، والعملُ جارٍ في حيطانِها وسقفِها وفي قاعتِها، **(٦٧ب)** سلّمٌ يوصلُ إلى موضعٍ منها تحتَ الأرضِ ثلثٌ مكشوفٌ والثلثان مسقوفةٌ فالجانبُ المسقوفُ فوقَه وتحتَه ماكناتٌ كالتي في الفسحةِ قد ركبت، والجملة آلاتُها والحبالُ الحديدُ والأنابيبُ اللازمةُ لها كلُّها آلاتُه لا يعملُ فيها إلاَّ واحدةٌ وبها يستجذبُ الماءُ الذي سبقَ ذكرُه، ويستصبحُ المرسى ويعتصرُ الماءَ الحلو والجمد، ووقيدُها الفحمُ الحجري والكبريتي، وفي أعلاها مجلسُ المأمورين عن يمينِ الداخلِ إليها من جهةِ الفسحةِ قد زين أحسنَ زينة، وفيه أعمدةٌ من الأبنوسِ وساعاتٌ من جنسِه فما أحلى سوادَها في بياضِ القبةِ، وفيها مصابيحُ النورِ الكهربائي وآلاتٌ غيرَ ذلك للزينةِ متنوعةٌ لم تنضبْط لكثرتِها، ولها بابٌ إلى الجهةِ الغربيةِ صغيرةٌ إلى فسحةٍ أخرى ليس فيها ماكنات، وفيها سلّمٌ من جنسِ الآجرِ المذكورِ أولاً موصلٌ إلى أماكنِ بعضَ القبةِ، وفي الجانبِ الشامي من موضعِ القبةِ موضعُ مرسى البابور البري يبعدُ عنها مسافةَ عشرِ دقائقَ وهو على شاطىء البحر، وفي حولِه مساكنُ للعساكرِ وغيرِهم كثيرةٌ، وبالقربِ من مرسى البابورِ الذي نحن فيه موضعُ البوسطةِ ومساكنُ العساكرِ وغيرِهم، ومحطةٌ للبابورِ البري ولحمولةِ البوابير. وكلُّ المرسى محاطٌ بأعمدةِ الحديدِ كثيرةٍ جداً،

في كلِّ عامودٍ مصباحٌ كهربائي غيرَ ما حولَ الطرقاتِ وغيرها ما هو من مصابيحِ المنازلِ والمساكنِ، وفي الشاطىء ماكناتٌ لتضييق قرار البحر وغيرها لأخذِ الأثقالِ من البوابير كما ذكرنا. وفي المرسى بوابيرٌ وسفنٌ شراعية وسنابيكٌ منها ما يسيرُ بالنارِ كالبابورِ، ومنها بالشراعِ، ومنها يضربُ الماءَ بالكراباتِ من الخشب بأيدي الملاحين، ومنها ما هو من الحديدِ، ومنها ما هو مغطى صهاريج الماء ومنها الأبيضُ ومنها الأحمر ومنها الأسود، وهذا المرسى أحدثه الانجليزُ واختطُّهُ منذ أربعِ سنينِ يشتركُ فيه مع الحكومة المصرية، وقد وسع ما اختطّه تحجره حاسباً أنها ستكون مدينةً واسعةَ الجوانبِ عرضاً وطولاً، ومَدَّ منه الخطوطَ الحديدية إلى الخرطوم وأمِّ درمان وسواكنَ، تختلف فيه البوابير ليلاً ونهاراً وبعدَ الظهرِ عادوا إلينا وأخبرونا بهذا التفصيلِ المذكور(٦٨أ) الذي فصَّلَهُ سيدي العلامةُ الفخري عبدُالله بنُ ابراهيم، وأما العاجزُ فما بهرَه إلاّ جملةُ الاختطاطِ وقوةُ التأسيسِ، فصلّينا العصرين والعشائين حتى كانت الساعةُ الثانيةَ في الليل، إذ بالقطارِ قد أقبلَ في سكةِ الحديد، وحضر الناسُ لاستقباله، فمر بالمرسى على عادته ثم عاد إلى قربِ المحطةِ التي بالقربِ من مرسى البابورِ الذي نحن فيه، وكان سلَّمُ البوسطةِ التي ينتظرُها البابورُ، وفي أولِ الثالثةِ تحرك برنس عباس يمخُر البحرَ العظيمَ، ويحيطُ به وبنا

حمايةُ الرحمنِ الرحيم. ولما أصبحَ الصباحُ رأينا إنَّا قد توسَّطْنا اللُّجةَ، ورُباني البابورِ يديرُه في المحجة. وكانت الأرواحُ تضطربُ بالمياهِ لكنها لم تحدثْ أمواجاً تكدرُ راحتَنا، وكيفَ ونحن في حمايةِ الله، لم نتكلْ على أحدٍ سواه، فقضينا نهارَ الخميسِ، وقد لاحتْ لنا جبالٌ في الجهةِ الغربيةِ، وهي في البراري السودانية، وصعدنا إلى سطحِ البابورِ لترويحِ النفوس، وما بنا بحمدالله من كدرٍ ولا بؤسٍ، وإذا بالسماءِ صافيةُ الغيومِ، والشمسِ قد دنتْ من مغربها، وبدا لونُ الأصيلِ تبراً مسبوكاً في لُجينِ الماءِ غيرَ مكتومٍ، والبابورُ يتهادى ويتأوَّدُ مُزداناً بقناديلِ كالنجومِ، وكأنَ البحرُ قطيفةٌ زرقاءَ فرشتْ في الفضاءِ بقدرةِ الحيِّ القيومِ وعمودُ البيرقِ كأنه عروسٌ قلّدتْ حليَّها، وجُلّيتْ في تختها المرسومِ، وقد نُظمَ هذا التشبيهُ سيدي العلامةُ الفخريُّ عبدُالله بنُ ابراهيم المنشي للتشبيه، والناظمُ بقوله، عافاه الله : -الكامل-

بتنا ببابور الخديوي برنس عباس ... بيومِ مسرةِ محمود

والبحرُ ما أحلى تموجَ مائه ... كقطيفةٍ من صَنْعةِ المحمود

زرقاءَ قدْ كستِ السماءَ كعابُها ... من تحتِها كترايبٍ ونُهودِ

والفلكُ مثلُ منصةٍ فيها العروسُ ... تزيَّنَتْ بمالسٍ وعقود

في مفرجٍ يحكي اللجينَ جدارُه ... والبرُلونُ حزامِه الممدودِ

والشمسُ نورُ شعاعِها أبداً لنا ... مثلَ الجواهرِ في الفضا الممدود

والكهرباءُ مثلَ النجـــومِ دنَتْ إلى ما حـــولَنا فـــي فلكها المشهورِ

واللهُ مدَّ لنا سحـــــــــايبَ لطفه سبحـــــــانَهُ من حافظٍ مقصود

وقد بتنا بهـذا البابورِ ليلةَ الجـمعة، وقـضيْنا به نهـارَه، حتى إذا كانت الساعةُ الخامسةَ نهاراً أظهرتْ لـنا جبالٌ من شمالنا جبالٌ شاهقةٌ ومناراتٌ نُصبت أعلاماً للبوابيرِ، وبوابيرُ في لججِ البحرِ متسابقةٌ، فهي في النهارِ دورٌ شامخـةٌ تمرُّ من الشعابِ. **(٦٨ب)** وفي الليلِ قطعةٌ من السماءِ تجري بنجـومها لسرعةِ البحرِ كـالشراب و عندَ غروبِ الشمسِ ظهر جـبلُ الطور أمامنا، وكلَّ مـا قرْبنا منه مالَ إلى جـهةِ البـرِّ ويقابلُه جبالٌ من شمالنا، وحينَ بدا ضوءُ الصـباحِ وفسحَ بنورِ ضوءِ المصباحِ في حوضِ السويسِ بالسلامةِ، ودخلَ البابورُ الحوضَ وليسَ لغيرِه من البوابيرِ ماله من الكرامةِ. وكان السيـدُ محمد بن عبدالله قد سعى ونحن في البابورِ لدى وكيل البوابير بسعي أحسنَ فيه التدبير، وأرشدَنا إلى ما فيه تسهيلُ انتقالنا وأولى من موجباتِ الكدرِ والتنفير، فأكرمَ الوكيلَ والقـبطانَ بشيءِ التـي مـعنا، واسـتـحصـلَ منهم أوراقـاً إلى الوكـيل بالسويـس يوصونه بحسـنِ المعاملة، أرسـى البابورُ، جاءت الحـكماءُ لمعاينة مَنْ في البابورِ جميـعاً، فلم نرَ منهم لما سبق من الأخلاقِ. وقد كانَ في الأصحابِ سيدي عبدالله بن حسين بن المتوكل وجيعان، وبعدَ ذلك أتى الحمالون وقطعت لهم الأجرةَ بمعرفةِ السـيد محمد في حضورِ

الأصحاب، وقام البيكباش فأمر العسكر بجمعِ الأثقالِ والقيام وقامَ عليها بنفسه عند كل شيء منها، وقد يحاولُ بعض الأعمالِ بنفسه ولا كسلان ولا منان، فخرجنا من البابور، وسار سيدي محمد بن عبدالله والدليلَ وقطعوا أجرة الركاب في بابور البر، وبعدَ مقدار عشرِ عادوا معهم أوراقُ البيلت[1] المعينةُ من الحوضِ إلى الاسكندرية.

وأثناء ذلك عرضَ لأحد من معنا وجعٌ في الباطنِ، فعادَ إلى البابورِ لقضاءِ حاجة، وأعلمنا بعزمِ البابور، فركبْنا في البابورِ البري والبابورِ البحري فكمْ من مرسى الحوض، وكان الصافي والصناديق التي لا يحملها بابورُ الركابِ لم تزلْ في المرسى، والذي دخلَ البابورُ قد سارَ مع البابورِ في الحالِ، وتأخر السيدُ محمد بن عبداله مزيقر، وأحدَ العسكر من النظام والذي كان فأخرجَ من في البابور في سنبوكِ إلى المرسى وسلم الصافي وبقيتة **(٦٩أ)** لصاحبِ البابورِ، ثمَّ لحقنا في بابورِ غيره بعد ساعتين، وأما صفةُ بابورِ البر، فهو عبارةٌ عن صندوقٌ كبيرٍ على صفةِ العربة، فيه محلُّ إيقادِ الفحم الحجري، وآلاتُها مثلُ آلاتِ البوابيرِ البحرية يحركها البخارُ، فتسيرُ العربةُ على عجلاتٍ كالبرقِ الخاطفِ ومربوطٌ بها عرباتٌ كثيرةٌ، أغلاها أجرةً الأولى التي تلي بيتَ النار، ثم ما بعدها ثم الأخرى، وكان ما تدعو إليه الحاجةُ في شيءٍ من

---

(١) البيلت: تذكرة السفر.

فـراشنا وغيـره مع الأصـحاب في الثـالثـة مع الأصحـاب، ونحن في الثانية. وهذه العرباتُ مـقسمةٌ، داخلها أماكنُ كثيـرةٌ عديدةٌ لها كراسي مفروشةٌ فرشاً متنوعةً، ولها طاقاتٌ نوافذ تنظرُ يميناً وشمالاً إلى البر وتجمعها حجرةٌ مثل زقـاق صغيرةٌ تتسعُ لفتحِ الأبوابِ ومرورِ الركاب واحداً واحداً، وهو يصلُ إلى الإسماعيليـة ويبدلُه غيره إلى بنها ثم يبدلُ بغيره إلى طنطا، وربما أخرجَ من يريدُ السويسَ وأدخل غيرهم ثم هكذا في بلرتين وفي سـوق النسامـة، وفـايدة، ونفيـشة، وخـرجنا منه في الإسماعـيليةِ وقد رأينا في طريقنا محلّ السـويس إجمالاً، وفيـه مباني عظيمـة وبساتين وأشـجـارٌ وبيوت صغارٌ خـاربةٌ، وأما النيل فقـد جرَّ بجدولِ حتـى حوصل إليه السقي الأراضي، وهو يمـرُّ بهذه الطرقِ التي قطعناها، ولما وصلنا مـحطة الإسماعـيلية نقلنا الأثقال والمعـمولُ في عمل النقل والمـحافظة على همة البيكبـاش لعدم معرفتنا وعـدم تحملنا للمشاق، وضعف في الأصحاب لمـا بهم من الغباوة والمرض إلا الحاج الفخري عـبدالله مجلي، عافـاه اللهُ، فهو قائمٌ بما لم يـقمُ به غيرُ في كلِّ محطة، وبعـد نحو عشـرِ دقائق إذ ببابورٍ قـد وصل فدخلنا فيـه حالاً، وسارَ بـعد عشـر دقائق، فـمـرَّ بالزقـازيق ومحطـاتٍ غـيـرها لم نحـفظ أسمـاءها، ووصلَ بنهـا بعـد الظهـرِ، وهي مـحطةٌ أقـوى من

الإسماعيلية، وفيها بابورٌ قالوا سريعُ السيرِ وإذا أردنا نركبه **(٦٩ب)** بشرطِ تأخرِ الأصحابِ إلى وصولِ غيرِه، فلمْ نرَ للتَفُرقِ، وخرجنَا للصلاةِ، توضيْنا وصلى بَعضُنا العصرينَ، والبعضُ صلى الظهرَ فقط، والبعضُ لم يَدْرِ الوضوءَ ولا الصلاةَ لوصولِ البابورِ الآخرِ، وكانَ المصروفُ ما بينَ الدليلِ والحمالينِ وأُجرةِ محلِ الوضوءِ قريبَ عشرةِ ريال، فَركِبْنَا في البَابورِ الذي وصلَ فمررنا بمحطات قُويْسنَا وبركةِ السَّبعِ ودَفْرة فطنطا، وترفق دقائقَ في كلِّ محطةٍ منْ دقيقةٍ إلى خمسٍ إلاّ في طنطا، والمحلِّ الذي فيه قبرُ السَّيدِ أحمد البدوي، الشهير، فعشراً من الدقائقِ، وتأمَّلنَاه وإذا محلٌ واسعٌ مبنيٌ، بِناءً فاخراً، وحيرَّنا فيه بينَ أن نركبَ بابوراً، أسرعَ من الذي نحنُ فيه، ومعنَا الأصحابُ وبينَ أن نبقى محلنَا ونتأخرَ ساعةً، فاخْترنا البقاءَ. وقدَ أخْبَرنَا بعضُ الناسِ أنَّ أكثرَ هذا المحلِ أرضاً وبناءً وإيراداً للسَّيدِ أحمد البدوي، وأنه مشهورٌ بسلطانِ العارفينَ، ومقصودٌ للزيارةِ من جهاتٍ بعيدة، والنَذَرُ والتَوسُلُ به إلى ربِّ العالمينَ، ثمَّ سرنا ومررنَا بسوقٍ يجتمعُ فيه الناسُ كعادةِ أسواقِ قبايلِ اليمنِ، لافرقَ بينها في شيءٍ، وفيه الخيلُ والدوابُ، ومررنَا بمحطةِ، شبر الغلة، وكَفر الزَّياتِ والتَوْفيقيةِ، وما أولى كرماً التوفيقيةَ في كثيرِ مبانيها وأشجارِها، وحُسْنِ موقعها،

وهي منسوبةٌ إلى توفيق باشا، والدِ عباس باشا الخديوي[1]، الموجودِ في التاريخِ، وبعدَها محطةٌ إتْيَاي البارود، في خلاله رأينَا بابوراً صغيراً يحملُ رجلاً مجروحاً يسيلُ الدمُ في رأسه، وهو مضطجعٌ على ظهرِ الحملِ المربوطِ بالبابور، ومعه ضابطٌ انكليزيٌ، والناسُ يأتونَ للفُرْجة. ذكُرَ في جريدة وادي النيل نمرة ٢٣٣، وتاريخ يوم الاثنين، عاشر محرم سنة ٢٧، إنه جنديٌ انكليزيٌ كانَ راكباً في القطارِ، فخرجَ إلى بابهِ يبولُ غيرَ معتمدٍ على ما يستمسكُ به، فسقطَ، فحملَ إلى محطةِ البارود، وسارَ البابورُ ماراً بصفطة الملوك وذي شال، ودمنهور. وفي هذا المحلِ مقبرةٌ متوسطةٌ بينَ المباني، ثمَّ منها إلى السَحار وأبو حمصَ، وهو محل ليس بالحقيرِ، وفيه معاملُ ماكناتٍ وغيرِها ومحلٌ للقرانتينة وفيه أتانَا رجلٌ، رَبْعُ القامةِ، عليه ملابسُ الأتراكِ، يتكلمُ بالعربية، (٧٠أ) يسألُنا عَنْ أحوالِ اليمنِ فأجَبْناهُ بأجوبةٍ لمْ يقنعْ بهَا، بلْ يزايدُ كلامَهُ، فقلنا لَهُ إنَّ للحكومةِ والسياسةِ رجالاً يعرفونَ الحسنَ والقبيحَ لايسمعونَ كلامَ الغوغاءِ والسفلةِ ولا يُصغُونَ إليْه، وهمْ أعرفُ بالأحوالِ. وحينئذٍ قنعَ وخرجَ من عندِنا، وأتانَا بعدَهُ ولدٌ حسنُ الثيابِ

---

(١) هو محمد توفيق بن إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي باشا ت ١٨٩٢م ولد سنة ١٨٥٢م، خلف أباه إسماعيل باشا سنة ١٨٧٩م، قبل المراقبة الثنائية لفرنسا وبريطانيا على مالية مصر، احتلت بريطانيا سنة ١٨٨٢ في عهده، انظر، ناصر الأنصاري، حكام مصر، ١٢٣.

منْ أهلِ نفسِ الإسكندريَّة، كانَ وصلَ لطيافة مزارعه وأرضه، وصارَ يلاطفُنَا بالكلامِ، وظهَرَ منْهُ قد سارَ إلى أُوروبا وعرفَ فيها لسانَ فرنسا وانكليز وأيتاليا مع لسانِ العربِ، وصارَ يُعَرِّفُنَا بالمحلاَّت، ويُقبلُ علينْا بكلامه، مقلد ذو غمرةٍ، لا يبلغُ العشرينَ، فقلْنا فيما بينَنَا، انُظُروا إلى الفَرقِ بين وما أحلى محاسنَ الأخلاق، وإذا كانت الطباعُ طباعَ سوءٍ فلا أدبَ بفيةً ولا أديبَ وبعدَ هذه المحطةِ دسونس[1] فعملَ الفرار، فكفر الدوار فالبيضة[2] فعزبة خورشيد فالملاحة، وأخبرنا ذلكَ الشاب أنهُ يصلُ البحرَ المالحَ، وأنَّ أهلَها يتصيَّدَون منه الحوتَ ويعملونَ فيه، وكانَ ذلكَ وجهُ تسميتها بالملاحة، وبعدَها سيديْ جابر، وهو محلٌ واسعٌ منتظمُ، وأظنُّهُ الذي فيه قبرُ جابر بن عبدالله الأنصاري، رضَي اللهُ عنْه، فقرأنَا الفاتحةَ زيارةً لجابر بن عبدالله رحمه الله، وبعدها الإخلاصُ. وبعدَ هذه المحطةِ الخطرةِ ثمَّ الاسكندرية وقتَ المغرب. وكلَّ هذه الطريقِ التي مريَنا مزروعةٌ يميناً وشمالاً إلا قليلاً في أوَّلها، فهُوَ منْ قبيلِ الأرضِ الموات في رحبةِ بني الحارث، وبعضُها في شبهِ شعوبِ صنعاء، لكن الأثل به من النظار[3]، وما قربَ منَ الاسكندرية بعدَ الاسماعيلية ماطرقتْ أعيُنَنَا به شيئاً من الأرضِ خالياً

---

(١) هي دسونس أم دينار، انظر، ابن الجيعان، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، ١٢٦.

(٢) هي البيضاء والمليص، المصدر السابق، ص١٦.

(٣) المقصود إهمال نظار الزراعة، فوجد الاثل.

عن الزرعِ، وفيها الكرومُ والزيتُ والموزُ واللوزُ، قدْ ظهرَ زهرُهُ مفتحاً أكمامَهُ، ضاحكاً منُ الأحوالِ والزمانِ، وتقلبِ أحوالِ البلدانِ، وما فيهِ منَ العجايبِ الإلهيةِ، وما يخترعُ من المصنوعاتِ الإنسانيةِ، وفيها أيضاً أشجارُ المندليِّ وهوَ البرتقالُ أعني الليمونَ الممزوجَ حلواً وحامضاً، ومعاملٌ يصنعُ فيها البوابيرُ والآجرُ والنورةُ وقضبانٌ من الحديدِ كقَصَباتِ البوابيرِ الضخمةِ موضوعةً على وجهِ الأرضِ، وكما يقولُ تعالى ﴿اهبطوا مصرَ، فإنَّ لكمْ ما سألتُمْ﴾ ولسُرْعةِ البابورِ لم يتفسَّرْ من المعرفةِ بها إلاَّ (٧٠ب) هذهِ الجملِ، فقد كُنَّا نحاولُ أنْ نميزَ أوراقَ الشجرِ القائمةِ خدمةً للنازلينَ علىْ مجاريْ النيلِ حولَ الطريقِ، فلمْ يمكنْ أنْ يقر النظرَ وقتاً يتسعُ للتفرقةِ والتمييزِ ورأيْنا خطوطاتِ سلكيةً على جانبي الطريقِ في الأرضِ وعلى الخشباتِ، منها ما هُوَ للتلغرافاتِ، ومنْها ما هو للنورِ الكهربائيِّ، ومنها ما لمْ نقفْ على حقيقتهِ، وقدْ يجاوزُ في هذهِ المواضعِ ستينَ خطاً، وفي بعضها الأربعينَ، والأكثرُ ما جاوزَ العشرينَ خطاً، ولما وقفَ البابورُ وأردْنَا الخروجَ الاسكندرية، والليلَ قدْ أظلَمَ وأُوْقَدتْ قناديلُ الكهرباءِ في كلِّ جانبٍ عددٌ لايحصى، والناسُ قدْ اجتَمعُوا للقاءِ حجاجاً لهمْ، ينتظرونَ لهُمْ، والموسيقىْ معَهُمْ يصدرونَهُمْ في أُهبةٍ عظيمةٍ، فخرجْنَا مسرعينَ وكُسرَتْ خشبةٌ منَ السلَّمِ الذيْ في البابورِ، فسقطَ منْها سيدي العلامةُ الفخريُّ إلى فوقِ

عجلات البابور، وسالَ الدَّمُ من رجله الشمال من أعلَى الساق وزاغت اليمينُ عنْ مفصل القدم، وخَشيَ، عافَاهُ اللهُ، الفشلَ، فتداركَ نفْسَهُ بأنْ اتكأ على ساعدي اليمنَى، ثمَّ بسيدي الفخريِّ عبدالله بن حسين، وصعدَ مسرعاً إلى وجه الأرض يغطيِّ التعاريجَ بثقل السير.

وكانَ السيدُ محمد بن عبدالله مزيقَر قد ضربَ تلغرافاً لصاحب لَهُ يسمَّىْ محمد راشد، الساكنُ في الاسكندرية، وأمرَهُ بملاقاتنَا لعدَم معرفَتنَا بالمحلِّ وأهْله، فأرْسَلَ بعضَ أعْوانه إلى محطَّة الملاحة، واطَّلَعْنَا على السلك وما خرجْنا إلى البلدَة إلاَّ وقَدْ وصلَ محمد راشد وأعوانُه مستقبلينَ وأوْصلُونَا إلى خانٍ لَهُ عامٌ لمنْ وَصلَ إليْه في محلٌ يسمَّى المحطة، واعتذرَ إلَيْنَا أنَّ المحلَّ المخَصوصَ قدْ نزلَ فيه قدرُ ستينَ منَ الضباط المعينينَ لليمن من دار السعادة، ومعَهُمْ نساؤُهُم، وأنَّهُ قدْ استحْسنَ لَنَا المنازلَ المخصوصَةَ في المنزل العامِّ لراحتنا وسينقلُنا إليه صُبْحَ الأحد بعدَ خروجهمْ، وكانتْ هذه مشورةً دينيةً ارتضينَاهَا وبتْنَا في المنازل التي عيَّنَها لَنَا، وأرحْنَا أنفُسَنَا ليْلَتَنَا، بعد الاستقرار افتْقَدَ سيِّدي العلامةَ الفخري، فعادَ القدم إلى موضعه بحمد الله وسكنَ خروجُ الدم في أثناء الطريق، وهنالكَ صلَّيْنَا (١٧١أ) وتعشينا ما حضرَ وشَربْنَا القهوةَ ثمَّ اضطَجَعْنَا. وقدمَ سيِّديْ محمد بن عبدالله إليْنَا في أوَّل الساعة الثالثة مع مَنْ تأخَّرَ مَعَهُ، ووفدَ علَيْنَا نفرٌ منَ

الضباط يسألُونَا عنْ أحوالِ اليمنِ، ويُخبرونَا عن أحوالِ الأستانة وأهلِها، وبعدَ مقدارِ ساعةٍ، سارُوْا وقَدْ أَوْصَاهُم البيكباش بحُسْنِ السيرةِ والسلوكِ واجتنابِ المقبحاتِ، وظهرَ منْهمُ إرادةَ حسنِ السِّيرةِ وحسنِ المعاملةِ، وبَعدَ عَزْمِهم أخذَ كُلٌّ واحدٍ منّا مضجَعَهُ، وحينَ أَصْبَحَ الصباحُ صلَّيْنَا الفجرَ وعُدْنَا إلى مَواضعنَا، وإذاً بصاحبِ المنزلِ قدْ وصَل ليُخبرَنَا أنَّ المنزلَ قدْ خُلِّيَ لَنَا، وسارَ كُلُّ مَنْ فيهِ، وأَنَّهُ قَدْ أصلَحَهُ وأنَّ أعوانَهُ ينْتَظِرُونَ وُصُولَنَا داخلَهُ معْ أخيهِ، فَقَدمْنَا إليّهِ مُسرعينَ، وسارَ معَنَا هُوَ أيْضاً علَيْهِ البشاشُ ومحاسنُ الأخلاقِ للمقلينَ والموسعينَ، وعليْهِ ملابسُ كالَّتي نَراهَا مع القائمقام الملكيةِ في اليمنِ، ولَهُ خادمٌ اسمُهُ سلطان، قدْ خَصَّهُ لخدمةِ ذلكَ المنزلِ الحسنِ، ولمْ يكنْ بينَ المنزلِ الأولِ والثَّاني إلاَّ عرضَ الطريقِ نحوَ خمسةِ عشرَ ذراعاً، والأولُ يسمَّى أوت[1] الازمير وهذا أوت الاسكدار، وفي مرورِنَا تَأمَّلْنَا مَا حَوْلَنا من الدورِ والدكاكينِ يميناً وشمالاً، وإذا هيَ كلُّها مكتوبةٌ بخطوطٍ مختلفةٍ، منْها ما هُوَ بالقلمِ العربيِّ المشقِّ التعليقِ الذيْ يقلُّ وجودَ كُتَّابِهِ، ومنْها بالأقلامِ الإفرنجيةِ بخطوطٍ ظاهرةٍ باهرةٍ مبينٌ اسمُ صاحبِ المحلِّ وصنعته ونمرته وما يتعلقُ بهِ، ودَخلْنَا البيتَ، فإذا هوَ كأحْسَنِ ما يكونُ في النِّظام، ولهُ حجرٌ، وفيهِ أماكنٌ واسعةٌ وكراسي

---

(١) أوت، نزل، زهرة.

من الحديدِ عليْها فُرُشٌ نظيفةٌ للمنامِ وكراسي للجلوسِ ولموائدِ الطعامِ والماءِ، ينجذبُ بأنابيبَ من الماكنةِ المتصلةِ بالنيلِ المباركِ إلى كلِّ مكانٍ للوضوءِ وعلى كلِّ كرسيٍّ منَ كراسيْ الطعامِ منشفٌ يُمسَحُ به الأيْدي بعدَ غسلِها بالصابونِ على عادةِ أهلِ تلكَ الدِّيارِ، ولمَّا استقْرينَا به وتأملْنَا منْ منافسِه الوسيعةِ ما حولَنَا منَ الطرقاتِ، وما يحيطُ بجوانبِها منَ الدورِ والدكاكينِ والخَانات، فإذا كلُّ السككِ مفروشةٌ **(٧١ب)** وسككُ الحديدِ، تمرُّ علَيْها ألوفٌ منَ العرباتِ الكبارِ والصِّغارِ منْها ما يَسيرُ بقوَّةِ الكهرباءِ على الحديدِ المفروشِ، ولَهُ خطوطٌ ممدودةٌ فوقَ مجاريهِ كأنَّهُ لها مفروشٌ ولَهُ خشبةٌ طويلةٌ يتصلُ أسْفَلُها بالعربةِ الأولَى به، والسببُ منَ الحديدِ وأعلاهُ فيه عجلةٌ ذاتُ جدولٍ يتَّصلُ بالسِّلكِ الممدودِ فوقَهُ وتجريهِ كأنَّها منْهُ تكتسبن في سيرِها المزيدُ، وعددُ هذهِ قليلٌ، كلُّ واحدةٍ منْها تشتَملُ على عرَبَتَيْنِ أولى وثانيةٌ فالأُولَى تتَّسعُ لنحوِ العشرينَ وفوقَ الثلاثينَ الثانية، وآخرُ ركوبِها في الأولِ فرشٌ مصريٌّ وفي الثانيةِ بصفتِه، وهيَ على هذهِ في الليلِ والنهارِ تجري لاتفترُ عنِ السَّيرِ بخطةٍ واحدةٍ، وإنْ كانتْ عنِ الركَّابِ وذلكَ نادرٌ، ولاتسيرُ إلاَّ وفيها ركَّابٌ لئلاَّ تخلُوْ عنِ الوارِدِ والفائدةِ، وحاصلُها للنَّورِ الكهربائيِّ العامِّ لليله، ومنَ العرباتِ ما يجرُّهُ حصانٌ واثنانِ وحمارٌ وبغلٌ ورجلُ وولدٌ، ومنْها ما يُسيِّرُهُ النارُ على عجلاتٍ

صغيرة كعجلات البابور، ومنْها ما يجريْ به الواحدُ باليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ كالرَّاكب على فرسٍ ورجليه في الركبِ ويديه في الرَّسَنِ، وهذا النوعُ والذيْ بالنارِ والكهرباءِ أخفُّ سيراً وأسْرَعُ مما قبلها بكثيرٍ، وقدْ قيلَ أنَّ العرباتِ في الاسكندريـة عَدَدُها ثمانيـةُ آلافِ عربَةٍ منْها للحَمْلِ ومنْها للرَّكوبِ ملكاً وإجارةً، وهيَ تدورُ في كلِّ زقاقٍ، فلاَ يكادُ يخلُو سمعُ سامعٍ عنْ دويِّها ولا ينْقطعُ ارتجافُ الأرضِ منْ جَرْيِها.

وقدْ وصلَ إليْنَا للزِّيارةِ أُناسٌ سَبَقَتِ الموافَقَةُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ السَّيدِ عبدالله بن حسين بن المتوكل والسَّيدِ محمد بن عبدالله المزيقر، وهيَ بينَهُمْ وبينَ السَّيدِ محمد اكثرُ كمَا يظهرُ عندَ الرؤيَةِ بالعينِ، ومنْهم السيَّدُ محمود السماوي ينتسبُ كَمَا أخْبرنا منْ جهةِ الأبويْنِ، وهُوَ مغربيٌّ تونسيٌّ، إلى الحسنِ والحسينِ، سَكنَ الاسكندرية للتجارةِ، وأنْعمْ بِهِ منْ صاحبِ مروءةٍ وشهامةٍ ونَفْعٍ للغَرِيْبِ، ومحاسنِ أخلاقٍ وزعامةٍ، فإنَّهُ مازالَ مُتَرَدداً في المنافعِ مُخبراً بما هُوَ منتفعٌ جالبٌ، ولغَيْرِهِ دافعٌ. والسَّيدُ الجليلُ النَّبيلُ الفَاضلُ صالح بك المغربي ابن تعاريت بك، وهوَ رجلٌ كَريمٌ ظريفٌ، رفيعُ الشَّيَمِ، عاليُ الهمَمِ، كثيرُ الخيْرِ، حَسنُ السكوتِ والسيرِ ينزلُ بِهِ الضيوفُ، ويَسْعَىْ في إعانةِ الملهوفُ، لَهُ وصلةٌ بالرؤساءِ من مصرَ المحروسةَ، وملكةٌ لطبائعِ الكرامِ المأنوسةِ، وقدْ قامَ مَعنَا في بعضِ المحتاجاتِ ولمْ نخرجْ من

المحلِّ الذي (٧٢أ) الذيْ نَزَلْنَا بهِ إلاَّ مَرَّةً في عَرَبَتَيْنِ اسْتأجَرَهُمَا لَنَا هُوَ وأوْصَلَنا إلى مَكْتَبِهِ والمرادُ مِنَ المكتبِ هوَ الموضعُ الذي به يجلسُ ويَتَقاضَى الأعمالَ والكفايةُ والسَّببُ في خروجِنَا أنَّهُ وَعدَنا بإراتنا المحلَّ الذي بهِ تباعُ الكتبُ، فلمَّا وَصَلْنَا لمْ نجدْ صاحبَ الكتبِ، وقَعَدْنَا عندَهُ سُوَيْعةً، وعندَهُ ابنُ عمِّه السيدُ عمر أفندي بن الشيخ لابساً ملابسَ تركيةً ملكيةً، وهو رجلٌ عجيبٌ أديبٌ طرابزيُّ الأصلِ، حسينُّي النَسبِ، يُذكرُ أنَّ محلاَّتهمْ، وإنْ كانَتْ دخَلَتْ تحت دولةِ فرانسا، فلا يُجرُونَ فيها إلاَّ الأحكامَ الشرعيَّةَ إلا الحدودَ الشرعيَّةَ، وبقيَّةُ الأعمالِ بنظرِ حاكمِ الشريعةِ لا يعترضُهُ معترضٌ، والكلُّ يعرفونَ أنَّ أهلَ اليمنِ يطلبونَ استكمالَ الأحكامِ الشرعيَّةِ، ويُلحَّونَ إليْها ورأيْنا عندَ السيِّدِ صالح بك حضرةَ العلاَّمةَ المفضالَ الشيخَ عبداللطيف أفندي وهوَ مفتي الاسكندرية، وقعَ مذاكرتِهِ في بعضِ مسائلِ طارفةٍ، وسيِّديْ العلاَّمةُ الفخريُّ، عافاهُ اللهُ، يكتبُ بَيَاناً في الكتب، وسيديْ العزى كذلكَ، وكانتْ شَمايلُهُ وسَجَاياهُ تدلُّ على أنَّ لهُ إلمام ومعرفةً ودرايةً كاملةً، لاسيَّما كتب الحديثِ ورجاله، ثمَّ زارَنا السيِّدُ صالح بك بن سليمان تعاريت ومحمود السماوي مراراً معُهما السيِّدُ الفاضلُ الأديبُ محمد العروسي، والسيِّدُ الأديبُ فاضلِ أفنْدي. وفي ليلةٍ كانَ رَقَدَ سيِّديْ العلامةُ الفخريُّ، عافاهُ اللهُ، لعذْرٍ، فوَصَلَ السَّادةُ السابقُ ذِكرُهُم، ومَعَهم سيِّدٌ

عالمٌ فاضلٌ هو السيِّدُ محمد فطيمة مدير المعارفُ بالمحافظيَّة ومحمد أفندي وغيرُهُما منْ خيار موجود البلدة، ومعَهَم أحدُ أدبَاء أذكياء العصر، شابٌ حدثُ السنِّ منْ طلبة المدرسة البحرية، وصفُوهُ بحسن الخُلُق وأدب فَلَمْ يكنْ في استقبالهم غيرُ العاجزُ وسيِّديْ محمد بن عبدالله مزيقر فتأسَّفَ سيِّدي العلاَّمةُ **(٧٢ب)** الفخريُّ، عافاهُ اللهُ، وتابعَ الإعتذارات إليهمْ مع السّيد صالح بك وغيره لمنْ ذُكرَ، وكانَ قد اتَّفقَ الرأيُ على تأخير ركوبنَا إلى يوم الجمعة في بابور رومانيا الراسي في مَرسَىْ الاسكندرية بجانب بابور اسماعيلية لأنَّهُ تنازَلَ بناقص ماية قرش لكلِّ فرد في القمرة عنْ مَا يطلُبُه بابورُ اسماعيلية، والشرطُ أنْ تُحملَ أثقالُنَا، وفي الأصحاب العذر الذيْ أوْجَبَ التأخيرَ وأنْ يقْطَع البيلت وهيَ أوراقُ الركوب قبلَ عزم بابور اسماعيلية، فذهبَ صبح السيد محمد بن عبدالله المزيقر والبيكباش وإذا هُوَ جَعَلها وسيلةً لإسْكاتنَا حتَّى يقومَ بابورُ اسماعيلية ثمَّ يتحكَّمُ في مطالبه، وقدْ منَّ اللهُ سبحانَهُ بالشِّفاء لمنْ كانَ به أثرٌ بعدَ وصولنَا الإسكندرية فما أحسَّ بهذه الخديعة السيدُ محمد بن عبدالله والبيكباش حتى قاما وأسْرَعَا وَخَرجَا منْ عند وكيل رومانيا إلى وكيل اسماعيلية، وأخذَ أوْراقَ البيلتُ وسلَّمَا أجرةُ النُولِ، وعَادَا وقدْ بتَّ الكلامُ على السفر في اسماعيلية بعد عصر يومنَا الأرْبعاء، واشْتَغَلَ كلٌّ بما يتعلّقُ به منْ أعمال التأهُّب للسَّفر بعدَ الطعام.

هذا، ولمْ يزلِ السادةُ السَّالفُ ذكرُهُمْ في دوامِ التَّردُّدِ إليْنَا، ولقَدْ ارتَحْنَا بِهِمْ وسَلونَا عن كثيرٍ من الوسواسِ لما هُمْ عَلَيْهِ من مكارمِ الأخلاقِ، وحَلُوْ طِباعهُمْ عن الحيَلِ والدَّسَائس، ولقد أخْبَرونَا عما وقَفُوا عَلَيْهِ منْ أحوالِ السيِّدِ أحمد بن يحيى أحمد الهجوة الكبسي الذيْ كانَ منْفيًا معْ والدِهِ في ردوس منذُ سنة تسعٍ وثلثماية إليْ سَنَة اثنين وعشرينَ وثلثماية، ثم خرَجَ والدُهُ إلى اليَمَنِ، وانْتَقَل هُوَ بأهْلِه إلى مصْرَ وَسوَّلتْ لَهُ نَفْسُهُ أنْ يَتَداخَلَ في أمرٍ مَا بَيْنَ الإمامِ والدولةِ العليةِ، واستحصلَ أسَاميَ كثيرٍ في علماءِ الجهاتِ المصريَّةِ، والمأمورينَ إلى الإمامِ، وأرادَ التَّداخُلِ في ذلكَ لدولةِ إيتاليا، فأجَابَهُ الإمامُ، حَفظَهُ اللهُ، أنَّهُ لامجالِ لتَداخُلِ الأجانبِ فيما بيْنهُ (١٧٣أ) وبينَ الدَّوْلة، وإنَّما يَرْجُو بواسطَةِ حكومةِ ايتاليا إيصالَ عريضةٍ منْهُ إلى مقامِ السَلْطَنَةِ العليَّةِ السَّنيَّةِ لأنَّهُ يَبْلُغُ أنَّ كُتُبَهُ كُلَّها لا تبلغ ولا تُعْرضُ على الذاتِ الشَّاهانيَّة، وحرَّرَ أجْوبةً عمَّا وَصَلَ إليْه بِحَسْبِها، ولمَّا وَصلَتْ هذه الأجْوبةُ تمكَّنَ منْ إنشَابِ مَخَالبَهُ وسَمَّى نفسهُ «وكيلُ الإمامِ» وهَيْهاتَ أنْ يُوَكِّلَهُ الإمامُ أوْ يُوَكِّلَ غيْرَهُ فَفَعَلَ مَا فَعَلْ، وقالَ ما قالْ، ولَمْ يخْشَ اللَّومَ والخجَلَ، فاتَّبَعَ هواهُ فيما سَوَّلَ الخيالُ. قالَ المخبرونَ : إنَّهُ كانَ أغْفَل وزيرَ دولةِ ايتاليا بمصرَ أنَّهُ «وكيلُ الإمامِ» بعدَ أنْ أخَذَ منْ خديوي مصرَ له ولإخوانِه المطلقينَ منْ رؤوسِ إعانةً وفيرة، وحصَّنَ بها نفسَهُ وجَحَدَ

إخوانَهُ، واسْتغفروْا به بعدَ علمهم بماله منْ خَبيث السَّريرة والسِّيرَة، فكانَ وزيرُ إيتاليا يدفعُ له راتباً شهرياً إذْ قالَ لَهُ : إنَّ الإمامَ سيطلبُ ضَمَانَتَهُ وبواسطة دخول إيتاليا في الضمانة تحتلُّ البلادَ اليمانيةَ وتستخرجُ منْها المعادنَ وتبين المعاملَ إلى غير ذلكَ منَ التَّسْويلات التَّمويهيَّة.

فلمَّا وَصَلَ جوابُ الإمام، حَفظهُ اللهُ تعالى، مُقْنعاً لَهُ بأنَّهُ لامجالَ لَهُ لمداخَلَة الأجانب، ولا يوكلُهُ هوَ في شيء تبيَّنَ للوزير وأعوانه أنَّ مقالَهُ الأولَ كاذبٌ، وقطعَ عنْهُ المرتبَ، وكادَ يوقعُ به العجايبَ، فانْقلبَ إلى جانب الانكليزية وتلطفَ بهم حتَّى استخرجَ منْهم لَهُ ماهيةَ ودامَ على ذلكَ أياماً حتى أعلنَت الحريةُ، وبَلغنَا الإنقلابُ الحاصلُ في أعمال الدولة العَليَّة، وأنَّ طُرقَ المخابرة للإمام قدْ فُتحتْ وحُجب الإستبداد عنْ سماء العدل قدْ رُفَعتْ، وعرَفَ أنَّهُ سيظهرُ للوجُود ما كانَ من التَّمويهات ويكشف الحقائقَ باطلُ الدقائق والتسويلات، فَلَقدْ زَوَّرَ ختمَ الإمام، وكتب لنفْسه أوْراقاً **(٧٣ب)** يتمُّ بها المرامُ، واشْتَهَرَ عنْهُ ذلكَ أيُّ اشتهار، وكادَ أنْ يظهرَ في تلكَ البلاد ظهورَ شمس النهار، ونزلَ به السيدُ علي بن محمد المطاع[1]، داهيةَ اليمن المعروف بماله من وثبات

---

(١) علي بن محمد بن أحمد المطاع العلوي الصنعاني، ت ١٣٧١هـ، كان عضواً في مجلس الإدارة في العهد العثماني، أرسله أحمد فيضي إلى الاستانة سنة ١٣٢٦هـ، عضواً في مجلس المبعوثان سُجن أيام ولاية حسين حلمي، تولى نظارة الأوقاف الخارجية والداخلية في عهد الإمام يحيى، تولى أعمال رداع، انظر : نزهة النظر، ص ٤٤٦؛ أئمة اليمن، ص ١٣٦؛ سيرة الإمام يحيى؛ هجر العلم ومعاقله، ٦١٤/١.

السباعِ. وما يتمـوَّجُ بهِ في لُجَجِ الافْتراسِ والفَراسَـةِ منَ الطبَاعِ، وكانَ السيِّدُ علي بن مـحمد قدْ وصلَ الاسكندرية قاصداً دارَ السَّـعادة العليَّة فبلَغهُ وجودَهُ بمصرَ، فقصَـدَهُ إلى مصرَ، وقدْ بلغ عنهُ ما بلغَ عنْ رفيقه في شأنِ الخـتمِ المفتَـعلِ، فأوعَزَ إليْـهِ بالارتحالِ ليُدافـعَ عنه في اليمنِ ويُسْدَلُهُ مـا عَسَى أنْ يظْهر منَ الإخـلالِ، فسافرَ السـيِّد أحمد وعـائلتَهُ وعمَّهُ السيـد حسين على الحُدَيْدَة والسيد علي بن محـمد إلى الاستانة، وكُنَّا رأينا السَّيدَ أحمد وعَمَّهُ فيمَنْ خَرَجَ من الحُدَيْدَة لمواجهتنَا ثمَّ زارَنَا في بيتِ الشَّـراعيِّ باشا، وأخبَـرنا أنَّ العزمَ وسارَ منْ حـينه، وفي هذا كفـايةٌ لمنْ يتَدبرُ ويتـفكَّرُ في غامضِ أعـمالِ منْ يسلبُ بجلبِ منافـعه راحةَ غيرِه هذا، وأما أولئك السادات الأمجـادُ، فبقُوا مَعنا إلى أن قُمْنَا منَ المكانِ الذي بهِ أقَمْنَا ومَـا زَالُوا يعينُونَا في أمورنا أو أحضَـروا العربات لرُكوبِنَا، وسَارُوا مَعَنَا إلى البابورِ مُـشَيَّعينَ، وقَدْ وَضُحَ أن العادَةَ أنَّهُ لا بُدَّ منْ أنْ تُنْجـزَ أدواتِ ركـابِ ظهْـرِ البابورِ وضَـرْبِ القـرانتـينةَ ثلاثَ ساعـاتٍ مُطلقاً إنْ لم يكنْ بهمْ مرضٌ، فـسبقَ الأصحـابُ كلُّهم إلاَّ واحداً إلى محلِّ القرانتـينة مع محمد راشد، صاحبِ المنزلِ، والبـيكباش، وما هُوَ إلاَّ «هاتِ مـصاري» مغ الغلاءِ المـفرطِ في كل شيءٍ، أجـرةُ الجلوسِ في المنزلِ خمسةُ قروشٍ مصـريٍّ يأتيْ صرْفُها من الريالِ الفرنصاوي نصف وثمن، وأعجبُ مـنْ ذلكَ أنَّهمْ شروْا لَنَا كبـشاً بأحدَ عـشرَ ريالاً،

يكونُ ثمنُـهُ في اليـمنِ نحـوَ الريالِ وقسْ على ذيـنكَ غـيـرَهُمـا، وعنْدَ خُروجِنا كانَ إرسالُ النَّفَرِ الذي تأخَّر عنْدَنا إلى مـحلِّ القرانتينةِ بمعرفةِ السَّادةِ المُومَى إلـيهم، وكانَ أوراقُ البيلتِ وتَذَاكرُ المـرورِ التي تَخُصُّنَا كلُّها مـع البيكباش فَـمَنَعنَا (٧٤أ) عن دخلوِ البـابورِ فسـارَ محمـد بن راشد إلى البيكباش ليُحضرَهُ ومَعَهُ الأوراقُ ونحنُ بَقينَا نتأمَّلُ ما حولَنا من المرسَى، وإذا هُو أكملُ وأتمُّ ممَّـا قبلَهُ من المراسي والبابورُ يلصق به حتَّى أنَّ لهُ دكـةً منَ الخشبِ تتَّـصلُ بهِ والسلم مساعـد فوقهـا إليه، فيكونُ عن يمينِ الدَّاخلِ إلى البابـورِ والخارجِ منهُ أيضاً من الخشبِ إلى بابها وحولُهُ بوابيرُ عديدةٌ وسفن شراعيةٌ وسنابيكُ وآلةُ حفرٍ وماكناتُ جرِّ أثقـالٍ قديمـةٌ وجديدةٌ وفـيه في الجـانبِ الشرقيِّ مفـرجٌ لَهُ توابعُ وحجرٌ وأرضٌ، حواليـه مفروشةٌ بالأحجارِ السُّـودِ المنحوتةِ وحيطانُهُ مُبيَّضةٌ، وفـيه أشْجارٌ وأزْهارٌ ومياهٌ تجري حولهُ فتتـلاعبُ فيه أفلاكُهُ وحوتُهُ وفـيه مـدْفعٌ على شكلِ مدفعِ الهـاوانِ مركبٌ على عـجلاتٍ وآلةٍ جديدةٍ تُرفعُ من الأرضِ نحوَ أرْبعةِ أشبارٍ وفـمُه موجهٌ نحو مدخلِ ذلك البحـرِ الزخارِ، طول المدفعِ نحـو ستة أشـبار وفمهُ مُـدَوَّرٌ حجْمَ دورَةٍ فـوْقَ نصف ذراع وحجمُ أسـفله عندَ مـدخلِ البارودِ والرصـاص يزيدُ بمقـدارِ الثُّلثِ على فمه الذي تقـذف منهُ النارُ وتأمَّلْنَا طولَ الاسكندرية من المحطّةِ إلى المرسَىْ، وإذا نحنُ قطعْنَاه في سـاعةٍ من الزمانِ بسيرِ

العرباتِ تجرُّهَا جيادُ الخيلِ بسرعةٍ ظاهرةٍ، وأمَّا العرضُ فهوَ كما يظهرُ أطولُ من هذه المسافةِ بكثيرٍ، وكلُّ البلَدِ معمورةٌ بالآجرِ والأخشَابِ عمارةً باهرةً، وكلُّ ما مررْنَا بهِ في اليومينِ أسواقٌ ودكاكينَ ومخازنَ للتجاراتِ في كلِّها مَا لا يُوصَفُ كثرةً من الأموالِ والموادعين، وفي وسطِ هذه المدينةِ أسطوانةٌ تمثالِ حصانٍ رافعٍ إحدى يَديْه، وإحدى رجليه واضعٌ للأخرتينْ على رأس المنارةِ، وفوقَهُ فارسٌ طويلُ القامةِ، تامُّ الأعضاءِ، واضعٌ قدَميْه في الركابين بيسارِهِ اللجامُ مرسلٌ الأخرى تحتَ رداءٍ عليهِ، قد اشتَمَل بهِ منْ فوقِ رأسِهِ إلى فوقِ ظهرِ الفَرَسِ على قاعدتِهِ يَعرِفُها العالمونَ بهِ وعليْهِ عمامةٌ كعمائمِ **(٧٤ب)** أهلِ اليمنِ في عظمِ قدرِها وطولِها، وقدْ صُبِغَ الحصانُ والخيالُ والأرديةُ بصبغٍ أخضرَ لَهُ بريقٌ، ولم نتمكَّنْ منْ تحقيقِ غيرِ ذلكَ لكونِهِ مُجَرَّدُ مرورِ الطريقِ وهو محمد علي باشا[1]، أوَّلُ من لُقِّبَ خديوي مصرَ أيَّامَ السُّلطانِ محمود خان[2] ولَهُ الصيتُ الشهيرُ، وعلوُّ المقامِ بينَ الأقرانِ،

---

(١) محمد علي باشا بن ابراهيم آغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير، ت ١٢٦٥هـ، مؤسس آخر دولة ملكية في مصر، الباني الأصل، من قَوَلة، احترف تجارة الدخان، فاثرى صعد حتى أصبح والي مصر سنة ١٢٢هـ، ثم انفرد بحكم مصر، انتدبته الدولة العثمانية لقتال حركة التوحيد الوهابية في الجزيرة العربية، انظر : سيرته لعدد من المؤلفين، وانظر، تاريخ مصر السياسي لمحمد رفعت، ص ٧٤.

(٢) محمود خان : المقصود السلطان العثماني محمود الثاني، ١٨٠٨-١٨٣٩م.

خَضَع لَهُ مصرَ والشامَ وأكثرُ العراقِ، وقصد النجديُّ[1] الذي ظَهرَ وعَاثَ في أرْضِ الحَرمـيْنِ، وفي أكثرِ اليـمن وتهامـة والمشارقِ، وقـالَ، بكفرِ فرقِ الإسـلامِ كلِّها كَـمَا هوَ مـصْدُورٌ في بُطونِ الأوراقِ، وله مـساعيُ حميـدةٌ، منْها أعادَ تهـامةَ اليمنِ لأهلِها من بيتِ الإمـامِ القاسمِ، ووَضعَ الأشْياءَ في محلِّـها، وبعدَ بُرْهةٍ من عزمِ محمد راشـد وَوَصلَ البيكباش ومَعَهُ الأوراقُ المطلوبَةُ فرآها القُبطانُ وقـال بروايتها من أعْوانه قد عينا الركـوب، ودخَلْنا البابورَ بعـدَ عـصرِ يومِ الأربعـاء لعلَّهُ شهـرَ محـرَّمِ الحرامِ مـفتاح سنة ١٣٢٧ مـتوكلينَ على علامِ الغـيوبِ، وبَيْنَا نحنُ في البابورِ وقد عُـيِّنت لَنَا القمراتُ إذْ قامَ السَّاداتُ المـودعونُ لزيارةِ وكيلِ الأجنبيةِ المـسمَّى بالدكتورِ، لأنَّهُ قـدْ وَصَلَ من الاسكندريةِ إلى البابورِ وقصْـدُهُمْ للزيارةِ التوصـيةُ منْهُ على مـنْ في البابورِ بشـأننا فبقـينَا بُعَدهُمْ قليـلاً، وقمنا للفرجـةِ إلى سطحِ البابورِ وإذا بهمْ معْ أحـمد بيك، فَوَجَدْنا رجلاً ضخماً ينطقُ بالعربيةِ الفصيحةِ والتركيةِ ولغاتِ الإفرنج به طلاوةٌ، وحلاوةُ أخلاقٍ، وكـرمُ طباعٍ، ولينُ جانبٍ، بعيـدٌ عن القسوةِ المصـريَّةِ والغباوةِ فقـرَّبَ منَّا وسلَّمَ علَيْنا، وصافحَنا وسـارَ مَعَنا إلى الطبَّـاخِ وسألهُ، هل يذبحُ شيُ غـيرِ البـقرِ والـغنمِ، وهلْ تُخْلَطُ الذبائحُ،

---

(١) النجدي : المقصود به، صراع محمد علي باشا، وابنه مع الدعوة، الوهابية وآل سعود.

فجَحَد كلَّ ذلك، ثُمَّ أعلمنا البيك أنَّهُ غيرُ ممكنٍ إيقاع شيءٍ مما يتطرقُ الوهمُ إليْهِ من خلطِ محرمٍ، وكلُّ ذبيحةٍ غيرِ المسلمِ، وأمرَ أهلَ المركبِ أنْ أنْ يُخصِّصُوا مواضعَ (٧٥أ) مائدَتنَا غيرَ الموائد التي يجتمعُ علَيْها الرِّجالُ والنِّساءُ مختلطينَ وأوصاهمُ بنا خيراً في جميعِ الأعمالِ، وأرانا موضعَ القبلةِ، وبقيَ مَعَنَا قليلاً ثم أعطانَا ورقةً مطبوعةً تُسمَّى، مرت، وأقارت أوقارط معلمةً باسمه وشهرته التي يظهرُ لكُلِّ وهيَ عندَ أهلِ هذه الدِّيارِ عادةٌ جاريةٌ، تُؤْخذُ بيدِ كلِّ واحدٍ منهمُ فيَدْفَعُها لصاحبه تذكرة إذا أرادَ أنْ يكتُبَ إليه، وإذا قَصَد صاحبُ الورَقَةِ أحداً ولمْ يَجدْهُ وَضَعَ عندَ أحدِ أتباعِه ورقةً منْ عدَّةِ الأوْراقِ ليُعلمَهُ بمجيئه. وفي هذه الورقةِ اسمُهُ أحمد أمين تركي، فشكرْنا له، ولما كانتِ السَّاعةُ التاسعةُ عادَ المودِّعونَ إلى الاسكندرية وقدْ زَوَّدَنَا حُسنَ الدعاءِ وقرأوا الفاتحةَ مراراً متوسِّلين إلى ربِّ العالمينَ.

وفي تمامِ العاشرةِ قامَ البابورُ من مرسى الاسكندرية يمخرُ المياهُ يميناً وشمالاً، وتختلفُهُ الأرواحُ جنوباً وشمالاً، فما كانَ قيامُهُ من المرسى إلا وسَقَطَ منْ سَقَطْ وجَنَا منْ جنا، وهذا يدفعُ ما في جوفه، وهذا أغْمِيَ عليه فنسيَ الصَّلاةَ، وما سلم من كُلِّ ذَلكَ إلاَّ العاجزُ الحقيرُ لُطْفاً من ربِّي لضعفي، وهي عادتي منْ قبلُ في

سفري للحجج ذهاباً وإياباً لايُغيرني البحر وأيضاً البيكباش أحمد شوقي، ولشدة اختلاف الأنواء ونزول الأمطار في خلال ارتفاع الماء نقصَ من سير البابور الاسماعيلية أكثر من نصفها، فلمْ تقْطَعْ في السَّاعة التي كانَتْ تقطعُ بها أربعة عشر ميلاً إلى ستة عشرَ ميلاً غير خمسة إلى سبعة أميال، كما أخْبرنا العارفُ بسيْره، ولَهُ المعرفةُ بذلكَ، وكان الأجلُ لوُصوله بريدَ أحد مدن بلاد اليونان صبحَ الجمعة، فلمْ يدْخلْها غيرَ آخر النَّهار مع غُروب الشمس، وهي مدينةٌ عظيمةٌ تُنارُ بالنُّور الكهربائيِّ ومرْسَاها حسنٌ وهيْ مبنيةٌ حولَ الحوض على شكل قوس، وفيها بوابيرُ راسيةٌ مختلفةُ الأشكال والأنواع.

ولما تمَّت الساعةُ الخامسةُ ليلاً قامَ البابورُ منها، فرسى في مرْسى إزمير[1] عند تمام التاسعة وأوَّل العاشرة، وصعدْنا إلى سَطْح البابور لننْظرْ **(٧٥ب)** صفَتها، فإذا هي مَدينَةٌ في شكل رُبْع قوس، تحيطُ بها الجبالُ من الجهة الشرقية إلى الغرب الشمالي بسلسلة متصلة، بها رؤوسٌ ناشزةٌ، مختلفةُ الارتفاع، والبحرُ من الجانب المقابل كاملاً، والمرسى داخلَ حوض صغير، فبعض البوابير تدخلُ إلى داخل الحوض الصغير، يتّصل بحيطان المرسى، وبعضها في الحوض الكبير، والبعضُ خارج. وفي المرسى بوابيرُ وسفنٌ

---

(١) إزمير : مدينة تركية تقع على ساحل بحر ايجه، ميناء هام، اليوم هي مركز ولاية.